



نزلتْ بعدَ الأنعام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۞(١) فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۞(٢) فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۞(٣) إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۞(٤) رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۞(٥) ﴾

روى النسائي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : ١ [كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف ويؤمّنا بالصافات] تفرد به النسائي .

روى سفيان الثوري عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : ﴿ والصافات صفاً ﴾ هي الملائكة ﴿ فالزاجرات زجراً ﴾ هي الملائكة ﴿ فالتاليات ذكراً ﴾ هي الملائكة

روى مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٢ [فضلنا على الناس بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً ، وجعل لنا ترابها طهوراً إذا لم نجد الماء] وقد روى مسلم أيضاً وأبو داودوالنسائي وابن ماجه عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٣ [« ألا تصفّون كما تصف الملائكة عند ربهم » ؟ قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال ﷺ « يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف »] .

وقال السدي وغيره معنى قوله تعالى : ﴿ فالزاجرات زجراً ﴾ انها تزجر السحاب ﴿ فالتاليات ذكراً ﴾ أي الملائكة يجيئون بالقرآن من عند الله تعالى الى الناس كقوله

(١) وكذا قال ابن عباس ومسروق وغيره من التابعين .

تعالى : ﴿ فالملقيات ذكراً عذراً أو نذراً ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ إن الهكم لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ﴾ أي من المخلوقات ﴿ وربُّ المشارق ﴾ أي هو المالك المتصرف في الخلق بتسخيره بما فيه من أجرام السماء التي تظهر من المشرق وتغرب من المغرب ، واكتفى بذكر المشارق عن ذكر المغارب لدلالتها عليه كقوله تعالى : ﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنّا لقادرون ﴾ [١] وقوله تعالى : ﴿ رب المشرقين ورب المغربين ﴾ يعني شروق الشمس والقمر في الصيف والشتاء ، واختلاف مطالعهما [٢]

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۞(٦) وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ۞(٧) لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۞(٨) دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۞(٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۞(١٠) ﴾

يخبر تعالى أنه زيّن السماء الدنيا ، للناظرين إليها من أهل الأرض بزينة الكواكب ، كما قال تعالى : ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين ﴾ واعتدنالهم عذاب السعير ﴾ وقال تعالى هاهنا ﴿ وحفظاً ﴾ أي وحفظناه حفظاً ﴿ من كل شيطان مارد ﴾ يعني المتمرد العاتي إذا أراد أن يسترق السمع أتاه شهاب فأحرقه ﴿ لا يسّمعُون إلى الملأ الأعلى ﴾ أي لئلاّ يصِلُوا إلى الملأِ الأعلى وهي السموات ومن فيها من الملائكة

---

(١) قلت: لما خلق الله تعالى الأرض كروية فإن نصف الكرة المواجه للشمس يكون فيه اليوم نهاراً والنصف الخلفي يكون ليلا ، ولما كانت الأرض أو الشمس تدور بقدرته تعالى من الشرق إلى الغرب ففي كل لحظة من هذا الدوران يتكون شروق وغروب لا يفتران أبداً طالما الأرض والشمس كرويتان وكذلك سائر الكواكب . إذاً فهناك مشارق ومغارب لا تنتهي إلا بانتهاء عمر الكون ولما كان الله تعالى رب كل حركة في السموات والأرض ورب كل شيء ومليكه ومحركه والمتصرف فيه بقدرته وحده لا شريك له فهو ولا شك « رب المشارق والمغارب » والله اعلم .

(٢) قلت : إن شروق الشمس في الصيف يكون من الشرق مع ميل إلى الشمال ، وغروبها يكون في الغرب مع ميل نحو الشمال . والقمر في الصيف يشرق من الشرق مع ميل نحو الجنوب ويغرب في الغرب مع ميل نحو الجنوب وأما في الشتاء : فتشرق الشمس من الشرق مع ميل إلى الجنوب وتغرب في الغرب مع ميل إلى الجنوب أما القمر في الشتاء فيشرق من الشرق مع ميل إلى الشمال ويغرب في الغرب مع ميل الشمال . وهكذا يتضح ان للشمس مشرقين ومغربين كما للقمر مشرقين ومغربين كل ذلك بقدرة الله تعالى وحده لا شريك ومن هذا يعلم أنه تعالى « رب المشرقين ورب المغربين » ورب كل شيء ومليكه لا إله غيره ولا رب سواه والله أعلم وهو الموفق للصواب .

أثناء تكلمهم بما يوحيه الله تعالى من شرعه وقدره كما تقدم ذكر ذلك عند قوله تعالى : ﴿ حتى إذا فزع عن قلوبهم ﴾ ... ولهذا قال تعالى : ﴿ ويقذفون ﴾ أي يُرمَوْنَ ﴿ من كل جانب دحوراً ﴾ أي رجماً ويدحرون عن الوصول ، ويرجمون ﴿ ولهم عذاب واصب ﴾ أي موجع مستمر ﴿ إلاّ من خَطِفَ الخطفةَ ﴾ أي الكلمة التي يسمعها الشيطان من السماء فيلقيها إلى الذي تحته ويلقيها الآخر لمن تحته فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما القاها بقدر الله قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه فيذهب بها الآخر الى الكاهن كما تقدم في الحديث ولهذا قال تعالى : ﴿ إلاَّ من خطف الخطفة ﴾....

وعن ابن عباس قال : كان للشياطين مقاعد في السماء يستمعون الوحي فينزلون الى الأرض فزادوا في الكلمة تسعاً ... فلما كانت بعثته عليه الصلاة والسلام فمنع الشياطينُ مقاعَدهم وأتبعهم شهابٌ لا يخطئُهم حتى يحرقهم فشكوا ذلك إلى إبليس فأرسل جنوده فرأوا رسول الله ﷺ يصلي بين جبلَيْ نخلة فرجعوا وأخبروا إبليس بما رأوا ... وقال هذا الذي حدث وستأتي ان شاء الله الأحاديث الواردة مع الآثار في هذا المعنى عند قوله تعالى اخباراً عن الجن أنهم قالوا : ﴿ وانّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً ﴾..

فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ۞(١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۞(١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۞(١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۞(١٤) وَقَالُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۞(١٥) ءَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً ءَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۞(١٦) أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۞(١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ۞(١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۞(١٩)

يقول تعالى : فسل هؤلاء المنكرين للبعث أيّهما أشدُّ خلقاً .. هُم أم السموات والأرض وما بينهما من مخلوقاته ؟... فإنهم يقرون انها أشد خلقاً منهم وإذا كان الأمر كذلك فلمَ ينكرون البعث ؟ مع مشاهدة ما هو أعظم مما أنكروا ... كما قال عز وجل : ﴿ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ثم بيّن انهم خُلِقوا من شيء ضعيف فقال : ﴿ إنّا خلقناهم من طين لازب ﴾ أي اللزج الجيد ﴿ بل

عجبت ويسخرون ﴾ أي بل عجبت يا محمد من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث ، وأنت موقن مصدق بما أخبر الله تعالى من الأمر العجيب وهو إعادة الأجسام بعد فنائها ، وهم بخلاف أمرك من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقوله لهم من إعادة أجسامهم . ﴿ وإذا رأوا آيةً ﴾ أي دلالة واضحة على ذلك ﴿ يستسخرون ﴾ أي يستهزئون ﴿ وقالوا إنْ هذا إلاّ سحر مبين أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنّا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون ﴾ يستبعدون ذلك ويكذبون به ﴿ قل نعم وأنتم داخرون ﴾ أي تبعثون وأنتم أذلاء حقيرون كقوله تعالى : ﴿ وكل أتوه داخرين ﴾ ثم قال جلّت عظمته ﴿ فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون ﴾ أي فإنما هو أمر واحد من الله عز وجل ، يدعوهم دعوةً واحدة أن يخرجوا من الأرض ، فإذا هم قيام بين يديه ينظرون الى أهوال يوم القيامة والله تعالى أعلم .



﴿ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۞(٢٠) هَذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۞(٢١) ٱحْشُرُوا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۞(٢٢) مِنْ دُونِ ٱللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ ٱلْجَحِيمِ ۞(٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ۞(٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۞(٢٥) بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۞(٢٦) ﴾

يخبر تعالى عن وضع الكفار يوم القيامة كيف أنهم يلومون أنفسهم لظلمهم إياها في الدنيا ، وذلك عندما عاينوا أهوال القيامة فندموا حيث لا ينفعهم الندم ﴿ وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين ﴾ فتقول لهم الملائكة والمؤمنون : ﴿ هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ﴾ تقريعاً وتوبيخاً ويأمر الله تعالى الملائكة بأن يفصلوا الكفار عن المؤمنين في المحشر. ولهذا قال تعالى : ﴿ أحشروا الذين ظلموا وازواجهم ﴾ قال النعمان بن بشير رضي الله عنه يعني يعني بأزواجهم : أشباهَهم وأمثالهم ، وكذا قال ابن عباس وجماعة من التابعين . ويحشرون مع ما كانوا يعبدون من دون الله من الأصنام والأنداد تحشر معهم في أماكنهم. وقولُه تعالى : ﴿ فاهدوهم الى صراط الجحيم ﴾ أي أرشدوهم إلى طريق جهنم . وقوله تعالى : ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾ أي احبسوهم انهم محاسبون عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدنيا . روى ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٤ [أيما داع دعا إلى شيء كان موقوفاً معه الى يوم القيامة لا يغادره

ولا يفارقه وان دعا رجل رجلاً ثم قرأ : ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾] ورواه الترمذي وابن جرير . ثم يقال لهم تقريعاً وتوبيخاً: ﴿ مالكم لا تناصرون ﴾ أي لا ينصر بعضكم بعضاً كما كنتم في الدنيا ؟ ﴿ بل هم اليوم مستسلمون ﴾ أي منقادون لأمر الله لا يخالفونه ولا يحيدون عنه والله أعلم .

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۞(٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۞(٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۞(٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طَاغِينَ ۞(٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ۞(٣١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ۞(٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۞(٣٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۞(٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۞(٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ۞(٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ۞(٣٧) ﴾

يذكر تعالى ان الكفار يتلاومون في عرصات يوم القيامة ، كما يتخاصمون في دركات النار ﴿ فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنّا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار ۞ قال الذين استكبروا إنّا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد ﴾ وقالوا لهم ههنا ﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ قال ابن عباس : يقولون كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا لأنّا كنا أذلاء وكنتم أعزاء [١] فأقنعتمونا بالكفر. كقوله تعالى : ﴿ ... بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ... ﴾ ﴿ قالوا ﴾ أي الذين استكبروا ﴿ بل لم تكونوا مؤمنين ﴾ أي ليس الأمر كما تدعون بل كانت قلوبكم منكرة للايمان قابلة للكفر والعصيان ﴿ وما كان لنا عليكم من سلطان ﴾ أي من حجة على ما دعوناكم إليه ﴿ بل كنتم قوماً طاغين ﴾ أي متجاوزين عن الحق ولهذا استجبتم لنا فتركتم الحق وخالفتم الرسل ، ﴿ فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون فأغويناكم إنا كنا غاوين ﴾ أي فدعوناكم الى ما نحن فيه فاستجبتم قال تعالى : ﴿ فإنهم يومئذ في

---

(١) لما كانت اليد اليمين أقوى وهي المستعملة دائمة في القوة كنى سبحانه بها عن الهيمنة التي كانت للسادة والكبراء على العامة . والمعنى : أنهم جاءوهم عن طريق القوة والإجبار في تحبيذ الكفر على الإيمان .

العذاب مشتركون ﴾ أي الجميع في النار كلٌ بحسبه ﴿ إنا كذلك نفعل بالمجرمين إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ﴾ عن قولها بالمعنى الذي يقولها به المؤمنون .

﴿ ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ يعنون رسول الله ﷺ قال الله تعالى رداً عليهم وتكذيباً لهم : ﴿ بل جاء بالحق ﴾ يعني ليس شاعراً ولا مجنوناً بل جاء بالحق الذي أرسلته به ﴿ وصدّق المرسلين ﴾ الذين أخبروا بصفاته الحميدة ودينه القويم في كتبهم السماوية السابقة فكانت حالهُ كما أخبروا عنه من الصدق والأمانة والصراط المستقيم الذي كان ينهجه في الدعوة إلى ربه تعالت قدرته وجلّت عظمته .

﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾

يقول تعالى مخاطباً للناس : ﴿ إنكم لذائقوا العذاب الأليم وما تجزون إلاّ ما كنتم تعملون ﴾ ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين . كما قال تعالى : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة إلاّ أصحاب اليمين ﴾ ولهذا قال عز وجل ههنا : ﴿ إلاّ عباد الله المخلصين ﴾ أي ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يُناقَشون في الحساب بل يُتجاوز عن سيئآتهم ان كان لهم سيئآت ويجزون الحسنة بعشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما يشاء الله من التضعيف . وقوله جل وعلا : ﴿ أولئك لهم رزق معلوم ﴾ يعني الجنة ثم فسره بقوله تعالى : ﴿ فواكه ﴾ متنوعة ﴿ وهم مكرمون ﴾ أي يخدمون ويرفّهون وينعّمون ﴿ في جنات النعيم على سرر متقابلين ﴾ مقابلةً ﴿ يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ﴾ نزّه الله سبحانه وتعالى خمر الجنة عن الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن ، وهو الغول وذهابها بالعقل جملةً . فقال تعالى : ﴿ لا فيها غول ﴾ أي لا تغتال عقولهم . قال ابن عباس : في الخمر

أربعُ خصال : السكر ، والصداع ، والقيء ، والبول فلما ذكر خمر الجنة نزهها عن هذه الخصال . والمراد من : ﴿ لا فيها غول ﴾ ليس فيها سكر ولا صداع ولا قيء ولا بول وهذه الخصال المجموعة هي الغول . وقوله تعالى : ﴿ وعندهم قاصرات الطرف ﴾ أي عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن ﴿ عين ﴾ أي حسان الأعين جميلات المظهر عفيفات تقيات نقيّات ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ وصفهن بترافة الأبدان بأحسن الألوان وقد شبههن بالبيض المكنون كيف ان البيضة المكنونة بالقشرة الخارجية لم تمسّها يد فهن كذلك من حيث أنهن لم يمسهن أحد وبياضهن رقيق كرقة البيضة من الداخل بيضاء شفافة قال السدي : ﴿ كأنهن بيضٌ مكنون ﴾ يقول بياض البيض حين ينزع قشره. واختاره ابن جرير لقوله مكنون قال والقشرة العليا يمسها جناح الطير والعش وتنالها الأيدي بخلاف داخلها والله أعلم . روى ابن ابي حاتم عن أم سلمة : ٥ [... قلت يا رسول الله اخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿ كأنهن بيضٌ مكنون ﴾ قال : رقتهن كرقة الجلدة التي رأسها في داخل البيضة التي تلي القشرة وهي الغِرْقيء] (١)

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۞(٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۞(٥١) يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۞(٥٢) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ۞(٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ۞(٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۞(٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ۞(٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۞(٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۞(٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۞(٥٩) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞(٦٠) لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ۞(٦١) ﴾

يخبر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون أي عن أحوالهم وكيف كانوا في الدنيا ، وما كانوا يعانون فيها وذلك من حديثهم على شرابهم واجتماعهم في تنادمهم ومعاشرتهم في مجالسهم وهم جلوس على السرر ، والخدم بين أيديهم يسعون ويجيئون بكل خير عظيم من مآكل ومشارب وملابس وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن

(١) القشرة الملتزمة ببياض البيض أو البياض الذي يؤكل « القاموس » غرقيء .

سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ قال قائل منهم إني كان لي قرين ﴾ من الكافرين ﴿يقول أإنك لمن المصدقين ﴾ أي أأنت تصدق بالبعث والنشور والحساب والجزاء ... !!!!؟ يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد ، والكفر والعناد ﴿ أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمدينون ﴾ لمحاسبون ومجزيّون بأعمالنا ﴿ قال هل أنتم مطلعون ﴾ أي يقول المؤمن لأصحابه وجلسائه من أهل الجنة : هل أنتم مشرفون ﴿ فاطلع فرآه في سواء الجحيم ﴾ أي في وسط جهنم قال كعب الأحبار : ان في الجنة كُوَى إذا أراد أحد من أهلها ان ينظر إلى عدوه في النار اطلع فيها فازداد شكراً ﴿ قال تالله إن كدت لتردين ﴾ يقول المؤمن للكافر : والله ان كدت لتهلكني لو أطعتك ﴿ ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين ﴾ أي ولولا فضل الله عليّ لكنت مثلك في سواء الجحيم حيث أنت ، محضر معك في العذاب ، ولكنه تعالى تفضّل عليّ ورحمني فهداني للإيمان وأرشدني الى توحيده ﴿ وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ أفما نحن بميتين إلاّ موتتنا الأولى وما نحن بمعذّبين ﴾ هذا من كلام المؤمن مغتبطاً نفسه بما أعطاه الله تعالى من الخلد في الجنة والإقامة في دار الكرامة بلا موت فيها ولا عذاب ولهذا قال عز وجل ﴿ إنّ هذا لهو الفوز العظيم ﴾ وقولُه جل جلاله : ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ أي يقول الله تعالى لمثل هذا النعيم وهذا الفوز فليعمل العاملون في الدنيا ليصيروا إليه في الآخرة .

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝(٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ۝(٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝(٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَاطِينِ ۝(٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝(٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۝(٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ۝(٦٨) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ۝(٦٩) فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ۝(٧٠) ﴾

يقول الله تعالى أهذا الذي ذكره من نعيم الجنة ، وما فيها من المآكل والمشارب والملاذ خيرٌ ضيافةً وعطاءً ﴿ أم شجرة الزقوم ﴾ أي تنبت في جهنم يقال أنها شجرة تمتّد فروعها الى جميع محالّ جهنم كما أن شجرة طوبى ما من دار في الجنة إلاّ وفيها منها غصن . قال قتادة : ذكرت شجرة الزقوم فافتتن بها أهل الضلالة وقالوا : صاحبكم

ينبئكم أن في النار شجرة ، والنار تأكل الشجر فأنزل الله تعالى : ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ﴾ غذيت من النار ومنها خلقت. وقال مجاهد: في قوله تعالى: ﴿ إنا جعلناها فتنة للظالمين ﴾ قال أبو جهل لعنه الله ، إنما الزقوم التمر والزبد أتزقمه . قلتُ : ومعنى الآية : إنما أخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختباراً نختبر به الناس من يصدق منهم ممن يكذب . وانها أي شجرة الزقوم أصل منبتها في قرار النار ﴿ طلعهـــا كأنه رؤوس الشياطين ﴾ تبشيع لها ، وتكريه لذكرها . وقوله تعالى : ﴿ وانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ﴾ لأنه لا طعام لهم إلاّ هي . كما قال تعالى : ﴿ ليس لهم طعام إلاّ من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ﴾

روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ تلا هذه الآية وقال : ٦ [اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيـــا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه] ؟ رواه النسائي وابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح . وقوله تعالى : ﴿ ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني : شرب الحميم على الزقوم وقال في رواية عنه شوباً من حميم ، مزجاً من حميم . وقال غيره : يعني يمزج لهم الحميم بصديد وغساق مما يسيل من عيونهم و فروجهم[(١)] وقوله عز وجل : ﴿ ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم ﴾ ثم إن مردهم لإلى نارٍ تتأجج ، وجحيمٍ تتوقد ، وسعير تتوهج ، فتارة في هذا وتارةً في هذا. كما قال تعالى : ﴿ يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ هكذا تلا قتادة هذه الآية عند هذه الآية وهو تفسير حسن قوي .

وقوله تعالى : ﴿ إنهم ألفوا آباءهم ضالين ﴾ أي إنما جازيناهم بذلك لأنهم وجدوا آباءهم على الضلالة فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك من غير دليل ولا برهان . ولهذا قال عز وجل : ﴿ فهم على آثارهم يُهرَعون ﴾ أي يهرولون .

﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝(٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۝(٧٢) فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝(٧٣) إِلَّا عِبَـــادَ ٱللَّهِ

(١) قلت : سيتزقم أبو جهل وأمثاله الزقوم مزيجاً بالحميم والصديد في قعر جهنم... كما كان يتزقم التمر بالزبد في الدنيا .

ٱلْمُخْلَصِينَ ۞ (٧٤)

وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ۞ (٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۞ (٧٦) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۞ (٧٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ۞ (٧٨) سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَالَمِينَ ۞ (٧٩) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ۞ (٨٢)

يخبر تعالى عن الأمم الماضية ان اكثرهم كانوا ضالين يجعلون مع الله آلهةً أخرى ، وذكر سبحانه أنه أرسل فيهم منذرِين ينذرونهم بأس الله، ويحذرونهم نقمته، ممَّن كفر به وعبد غيره وتمادوا في تكذيب رسله فأهلك المكذبين ونجى المؤمنين ونصرهم . ولهذا قال تعالى : ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المنذَرين إلاّ عباد الله المخلصين ﴾

وبعد أن ذكر تعالى أكثر الأولين انهم ضلوا عن سبيل النجاة ، شرع ببيان ذلك فذكر نوحاً عليه الصلاة والسلام وما لقي منْ قومه من التكذيب ورغم ما لبث فيهم من السنين الألف إلاّ خمسين عاماً في الدعوة إلى الله لم يؤمن منهم إلاّ القليل.دعا ربه ﴿ إني مغلوب فانتصر ﴾ فغضب الله تعالى لغضبه عليهم ولهذا قال سبحانه : ﴿ ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ﴾ له ﴿ ونجيناه وأهله من الكرب العظيم ﴾ وهو التكذيب والأذى ، ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : لم تبقَ إلاّ ذرية نوح عليه السلام وقوله تعالى : ﴿ وتركنا عليه في الآخرين ﴾ أي يذكر بخير وبثناء حسن ولسان صدقٍ للأنبياء كلهم . وقوله تعالى : ﴿ سلام على نوح في العالمين ﴾ مفسر لما أبقى عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه في جميع الطوائف والأمم . ﴿ إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ أي هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله تعالى نجعل له لسان صدق يذكَر به بعده بحسب مرتبته في ذلك ثم قال تعالى : ﴿ إنه من عبادنا المؤمنين ﴾ أي المصدقين الموحدين الموقنين ﴿ ثم أغرقنا الآخرين ﴾ أي أهلكناهم فلم تبقَ منهم عين تطرف ، ولا ذكر ولا عين ولا أثر، ولا يُعرفون إلاّ بهذه الصفة القبيحة .



وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَٰهِيمَ ۞ (٨٣) إِذْ جَآءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ

سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾

وقوله تعالى : ﴿ وإن من شيعته لإبراهيم ﴾ أي من أهل دينه ومنهاجه وسنته ﴿ إذ جاء ربَّه بقلب سليم ﴾ أي من الشرك ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ﴾ أنكر عليه عبادة الأصنام والأنداد ولهذا قال عز وجل ﴿ أإفكاً آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين ﴾ يعني ما ظنكم أنه فاعل بكم يوم تلقونه وقد عبدتم غيره .

فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾

أزف لقوم إبراهيم أوان خروجهم إلى عيدٍ لهم ، فأحب أن يختليَ بآلهتهم ليكسِّرها فقال لهم كلاماً هو حق في نفس الأمر . فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه ﴿ فتولوْا عنه مدبرين ﴾ قال قتادة : والعرب تقول لمن تفكر : نظر في النجوم . يعني : أنه نظر الى السماء متفكراً فيما يلهيهم به . فقال : ﴿ إني سقيم ﴾ أي ضعيف وأما الحديث الذي رواه ابن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ٧ [لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات : ثنتين في ذات الله تعالى : قوله : ﴿ إني سقيم ﴾ وقوله ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ وقوله في سارة هي أختي ...] . فهو حديث مخرج في الصحاح والسنن من طرق ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله حاشا وكلاً ، وانما أطلق الكذب على هذا تجوّزاً وإنما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ديني ، كما جاء في الحديث : ٨ [إن في المعاريض لمندوحةً عن الكذب]

ولما قال لهم : ﴿ إني سقيم فتولوا عنه مدبرين ﴾ أي فلما خرجوا من عنده ذهب إلى الأصنام في سرعة واختفاء، ولمّا دخل عليها وجد بين أيديها طعاماً قرباناً لتبارك لهم فيه وهي في بهو عظيم وفي الصدر صنم عظيم، إلى جانبه على الجانبين أصناماً أصغرَ منه فأصغر إلى باب البهو فلمّا نظر إبراهيم لما بين أيدي الأصنام من الطعام قال : ﴿ ألا تأكلون مالكم لا تنطقون فراغ عليهم ضرباً باليمين ﴾ فكسرهم جميعاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون كما تقدم في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تفسير ذلك مطوّلاً وهذه القصة ههنا مختصرة . فإنهم لمّا رجع قومه عرفوا من أول وهلة من فعل ذلك وعرفوا أنه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ فأقبلوا إليه يزفون ﴾ أي يسرعون ولما بدأوا يعاتبونه أخذ يؤنبهم ﴿ قال أتعبدون ما تنحتون ﴾ بأيديكم ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ أي خلقكم وخلق عملكم وقد روى البخاري عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً قال : ٩ [إن الله تعالى يصنع كل صانع وصنعته] فلما قامت عليهم الحجة عدلوا إلى أخذه باليد والقهر فقالوا : ﴿ ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم ﴾ وكان من أمرهم ما تقدم في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ونجّاه الله من النار وأظهره عليهم وأعلى حجته ونصرها. ولهذا قال تعالى: ﴿ فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين ﴾

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ❁(٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ❁(١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ❁(١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ❁(١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ❁(١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ❁(١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ❁(١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰؤُا ٱلْمُبِينُ ❁(١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ❁(١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ❁(١٠٨) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ❁(١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ❁(١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ❁(١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّالِحِينَ ❁(١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ❁(١١٣)

يخبر تعالى عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام انه بعد ما نصره الله تعالى على قومه وآيس منهم ومن إيمانهم بعد ما شاهدوا من الآيات العظيمة، هاجر من بين أظهرهم ﴿ وقال إني ذاهب إلى ربّي سيهدينِ * ربّ هب لي من الصالحين﴾ يعني أولاداً مطيعين يكونون عوضاً عن قومه وعشيرته الذين فارقهم. قال الله تعالى: ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ وهو إسماعيل عليه السلام فإنه أول ولد بشّر به ابراهيم عليه السلام وهو أكبر من إسحق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب بل في نص كتابهم ان إسماعيل عليه السلام ولد ولابراهيم ست وثمانون سنة وولد إسحاق وعمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام تسع وتسعون سنة وعندهم ان الله تعالى أمر إبراهيم ان يذبح ابنه وحيده وفي نسخة أخرى بكره فأقحموا ههنا كذباً وبهتاناً إسحق. ولا يجوز هذا لأنه مخالف نص كتابهم وإنما أقحموا إسحق لأنه أبوهم وإسماعيل أبو العرب فحسدوهم فزادوا ذلك وحرفوا وحيدك بمعنى الذي ليس عندك غيره فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلى مكة وهو تأويل وتحريف باطل فإنه لا يقال وحيدك إلا لمن ليس له غيره وأيضاً فإن أول ولد له معزةٌ ما ليس لمن بعده من الأولاد فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار. وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل: فإنه ذكر البشارة بغلام حليم وذكر أنه الذبيح= وذكر تسلسل قصة الذبح من ذكر المنام واستسلام اسماعيل لأمر الله ثم أمر أبيه ثم تلّه للجبين ونودي إبراهيم: ﴿ قد صدّقت الرؤيا ...﴾ إلى قوله تعالى ... ﴿إنه من عبادنا المؤمنين ﴾=(١) ثم قال بعد ذلك: ﴿ وبشّرناه بإسحق نبياً من الصالحين ﴾ ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحق قالوا: ﴿ إنا نبشّرك بغلام عليم ﴾ وقال تعالى: ﴿ فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب ﴾ أي يولد لهما في حياتهما ولد يسمى يعقوب، فيكون من ذريته عقب ونسل وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير، لأن الله تعالى قد وعدهما بأنهما سيعقب ويكون له نسل فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير. واسماعيل وُصِف هاهنا بالحليم لأنه مناسب لهذا المقام. وقال تعالى: ﴿ فلما بلغ معه السعي ﴾ أي كَبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويطيق ما يفعله أبوه من السعي والعمل ﴿ فلما بلغ معه السعيَ قال يا بنيَّ إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ﴾ إنما أعلم ابنَه بذلك ليكون أهون عليه وليختبر صبره وجلده وعزمه في صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه ﴿ قال يا أبت افعل ما تؤمر ﴾ أي امض لما أمرك الله من ذبحي ﴿ ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ أي سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد

---

(١) ما بين المساويين من كلامي.

كما قال الله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربّه مرضياً ﴾ قال تعالى : ﴿ فلما أسلما وتلّه للجبين ﴾ أي استسلما وانقادا ، إبراهيم امتثل أمر الله تعالى، واسماعيل طاعة لله ولأبيه ، ومعنى ﴿ تلّه للجبين ﴾ أي صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه وكان على اسماعيل عليه الصلاة والسلام قميص أبيض فقال يا أبتِ ، إنّه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره ، فاخلعه حتى تكفنني فيه ، فعالجه ليخلعه فنودِي من خلفهِ : ﴿ أن يا إبراهيم قد صدقتَ الرؤيا ﴾ فالتفت إبراهيم فإذا بكبش أبيض أقرن أعين . قال ابن عباس : لقد رأيتنا أن نتتبع ذلك الضرب من الكباش وقوله تعالى : ﴿ وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ﴾ أي قد حصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح . وقوله تعالى : ﴿ إنّا كذلك نجزي المحسنين ﴾ أي هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد، ونجعل لهم من أمرهم فرجاً ومخرجاً .كقوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغُ أمره قد جعل الله لكلّ شيءٍ قدراً ﴾ وقد استدل بهذه الآية والقصة ، جماعة من علماء الأصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل ، خلافاً لطائفة من المعتزلة. والدلالة من هذه ظاهرة ، لأن الله تعالى شرّع لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده ثم نسخه عنــه وصرفه إلى الفداء ، وإنما كان المقصود من شرعه أولاً : إثابةَ الخليل على الصبر على ذبح ولده،وعزمه على ذلك.ولهذا قال تعالى : ﴿ إن هذا لهو البلاء المبين ﴾ أي الاختبار الواضح الجلي حيث أمر بذبح ولده فسارع إلى ذلك مستسلماً لأمر الله تعالى منقاداً لطاعته ولهذا قال تعالى في آية أخرى : ﴿ وإبراهيم الذي وفّى ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وفديناه بذِبحٍ عظيم ﴾ قال سفيان الثوري عن علي رضي الله عنه : قال بكبش أبيض أعين أقرن قد ربط بسمرة . وعن ابن عباس قال : فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الاسلام وإن رأس الكبش المعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة حتى وحش يعني يبس . وقال ابن عباس أيضاً : خرج عليه كبش من الجنة وقد رعى قبل ذلك أربعين خريفاً .

روى ابن اسحاق عن محمد بن كعب القرظي أنه ذكر لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو خليفة إذ كان معه بالشام ــ قضية الذبيح ومن هو ؟ ــ فقال له عمر ان هــذا لشيء ما كنت أنظر فيه وإني لأراه كما قلت ــ أي اسماعيل ــ ثم أرسل إلى رجــل كان عنده بالشام كان يهودياً فأسلمَ وحسنَ إسلامهُ،وكان يرى أنــه من علمائهم

فسأله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن ذلك قال محمد بن كعب وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر : أي ابْنَيْ إبراهيمَ أُمِر بذبحه ؟ فقال إسماعيل والله يا أمير المؤمنين وإن يهود لتعلمُ بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان مَنْ أَمَرَ اللهُ فيه والفضل الذي ذكر الله تعالى منه لصبره لما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأن إسحق أبوهم .

وعلى كل فإن كلاً من إسماعيل وإسحق عليهما الصلاة والسلام كان طاهراً وطيباً ومطيعاً لله عز وجل . وقوله تعالى: ﴿ وبشرناه بإسحق نبيّاً من الصالحين ﴾ لـمّا تقدّمت البشارة بالذبيح وهو إسماعيل (وبعد ان ترعرع إسماعيل وبلغ السعي مع أبيه وانتهت قصة الذبح والفداء وعاد إبراهيم الى بلاد كنعان جاءت إبراهيمَ البُشرى من قبل الملائكة كما أنهم بشروا سارة كذلك فضحكت وصكّتْ وجههَا ولم يُعْلَمْ ان سارة أتت إلى الحجاز وهذا ما يدل ان البشارة بإسحق كانت في بلاد كنعان وكما يدل سياق الآية على أن البشارة بولادة إسحق ونبوته كانت بعد قصة الذبح الخاصة باسماعيل وفدائه وهذا أيضاً مما يدل على ان الذبيحَ إسماعيل لا إسحّق عليهما السلام [1]) .

وقوله تعالى : ﴿ وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ﴾ كقوله تعالى : **يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم** ثم يمسهم منّا عذاب أليم ﴾ .

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۞(١١٤) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۞(١١٥) وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ ٱلْغَالِبِينَ ۞(١١٦) وَآتَيْنَاهُمَا ٱلْكِتَابَ ٱلْمُسْتَبِينَ ۞(١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞(١١٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْآخِرِينَ ۞(١١٩) سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۞(١٢٠) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۞(١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞(١٢٢) ﴾

يذكر تعالى ما أنعم به على موسى وهارون من النبوة والنجاة بمن آمن معهما من قهر فرعون وقومه ، وما كان يسيء إليهم من قتل الأبناء واستحياء النساء ، ثم بعد هذا

---

(١) قلت : ان الكلام الذي ما بين القوسين من كلامي لا من كلام المفسر رحمه الله تعالى .

كله نصرهم وأقر أعينهم فغلبوهم وأخذوا كل ما جمعوه طول حياتهم، ثم أنزل الله عز وجل التوراة على موسى وهي الكتاب المستبين ، وقال عز وجل: ﴿ وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم ﴾ أي في الأقوال والأفعال ﴿ وتركنا عليهما في الآخرين ﴾ أي أبقينا لهما من بعدهما ذكراً جميلاً وثناءً حسناً ثم فسره بقوله تعالى : ﴿ سلام على موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين ﴾

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وان الياس لمن المرسلين ﴾ إلياس عليه الصلاة والسلام نبي رسول يقال إنه أرسل لأهل مدينة « بعلبك » غربي دمشق ﴿ إذ قال لقومه ألا تتقون ﴾ أي ألا تخافون من الله عز وجل في عبادتكم غيره ﴿ أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين ﴾

وقوله تعالى: ﴿ أتدعون بعلاً ﴾ أي أتعبدون صنماً ﴿ وتذرون أحسن الخالقين • اللهَ ربَّكم وربَّ آبائكم الأوّلين ﴾ أي هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له قال الله تعالى : ﴿ فكذّبوه فإنهم لمحضرون ﴾ أي للعذاب يوم الحساب ﴿ إلاّ عباد الله المُخلَصين ﴾ أي الموحّدين منهم . وقوله تعالى : ﴿ وتركنا عليه في الآخرين ﴾ أي ثناءً جميلاً ﴿ سلام على إلْياسين ﴾ يعني النبي إلياس فكما يقال في إسماعيل إسماعين وهي لغة بني أسد ويقال ميكال وميكائيل وميكائن وإبراهيم وأبراهام ، وإسرائيل إسرائين وطور سيناء وطور سينين،وهذا كله سائغ وقيل : ﴿ سلام على آل ياسين ﴾ يعني ال محمد ﷺ [1] وقوله

---

(١) قلت : وهذا أي قولهم « آل ياسين » يعني آل محمد بعيد جداً والله أعلم،والدليل : ١ — ليس من مناسبة دالة على ذلك ... فما دخل آل محمد صلى الله عليه وسلم في ذكر النبي الياس عليه السلام ؟ ٢ — ليس « يٰس » إسماً لمحمد صلى الله عليه وسلم،فهي كما هو معلوم أحرف مقطعة جاء مثلها في أوائل السور ما بين الله مراده =

تعالى : ﴿ إنّا كذلك نجزي المحسنين إنّه من عبادنا المؤمنين ﴾ تقدم تفسيره . والله أعلم .

﴿ وإنَّ لُوطاً لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞(١٣٣) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۞(١٣٤) إِلَّا عَجُوزاً فِي ٱلْغَابِرِينَ ۞(١٣٥) ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ۞(١٣٦) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۞(١٣٧) وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞(١٣٨) ﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام أنّه بعثه إلى قومه فنجاه الله تعالى من بين أظهرهم هو وأهله إلا امرأته فإنها هلكت مع من هلك من قومها . فإن الله تعالى أهلكهم بأنواع العقوبات، وجعل محلتهم من الأرض بحيرة نتنةً، قبيحة المنظر والطعم والريح. وجعلها بسبيل مقيم، يمر بها المسافرون ليلاً ونهاراً. ولهذا قال تعالى : ﴿ وإنكم لتمرّون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون ﴾ أي أفلا تعتبرون بهم... كيف دمّر الله عليهم، وتعلمون أن للكافرين أمثالها .

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞(١٣٩) اذْ أَبَقَ الَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۞(١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ۞(١٤١) فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۞(١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۞(١٤٣) لَلَبِثَ فِي

– منها فنقول الله أعلم بمراده وكذلك « طهٓ » فهي أيضاً من الأحرف المقطعة ، التي افتتحت بها بعض السور ، وليست إسماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنّما نقول فيها : الله أعلم بمراده .

٣–لو كانت لفظة «آل ياسين» – المحتمل ورودها في بعض القراآت – معناها آل محمد صلى الله عليه وسلم لقال الله بعدها : إنهم من عبادنا المؤمنين . لكنه سبحانه قال: « إنه من عبادنا المؤمنين» فدل أن المعنيّ بالآية شخص مفرد لا جماعة . ولما كان آل محمد صلى الله عليه وسلم جماعة... إذاً فليسوا هم المراد من هذه الآية ، إنما المراد هو: إلياس صلى الله عليه وسلم، كما هو مفهوم من الآية الكريمة التي لا يخفى معناها على كل ذي لب وفهم . وهكذا يتضح أن الذين فهموا ان اللفظة تعني آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قد أغربوا وأبعدوا النجعة، وليس لهم أي دليل صحيح، يشير إلى ما ذهبوا إليه. وإنه ليكفي آل البيت دلالة على مقامهم الرفيع، خطابه تعالى لهم بالآية الكريمة: « إنما يريد الله ليذهبَ عنكم الرجس أهلَ البيت ويطهرَكم تطهيراً. » وإنهم عليهم سحائب الرضوان المتتابعة إلى يوم القيامة لأجلّ شأنا وأرفع مقاماً، من أن نقحمهم في آيات الله تعالى، دون أن يكون له سبحانه مراد بذلك. وحسبهم ما أنزلهم الله من المنزلة السامية، الكريمة، من بين المسلمين.

بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ❁(١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ❁(١٤٥) وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ❁(١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ❁(١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ❁(١٤٨)

حزب ٤٦

قد تقدمت قصة يونس عليه الصلاة والسلام في سورة الأنبياء ، وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ انه قال : ١٠ [ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متّى] وقوله تعالى : ﴿ إذ أبق إلى الفلك المشحون ﴾ أي المملوء أمتعةً ﴿ فساهم ﴾ أي قارع ﴿ فكان من المدحضين ﴾ أي المغلوبين . وذلك انالسفينة هاج بها البحر، وأشرف من فيها على الغرق.فاقترعوا من يلقي نفسه ليخفَّ حملُ السفينة فوقعت القرعة ثلاث مرات على نبي الله يونس عليه السلام فتجرد من ثيابه وألقى نفسه فالتقمه الحوت الذي أمره الله تعالى ألاّ يهشم له لحماً ولا يكسر له عظماً .

ولما استقر يونُس في بطن الحوت ظن أنه قد مات ثم حرك رأسه ومد رجليهوأطرافه فاذا هو حيٌّ فقام فصلّى في بطن الحوت وكان من جملة دعائه : يا رب اتخذت لك مسجداً في موضع لم يبلغه أحد من الناس ، واختلفوا في مقدار لبثه في بطن الحوت ، قال مجاهد : التقمه ضحى ولفظه عشية ، وقيل وقيل وقيل ... والله أعلم بمقدار ذلك .

وقوله تعالى: ﴿ فلولا انه كان من المسبِّحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾ أي لولا كان من المصلين وقال بعضهم المراد هو قوله عز وجل : ﴿ فنادى في الظلمات أن لا إلّه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغمّ وكذلك ننْجـي المؤمنين ﴾

روى ابن أبي حاتم عن يزيد الرقاشي أنه سمع أنس بن مالك ـ ولا أعلم أنساً إلاّ يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ : ١١ [ان يونس النبي عليه الصلاة والسلام حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت،فقال اللهم لا إلّه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فأقبلت الدعوة تحن بالعرش ، قالت الملائكة : يا رب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد بعيدة غريبة فقال الله تعالى : أما تعرفون ذلك قالوا : يا رب ومن هو ؟ قال عز وجل عبدي يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمـل متقبَّل ، ودعوة مستجابة قالوا يا رب أولا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه في البلاء،

قال بلى فأمر الحوت فطرحه بالعراء][1] وقوله تبارك وتعالى: ﴿ فنبذناه بالعراء وهو سقيم ﴾ أي في أرض لا نبات فيها وهو سقيم ضعيف البدن كهيئة الصبي حين يولد ﴿ وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ﴾ وعن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما: اليقطين هو القرع، وذكر بعضهم في القرع فوائد منها سرعة نباته وتظليل ورقه لكبره ونعومته وانه لا يقربها الذباب ...

وقوله تعالى: ﴿ وأرسلناه الى مئة ألف أو يزيدون ﴾ قال ابن جرير عن أبي بن كعب رضي الله عنه : ١٢ [انه سأل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ وأرسلناه إلى مائة الف أو يزيدون ﴾ وقال : يزيدون عشرين ألفاً] .

وقوله تعالى : ﴿ فآمنوا ﴾ أي فآمن هؤلاء القوم الذين أرسل إليهم يونس عليه السلام جميعهم ﴿ فمتعناهم إلى حين ﴾ أي إلى وقت آجالهم كقوله تعالى جلّت عظمته : ﴿ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلاّ قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتّعناهم إلى حين ﴾

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ❁(١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَٰئِكَةَ إِنَاثاً وَهُمْ شَاهِدُونَ ❁(١٥٠) أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ❁(١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ❁(١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ❁(١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ❁(١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ❁(١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ❁(١٥٦) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ❁(١٥٧) وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ❁(١٥٨) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ❁(١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ❁(١٦٠) ﴾

يقول تعالى منكرا على هؤلاء المشركين في جعلهم لله تعالى البنات سبحانه ولهم مايشتهون أي من الذكور أي يودّون لأنفسهم الجيد ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ﴾ أي يسوءه ذلك ولا يختار لنفسه إلاّ البنين. يقول عز وجل فكيف نسبوا إلى

(١) يزيد الرقاشي ضعيف .

الله تعالى ما لا يختارونه لأنفسهم؟ ولهذا قال تعالى : ﴿ فاستفتهم ﴾ أي سلهم على سبيل الإنكار عليهم : ﴿ ألربك البنات ولهم البنون ﴾ كقوله عز وجل : ﴿ ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذاً قسمة ضيزى ﴾

وقولُه تعالى : ﴿ أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون ﴾ أي كيف حكموا على الملائكة أنهم إناث وما شاهدوا خلقهم . وقولُه جلت عظمته ﴿ ألا إنهم من إفكهم ليقولون * ولد الله ﴾ أي أنهم من كذبهم ليقولون صدر منه ولد ﴿ وإنهم لكاذبون ﴾ أي لأنهم افتروا على الله ثلاث كذبات في غاية الكفر . أولاً : جعلوهم بناتٍ لله فجعلوا لله ولداً تعالى الله وتقدّس . ثانياً : وجعلوا ذلك الولدَ أنثى . ثالثاً : ثم عبدوهم من دون الله تعالى وتقدس . وكل منها كاف في التخليد في نار جهنم . ثم قال تعالى منكراً عليهم : ﴿ أصطفى البناتِ على البنين ﴾ أي أيّ شيء يحمله على أن يختار البنات دون البنين كقوله عز وجل : ﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً ﴾ ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ ما لكم كيفَ تحكمون ﴾ أي ما فعلتم بعقولكم ..!؟ أفلا تتدبرون ما تقولون ؟ ﴿ أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين ﴾ أي حجة على ما تقولونه ﴿ فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين ﴾ أي إذا كان لكم مستند إلى كتاب منزل من قبل الله بما تقولون ... فهاتوا برهانكم على صدقكم .

وقوله تعالى : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجِنّة نسباً ﴾ قال مجاهد : قال المشركون : الملائكة بنات الله تعالى : فقال أبو بكر رضي الله عنه : فمن أمهاتُهن ، قالوا بنات سروات الجن ، ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ ولقد علمت الجِنّةُ ﴾ أي الذين نسبوا إليهم ذلك ﴿ أنهم لمحضرون ﴾ أي إن الذين قالوا ذلك لمحضَرون في العذاب يوم الحساب لكذبهم في ذلك وافترائهم ، وقولهم الباطل بلا علم ﴿ سبحان الله عما يصفون ﴾ أي تعالى وتنزه وتقدّس عن أن يكون له ولد وعمّا يصفه به الظالمون والملحدون علواً كبيراً . وقولُه تعالى : ﴿ إلاّ عباد الله المخلصين ﴾ أي استثنى من الناس ، المخلصين الذين هم متبعون للحق المنزّل على كل نبي مرسل .

فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا

لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْراً مِنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾

يخاطب تعالى المشركين : ﴿ فإنكم وما تعبدون * ما أنتم عليه بفاتنين * إلاّ من هو صال الجحيم ﴾ أي إنّما ينقاد لمقالتكم ، وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة من هو أضل منكم ممن ذُريء للنار ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ فهذا الضرب من الناس هو الذي ينقاد لدين الشرك والضلالة كما قال تبارك وتعالى : ﴿ إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك ﴾ أي إنما يضل به من هو مأفوك مبطل ، ثم قال تبارك وتعالى منزّهاً للملائكة مما نَسَبُوا إليهم من الكفر بهم والكذب عليهم أنهم بنات الله : ﴿ وما منّا إلاّ له مقام معلوم ﴾ أي له موضع مخصوص في السموات ، ومقامات العبادات لا يتجاوزه ولا يتعدّاه. روى ابن عساكر عن العلاء بن سعد وكان ممن بايع يوم الفتح أن رسول الله قال يوماً لجلسائه : ١٣ [أطّت السماء وحق لها أن تئطّ ليس فيها موضع قدم إلاّ عليه ملك راكع أو ساجد » ثم قرأ ﷺ : ﴿ وما منّا إلاّ له مقام معلوم وإنا لنحن الصافّون وإنا لنحن المسبّحون ﴾]

روى ابن جريج عن الوليد بن أبي عبدالله بن أبي مغيث. قال : كانوا لا يصفّون في الصلاة حتى نزلت ﴿ وإنا لنحن الصافون ﴾ أي نقف صفوفاً في الطاعة كما تقدم عند قوله تبارك وتعالى : ﴿ والصافاتِ صفّاً ﴾ وقال أبو نضرة : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال : أقيموا صفوفكم استووا قياماً يريد الله تعالى بكم هدي الملائكة ، ثم يقول : ﴿ وإنا لنحن الصافون ﴾ تأخر يا فلان تقدم يا فلان ثم يتقدم فيكبر . وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما ومجاهد : ﴿ وما منا إلاّ له مقام معلوم ﴾ الملائكة ﴿ وإنا لنحن الصافّون ﴾ الملائكة ﴿ وإنا لنحن المسبّحون ﴾ أي الملائكة تسبّح لله عز وجل . وقوله تعالى : ﴿ وإن كانوا ليقولون * لو أن عندنا ذكراً من الأولين * لكنّا عباد الله المخلصين ﴾ أي قد كانوا يتمنّون قبل أن تأتيهُم بكتاب الله ، لو كان عندهم من يذكّرهم بأمر الله وكتابه، حتى يتبعوه ويكونوا عباد الله المخلصين. كقوله تعالى : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونُن أهدى من إحدى الأمم، فلما جاءهم نذير ما زادهم إلاّ نفورا ﴾ ولهذا قال تعالى هاهنا : ﴿ فكفروا به فسوف يعلمون ﴾ وعيد أكيد، وتهديد شديد، على كفرهم بربهم عز وجل، وتكذيبهم رسول الله ﷺ .

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

يقول تبارك وتعالى : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾ أي تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة .كما قال تعالى : ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله قويّ عزيز ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ إنهم لهم المنصورون ﴾ أي في الدنيا والآخرة ، وتقدّم خبر إهلاك الكافرين ونصر المؤمنين ﴿ وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ أي لهم العاقبة وقوله جل وعلا : ﴿ فتولَّ عنهم حتى حين ﴾ أي اصبر على أذاهم لك وانتظر إلى وقت مؤجل. فسننصرك ونظفرك بهم، وقوله جلّتْ عظمتُه: ﴿ وأبصرهم فسوف يبصرون ﴾ أي انظرهم وارتقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال بمخالفتك وتكذيبك. ولهذا قال سبحانه: ﴿ فسوف يبصرون ﴾ أي ما سيلقونه جزاء ما اقترفوا من الشرك.ثم قال عز وجل : ﴿ أفبعذابنا يستعجلون ﴾ أي يطلبون إيقاع العذاب بهم بسرعة لشدة تكذيبهم وكفرهم وعنادهم ﴿ فإذا نزل بساحتهم ﴾ أي يعني بدارهم ﴿ فساء صباح المنذَرين ﴾ أي بئس الصباح صباحهم ، ولهذا ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال : ١٤ [صبح رسول الله ﷺ خيبر فلما خرجوا بفؤوسهم ومساحيهم ورأوا الجيش رجعوا وهم يقولون : محمد والله محمد والخميس فقال النبي ﷺ « الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين »] ورواه البخاري .

وقوله تعالى : ﴿ وتولَّ عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون ﴾ تأكيد لما تقدم من التهديد والوعيد والله سبحانه وتعالى أعلم .

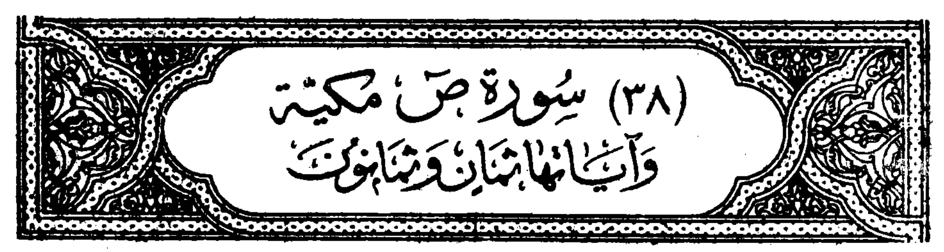
﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

ينزه الله تبارك وتعالى نفسَه الكريمة ويقدسها ويبرّئها عما يقول الظالمون والمكذبون وتنزه وتقدس وتعالى عن قولهم علواً كبيراً . ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ سبحان ربك رب العزة ﴾ أي ذي العزة التي لا ترام ﴿ عما يصفون ﴾ أي عن قول هؤلاء المعتدين المفترين ﴿ وسلام على المرسلين ﴾ أي سلام الله عليهم في الدنيا والآخرة لسلامة ما قالوه في ربهم وصحته وحقيّته ﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾ أي له الحمد في الأولى والآخرة في كل حال ، ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص،ويستلزم إثبات الكمال ،كما أن الحمد يدلّ على إثبات صفاتِ الكمال ويستلزم التنزيه من النقص،قرن بينهما في هذا الموضع وفي مواضع كثيرة من القرآن.ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ سبحان ربك رب العزة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴾ .

روى الطبراني عن زيد بن الأرقم عن رسول الله ﷺ انه قال : ١٥ [من قال دبر كل صلاة : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴾ ثلاث مرات فقد اكتال بالجريب الأوفى من الأجر]

آخر اختصار تفسير سورة الصافات ولله الحمد دائماً أبداً

ويليها سورة (صَ)



نزلت بعد سورة القمر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِي ٱلذِّكْرِ ۞(١) بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۞(٢) كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ(٣) ﴾

أما الكلام على الأحرف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة، بما أغنى عن اعادته. وقوله تعالى : ﴿ والقرآن ذي الذكر ﴾ أي والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد ونفع لهم في المعاش والمعاد. وقد اختلف في جواب هذا القسم قالوا: هو كقوله تعالى : ﴿ إنْ كل إلاّ كذب الرسل فحق عقاب ﴾ قال قتادة جوابه : ﴿ بل الذين كفروا في عزة وشقاق ﴾ واختاره ابن جرير ، وقيل جوابه : ما تضمنه سياق السورة بكمالها والله أعلم .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ بل الذين كفروا في عزةٍ وشقاقٍ ﴾ أي إن هذا القرآن لذكرى لمن يتذكر وعبرة لمن يعتبر ، وإنّما لم ينتفع به الكافرون لأنهم ﴿ في عزة ﴾ أي استكبار عنه وحميّة ﴿ وشقاق ﴾ أي ومخالفة له ومعاندة ومفارقة ، ثم خوفهم ما أهلك به الأمم المكذّبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسل وتكذيبهم الكتب المنزلة من السماء فقال تعالى : ﴿ كم أهلكنا من قبلهم من قرن ﴾ أي من أمة مكذبة ﴿ فنادوا ﴾ أي حين جاءهم العذاب استغاثوا وجأروا إلى الله تعالى وليس ذلك بمجدٍ عنهم شيئاً كما قال عز وجل : ﴿ فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ﴾ أي يهربونَ ﴿ لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون ﴾ سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن قول الله تبارك وتعالى : ﴿ فنادوا ولات حين مناص ﴾ قال : ليس بحين نداء ولا نزو ولا فرار . أي نادوا النداء حين لا ينفعهم . وقال محمد بن كعب : نادوا بالتوحيد حين تولّت الدنيا عنهم وتابوا حين

لا تنفع التوبة . وقال قتادة : لما رأوا العذاب أرادوا التوبة في غير حين النداء . ويقول أهل اللغة : النوص التأخّر ، والبوص التقدّم . ولهذا قال تبارك وتعالى ﴿ ولات حين مناص ﴾ أي ليس الحين حين فرار ولا ذهاب والله الموفق للصواب .

﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ هٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلٰهاً وَاحِداً إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا وَٱصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هٰذَا إِلَّا ٱخْتِلَاقٌ (٧) أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (٨) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ (٩) أَمْ لَهُمْ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي ٱلْأَسْبَابِ (١٠) جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ (١١) ﴾

يخبر تعالى عن المشركين في تعجبهم من بعثة رسول الله ﷺ بشيراً ونذيراً ، كما قال عزّ وجل : ﴿ أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن انذر الناس وبشر الذين آمنوا أنّ لهم قدم صدقٍ عند ربهم قال الكافرون إنّ هذا لساحر مبين ﴾ وقال جل وعلا هاهنا : ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ﴾ أي بشر مثلهم ﴿ وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلهاً واحداً ﴾ أي أزعم أن المعبود واحد لا إلٓه إلا هو ؟ فقد تعجبوا من ترك ما كان عليه آباؤهم من عبادة الأوثان ﴿ إنّ هذا لشيء عجاب ﴾ ﴿ وانطلق الملأ منهم ﴾ أي سادتهم وكبراؤهم قائلين : ﴿ امشوا ﴾ أي استمرّوا على دينكم ﴿ واصبروا على آلهتكم ﴾ ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمّد من التوحيد . وقوله تعالى : ﴿ إنّ هذا لشيءٌ يراد ﴾ أي يريد محمد بدعوته الشرف والاستعلاء عليكم .

« ذكر سبب نزول هذه الآيات الكريمات »

١٦ [استأذن نفر من مشيخة قريش فيهم ابو جهل والعاص بن وائل والأسود بن

المطلب وغيرهم على أبي طالب فلما دخلوا عليه قالوا : يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فأنصفنا من ابن خيك،فمره فليكف عن شتم آلهتنا ، فبعث إليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله ﷺ قال : يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وقد سألوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويَدَعوك وإلهك قال ﷺ « يا عم أفلا أدعوهم إلى ما هو خير لهم » قال وإلى مَ تدعوهم؟ قال ﷺ : أدعوهم ان يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم » فقال أبو جهل لعنه الله من بين القوم ما هي وأبيك لنعطينكها وعشرَ أمثالها.قال ﷺ : « تقولون لا إله إلا الله » فنفروا وقالوا : سلنا غيرها قال ﷺ « لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها» فقاموا من عنده غضاباً وقالوا والله لنشتمنّك وإلهك الذي أمرك بهذا ﴿ وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنّ هذا لشيء يراد ﴾] عن السدّي مختصراً.ورواه ابن ابي حاتم ، وابن جرير وزاد : ١٧ [فلما خرجوا دعا رسول الله ﷺ عمه إلى قوله لا إله إلا الله فأبى وقال : بل على دين الأشياخ ونزلتْ : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾]. وقولهم : ﴿ ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة ﴾ أي ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمد من التوحيد في الملّة الآخرة ، قالوا لو كان هذا القرآن حقاً لأخبرتنا به النصارى.﴿ إنْ هذا إلاّ اختلاق ﴾ وقولهم : ﴿ أأنزل عليه الذكر من بيننا ﴾ يعني أنهم يستبعدون تخصيص محمّد ﷺ بإنزال القرآن عليه من بينهم كلهم كما حكى الله تعالى عنهم في الآية الأخرى : ﴿ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ قال الله تعالى: ﴿ أهم يقسمون رحمةَ ربك نحن قسمنا بينهم، معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ﴾ ولهذا لما قالوا هذا الذي دلّ على جهلهم،وقلة عقولهم في استبعادهم إنزال القرآن على الرسول من بينهم قال الله تعالى : ﴿ بل لما يذوقوا عذابِ ﴾ أي إنما يقولون هذا لأنهم ما ذاقوا عذاب الله ونقمته ، ثم قال الله تعالى مُبيّناً أنه المتصرف في ملكه الفعال لما يشاء يعز ويذلّ ويهدي ويضل من يشاء ويبعث رسولاً ممّن يشاء ، ويختم على قلب من يشاء ولا يملك معه أحد مثقال ذرة ولهذا قال تعالى منكـراً عليهم : ﴿ أم عندهم خزائن رحمة ربّك العزيز الوهّاب ﴾ العزيز الذي لا يرام جنابه ، الوهّاب الذي يعطي ما يريد لمن يريد . كقوله تعالى : ﴿ لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً ﴾ وقوله تبارك وتعالى : ﴿ أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب ﴾ أي إن كان لهم ذلك فليصعدوا في الأسباب أي طرق السماء حتى السابعة . ثم قال تعالى : ﴿ جندٌ ما هنالك مهزوم مـن الأحزاب ﴾ أي هؤلاء الجند المكذّبون الذين هم في عزة وشقاق سيهزمون ويغلبون. كقوله جلت عظمته : ﴿ سيهزم الجمع ويولّون الدّبُر ﴾ .

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُوْلَٰئِكَ ٱلْأَحْزَابُ (١٣) إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤) وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ (١٥) وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ (١٦) ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾

يخبر تعالى عن هؤلاء القرون الماضية، وما حل بهم من العذاب والنكال والنقمات في مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وقد تقدمت قصصهم مبسوطة في أماكنَ متعددة . وقوله تعالى : ﴿ أولئك الأحزاب ﴾ أي كانوا أكثر منكم شدةً وأكثر أموالاً وأولاداً فما دفع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمره تعالى.ولهذا قال عز وجل : ﴿ إنْ كل إلاّ كذَّب الرّسل فحقَّ عقابِ ﴾ فجعل علة إهلاكهم هوتكذيبهم بالرسل فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر . وقوله تعالى : ﴿ وما ينظر هؤلاء إلا صيحةً واحدة ما لها من فَواق ﴾ أي ما لها من رجعة تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها أي اقتربت ودنتْ وهذه الصيحة هي نفخة الفزع التي يأمر الله تعالى إسرافيل أن يطولها فلا يبقى أحد في السموات والأرض إلاّ فزع ، إلاّ من استثنى الله عز وجل .

وقوله جل جلاله : ﴿وقالوا ربّنا عجل لناقطنا قبل يوم الحساب ﴾ سألوا تعجيل نصيبهم الذي يستحقونه من الخير أو الشر في الدنيا، ولما كان هذا الكلام على وجه الاستهزاء والاستبعاد قال الله تعالى لرسوله ﷺ ، آمراً له بالصبر على أذاهم ومبشراً له على صبره بالعاقبة والنصر والظفر . وقوله تعالى : ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنّه أوّاب ﴾ أي إنه كان ذا قوة في العلم والعمل والعبادة والفقه في الإسلام وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : ١٨ [أحب الصلاة الى الله تعالى صلاة داود وأحب الصيام إلى الله عز وجل صيام داود . كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفرُّ إذا لاقىَ وإنّه كان أوّاباً] أي رجّاعاً إلى الله عز وجل في جميع أموره وشؤونه .

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ (١٨) وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ (٢٠) ﴾

وقوله تعالى : ﴿ إنّا سخرنا الجبال معه يسبحنَ بالعشي والإشراق ﴾ أي أنه تعالى سخّر الجبالَ تسبّح أي تجيبه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعاً له وقوله تعالى : ﴿ والطير محشورة ﴾ أي محبوسة في الهواء ﴿ كل له أوّاب ﴾ أي مطيع يسبح تبعاً له كما قال عزَّ وجل ﴿ يا جبال أوِّبي معه والطير ﴾ وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيعه إذا مرَّ الطير وهو سابح في الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا يستطيع الذهاب بل يقف في الهواء ويسبح معه وتجيبه الجبال الشامخات . وقوله تعالى : ﴿ وشددْنا ملكه ﴾ أي جعلنا له ملكاً كاملاً من جميع ما يحتاج إليه الملوك . وقوله جل وعلا ﴿ وآتيناه الحكمة ﴾ أي النبوة وكل ما تقتضيه من العقل والفهم والفطنة والعدل والصواب ﴿ وفصل الخطاب ﴾ أي الإصابة في الحكم وفي كل شيء .

(ربع الحزب)

﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ (٢٢) إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) (سجدة) فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ (٢٥) ﴾

قد ذكر المفسرون هاهنا قصة ... أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت فيها عن

المعصوم ﷺ حديث يجب اتباعه فالأَوْلى أن يُقتصَر على مجرد تلاوة هذه القصة، وان يُردَّ علمُها إلى الله عز وجلّ؛ فإن القرآن حق، وما تضمّنه فهو حق أيضاً [١] وقوله تعالى : ﴿ ففزع منهم ﴾ إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه وهو أشرف مكان في داره وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم ، فلم يشعر إلاّ بشخصين قد تسوّرا عليه المحراب أي احتاطا به يسألانه عن شأنهما ، وقوله عز وجل : ﴿ وعزني في الخطاب ﴾ أي قهرني وغلبني ، وقوله تعالى : ﴿ وظن داود أنما فتناه ﴾ أي اختبرناه. وقوله تعالى : ﴿ وخرَّ راكعاً ﴾ أي ساجداً ، ﴿ وأناب ﴾ أي تاب مما كان منه ، مما يقال فيه ، إن حسنات الأبرار ، سيئآت المقربين . وثبت أن السجدةَ التي في هذه السورة أي قوله تعالى : ﴿ وخرَّ راكعاً ﴾ أي ساجداً فقد كان رسول الله ﷺ يسجدها . قال البخاري عند تفسيرها عن العوام قال: ١٩ [سألت مجاهداً عن سجدة ﷺ» فقال سألت ابن عباس رضي الله عنهما من أين سجدت فقال : أو ما تقرأ : ﴿ ومن ذريته داود وسليمان ﴾ ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ فكان داود عليه الصلاة والسلام ممن أُمِرَ نبيكم ﷺ أن يقتديَ به فسجدها داود عليه الصلاة والسلام فسجدها رسول الله ﷺ] .

وقد اختلف الأئمة هل هذه السجدة من عزائم السجود فمنهم من اعتبرها كذلك ومنهم من عدّها سجدة شكر . وقوله تعالى : ﴿ وإن له عندنا لزلفى وحسنَ مآب ﴾ أي وإن له يوم القيامة لقربة يقربه الله عز وجل ، وحسن مرجع،وهو الدرجات العالية لنبوته وعدله التام في ملكه. كما جاء في الصحيح: ٢٠ [المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين يقسطون في أهليهم وماوُلُّوا] .

﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦) ﴾

هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور ان يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده

(١) قلت : إن القصة الاسرائيلية التي نوه عنها المفسر رحمه الله تعالى تتلخص في أن داود أرسل أحد قواده إلى الحرب ليقتل — وقد قتل — ليضم زوجته إلى زوجاته التسع والتسعين ... هذا لا يفعله نبيّ معصوم عن الدنايا ... فحاشا داود منها عليه أفضل الصلاة وأتم التسليمات وأزكى التحيات .

تبارك وتعالى ولا يشذوا عنه فيضلوا عن سبيل الله وقد أعد الله لمن ضلّ وتناسى يوم الحساب عذاباً شديداً . قال ابن أبي حاتم عن ابراهيم ابو زرعة وكان قد قرأ الكتاب ، إن الوليد ابن عبد الملك قال له : أيحاسب الخليفة؟ فانك قد قرأت الكتاب الأول وقرأت القرآن وفقهت . فقلت يا أمير المؤمنين : أقول؟ قال قل في أمان الله ، قلت: يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أم داود عليه الصلاة والسلام ، ان الله تعالى جمع له النبوة والخلافة ، ثم توعّده في كتابه فقال تعالى : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ الآية ... وقوله تعالى : ﴿ إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ قال السدي : أي لهم عذاب شديد بما تركوا أن يعملوا ليوم الحساب ، والله الموفق للصواب .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ ٱلنَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ (٢٩) ﴾

يخبر تعالى انه ما خلق الخلق إلا ليعبدوه ويوحّدوه ، ثم يجمعهم يوم القيامة فيجزي كلاً بما يستحق ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا ﴾ أي بالبعث والمعاد ﴿ فويل للذين كفروا من النار ﴾ أي ويل لهم يوم القيامة من النار التي تنتظرهم . وقوله تعالى : ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجّار ﴾ كلاً لا يستوون عند الله . ويرشدنا سبحانه الى أنه لا بد من إثابة المطيع ومعاقبة الفاجر . وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء فالظالم الباغي في هذه الدنيا قد يموت على بغيه وظلمه ، والمطيع المظلوم يموت كمداً فلا بد من أن ينصف هذا من هذا، فإذا لم يقع هذا في هذه الدار ، فدل على أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء والمواساة. وبهذا اقتضت حكمة العليم الخبير العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة، وإلى هذا ارشد القرآن. فقال تعالى: ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾ أي ذوو العقول والألباب جمع لبّ

وهو العقل.قال الحسن البصري : والله ما تدبُّرُه بحفظ حروفه ، وإضاعة حدوده ، حتى أن احدهم ليقول : قرأت القرآن كلّه مـــا يرى له القرآن في خلق ولا عمل ؛ رواه ابن أبي حاتم .

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَـٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾

يخبر تعالى انه وهب لداود سليمانَ أي نبيّاً كما قال تعالى ﴿ وورث سليمان داود ﴾ أي في النبوّة والاّ فقد كان له بنون غيره وقوله تعالى : ﴿ نعم العبد إنه أواب ﴾ ثناء على سليمان بأنه كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلى الله عزّ وجل .

قال ابن أبي حاتم عن مكحول قال : لما وهب الله تعالى لداود سليمانَ قال له يا بني ما أحسن ؟ قال سكينة الله والإيمان . قال : فما أقبح ؟ قال : كفر بعد إيمان . قال : فما أحلى ؟ قال : روح الله بين عباده ، قال : فما أبرد ؟ قال عفو الله عن الناس وعفو الناس بعضهم عن بعض قال داود عليه السلام فأنت نبي .

وقوله تعالى : ﴿إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد ﴾ أي اذ عرض على سليمان ﷺ في حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات قـــال مجاهد : وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة ، والجياد السراع ، وكانت عشرين فرساً ذات أجنحة ، كذا رواه ابن جرير .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ فقال إني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ﴾ ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت الصلاة صلاة العصر والذي يقطع به أنه لم يتركها عمداً بل نسياناً كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه من ذلك عن جابر رضي الله عنه قال: ٢١ [جاء عمر رضي الله عنه يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش ويقول : يا رسول الله والله ما كدت

أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب . فقال رسول الله ﷺ « والله ما صليتها » فقال فقمنا إلى بطحان فتوضأ نبي الله ﷺ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب] . وقد ادعى طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعاً فنسخ ذلك بصلاة الخوف.وقوله تعالى : ﴿ ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق ﴾ قال الحسن البصري لا ، قال : والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك ، ثم أمر بها فعقرت وكذا قال قتادة وقال السدي : ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حباً لها وهذا القول اختاره ابن جرير قال لأنه لم يكن ليعذب حيواناً بالعرقبة ، ويهلك مالاً من ماله بلا سبب ، سوى انه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها .

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

يقول تعالى : ﴿ ولقد فتنا سليمان ﴾ أي اختبرناه بأن سلبناه الملك ﴿ وألقينا على كرسيه جسداً ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم يعني شيطاناً ﴿ ثم أناب ﴾ أي رجع الى ملكه وسلطانه وأبهته [١] .

وقوله تعالى : ﴿ قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ﴾ إنه سأل الله تعالى ملكاً لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله وهذا هو ظاهر

---

(١) قلت : يروي ها هنا ابن كثير رحمه الله تعالى روايات وصفها هو نفسه بأنها قصص اسرائيلية مروية عن ابن عباس وقتادة والسدي ومجاهد . قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما – ان صح عنه – من أهل الكتاب وفيهم طائفة لا يعتقدون بنبوة سليمان عليه الصلاة والسلام والظاهر أنهم يكذبون عليه ولهذا كان في هذه القصص منكرات) ولذلك ضربت صفحاً عن ذكرها .

السياق من الآية وبذلك وردت الأحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله ﷺ .

روى البخاري عند تفسير هذه الآية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ٢٢ إن عفريتاً من الجن تفلّت عليّ البارحة – أو كلمة نحوها – ليقطع على الصلاة فأمكنني الله تبارك وتعالى منه ، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿ رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ﴾ قال روح[1] فرده خاسئاً] وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به .

روى مسلم في صحيحه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : ٢٣ [قام رسول الله ﷺ يصلي فسمعناه يقول : « أعوذ بالله منك – ثم قال – ألعنك بلعنة الله » ثلاثاً وبسط يده كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من الصلاة قلنا : يا رسول الله سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال ﷺ : « ان عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت ان اخذه ، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به صبيان أهل المدينة »]

روى الطبراني عن رافع بن عمير قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ٢٤ [قال الله عز وجل لداود عليه الصلاة والسلام ابنِ لي بيتاً في الأرض فبنى داود بيتاً لنفسه قبل البيت الذي أمر به فأوحى الله إليه : يا داود نصبت بيتك قبل بيتي قال يا رب هكذا قضيتَ : من ملك استأثر ، ثم أخذ في بناء المسجد فلما تم السور سقط ثلاثاً فشكا ذلك إلى الله عز وجل فقال : يا داود إنك لا تصلح أن تبني لي بيتاً قال ولمَ يا رب ؟ قال لما جرى على يديك من الدماء ، قال يا رب أوما كان ذلك في هواك ومحبتك ؟ قال بلى ولكنهم عبادي وأنا أرحمهم فشقّ ذلك عليه ، فأوحى الله إليه : لا تحزن ، فإني سأقضي بناءه على يدي ابنِك سليمانَ فلما مات داود أخذ سليمان في بنائه ولما تمّ ، قرّب القرابين وذبح الذبائح وجمع بني اسرائيل فأوحى الله إليه قد أرى سرورك ببنيان بيتي فسلني أعطك ، قال أسألك ثلاث خصال : حكماً يصادف حكمك ، وملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ، ومن أتى هذا البيت لا يريد إلاّ الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه – قال رسول الله ﷺ – أما الثنتان فقد أعطيهما ، وأنا أرجو أن يكون قد أعطي الثالثة]

قال الله تعالى وجلت عظمته ﴿ فسخرنا له الريح تجري بأمره رُخاءً حيث أصاب ﴾

(١) قلت : (روح) أحد رواة الحديث .

– كقوله تعالى – : ﴿ ولسليمان الريح غدوّها شهر ورواحها شهر ﴾... قال ابو القاسم ابن عساكر : والتي بعدها – أي الآية التي بعدها – : ﴿ والشياطين كلَّ بناءٍ وغواص ﴾ – فأعطاه ما أعطاه وفي الآخرة لا حساب عليه .

وقوله تعالى : ﴿ حيث أصاب ﴾ أي حيث أراد من البلاد . وقوله جل جلاله : ﴿ والشياطين كل بناءٍ وغواص ﴾ أي منهم ما هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب ، وقدور راسيات إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة ، التي لا يقدر عليها البشر ، وطائفة غواصون في البحار يستخرجون ما فيها من اللآلىء والجواهر والأشياء النفيسة ، التي لا توجد إلا فيها . ﴿ وآخرين مقرنين في الأصفاد ﴾ أي موثوقون في الأغلال والأكبال ، ممن قد تمرد وعصى وامتنع من العمل وأبى ، أو قد أساء في صنيعه واعتدى .

وقوله عز وجل : ﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾ أي هذا الذي أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا ، فأعط من شئت واحرم من شئت لا حساب عليك . أي مهما فعلت فهو جائز لك احكم بما شئت فهو صواب . ولما ذكر تبارك وتعالى ما أعطى سليمان عليه الصلاة والسلام في الدنيا ، نبه تعالى على أنه ذو حظ عظيم عند الله يوم القيامة أيضاً فقال تعالى : ﴿ وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾ أي في الدار الآخرة وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ خُيّرَ بين أن يكون عبداً رسولاً وبين أن يكون نبياً ملكاً يعطي من يشاء ويمنع من يشاء بلا حساب ولا جناح ، اختار المنزلة الأولى بعدما استشار جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له تواضع فاختار المنزلة الأولى لأنها أرفع قدراً عند الله تعالى ، وأعلى منزلة في المعاد وان كانت المنزلة الثانية وهي النبوة مع الملك عظيمةً أيضاً في الدنيا .

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

يذكر تبارك وتعالى عبده ورسوله أيوب عليه الصلاة والسلام وما كان ابتلاه تعالى به من الضر في جسده وماله ولم يبق له من احد يستعين به على مرضه إلا زوجته. حفظت ودّه لإيمانها بالله تعالى ورسوله فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه وتخدمه نحواً من ثماني عشرة سنة وكان قبلاً ذا سعة في المال و الولد فلما طال المطال وتم الأجل المقدر تضرع الى رب العالمين فقال : ﴿ إني مسني الضر وانت أرحم الراحمين ﴾ وفي هذه الآية الكريمة قال : ﴿ واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربّه أني مسني الشيطان [1] بنُصْبٍ وعذاب ﴾ فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين ، وأمره أن يقوم حالاً وأن يركضَ الأرضَ برجله ففعل فأنبعَ الله تعالى عيناً وأمره أن يغتسل منها فأذهبت ما به من الأذى ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر فأنبع له عيناً أخرى، وأمره أن يشرب منها فأذهبت جميع ما كان في بطنه من السوء وتكاملت العافية ظاهراً وباطناً ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ﴾ روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ٢٥ [بينما أيوب يغتسل عرياناً خرَّ عليه جراد من ذهب فجعل أيوب عليه الصلاة والسلام يحثو في ثوبه فناداه ربه عز وجل: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال عليه الصلاة والسلام: بلى يا رب، ولكن لا غنى لي عن بَركتك] . انفرد باخراجه البخاري . ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمةً منّا وذكرى لأولي الألباب ﴾ فقد رحمه الله تعالى على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته بأن وهب له أهله قال الحسن وقتادة: أحياهم الله تعالى له بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم وقوله تعالى : ﴿ وذكرى لأولي الألباب ﴾ أي لأهل العقول ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج والمخرج والراحة .

وقوله جلّت عظمته : ﴿ وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث ﴾ وذلك أنه كان غضب على زوجته لذنب فعلته، وأقسم أن يجلدها مائة ، ولما شفاه الله وكانت زوجته كما تقدم مخلصةً له في خدمته التامة والرحمة به والشفقة عليه والإحسان إليه، ما رأى أن يكافئها على ذلك بالضرب فأفتاه الله عز وجل أن يأخذ ضغثاً، وهو الشمراخ فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقد برَّت يمينه وخرج من حنثه ووفّى بنذره . وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى وأناب إليه. ولهذا قال جل وعلا ﴿ إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنّه أواب ﴾ أي إنه رجّاعٌ منيب .

---

(١) قلت : لعله قصد بقوله : « اني مسني الشيطان بنصب وعذاب » أي مسني المرض كقوله في الآية الأخرى: « إني مسني الضر ... » فجعل الشيطان كناية عن المرض الذي انتابه .

﴿ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَا إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَـٰذَا ذِكْرٌ ﴾

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن فضائل عباده الأنبياء والمرسلين: ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار ﴾ أي أهل العمل الصالح والعلم النافع والقوّة في العبادة والبصيرة النافذة. وقوله تبارك وتعالى: ﴿ إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ﴾ أي جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم همٌّ غيرها، ويذكّرون الناس بالعمل لها فكان جزاؤهم الجنة. وقوله تعالى: ﴿ وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ﴾ أي لمن المختارين والمجتبين الأخيار فهم أخيار مختارون. وقوله عز وجل ﴿ واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار ﴾ قد تقدم الكلام على قصصهم وأخبارهم مستقصاة في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما أغنى عن إعادته ههنا. وقوله عز وجل: ﴿ هذا ذكر ﴾ أي هذا فصل فيه ذكر لمن يتذكر.

﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾

نصف الحزب

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين السعداء أن لهم في الدار الآخرة لحسن مآب أي لمرجع ومنقلب في: ﴿ جنات عدن ﴾ أي جنات إقامةٍ مفتحة أبوابها أي إذا جاءوها فتحت لهم.

وقوله عز وجل: ﴿ متكئين فيها ﴾ متربعين على سرر تحت الحجال ﴿ يدعون فيها بفاكهة كثيرةٍ ﴾ أي مهما طلبوا وجدوا، وأحضر كما أرادوا. ﴿وشراب﴾ من أي أنواعه شاءوا أتتهم به الخدم. ﴿ وعندهم قاصرات الطرف ﴾ أي عن غير أزواجهن فلا يلتفتن

إلى غيرهم ﴿ أتراب ﴾ أي متساويات في السن والعمر ﴿ هذا ما توعدون ليوم الحساب ﴾ أي وعدها لعباده المتقين ، ثم أخبر تعالى عن الجنة انه لا زوال منها ولا انقضاء لنعيمها فقال تعالى : ﴿ إن هذا لرزقنا ماله من نفاد ﴾ كقوله تعالى : ﴿ عطاء غير مجذوذ ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ﴾

هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾

لما ذكر تبارك وتعالى مآل السعداء، ثنّى بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم، في دار معادهم وحسابهم. فقال عز وجل: ﴿ هذا وإن للطاغين ﴾ وهم الخارجون عن طاعة الله عز وجل المخالفون للرسل ﷺ ﴿ لشر مآب ﴾ أي لسوء منقلب . ثم فسره بقوله جل وعلا ﴿ جهنم يصلونها ﴾ أي يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم ﴿ فبئس المهاد * هذا فليذوقوه حميمٌ وغسّاقٌ ﴾ أما الحميم فهو الحار الذي بلغ أشد درجات الحرارة ، وأما الغساق فهو البارد الذي لا يستطاع من شدة البرد المؤلم.ولهذا قال عز وجل : ﴿ وآخر من شكله أزواج ﴾ أي وأشياء من هذا القبيل: الشيء وضده يعاقبون بها كالزمهرير والسموم وشرب الحميم وأكل الزقوم، والصعود والهوِي، إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة المتضادة، والجميع مما يعذبون به ، ويهانون بسببه .

وقوله عز وجل : ﴿ هذا فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار ﴾ هذا إخبار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض .كما قال تعالى : ﴿ كلما دخلت أمة

لعنت أختها ﴾ يعني بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض. فتقول الطائفة التي تدخل قبل الأخرى للتي بعدها ﴿هذا فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار﴾ فيقول الداخلون : ﴿ بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا ﴾ أي أنتم دعوتمونا إلى ما أفضى بنا إلى هذا المصير ﴿ فبئس القرار ﴾ أي فبئس المنزل والمستقر والمصير ﴿قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار ﴾ كما قال الله تعالى : ﴿ قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ أي لكل منكم عذاب بحسبه . ﴿ وقالوا مالنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار ﴾ هذا إخبار عن الكفار الذين افتقدوا المؤمنين الذين كانوا يسخرون منهم في الدنيا قالوا مالنا لا نراهم معنا في النار هذا قول أمثال أبي جهل يفتقدون أمثال بلال وصهيب افتقدوهم في النار فلم يجدوهم، فبدأوا يسلّون أنفسهم بالمحال يقولون : ﴿ أم زاغت عنهم الأبصار ﴾ أي لعلهم معنا ولكن لم يقع بصرنا عليهم ... هنالك يعرفون أن من يسألون عنهم هم في الدرجات العاليات يجيبونهم كما قال تعالى : ﴿ ونادىٰ أصحابُ الجنة أصحابَ النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين – الى قوله تعالى – ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ وقولُه تعالى : ﴿ إن ذلك لحق تخاصم أهل النار ﴾ أي أن هذا الذي اخبرناك به يا محمد من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض ولعن بعضهم لبعض . إنه لحقٌ لا مرية فيه ولا شك .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ❁(٦٥) رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ❁(٦٦) قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ❁(٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ❁(٦٨) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ❁(٦٩) إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ❁ (٧٠) ﴾

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول للكفار والمشركين ﴿ إنما أنا منذر وما من آله إلا الله الواحد القهار ﴾ أي قهر كل شيء وحده وغلبه ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما ﴾ أي هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه ﴿ العزيزُ الغفار ﴾ أي غفار مع عظمته وعزته

﴿ قل هو نبأ عظيم ﴾ خبر عظيم وهو إرسالي اليكم من قبله تعالى بالقرآن ﴿ انتم عنه معرضون ﴾ أي غافلون . وقوله تعالى : ﴿ ما كان لي من علم بالملأ الأعلى اذ يختصمون ﴾ أي لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملأ الأعلى ؟ يعني في شأن آدم عليه الصلاة والسلام وامتناع إبليس من السجود له ومحاجّته ربه في تفضيله عليه : ﴿ الا انما أنا نذير مبين ﴾

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾(٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾ (٧٢) فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾(٧٣) إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾(٧٤) قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾(٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾(٧٦) قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾(٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾(٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾(٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾(٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾(٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾(٨٣) قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴾(٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(٨٥) ﴾

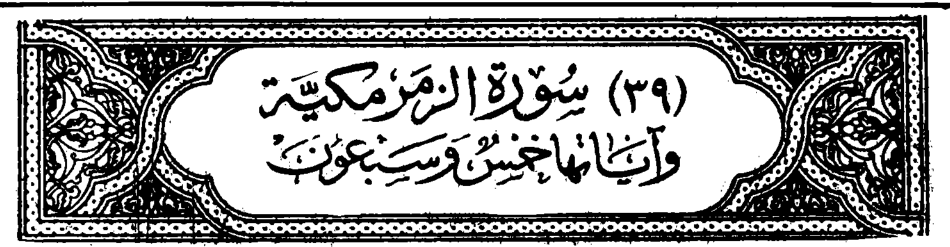
هذه القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة ، وفي أول سورة الأعراف وفي سورة الحجر ، وسبحان ، والكهف ، وههنا . وهي ان الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه السلام بأنه سيخلق بشراً من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له ، إكراماً وإعظاماً واحتراماً ، وامتثالاً لأمر الله تعالى عز وجل . فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنساً . كان من الجن فخانه طبعه وجبلته أحوج ما كان اليه ، فاستنكف عن السجود لآدم ،

وخاصم ربه عز وجل. وادّعى انه خير من آدم فإنه مخلوق من نار وآدم مخلوق من طين ، والنارُ خير من الطين في زعمه ، فقد خالف أمر ربه وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل ، وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته وخضرة قدسه، وسماه إبليس لانه قد أبلس من الرحمة وأُنزله من السماء مذموماً مدحوراً إلى الأرض . فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه فلما أمن من الهلاك إلى يوم القيامة تمرد وطغى.وقال : ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخاصين ﴾ وقوله تبارك وتعالى : ﴿ قال فالحقُّ والحقَّ أقول لأملأن جهنم منكَ وممن تبعك منهم أجمعين كقوله عز وجلّ : ﴿ قال إذهب فمن تبعك منهم فإنّ جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً ﴾ .

﴿ قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ ﴾

يقول تعالى ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ ما أسألكم عليه ﴾ أي على بلاغ الرسالة ، والنصح ﴿ من أجر ﴾ من عرض الدنيا تعطونيه ﴿ وما أنا من المتكلفين ﴾ أي وما أمرت بتبليغه فقد بلغته وأدّيته لا أزيد عليه ولا أنقص منه.وانّما ابتغي بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة . قال سفيان الثوري عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : يا أيّها الناس من علم شيئاً فليقل به،ومن لم يعلم ، فليقل:الله أعلم.فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم ، الله أعلم فإن الله عز وجل قال لنبيكم ﷺ : ﴿ قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ﴾ أخرجاه من حديث الأعمش به.وقوله تعالى : ﴿ إن هو إلاّ ذكر للعالمين ﴾ يعني القرآن العظيم لجميع المكلّفين من الإنس والجن ، كقوله تعالى : ﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾ وقولُه تعالى : ﴿ ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾ أي يوم القيامة قال الحسن : يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين .

آخر اختصار تفسير سورة ﴿ صَ ﴾ ولله الحمد والمنة والشكر والفضل .



إلاّ الآيات ٥٢ – ٥٤ فمدنية نزلتْ بعد سورة سبأ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَنْزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ فَاعْبُدِ ٱللهَ مُخْلِصاً لَهُ ٱلدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللهِ زُلْفَىٰ إِنَّ ٱللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣) لَوْ أَرَادَ ٱللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ ٱللهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ (٤) ﴾

يخبر تعالى أن تنزيل القرآن العظيم من عنده تبارك وتعالى فهو الحق الذي لا شك فيه كما قال تعالى : ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسانٍ عربي مبين ﴾ وقال جل وعلا ها هنا : ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز ﴾ أي المنيع الجَناب ﴿ الحكيم ﴾ أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره. ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ أي فاعبده وادعُ الخلق إلى عبادته وحده لا شريك له إذ لا تصلح العبادة إلاّ له . ولهذا قال تعالى : ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ أي لا عمل مقبولاً إلاّ ما كان خالصاً لله وحده لا شريك له . ثم أخبر تعالى عن عبّاد الأصنام من المشركين أنهم يقولون : ﴿ ما نعبدهم إلاّ ليقربونا إلى الله زلفىٰ ﴾ أي إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقرّبين في زعمهم فعبدوا تلك الصور ، تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله تعالى في نصرهم

ورزقهم وما ينوبهم في أمور الدنيا فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به – وما كان الشفعاء والوسطاء في نظر المشركين إلا مخلوقين لله تعالى مربوبين له ، ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم لبيك لا شريك لك ، إلاّ شريكاً هو لك تملكه وما ملك . وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه ، والرسل جاءت بردّها والنهي عنها والدعوة إلى أفراد العبادة له وحده لا شريك له ، وانّ هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضي به ، بل أبغضه ونهى عنه. ﴿ ولقد بعثنا في كلّ أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ على أن هؤلاء الذين اتخذهم المشركون شفعاء لا يستطيعون أن يشفعوا إلاّ بإذنه لمن ارتضى ، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبّه الملوك وأبَوْه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إن الله يحكم بينهم ﴾ أي يوم القيامة ﴿ فيما هم فيه يختلفون ﴾ أي سيفصل بين الخلائق يوم معادهم ، ويجزي كل عامل بعمله ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت وليُّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ .

وقوله عز وجل : ﴿ إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾ أي لا يرشد إلى الهداية من يفترون على الله الكذب ، ويكفرون بآياته . وقوله تعالى : ﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء ﴾ وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه ، بل هو محال. وإنما مراده تعالى تجهيلهم فيما ادّعوه وزعموه ، فجل الله وتعالى وتقدس عن الولد والشريك . قال الله تعالى : ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ كل هذا من باب الشرط ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لمقصد المتكلم. وقوله تعالى : ﴿ سبحانه هو الله الواحد القهّار ﴾ أي تعالى وتنزه عن أن يكون له ولد فانه الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً .

۞ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ۞(٥) خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ ٱلْأَنْعَامِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ

أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾

يخبر تعالى أنه الخالق لكل شيء والمالك المتصرف بكل شيء ﴿ يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل ﴾ أي سخرهما يجريان متعاقبين لا يفتران كقوله تعالى : ﴿ يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً ﴾ وقولُه تعالى : ﴿ وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمّى ﴾ أي إلى مدة معلومة عنده تعالى ﴿ ألا هو العزيز الغفار ﴾ أي مع عزته وقوته وقدرته هو غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب إليه . وقوله جلت عظمته : ﴿ خلقكم من نفس واحدة ﴾ أي من آدم عليه السلام ﴿ ثم جعل منها زوجها ﴾ وهي حواء عليها السلام كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربّكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ﴾ أي من الضأن والمعز والإبل والبقر من كل اثنين . وقوله تعالى : ﴿ يخلقكم في بطون أمهاتكم ﴾ أي قدّركم في بطون أمّهاتكم ﴿ خلقاً من بعد خلق نطفةً فعلقة ، فمضغةً ثم يكوّنُ لحماً وعظماً وعصباً ، وعروقاً وينفخ فيه الرّوح فيصير خلقاً آخر ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ وقوله تعالى ﴿ في ظلمات ثلاث ﴾ يعني ظلمة الرحم ، والمشيمة ، والبطن ﴿ ذلكم الله ربكم له الملك ﴾ أي ملك كلّ شيء والتصرف في جميع ذلك ﴿ لا إلّه إلاّ هو ﴾ أي الذي لا ينبغي العبادة إلاّ له لا شريك له ﴿ فأنّى تصرفون ﴾ أي إلى أين تصرف عقولكم فتعبدون معه غيره ... ؟

إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ الانسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾



يخبر تعالى عن نفسه تبارك وتعالى أنه الغنيُّ عما سواه. كما قال موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ إنْ تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإنّ الله لغنيٌّ حميد ﴾ وفي صحيح مسلم: ٢٦ [يا عبادي لو أن أوّلكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً] وقوله تعالى: ﴿ ولا يرضىَ لعباده الكفر ﴾ أي لا يحبّه ولا يأمر به ﴿ وإن تشكروا يرضَه لكم ﴾ أي يحبّه لكم ويَزِدْكم من فضله ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ أي لا تحمل نفس عن نفس شيئاً بل كلٌّ مطالب بنفسه ﴿ ثم إلى ربّكم مرجعكم فينبّئكم بما كنتم تعملون إنّه عليم بذات الصدور ﴾ أي فلا تخفى عليه خافية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ وإذا مس الإنسان ضرٌّ دعا ربّه منيباً إليه ﴾ أي عند حاجته يستغيث بالله وحده لا شريك له ﴿ ثم إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل ﴾ ولكن في حالة الرضاء ينسى ذلك الدعاء والتضرّع، كما قال تعالى: ﴿ وإذا مسّكم الضرُّ في البحر ضلّ من تدعون إلا إيّاه فلمّا نجاكم إلى البرّ أعرضتم وكان الإنسان كفوراً ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وجعل لله أنداداً ليضلّ عن سبيله ﴾ أي في حالة العافية يشرك بالله ﴿ قل تمتع بكفرك قليلاً إنّك من أصحاب النّار ﴾ أي قل يا محمد لمن هذه حالته وطريقته ومسلكه تمتّعْ بكفرك قليلاً وهو تهديد شديد ووعيد أكيد. كقوله تعالى: ﴿ نمتّعهم قليلاً ثمّ نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾.

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ ٱللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَابِ ۝(٩) ﴾

قوله تعالى: ﴿ أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً ﴾ أي أمّنْ كان خاشعاً في جوف اللّيل ساجداً قائماً لله تعالى مطيعاً له، كمن أشرك به تعالى وجعل له أنداداً؟ لا يستوون عند الله كما قال سبحانه: ﴿ ليسوا سواءً ... ﴾ وقوله تعالى: ﴿ يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه ﴾ أي في حال عبادته خائف راج، ولا بدّ في العبادة من الخوف والرجاء، وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب، ولهذا قال تعالى ﴿ يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴾ فإذا كان عند الاحتضار فليكنْ الرجاءُ هو الغالب. روى الإمامعن عبد بن حميد في مسنده

عن أنس رضي الله عنه قال : ٢٧ [دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو في الموت فقال له : « كيف تجدك » فقال أرجو وأخاف ، فقال رسول الله ﷺ « لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلاّ أعطاه الله عز وجل الذي يرجو ، وأمنه الذي يخافه »] ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه . وقوله تعالى : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ يعني هل يستوي هذا القائم الساجد الخاشع الخائف الراجي، مع الذي جعل لله أندادا ليضلّ عن سبيل الله ﴿ إنـّما يتذكر أولو الألباب ﴾ أي إنـّما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل ، والله أعلم .

﴿ قُلْ يَا عِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞(١٠) قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللهَ مُخْلِصاً لَهُ ٱلدِّينَ ۞(١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۞(١٢) ﴾

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته وتقواه : ﴿ قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربّكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ﴾ أي لمن أحسن العمل في هذه الدنيا حسنة في دنياهم وأخراهم ، وقوله تعالى : ﴿ وأرض الله واسعة ﴾ قال مجاهد فهاجروا فيها وجاهدوا واعتزلوا الأوثان والمعاصي و هربوا منها مهاجرين إلى أرض الإسلام والطاعة. وقوله تعالى : ﴿ إنمّا يوفىّ الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ أي ليس يوزن لهم إنمّا يغرف لهم غرفاً. وقوله تعالى : ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ أي لا أشرك به أحداً ﴿ وأمرت لأن أكون أول المسلمين ﴾[1] قال السدّي : يعني من أمته ﷺ .

﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞(١٣) قُلِ ٱللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي ۞(١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ

---

(١) قلت : « وأمرت أن أكون أول المسلمين » أي أول المسلمين في تنفيذ كل طاعة والأنتهاء عن كل معصية . كما أن فيها بالنسبة لباقي المسلمين معنى التسارع لتنفيذ أوامره تعالى وترك نواهيه بشكل يحاول كل أن يكون أول الجميع ائتماراً وانتهاء والله تعالى أعلم .

ٱلْخَاسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ*(١٥) لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ ٱلنَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ*(١٦)

يقول تعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ إني أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم ﴾ وأنا رسول الله ، وهذا شرط ومعناه التعريض بغيره بطريق الأولى والأحرى ، ﴿ قل اللهَ أعبُدُ مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴾ وهذا أيضاً تهديدٌ وتبرّؤٌ منهم ﴿ قل إن الخاسرين ﴾ أي كل الخسران هم : ﴿ الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ﴾ أي تفارقوا فلا التقاء لهم أبداً. وسواء ذهب أهلوهم إلى الجنة وهم إلى النار ، أو أن الجميع أسكنوا النار ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور. ﴿ ألا ذلك هو الخسران المبين ﴾ أي الواضح الظاهر ، ثم وصف حالهم في النار فقال : ﴿ لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ﴾ كما قال عز وجل ﴿ لهم من جهنم مهاد * ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ذلك يخوّف الله به عباده ﴾ إنما يقص خبر ما سيقع لا محالة ليزدجروا عن المحارم والمآثم ﴿ يا عبادِ فاتّقونِ ﴾ أي اخشوا بأسي وسطوتي ونقمتي وعذابي .

وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا ٱلطَّـٰغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ*(١٧) ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللَّهُ وَأُولَـٰئِكَ هُمْ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ*(١٨)

قوله تعالى : ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها ﴾ أي الذين اجتنبوا عبادة الأوثان ورجعوا إلى عبادة الرحمن فهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الدنيا والآخرة ولهذا قال جل وعلا ﴿ فبشر عبادِ * الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه ﴾ أي يفهمونه ويعملون بما فيه ﴿ أولئك الذين هداهم الله ﴾ أي المتّصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدارين ﴿ وأولئك هم أولو الألباب ﴾ أي ذوو العقول السليمة والفطر المستقيمة .

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَنْ فِي ٱلنَّارِ*(١٩)

لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى أفمن كتب الله أنه شقي تقدر أن تنقذه مما هو فيه من الضلال والهلاك أي لا يهديه أحد من بعد الله، لأنه من يضلل الله فلا هادي له، ومن يهده فلا مضلّ له ثم أخبر عز وجل عن عباده السعداء أن لهم غرفاً في الجنة وهي القصور أي الشاهقة ﴿من فوقها غرف مبنيّة﴾ طباق فوق طباق مبنيّات محكمات مزخرفات عاليات.

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ٢٨ [أن أهل الجنة ليتراءون في الجنة أهل الغرف كما تراءون الكوكب الدرّي الغارب في الأفق الطالع. في تفاضل أهل الدرجات – فقالوا يا رسول الله أولئك النبيون؟ فقال ﷺ «بلى والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا الرسل»]

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول ٢٩ [قلنا يا رسول الله إنّا إذا رأيناك رقّت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة. فإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشمّمنا النساء والأولاد قال ﷺ: «لو أنكم تكونون على كل حال، على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله عز وجل بقوم يذنبون كي يغفر لهم» قلنا يا رسول الله حدّثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال ﷺ «لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الاذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، ثلاثة لا تردّ دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام، وتفتح لها أبواب السموات ويقول الرب تبارك وتعالى وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين».] وقوله تعالى: ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ أي تسلك الأنهار بين خلال ذلك كما يشاؤون وأين أرادوا. ﴿وعد الله﴾ أي هذا الذي ذكرناه وعدٌ وعده الله عباده المؤمنين ﴿لا يخلف الله الميعاد﴾.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ

يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾

يخبر تعالى أن أصل الماء في الأرض من السماء، كما قال عز وجلّ: ﴿ وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً ﴾ قال سعيد بن جبير أصله من الثلج يعني أن الثلج يتراكم على الجبال فيسكن في قرارها فتنبع العيون من أسافلها. وقال ابن عباس: ليس في الأرض ماء إلاّ نزل من السماء ولكن عروق في الأرض تغيره. فلهذا قال تعالى: ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ﴾ في أشكاله وطعومه وروائحه ومنافعه، ﴿ ثم يهيج فتراه مصفراً ﴾ خالطة اليبس ﴿ ثم يجعله حطاماً ﴾ أي يعود يابساً يتحطم ﴿ إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب ﴾ أي الذين يتذكّرون فيتّعظون بأن الدنيا هكذا، تكون خضرة حسناء ثم تعود عجوزاً شوهاء. والشاب يعود شيخاً ضعيفاً ثم يموت، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير، وكثيراً ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بالزرع، الذي يكون ناضراً ثم يكون حطاماً. كما قال تعالى: ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً ﴾ وقوله تبارك وتعالى: ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ أي هل يستوي هذا ومن هو قاسي القلب بعيد من الحق كقوله عز وجل: ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ﴾ ولهذا قال تعالى: ﴿ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ﴾ أي فلا تلين عند ذكره ولا تخشع ولا تعي ولا تفهم ﴿ أولئك في ضلال مبين ﴾.

ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰباً مُّتَشَٰبِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾

هذا مدح من الله عز وجل لكتابه العظيم فقال جلّ وعلا: ﴿ الله نزل أحسن الحديث

كتاباً متشابهاً مثانيَ ﴾ قال بعض العلماء ومنهم سفيان بن عيينة : إن سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد فهذان من المتشابه ، وتارة تكون بذكر الشيء وضده كذكر المؤمنين ثم الكافرين ، وكصفة الجنة ثم صفة النار وما أشبه هذا ... فهذا من المثاني كقوله تعالى : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم ﴾ وأما إذا كان السياق كلّه في معنى واحد يشبه بعضه بعضاً فهو المتشابهَ . وليس هذا من المتشابه المذكور في قوله تعالى : ﴿ منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ ذاك معنى آخر أي ليس هذا من المتشابه كقوله :﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنه وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله . ﴾ كذلك المتشابه الوارد في قوله تعالى ها هنا : ﴿ كتاباً متشابهاً مثانيَ ... ﴾

وقوله تعالى : ﴿ تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ أي هذه صفة الأبرار عند سماع كلامه جل جلاله ، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف. ﴿ ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ لما يرجون ويؤمِّلون من رحمته ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الفجّار من وجوه ... (أحدها) : ان سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات ، وسماع أولئك نغمات الأبيات من أصوات القينات (الثاني) : أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمـــن خرّوا سُجّداً وبُكيّاً بأدب وخشية ورجاء ومحبة وفهم وعلم . كما قال تعالى: ﴿ والذين إذا ذكِّروا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صمّاً وعمياناً ﴾ أي إنما يعملون بها ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ، وتقليد أعمى ومتابعة لغيرهم . (الثالث) : انهم يلزمون الأدب عند سماعها كما كان الصحابة رضي الله عنهم يسمعونها وتقشعر جلودهم وتلين قلوبهم إلى ذكر الله ، ولم يكونوا يتصارخون ... ! ! ؟ ولا يتكلّفون ما ليس فيهم بل عندهم من الأدب والسكون والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك ولهذا فازوا بالرضا والمدح من الله في الدارين . بخلاف بعض الجماعات ... ! ! ؟ الذين تذهب عقولهم ! ! ويغشى عليهم !؟ إنّما هذا في أهل البدع ، وهذا من الشيطان . وقوله تعالى : ﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ﴾ أي هذه هي صفات من هداه الله ومن كان على خلاف ذلك ، فهو ممن أضله الله ﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد . ﴾

۞ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ۞(٢٤) كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ ٱلْعَذَابُ

مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى : ﴿ أفمن يتّقي بوجهه سوءَ العذاب يوم القيمة ﴾ أي أفمن يواجهُ يومَ القيامة أعظم العذاب كمن يكون في ذلك اليوم آمناً منه ؟ ﴿ وقيل للظالمين ﴾ أي يقال له ولأمثاله من الظالمين تقريعاً لهم : ﴿ ذوقوا ما كنتم تكسبون ﴾ كقوله تعالى : ﴿ يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسَّ سقر ﴾ واكتفى في هذه الآية بذكر العذاب عن ذكر الأمن كقول الشاعر :

فما أدري إذا يمّمتُ أرضاً   أريد الخيرَ أيُّهما يليني

يعني يريد بقوله : (أيُّهما) أي الخير أو الشر ، وذكر تعالى ههنا : ﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ﴾ والمراد : أيستوي من يلقى العذاب بوجهه ومن يكون آمنا منه ؟ . فلم يذكر الأمن اكتفاءً بذكر العذاب عنه وقولُه جلّت عظمته : ﴿ كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ أي أهلك الله القرون الماضية التي كذبت الرسل وما كان لهم من الله من واقٍ . وقوله جل وعلا : ﴿ فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ﴾ بما أوقع فيهم من النكال وتشفّي المؤمنين منهم ، فليحذر المخاطبون وهم كفّار قريش وغيرهم الذين كذّبوا أشرف الرسل وخاتم النبيّين ﷺ ، وما أعدَّهُ الله لهم في الآخرة من العذاب الشديد أعظم مما أصابهم في الدنيا، ولهذا قال عز وجل : ﴿ ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

ويقول تعالى : ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾ أي بيّنا للناس فيه بضرب الأمثال ﴿ لعلّهم يتذكرون ﴾ فإن المثل يقرّب المعنى إلى الأذهان . كما قال تبارك وتعالى : ﴿ ضرب لكم مثلاً من أنفسكم ﴾ أي تعلمونه من أنفسكم ﴿ وقوله تعالى : ﴿ قرآناً عربياً غير ذي عوج ﴾ أي هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ، ولا انحراف ولا لبس بل هو بيان ووضوح وبرهان ، وإنّما جعله الله تعالى كذلك ، وأنزله بذلك. ﴿ لعلهم يتقون﴾ أي يحذرون ما فيه من الوعيد، ويعملون بما فيه من الوعد . ثم قال تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ﴾ أي يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم ﴿ ورجلاً سلَماً ﴾ أي سالماً ﴿ لرجل ﴾ أي خالصاً لا يملكه أحد غيره ﴿ هل يستويان مثلاً ﴾ أي لا يستوي هذا وهذا كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهةً مع الله ، والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له فأين هذا من هذا ؟ ولما كان هذا المثل ظاهراً بيّناً قال جل وعلا : ﴿ الحمد لله ﴾ على إقامة الحجة عليهم ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ أي فلجهلهم يشركون بالله .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ أي ستنتقلون من هذه الدار لا محالة، وستجتمعون عند الله تعالى في الدار الآخرة وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله عز وجل، فيفصل بينكم ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين، ويعذب الكافرين الجاحدين . ثم إن هذه الآية وإنْ كان سياقُها في المؤمنين والكافرين وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة .

روى ابن أبي حاتم عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال : ٣٠ [لما نزلت : ﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون ﴾ قال الزبير رضي الله عنه : يا رسول الله أتكرّر علينا الخصومة ؟ قال ﷺ : « نعم » قال رضي الله عنه : إنَّ الأمر إذاً لشديد] وفي المسند عن أبي ذر رضي الله أنه قال : ٣١ [رأى رسول الله ﷺ شاتين ينتطحان فقال : « أتدري فيما ينتطحان يا أبا ذر ؟ » قلت : لا قال ﷺ « لكن الله يدري وسيحكم بينهما »] روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ يقول يخاصم الصادق الكاذب ، والمظلوم الظالم ، والمهتدي الضال ، والضعيف المستكبر .

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ۞(٣٢) وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۞(٣٣) لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞(٣٤) لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞(٣٥)﴾

يخاطب الله عز وجل المشركين الذين افتروا على الله وجعلوا معه آلهة أخرى ، وادّعوا أن الملائكة بناتُ الله وجعلوا لله ولداً، تعالى الله عن قولهم علوّاً كبيراً . ومع هذا كذّبوا بالحقّ إذْ جاءهم على ألسنة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم . ولهذا قال عز وجل : ﴿ فمن أظلم ممن كذب على الله وكذّب بالصدق إذ جاءه ﴾ أي لا أحد أظلم من هذا لأنه جمع بين طرفي الباطل ، كذب على الله وكذّب رسولَ الله ﷺ ولهذا قال جلت عظمته متوعّداً لهم : ﴿ أليس في جهنم مثوىً للكافرين ﴾ وهم الجاحدون المكذبون. ثم قال جل وعلا : ﴿ والذي جاء بالصدق ﴾ هو رسول الله ﷺ . ﴿ وصدّق به ﴾ أي المسلمون ﴿ أولئك هم المتقون ﴾ أي الذين اتّقوا الشرك ﴿ لهم ما يشاءون عند ربهم ﴾ يعني في الجنّة مهما طلبوا وَجَدوا ﴿ ذلك جزاء المحسنين ۞ ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون ﴾ كما قال عز وجل في الآية الأخرى : ﴿ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنّة وعد الصدق الذي كانوا يوعَدون ﴾ .

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۞(٣٦) وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي ٱنتِقَامٍ ۞(٣٧) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ

بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ❁(٣٨) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ❁(٣٩) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ❁(٤٠)

يقول تعالى: ﴿ أليس الله بكافٍ عبْده َ ﴾ يعني أنه يكفي من عبَدَه ُ وتوكّل عليه

روى بن أبي حاتم عن فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ٣٢ [أفلح من هدي إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به] رواه النسائي والترمذي وصححه ﴿ ويخوفونك بالذين من دونه ﴾ يعني من المشركين يخوّفون رسول الله ﷺ بأصنامهم ويتوعّدونه بآلهتهم التي يعبدونها جهلاً وضلالاً. ولهذا قال عز وجل : ﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد ٭ ومن يهدِ الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام ﴾ أي منيع الجناب، لا يضام من استند إلى جنابه فانه العزيز الذي لا أعز منه. والمنتقم ولا أشد انتقاماً منه، ممن كفر به واشرك وعاند رسوله ﷺ . وقوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله ﴾ يعني إن المشركين كانوا يعترفون بأن الله عز وجل هو الخالق للأشياء كلها ، ومع هذا يعبدون معه غيرَه ُ مما لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً . ولهذا قال تبارك وتعالى﴿ قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ﴾ أي لا نستطيع شيئاً من الأمر. وذكر ابن أبي حاتم ها هنا حديثاً بسنده إلى ابن عباس مرفوعاً : ٣٣ (احفظ الله يحفظْك ، احفظ الله تجده تجاهك تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفْك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله، واعلم ان الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك، ولو اجتمعوا على ان ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك جفت الصحف ورفعت الآقلام ...] إلى آخر الحديث

وقوله تعالى : ﴿ قل حسبي الله ﴾ أي الله تعالى كافيّ ﴿ عليه يتوكــل المتوكلون ﴾

روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : ٣٤ [من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله عز وجل أوثق منه بما في يديه ، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله عز وجل]

وقوله تعالى : ﴿ قل يا قوم اعملوا على مكانتكم ﴾ أي طريقتكم . وهذا تهديد ووعيد : ﴿ إني عامل ﴾ أي على طريقتي ومنهجي ﴿ فسوف تعلمون ﴾ أي ستعلمون وبال ذلك ﴿ من يأتيه عذاب يخزيه ﴾ أي في الدنيا ﴿ ويحلّ عليه عذاب مقيم ﴾ أي دائم مستمر لا محيد عنه وذلك يوم القيامة .

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (٤١) اللهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢)

يخاطب تعالى رسوله محمداً ﷺ : ﴿ إنا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق ﴾ أي لجميع الخلق من الأنس والجن لتنذرهم به ﴿ فمن اهتدى فلنفسه ﴾ أي فإنما يعود نفع ذلك إلى نفسه ﴿ ومن ضلّ فإنّما يضلّ عليها ﴾ أي يعود وبال ذلك على نفسه ، ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ أي بموكلٍ أن يهتدوا ﴿ إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل ﴾ كقوله تعالى : ﴿ إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ وقوله تعالى : ﴿ الله يتوفي الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمّى ﴾ فيه دلالة على أنها تجتمع في الملأ الأعلى كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذي رواه ابن منده وغيره وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [إذا آوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره فانه لا يدري ما خلَفَه عليه ثم ليقل : باسمك ربي وضعت جنبي ، وبك أرفعه ، إن أمسكتَ نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين] وقال بعض السلف في تفسير هذه الآية الكريمة : تقبض أرواح الأموات إذا ماتوا ، وأرواح الأحياء إذا ناموا فتتعارف ما شاء الله أن تتعارف ﴿ فيمسك التي قضى عليها الموت ﴾ التي قد ماتت ﴿ ويرسل الأخرى إلى أجل مسمّى ﴾ أي إلى بقية أجلها وقال ابن عباس رضي الله عنهما يمسك أنفس الأموات ويرسل أنفس الأحياء ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ .

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ ۞(٤٣) قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞(٤٤) وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۞(٤٥)﴾

يذمُّ الله تعالى المشركين لاتخاذهم شفعاء من دون الله وهم الذين على صورتهم هذه الأصنام التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان حداهم على ذلك . ثم قال عز من قائل : ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ أو لو كانوا ﴾ أي معبود وهم ﴿ لا يملكون شيئا ولا يعقلون ﴾ أي لا يملكون سمعاً ولا بصراً ولا عقلاً ﴿ قل لله الشفاعة جميعاً ﴾ أي أن الشفاعة لا تنفع عند الله إلاّ لمن ارتضاه وأذن له . فمرجعها كلها إليه ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه ﴾ ﴿ له ملك السموات والأرض ﴾ أي هو المتصرف في جميع ذلك ﴿ ثم إليه ترجعون ﴾ أي يحكم يوم القيامة بينكم بعدله ويجزي كلاً بعمله ثم قال واصفاً المشركين وذاماً لهم : ﴿ وإذا ذكر الله وحده ﴾ أي إذا قيل لا إله الا الله وحده ﴿ اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ أي انقبضت ونفرت واستكبرت كفراً وعناداً عن المتابعة والانقياد لها فقلوبهم لا تقبل الخير . ومن لم يقبل الخير يقبل الشر . ولذلك قال تعالى : ﴿ واذا ذكر الذين من دونه ﴾ أي من الأصنام والأنداد ﴿ إذا هم يستبشرون ﴾ أي يفرحون ويُسَرُّون .

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ عَالِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۞(٤٦) وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ۞(٤٧) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۞(٤٨)﴾

بعد ما ذمّ الله تعالى المشركين لحبهم الشرك ونفرتهم عن التوحيد. قال جل وعلا: ﴿ قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ﴾ أي أدعُ أنت الله وحّده فهو خالق كل شيء ويعلم السر والعلانية ﴿ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون أي في دنياهم، وستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم. روى مسلم في صحيحه عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن قال ٣٥ سألت [عائشة رضي الله عنها بأيّ شيء كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل أفتتح صلاته : « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون إهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم »] .

روى الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال: ٣٦ [«من قال : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك في هذه الدنيا أني أشهد أن لا إله إلا الله أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك فإنك إن تكلني إلى نفسي تقرّبني من الشروتباعدْني من الخير وإني لا أثق إلاّ برحمتك فاجعل لي عندك عهداً توفينيه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد. إلاّ قال عز وجل لملائكته يوم القيامة إن عبدي قد عهد إليّ عهداً فأوفوه إياه فيدخله الله الجنة » قال سهيل فأخبرت القاسم بن عبد الرحمن أن عوناً أخبر بكذا وكذا فقال : ما فينا جارية إلاّ وهي تقول هذا في خدرها] .

وقوله عزّ وجل ﴿ ولو أن للذين ظلموا ﴾ وهم المشركون ﴿ ما في الأرض جميعاً ومثله معه ﴾ أي ولو أن جميع ما في الأرض وضعفه معه ﴿ لافتدوا به من سوء العذاب ﴾ أي الذي أوجبه الله تعالى لهم يوم القيامة ومع هذا لا يقبل منهم الفداء ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ أي وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في حسابهم ﴿ وبدا لهم سيئات ما كسبوا ﴾ أي وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ أي وأحاط بهم من العذاب ما كانوا يستهزئون به عند ذكره لهم في الدار الدنيا .

فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٩)

قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن الإنسان إنه في حال الضراء يتضرع إلى الله عزّ وجلّ وينيب إليه ويدعوه ، وإذا خوّله نعمة منه بغى وطغى وقال : ﴿ إنما أوتيته على علم ﴾ أي لما علم الله تعالى من استحقاقي له ولولا أني مستحقٌّ لما خوّلني هذا . قال تعالى : ﴿ بل هي فتنة ﴾ أي ليس الأمر كما يزعم إنما نعمتنا كانت اختباراً له أيطيع أم يعصي ونحن أعلم بما سيكون منه ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ فلهذا يقولون ما يقولون ، ﴿ قد قالها الذين من قبلهم ﴾ أي كثير ممن سلف من الأمم ﴿ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ فما نفعهم قولهم ولا دعواهم ﴿ فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء ﴾ أي من المخاطبين من كفار قريش ﴿ سيصيبهم سيئات ما كسبوا ﴾ أي كما أصاب أولئك ﴿ وما هم بمعجزين ﴾ كما قال تعالى : ﴿ وقالوا نحن أكثر أمولاً وأولاداً وما نحن بمعذَّبين﴾ وقوله تبارك وتعالى : ﴿ أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ أي يوسعه على قوم ويضيِّقه على آخرين ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ .



قُلْ يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ ٱللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ ٱلسَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ

تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾

هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة ، وإخبارٌ من الله تعالى بأنه يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها وان كانت كزبد البحر . ولا يصح حمل هذه على غير توبة ، لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه . قال البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : ٣٧ [أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا ، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا : إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن،لو تخبرنا أن لما عملنا كفارةً ؟ فنزل : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلاّ بالحقّ ولا يزنون ﴾ ونزل : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾] وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن ابن عباس به والمراد من الآية الأولى ، قوله تعالى : ﴿ إلاّ من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ﴾ الآية روى الإمام أحمد عن عمرو بن عنبسة رضي الله عنه قال: ٣٨ [جاء رجل إلى النبي ﷺ شيخ كبير يدعم على عصاً له فقال : يا رسول الله إنّ لي غدرات وفجرات،فهل يغفرُ لي ؟ فقال ﷺ : « ألست تشهد أن لا إله إلا الله » قال بلى! وأشهد أنك رسول الله ، فقال ﷺ : « قد غفر لك غدراتك وفجراتك »] .

فيتضح مما تقدم أن المراد أنه يغفر جميعَ الذنوب بالتوبة ، ولا يقنطنّ عبد من رحمة الله وإن عظمت ذنوبُه وكثرت فإن باب الرحمة والتوبة واسع. قال عزّ وجلّ: ﴿ ومن يعمل سوءً أو يظلمْ نفسَه ثم يستغفرِ الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾ وقال جلّ وعلا في حق المنافقين ﴿ إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً * إلاّ الذين تابوا وأصلحوا ﴾ وقال جلّ وعلا : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إلهٍ إلا إله واحد وإنْ لم ينتهوا عمّا يقولون ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ ثم قال جلّت عظمته : ﴿ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿ ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا ... ﴾ قال الحسن البصري رحمة الله عليه (انظروا إلى هذا الكرم والجود ، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة). ان الله تعالى بفضله وكرمه ومنّه دعا الكفار جميعاً بلا استثناء إلى التوبة حتى الذي قال أنا ربكم الأعلى ولكنّه لم يؤمن إلاّ في حين لا تنفعه توبة وذلك عند الاحتضار إذْ قال له تعالى :

﴿ الآن ... ﴾ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله عز وجل . وقال عبدالله بن مسعود لقاصٍّ يذكّر الناس فقال : يا مذكّر لم تقنّط الناس من رحمة الله ؟ ثم قرأ : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ رواه ابن ابي حاتم .

روى الإمام أحمد عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه انه قال حين حضرته الوفاة : ٣٩ [قدكنت كتمت منكم شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ ، يقول : « لولا أنكم تذنبون لخلق الله عز وجل قوماً يذنبون فيغفر لهم »] واخرجه مسلم في صحيحه والترمذي . روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ٤٠ [كفارة الذنب الندامة] وقوله تعالى : ﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ﴾ أي وارجعوا إلى الله تعالى واستسلموا له ﴿ من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ﴾ أي بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم ﴾ وهو القرآن العظيم ﴿ من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ﴾ أي من حيث لا تعلمون ولا تشعرون ثم قال عز وجل : ﴿ أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ﴾ أي يتحسر المجرم الذي فرط ولم يتب ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله عز وجل . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وإن كنتُ لمن الساخرين ﴾ أي إنما كان عملي في الدنيا عمل ساخر مستهزىء غير مصدّق ﴿ أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرّة فأكون من المحسنين ﴾ أي تودُّ لو أعيدت إلى الدنيا لتحسن العمل فأخبر تعالى عز وجل ان لو رُدُّوا لما قدروا على الهدى .

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٤١ [كل أهل النار يرى مقعده من الجنة ، فيقول : لو أن الله هداني فتكون عليه حسرة ، قال ، وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن الله هداني قال فيكون له الشكر] . ولما تمنى أهل الجرائم العود إلى الدنيا ، وتحسروا على تصديق آياتِ الله واتباع رسله قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ﴾ أي قد جاءتك أيها العبد النادم على ما كان منه ــ آياتي في الدار الدنيا وقامت حججي عليك ، فكذبْت بها واستكبرت عن اتّباعها ، وكنت من الكافرين بها ، الجاحدين لها .

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۞ (٦٠) وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ (٦١) ﴾

يخبر تعالى عن أهل الفرقة والاختلاف أن وجوههم تسودُّ يوم القيامة لافترائهم على الله تعالى بأن له شريكاً وولداً ﴿ أليس في جهنم مثوىً للمتكبرين ﴾ أي أليست جهنم كافيةً سجناً وموئلاً ومستقراً لهم؟فيها الخزي والهوان بسبب تكبرُّهم وتجبرُّهم، وإبائهم عن الانقياد للحق . روى بن أبي حاتم عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ٢:٤ [إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر في صورة الناس يعلوهم كل شيء من الصَّغار حتى يدخلوا سجناً من النار في وادٍ يقال له بولس من نار الأنيار ويسقون من عصارة أهل النار ومن طينة الخبال] وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم ﴾ أي بما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله فتبيضُ وجوههم ﴿ لا يمسّهم السوء ﴾ أي يوم القيامة ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ أي ولا يحزنهم الفزع الأكبر بل هم آمنون من كل فزع مزحزحون عن كل شر نائلون كل خير .

﴿ ٱللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۞ (٦٢) لَّهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ۞ (٦٣) قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ۞ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۞ (٦٥) بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ۞ (٦٦) ﴾

يخبر تعالى أنه خالق كل شيء ورب الأشياء ومليكها والمتصرّف فيها وكلٌ تحت تدبيره وقهره وكلاءته . وقوله عز وجل : ﴿ له مقاليد السموات والأرض ﴾ أي خزائن السموات والأرض والمعنى : ان ازمّة الأمور بيده تبارك وتعالى له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيءٍ قدير. ولهذا قال جلّ وعلا ﴿ والذين كفروا بآيات الله ﴾ أي حججه وبراهينه ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ .

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ قل أفغيرَ الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ﴾ ذكروا في سبب نزولها ما رواه ابن أبي حاتم وغيره عن ابن عباس رضي الله ان المشركين من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة آلهتهم ويعبدون معه إلهه فنزلت: ﴿ قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون * ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ وهذه كقوله تعالى: ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ وقولُه عز وجل: ﴿ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ أي أخلص العبادة لله وحدهُ لا شريك له أنت ومن اتبعك وصدَّقك.

﴿ وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * (٦٧) ﴾

يقول تبارك وتعالى: ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ أي ما قدَّر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قدره وقدرته. قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ هم الكفار الذين لم يؤمنو بقدرة الله عليهم، فمن آمن أن الله على كلِّ شيءٍ قدير فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره، وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة، والطريق فيها، وفي أمثالها مذهب السلف، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف.

روى البخاري قوله تعالى: ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ٤٣ [جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد ان الله عز وجل يجعل السموات على اصبع والأرضين على اصبع، والشجر على اصبع والماء والثرىٰ على إصبع، وسائر الخلق على إصبع فيقول أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحَبْر ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ﴾] ورواه البخاري في غير هذا الموضع والإمام أحمد ومسلم والنسائي.

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ٤٤ [سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض »] تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر.

وروى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : ٤٥ [ان رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر « يمجّد الربُّ نفسَه أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم » فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا : ليخرّن به] وقد رواه مسلم والنسائي وابن ماجة من حديث عبد العزيز بن أبي حازم .

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۞ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِيٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۞ (٧٠) ﴾

يخبر تعالى عن هول يوم القيامة وما يكون من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة. فقوله تعالى ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلاّ من شاء الله ﴾ هذه النفخة هي الثانية وهي نفخة الصعق وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلاّ من شاء الله، كما جاء مصرحاً به مفسراً في حديث الصور المشهور، ثم يقبض أرواح الباقين. وآخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم الذي كان أوّلاً وهو الباقي آخراً بالديمومة والبقاء. ويقول جل عظمته : ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ ثلاث مرات ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول تعالت قدرته وجلت عظمته : ﴿ لله الواحد القهار ﴾ أنا الذي كنت وحدي، وقد قهرت كل شيء ، وحكمت بالفناء على كل شيء ، ثم يحيي أول ما يحيي إسرافيل ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى وهي النفخة الثالثة نفخة البعث. قال الله عز وجل: ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ أي أحياء بعد ما كانوا رفاتاً صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة. كما قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾ . روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : ٤٦ [« يخرج الدجال في أمتي فيمكث فيهم أربعين لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً أو أربعين ليلة فيبعث الله

تعالى عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام كأنه عروة بن مسعود الثقفي فيظهر فيهلكه الله تعالى ثم يلبث الناس بعده سنين سبعاً ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله تعالى ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى ان لو كان أحدهم كان في كبد جبل لدخلت عليه ، قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا قال فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها وهم في ذلك دارة أرزاقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه فيصعق ثم لا يبقى أحد إلا صعق ، ثم يرسل الله تعالى أو ينزل الله عز وجل مطرا كأنه الطل ـ أو الظل شك نعمان ـ فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال أيها الناس هلموا الى ربكم (وقفوهم إنهم مسؤولون) ـ قال ـ ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال كم ؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فيومئذ تبعث الولدان شيبا ويومئذ يكشف عن ساق » انفرد بإخراجه مسلم في صحيحه .

وقوله تعالى : ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ﴾ آي أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق جلّ وعلا للخلائق لفصل القضاء ﴿ ووضع الكتاب ﴾ أي كتاب الأعمال ﴿ وجيء بالنبيّين ﴾ يشهدون على الأمم بأنهم بلّغوا رسالات الله إليهم ﴿ والشهداء ﴾ أي من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر ﴿ وقضي بينهم بالحق ﴾ أي بالعدل ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ قال الله تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾

ولهذا قال عز وجل ﴿ ووفّيت كل نفس ما عملت ﴾ أي من خير أو شر ﴿ وهو أعلم بما يفعلون ﴾ .

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ ۞ (٧١) قِيلَ ٱدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۞ (٧٢) ﴾

يخبر تعالى عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلى النار سوقاً عنيفاً ، يدفعون دفعاً وهم عطاش يروون من صديدها، ويحشرون على وجوههم صماً بكماً عمياً، كلما خبت نارهم زيدت سعيراً ﴿ حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها ﴾ أي بمجرد وصولهم اليها فتحت أبوابها سريعاً لتعجل لهم العقوبة ﴿ وقال لهم خزنتها ﴾ الذين هم غلاظ شداد على وجه التقريع والتوبيخ : ﴿ ألم يأتكم رسل منكم ﴾ أي من جنسكم ﴿ يتلون عليكم آيات ربّكم ﴾ أي يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحّة ما دعوكم إليه ﴿ وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ أي ويحذرونكم من شر هذا اليوم فيقول لهم الكفار ﴿ بلى ﴾ أي نعم أنذرونا وأقاموا علينا الحجج والبراهين ﴿ ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ أي ولكن كذّبناهم ، وخالفناهم لما سبق لنا من الشقوة . كقوله تعالى: ﴿ قالوا بلىٰ قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزّل الله من شيء إن أنتم إلاّ في ضلال كبير ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ﴾ أي ماكثين فيها لا خروج لكم منها ولا زوال لكم عنها ﴿ فبئس مثوى المتكبرين ﴾ أي بئس حال ومآل من تكبر عن اتباع الحق فهو الذي صيّركم إلى ما أنتم فيه .

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۞ (٧٣) وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۞ (٧٤) ﴾

وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حيث يساقون على النجائب وفداً إلى الجنة زمراً أي جماعات، جماعة بعد جماعة... المقربون ثم الأبرار، ثم الذين يلونهم ثم الذين، يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم ؛ الأنبياء مع الأنبياء ، والصديقون والشهداء والعلماء كل صنف مع صنفهم ﴿ حتى إذا جاءوها ﴾ أي وصلوا إلى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هُذّبوا ونُقّوا أُذِنَ لهم في دخول الجنة .

وقد ورد في حديث الصور : أن المؤمنين إذا انتهوا إلى أبواب الجنة، تشاوروا فيمن يستأذن لهم في الدخول فيقصدون آدم ثم نوحاً ثم ابراهيم ثم موسى ، ثم عيسى ثم محمد

صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء وسلم تسليماً كثيراً، كما فعلوا في العرصات عند استشفاعهم إلى الله عز وجل أن يأتي لفصل القضاء ليظهر شرف محمد ﷺ على سائر البشر في المواطن كلها وقد ثبت في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٤٧ [أنا أول شفيع في الجنة » وفي لفظ مسلم « وأنا أول من يقرع باب الجنة]

وروى الإمام أحمد عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: ٤٨ قال رسول الله ﷺ : [آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد ـ قال ـ فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك] ورواه مسلم .

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٤٩ [أول زمرة تلج الجنّة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتمخطون فيها ولا يتغوّطون فيها آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب واحد يسبّحون الله تعالى بكرةً وعشياً] ورواه البخاري ومسلم .

وقوله تعالى : ﴿ حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ إكراما لهم وتعظيماً وتلقتهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء أي حتى إذا كان هذا الإكرام والتعظيم ، سعدوا وطابوا وسرُّوا وفرحوا بقدر كل ما يكون لهم فيه نعيم وفي الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ٥٠ [إنَّ في الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمّى الريّان لا يدخله إلاَّ الصائمون] وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ٥١ [ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وان محمداً عبده ورسوله إلاَّ فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيّها شاء] .

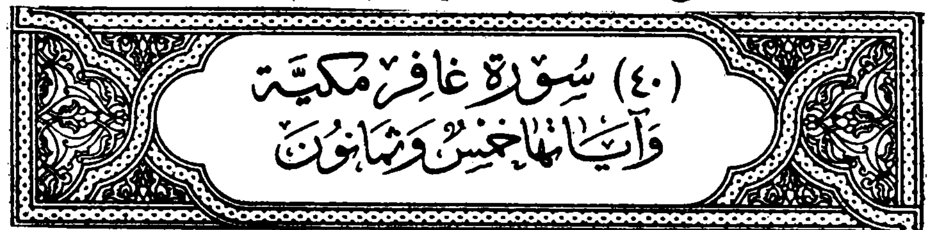
وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم ﴾ أي طابت أعمالكم وأقوالكم وطاب سعيكم وطاب جزاؤكم . وقوله تعالى : ﴿ فادخلوها خالدين ﴾ أي ماكثين فيها أبداً لا يبغون عنها حولاً ﴿ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده ﴾ أي يقول المؤمنون إذا عاينوا في الجنة ذلك الثواب الوافر، والعطاء العظيم والنعيم المقيم، والملك الكبير يقولون عند ذلك: ﴿ الحمد لله الذي صدقنا وعده ﴾ أي الذي كان وعدنا على ألسنة رسله الكرام كما دعوا في الدنيا ﴿ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا

تخلف الميعاد ﴾ ويقولون في الجنة : ﴿ وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ۞ الذي أحلّنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب﴾ وقولهم ﴿ وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾ كقوله تعالى : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ ولهذا قالوا : ﴿ نتبوأ من الجنة حيث نشاء ﴾ أي أين شئنا حللنا فنعم الأجر أجرنا على عملنا وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أنس رضي الله عنه في قصة المعراج قال النبي ﷺ : ٥٢ [أُدْخِلْتُ الجنّةَ فإذا فيها جنابذُ اللؤلؤ وإذا ترابُها المسك] .

﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۞ (٧٥) ﴾

لما ذكر تعالى حكمه في أهل الجنة والنار وأنه أنزل كلاً في المحل الذي يليق به وهو العادل الذي لا يجور ، أخبر عن ملائكته انهم مُحدِقون من حول العرش المجيد يسبّحون بحمد ربهم ويمجدونه ويعظمونه ويقدسونه وينزهونه عن النقائص والجور وقد فصل القضية ، وقضي الأمر ، وحكم بالعدل ولهذا قال عز وجل : ﴿ وقضي بينهم ﴾ أي بين الخلائق ﴿ بالحق ﴾ . ثم قال : ﴿ وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ أي نطق الكون أجمعه، ناطقه وبهيمه لله رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله. ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه فدلّ على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد ، قال قتادة افتتح الخلق بالحمد في قوله تعالى : ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ﴾ واختتمه بالحمد في قوله تبارك وتعالى : ﴿ وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ .

آخر اختصار تفسير سورة الزُمَر ولله الحمد والمنة
وبه التوفيق وله الشكر والفضل
وعليه التكلان



سوى الآيتين ٥٦ و ٥٧ فمدنيتان نزلت بعد سورة الزُّمَر

* * *

روى أبو بكر البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ٥٣ [من قرأ آية الكرسي وأول : ﴿ حم ﴾ عصم ذلك اليوم من كل سوء] .

وقد كره بعض السلف أن يقال : « الحواميم » وإنما يقال « آل حم » قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : آل حم ديباج القرآن . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ان لكل شيءٍ لُباباً ولُباب القرآن آل حم .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿ حمٓ ۞(١) تَنزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۞(٢) غَافِرِ ٱلذَّنبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۞(٣) ﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة [1] وروى أبو داود عن المهلب بن أبي صفرة قال: حدثني من سمع رسول الله ﷺ يقول : ٥٤ [إن بيّتم الليلة فقولوا : حم لا ينصرون] وهذا إسناد صحيح . وقوله تعالى : ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ﴾ أي تنزيل القرآن من الله ذي العزة والعلم، فلا يرام عزّه ولا يخفى عليه الذر

(١) ان أصح تفسير لهذه الأحرف المقطعة على الإطلاق أن يقال : الله أعلم بمراده منها .

وان تكاثف حجابه. وقوله عز وجل : ﴿ غافر الذنب وقابل التوب ﴾ أي يغفر ما سلف من الذنب ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب اليه وخضع لديه . وقوله جل وعلا ﴿ شديد العقاب ﴾ أي لمن تمرَّد وطغى. وهذه كقوله ﴿ نبيء عبادي أني انا الغفور الرحيم * وان عذابي هو العذاب الأليم ﴾ يقرن هذين الوصفين كثيراً في مواضع متعددة من القرآن ليبقى العبد بين الرجاء والخوف . وقوله تعالى : ﴿ ذي الطول ﴾ قال ابن عباس ذي الخير الكثير ، والمعنى أنه المتفضل على عباده ، المتطوّل عليهم بما هم فيه من المنن والإنعام التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها ﴿ وإن تعدّوا نعمةَ الله لا تحصوها ﴾ وقوله جلّت عظمته : ﴿ لا إله إلاّ هو ﴾ أي لا معبود في الأرض ولا في السماء بحق إلاّ هو ﴿ اليه المصير ﴾ أي المرجع والمآب فيجازي كلاًّ بعمله ﴿ وهو سريع الحساب ﴾

روى ابن أبي حاتم عن يزيد بن الأصم قال : كان رجل من أهل الشام ذو بأس وكان يفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ففقده عمر فقال : ما فعل فلان بن فلان فقالوا يا أمير المؤمنين تتابع في هذا الشراب ... قال فدعا عمر كاتبه فقال اكتب : من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان : سلام عليك فإني أحمد اليك الله الذي لا إله إلاّ هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير . ثم قال لأصحابه أدعوا الله لأخيكم أن يُقبِلَ بقلبه ويتوبَ الله عليه . فلما بلغ الرجل كتاب عمر رضي الله عنه جعل يقرأه ويردده ويقول : غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب . قد حذرني عقوبته ووعدني أن يغفر لي . وفي رواية أبي نعيم قال : فلم يزل يرددها على نفسه ثم بكى ثم نزع فأحسن النزع . فلما بلغ عمر خبره قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاً لكم زل زلةً فسددوه ووثقوه وادعوا الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوان الشيطان عليه .

﴿ مَا يُجَادِلُ فِي ءَايَاتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَادِ * (٤) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِٱلْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ * (٥) وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ * (٦) ﴾

يقول تعالى : ما يدفع الحق ويجادل فيه بعد البرهان ﴿ إلاّ الذين كفروا ﴾ أي الجاحدون لآيات الله ﴿ فلا يغررك تقلبهم في البلاد ﴾ أي في أموالها ونعيمها وزهرتها . كما قال جل وعلا ﴿ نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾ ثم سلّى الله نبيه محمّداً ﷺ في تكذيبه من قِبَل قومه فإن من سَلفهُ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد كذبهم قومهم،وما آمن منهم إلاّ قليل فقال : ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح ﴾ وهو أوّل رسول بعثه الله لينهى عن عبادة الأوثان ﴿ والأحزاب من بعدهم ﴾ أي من كل أمة ﴿ وهمَّت كل أمة برسولهم ليأخذوه ﴾ أيّ حرصوا على قتله بكل ممكن ، ومنهم من قتل رسوله ﴿ وجادلوا بالباطل ليدحضوا الحق ﴾ أي ما حلوا بالشبهة ليردّوا الحق الواضح . وعن أبي القاسم الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ٥٥ [من أعان باطلاً ليدحض به حقاً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله ﷺ] وقوله تعالى : ﴿ فأخذتهم ﴾ أي أهلكتهم بذنوبهم ﴿ فكيف كان عقاب ﴾ أي كان شديداً مؤلماً وقوله جل جلاله : ﴿ وكذلك حقّت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار ﴾ أي كما حقت كلمة العذاب على كفار الأمم السابقة كذلك حقت على المكذبين من هؤلاء الذين كذبوك بطريق الأوْلى والله تعالى أعلم .

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَٱتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۞ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ (٨) وَقِهِمُ ٱلسَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ (٩) ﴾

يخبر تعالى عن الملائكة حملة العرش المقرَّبين ومن حوله من الملائكة يسبحون بحمد ربهم أي يقرنون بين التسبيح الدال على نفي النقائص ، والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح ﴿ ويؤمنون به ﴾ أي خاشعون أذلاء ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ من أهل الأرض ممن آمنوا بالغيب ، فقيض الله ملائكته المقربين أنْ يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب ، وقد ثبت في صحيح مسلم ٥٦ [إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثله] .

قال شهر بن حوش رضي الله عنه : حملة العرش ثمانية : أربعة منهم يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك ، وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك، ولهذا يستغفرون للذين آمنوا : ﴿ ربنا وسعت كل شيء رحمةً وعلماً ﴾ أي رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم ، وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم ﴿ فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ﴾ أي فاصفح عن المسيئين اذا تابوا وأنابوا واقلعوا واتّبعوا ما أمرتهم وتركوا ما نهيتهم ﴿ وقهم عذاب الجحيم ﴾ أي وزحزحهم عن عذابها الموجع الأليم ﴿ ربّنا وادخلهم جناتِ عدنٍ التي وعدتّهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ﴾ أي اجمع بينهم وبينهم لتقرَّ أعينهم بالاجتماع معهم في منازل متجاورة وقوله تعالى : ﴿ إنك انت العزيز الحكيم ﴾ أي الذي لا يمانع ولا يغالب والحكيم في أقوالك وأفعالك من شرعك وقدرك ﴿ وقهم السيئات ﴾ أي فعلها أو وبالها ممن وقعت منه ﴿ ومن تقِ السيئاتِ يومئذٍ ﴾ أي يوم القيامة ﴿ فقد رحمتَه ﴾ أي لطفت به ونجّيته من العقوبة ﴿ وذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ ٱللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَٱلْحُكْمُ لِلهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِنَ ٱلسَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا ٱللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾

يخبر تعالى أن الكفّار لما لقوا العذاب الذي لا قبل لأحدٍ به، مقتوا عند ذلك أنفسهم وابغضوها بسبب ما أسلفوا من الأعمال التي كانت سبب دخولهم النار . فنادتهم الملائكة بأن مقت الله تعالى لهم في الدنيا حين كان يعرض عليهم الإيمان فيكفرون ، أشد من مقتكم أنفسكم اليوم. ﴿ قالوا ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ كقوله تعالى : ﴿كيف

تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ قاله ابن مسعود . والمعنى : أن الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدي الله عز وجل في عرصات يوم القيامة فلا يجابون لأن الله علم منهم أنهم ولو رجعوا لعادوا إلى كفرهم . وذلك كقوله تعالى : ﴿ ولو ردُّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ ولما قالوا : ﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ وفي هذه الآية تلطفوا في السؤال أي أنهم قالوا : يا رب إن قدرتك عظيمة فإنك أحييتنا بعد ما كنا أمواتاً ثم أمتّنا ثم أحييتنا فأنت قادر على كل شيء ، وقد اعترفنا بذنوبنا وإنّنا كنّا ظالمين لأنفسنا في الدار الدنيا ﴿ فهل إلى خروج من سبيل ﴾ أي فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا فإنك قادر على ذلك لنعمل غير الذي كنّا نعمل فإنْ عدنا إلى ما كنّا فيه فإنا ظالمون فأُجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك . ثم علل المنعَ بأن سجاياكم لا تقبل الحق، بل تمجّه وتنفيه . ولهذا قال تعالى : ﴿ ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يُشْرَكْ به تؤمنوا ﴾ أيْ أنتم هكذا تكونون . وإنْ رُدِدتم إلى الدنيا ، كما قال عز وجل ﴿ ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ وقوله جل وعلا ﴿ فالحكم لله العلي الكبير ﴾ أي هو الحكم العدل الذي لا يجور ، فيهدي من يشاء ويضل من يشاء ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء ، لا إله إلا هو . وقوله جل جلاله : ﴿ هو الذي يريكم آياته ﴾ أي يظهر قدرته لخلقه بما يشاهدون في خلقه العلوي والسفلي ، من الآيات العظيمة الدالّة على كمال خالقها ومبدعها ومنشئها . ﴿ وينزّل لكم من السماء رزقاً ﴾ وهو المطر الذي يخرج به من الزروع والثّمار ما هو مشاهد بالحسّ ، من اختلاف طعومه وروائحه ، وأشكاله وألوانه ، وهو ماء واحد ، فبالقدرة العظيمة فاوت بين هذه الأشياء . ﴿ وما يتذكَّر ﴾ أي يستدل بها على عظمة خالقها ﴿ إلاّ من ينيب ﴾ أي من هو بصير راجع إلى الله تبارك وتعالى . وقوله عز وجل : ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ﴾ أي أخلصوا العبادة لله تعالى وخالفوا المشركين في مسلكهم . وقد ثبت في الصحيح عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ٥٧ [كان يقول عقب الصلوات المكتوبات : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله لا إله إلاّ الله ولا نعبد إلاّ إيّاه ، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ٥٨ [أدعوا الله تبارك وتعالى وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله تعالى لا يستجيب دعاءً من قلب لاهٍ] .

﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَاتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ۝ (١٥) يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝ (١٦) ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝ (١٧) ﴾

يخبر تعالى عن عظمته وكبريائه ، وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميع مخلوقاته كالسقف لها. كما قال تعالى : ﴿ ... من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ وقولُه تعالى : ﴿ يلقي الروحَ من أمره على من يشاء من عباده ﴾ كقوله تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذ رين ﴾ ولهذا قال عز وجل : ﴿ لينذر يومَ التلاق ﴾ أي يوم القيامة حذّر الله منه عباده ، وإن كل عامل سيلقي فيه ما عمله من خير وشر . وقوله جل وعلا : ﴿ يومَ هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء ﴾ أي ظاهرون لا يسترهم شيء ، والجميع في علمه سواء . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحدِ القهار ﴾ أي هو وحده الذي قهر كل شيء وغلبه . وقوله تعالى : ﴿ اليوم تجزى كلُّ نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب ﴾ يخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه، أنه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر، بل يجزي بالحسنة عشر أمثالها وبالسيئة واحدة . ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ لا ظلم اليوم ﴾ كما ثبت في الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل انه قال: « ٥٩ [يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا – إلى أن قال – : يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إيّاها فمن وجد خيراً فليحمد الله تبارك وتعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه] . وقوله تعالى ﴿ إن الله سريع الحساب ﴾ أي يحاسب الخلائق كلّهم كما يحاسب نفساً واحدة، كما قال تعالى : ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلاّ كنفس واحدة ﴾ وقال جل وعلا ﴿ وما أمرنا إلاّ واحدة كلمح بالبصر ﴾ .

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝(١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا

تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

يوم الآزفة اسم من اسماء يوم القيامة وسميت بذلك لاقترابها. كما قال تعالى : ﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ وقوله تبارك وتعالى : ﴿ إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ﴾ قال قتادة : وقفت القلوب في الحناجر من الخوف فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها ومعنى كاظمين أي ساكتين لا يتكلم أحد إلاّ بإذنه ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلاّ من أذن له الرحمن وقال صوابا ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ أي ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ولا شفيع يشفع فيهم بل قد تقطعت بهم الأسباب من كلّ خير ، وقوله تعالى : ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ يخبر عز وجل عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء ، ليحذر الناس علمه فيهم فيستحيوا من الله تعالى ويتقوه ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه ، فإنه عز وجل يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة ، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور . وقال عز وجلّ : ﴿ والله يقضي بالحق ﴾ أي يحكم بالعدل ﴿ والذين يدعون من دونه ﴾ أي من الأصنام والأوثان والأنداد ﴿ لا يقضون بشيء ﴾ أي لا يملكون شيئاً ولا يحكمون بشيء ﴿ إنَّ الله هو السميع البصير ﴾ أي سميع لأقوال خلقه بصير بهم ، فيهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الحكم العدل في جميع ذلك .



أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى : ﴿ أولم يسيروا ﴾ أي هؤلاء الكفار ﴿ في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم ﴾ أي من الأمم المكذبة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما حلّ

بهم من العذاب مع أنهم كانوا أشدَّ من هؤلاء قوةً ﴿ وآثاراً في الأرض ﴾. من المعالم العظيمة ، فمع هذه القوة ، والبأس الشديد أخذهم الله بذنوبهم ﴿ وما كان لهم من الله من واقٍ ﴾ أي ما وقاهم من عذاب الله من واقٍ ﴿ ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات ﴾ أي بالآيات الواضحات ﴿ فكفروا ﴾ رغم هذا البيان والبرهان ، ﴿ فأخذهم الله ﴾ أي أهلكهم ودمَّر عليهم وللكافرين أمثالها ﴿ إنّه قويٌّ شديد العقاب ﴾ أي عقابه أليم شديد وجيع ، أعاذنا الله تبارك وتعالى منه .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ (٢٣) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۞ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۞ (٢٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ۞ (٢٦) وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ۞ (٢٧) ﴾

يقول تعالى مسلياً لنبيّه محمد ﷺ في تكذيب مَن كذّبه من قومه ، ومبشراً له بأن العاقبة والنصرة له في الدنيا والآخرة ، كما نصر موسى عليه السلام وأرسله بالآيات البيّنات ، ولهذا قال تعالى : ﴿ بآياتنا وسلطان مبين ﴾ والسلطان هو الحجة والبرهان ﴿ إلى فرعون ﴾ وهو ملك القبط بمصر ﴿ وهامان ﴾ وزيره ﴿ وقارون ﴾ أغنى أهل زمانه ﴿ فقالوا ساحر كذاب ﴾ أي كذبوه واتّهموه بالجنون والسحر ﴿ فلما جاءهم بالحقّ من عندنا ﴾ أي بالبرهان الدال على رسالته إليهم ﴿ قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم ﴾ وهذا أمر ثانٍ بقتل ذكور بني إسرائيل. أما الأول للاحتراز من وجود موسى أو لإذلال هذا الشعب وتقليل عددهم ، والثاني للتشاؤم بموسى عليه السلام ولهذا قالوا : ﴿ أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وما كيد الكافرين إلاّ في ضلال ﴾

أي وما مكرهم إلا ذاهب وهالك ﴿ وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربّه ﴾ أي لا أبالي منه وهذا في غاية الكفر والجحود والتجهرم والعناد . وقوله تعالى : ﴿ إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد ﴾ أي يخشى فرعون ان يضل موسى الناس ويغير دينهم كما يقال في المثل : صار فرعون مذكراً وواعظاً يشفق على الناس من موسى عليه السلام ! ! ﴿ وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ﴾ أي لما بلغه قول فرعون : ﴿ ذروني أقتل موسى ﴾ قال موسى عليه السلام استجرت بالله وعذت به . ولهذا قال : ﴿ إني عذت بربي وربكم ﴾ وفي الحديث عن ابي موسى رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ ، كان إذا خاف قوماً قال : (اللهم انا نعوذ بك من شرورهم وندرأ بك في نحورهم .

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ ٱللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۞ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ ٱللهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۞(٢٩) ﴾

المشهور أن هذا الرجل المؤمن قبطي من آل فرعون وليس إسرائيلياً. وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما : لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وأمرأةُ فرعون وهو الذي قال : ﴿ يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ﴾ وقد كان يكتم إيمانه عن قومه فلم يظهر إلا هذا اليوم حين قال فرعون : ﴿ ذروني أقتل موسى ﴾ فأخذتِ الرجل غضبةٌ لله عز وجل كما ثبت بذلك الحديث : ٦٠ [وأفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر] ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهي قوله : ﴿ أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبيّنات من ربّكم ﴾ أي كيف تقتلون رجلاً لكونه يقول ربّي الله وقد أقام لكم البرهان تلو البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق ؟ ثم تنزّل معهم في المخاطبة فقال : ﴿ وإن يك كاذباً فعليه كذبه وانْ يكُ صادقاً يُصبكم بعض الذي يعدكم ﴾ يعني إذا لم يظهر لكم

صحة قوله . فالعقل ان تتركوه ونفسه فلا تؤذوه ، وإن يك كاذباً فيعاقبه الله في الدنيا والآخرة وإنْ يك صادقاً وقد آذيتموه يصبكم بعض الذي يهددكم به من العذاب في الدنيا والآخرة. وهكذا أخبر الله عز وجل عن موسى عليه الصلاة والسلام أنه طلب من فرعون وقومه الموادعة في قوله تعالى : ﴿ ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم أن أدوا إلي عباد الله إني لكم رسول أمين * وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين * وإني عذت بربي وربكم أن ترجموني * وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلوني * ﴾ وكذلك قال رسول الله ﷺ لقريش أن يتركوه يدعو إلى الله تعالى عباد الله ، ولا يمسوه بسوء ويصلوا ما بينه وبينهم من القرابة في ترك أذيته . قال الله تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى ﴾ أي أن تؤذوني فيما بيني وبينكم من القرابة ، واتركوا بيني وبين الناس . وعلى هذا وقعت الهدنة يوم الحديبية وكان فتحاً مبيناً . وقوله جل وعلا : ﴿ إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ﴾ أي لو كان هذا الذي يدعوكم إلى الله من المسرفين الكذابين لما هداه الله وأرشدَه إلى ما ترون من انتظام أمره وفعله ومنهجه المستقيم . ثم قال المؤمن محذراً قومَه زوال نعمةِ الله عنهم ، وحلول نقمته بهم: ﴿ يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض ﴾ أي لكم الملك والكلمة النافذة والجاه فقابلوا نعمه بشكره وتصديق رسوله واحذروا نقمته إن كذبتموه ﴿ فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ﴾ أي لا تغني عنكم هذه الجنود والعساكر إن أرادنا الله بسوء ... قال فرعون راداً على ما أشار به هذا الرجل المؤمن الرشيد ﴿ ما أريكم إلا ما أرى ﴾ أي لا أرى لكم إلاّ ما أرى لنفسي . وقد كذب فرعون لأنه كان متحققاً صدق موسى برسالته ، كقوله تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾ وقولُه : ﴿ وما أهديكم إلاّ سبيل الرشاد ﴾ أي إلى الطريق الحق وسبيل الهدى وقد كذب أيضاً في ذلك وغش قومَه . وفي الحديث : ٦١ [ما من إمامٍ يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلاّ لم يرحْ رائحة الجنة وإن ريحَها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام] والله الموفق للصواب .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۞ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ ۞ (٣١) وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۞ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ

وَمَنْ يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۞ (٣٣) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ۞ (٣٤) ٱلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ ٱللَّهِ وَعِنْدَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ۞(٣٥)

قال مؤمن آل فرعون : ﴿ يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ﴾ كقوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم ، كيف حل بهم بأسُ الله وما ردّه عنهم رادٌ ﴿ وما الله يريد ظلماً للعباد ﴾ أي إنما أهلكهم الله بتكذيبهم رسله عليهم الصلاة والسلام ثم قال : ﴿ يا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد ﴾ يعني القيامة ينادي الناس بعضهم من الهول ، وقيل مناداة أهل الجنة لبعضهم ، وكذلك أهل النار . وقوله تعالى : ﴿ يوم تولّون مدبرين ﴾ أي هاربين ﴿ ما لكم من الله من عاصم ﴾ أي مانع يمنعكم من بأسه ﴿ ومن يضلل فما له من هاد ﴾ أي لا هادي لمن أضلّه الله . وقوله : ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ﴾ يعني بعث الله في أهل مصر يوسفَ قبل موسى عليهما السلام فما أطاعوا يوسف إلا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي. ولهذا قال تعالى : ﴿ فما زلتم في شكٍ مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعثَ الله من بعده رسولاً ﴾ أي يئستم فقلتم طامعين لن يبعث بعده رسولاً وذلك لكفرهم وتكذيبهم ﴿ كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ﴾ كحالكم هذا يكون حال من يضله الله لإسرافه في أفعاله ، وارتياب قلبه . ثم قال عز وجل : ﴿ الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ﴾ أي الذين يدفعون الحق بالباطل بلا دليل ولا حجة ، فإن الله عز وجل يمقت على ذلك أشد المقت. ولهذا قال تعالى: ﴿ كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا ﴾ أي والمؤمنون ايضاً يبغضون من تكون هذه صفته وإن الله يطبع على قلوبهم، جزاء ما فعلوا فلا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً . ولهذا قال تعالى : ﴿ كذلك يطبع الله على كل قلب متكبرّ ﴾ أي متكبر على اتباع الحق ﴿ جبار ﴾ قال قتادة : آية الجبابرة : القتل بغير حق والله تعالى أعلم .

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَابَ (٣٦) ❁ أَسْبَابَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَاذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ❁(٣٧)﴾

يخبر تعالى عن عتوّ فرعون وتكذيبه موسى عليه الصلاة والسلام أنه أمر وزيره هامان ان يبنيَ له قصراً شاهقاً ﴿ لعلي أبلغُ الأسباب * أسباب السموات ﴾ أي أبوابها وطرقها ﴿ فأطلعَ إلى إلٰه موسى وإني لأظنه كاذباً ﴾ أي أنه كذّبَ موسى عليه الصلاة والسلام في أن الله تعالى أرسله إليه ﴿ وكذلك زيّن لفرعون سوءُ عمله وصُدَّ عن السبيل ﴾ أي بفعله هذا الذي أراد أن يوهم رعيته ليصرفهم الى تكذيب موسى عليه السلام ولكن . ﴿ وما كيد فرعون إلاّ في تباب ﴾ أي في خسار .

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ❁(٣٨) يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ❁(٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ❁(٤٠)﴾

يقول مؤمن آل فرعون لقومه : ﴿ يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ﴾ أي أنا الذي اهديكم سبيل الرشاد لا فرعون الذي كذب عليكم ثم بدأ يزهدهم في الدنيا التي صدتهم عن الايمان بموسى عليه الصلاة والسلام فقال : ﴿ يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع ﴾ قليل زائل ﴿ وإن الآخرة هي دار القرار ﴾ لا زوال لها فإما نعيم أو جحيم. ولذا قال تعالى : ﴿ من عمل سيئة فلا يجزى إلاّ مثلها ﴾ أي واحدة ﴿ ومن عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة **يرزقون فيها بغير حساب** ﴾ أي لا يتقدّر بجزاء بل يثيبه من فضله بلا انقضاء ولا نفاد والله الموفق للصواب .



﴿ وَيَاقَوْمِ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى ٱلنَّارِ ۞(٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّارِ ۞ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى ٱللهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ ۞(٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى ٱللهِ إِنَّ ٱللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۞ (٤٤) فَوَقَاهُ ٱللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ ٱلْعَذَابِ ۞ (٤٥) ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۞ (٤٦) ﴾

يقول لهم المؤمن من آل فرعون ما بالي أدعوكم إلى النجاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسوله ﷺ الذي بعثه اليكم ﴿ وتدعونني إلى النار * تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ماليس لي به علم ﴾ أي على جهل بلا دليل ﴿ وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار ﴾ أي هو في عزته وكبريائه يغفر ذنب من تاب إليه ﴿ لا جرم أنما تدعونني إليه ﴾ أي حقاً إن الذي تدعونني إليه من عبادة الأصنام ﴿ ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة ﴾ أي هذه الأنداد لا تجيب داعيها لا في الدنيا ولا في الآخرة . وهذا كقوله تعالى : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ وقولُه تعالى : ﴿ وأن مردّنا إلى الله ﴾ أي في الدار الآخرة فيجازى كل بعمله. ولهذا قال :﴿ وأنّ المسرفين هم أصحاب النار ﴾ أي خالدين فيها بإسرافهم وهو شركهم بالله عز وجل : ﴿ فستذكرون ما أقول لكم ﴾ أي سوف تعلمون صحة ما أقوله لكم ﴿ وافوض أمري إلى الله ﴾ أي وأتوكل على الله وأستعينه وأقاطعكم ﴿ إن الله بصير بالعباد ﴾ أي هو بصير بهم تعالى وتقدس فيهدي من يستحقّ الهداية،ويضلُّ من يستحق الإضلال،وله سبحانه الحجة البالغة والحكمة التامة والقدر النافذ. وقوله تعالى : ﴿ فوقّاه الله سيئاتِ ما مكروا ﴾ أي وقاه في الدنيا أي نجّاه تعالى مع موسى عليه السلام من الغرق وفي الآخرة فوقاه النار وأدخله الجنة ﴿ وحاق بآل فرعون سوءُ العذاب﴾ وهو الغرق ثم الانتقال منه إلى الجحيم ، فإن النار يعرضون عليها

صباحاً مساءً إلى قيام الساعة فإذا كان يوم القيامة انتقلوا من عذاب القبر إلى عذاب جهنم. ولهذا قال تعالى : ﴿ ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشدَّ العذاب ﴾ واستدل أهل السنة والجماعة بهذه الآية على عذاب البرزخ في القبور وهي قوله تعالى : ﴿ النار يعرضون عليها غدوّاً وعشيّاً ﴾ .

وقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها : ٦٢ [أن يهودية دخلت عليها فقالت : نعوذ بالله من عذاب القبر ، فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال ﷺ : « نعم عذاب القبر حق » قالت عائشة رضي الله عنها : فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاةً إلا تعوّذ من عذاب القبر] وأحاديث عذاب القبر كثيرة جداً . وروى ابن أبي حاتم عن ابن مسعود رضي الله عنه – في جملة ما قال : ... وإن أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها فذلك عرضها ... وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال فيه : ٦٣ [... ثم انطلق بي إلى خلق كثير من خلق الله رجالٍ كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم مصفّدون على سابلة آل فرعون ، وآل فرعون يعرضون على النار غدوّاً وعشيّاً ﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ وآل فرعون كالإبل المسمومة يخبطون الحجارة والشجر ولا يعقلون] .

﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِّنَ ٱلنَّارِ ۝ (٤٧) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ۝ (٤٨) وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۝ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَٱدْعُوا وَمَا دُعَاءُ ٱلْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝ (٥٠) ﴾

يخبر تعالى عن تحاجِّ أهل النار في النار وتخاصمهم ، وفرعون وقومه من جملتهم فيقول الضعفاء وهم الأتباع للذين استكبروا وهم القادة والسادة والكبراء ﴿ إنّا كنا لكم تبعاً ﴾ أي أطعناكم في الكفر ﴿ فهل انتم مغنون عنا نصيباً من النار ﴾ أي قسطاً تتحملونه

عنا ﴿ قال الذين استكبروا إنا كل فيها ﴾ أي كفى ما حملنا من العذاب ﴿ ان الله قد حكم بين العباد ﴾ أي قسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منّا ﴿ وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعو ربّكم يخفف عنا يوماً من العذاب ﴾ فلما علموا أن الله لا يستجيب منهم ولا يستمع لدعائهم بل قد قال : ﴿ إخسأوا فيها ولا تكلمون ﴾ سألوا الخزنة أن يدعوا لهم تخفيف العذاب ولو يوماً واحداً فردّوا عليهم ﴿ أولم تك تأتيكم رسلكم بالبيّنات ﴾ أي ألم تقم عليكم بالحجج على ألسنة الرسل؟ ﴿ قالوا بلى قالوا فادعوا ﴾ أي ادعوا أنتم لأنفسكم فنحن برآء منكم ولو دعوتم فلن يستجاب لكم ﴿ وما دعاء الكافرين إلاّ في ضلال ﴾ أي لا يقبل ولا يستجاب .

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ آمَنُوا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ ۞ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ ٱلظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ ٱلدَّارِ ۞ (٥٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَٰائِيلَ ٱلْكِتَابَ ۞ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ ۞ (٥٤) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَارِ ۞ (٥٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ ٱللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِٱللهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۞ (٥٦) ﴾

قوله تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ فقد أورد ابن جرير رحمه الله عند هذه الآية سؤالاً فقال : قد علم أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قتله قومه بالكلية : كيحيى وزكريا وشعيا ، ومنهم من خرج من بين أظهرهم مهاجراً كإبراهيم ، ومنهم رفع إلى السماء كعيسى فاين النصرة في الدنيا ...؟ ثم أجاب عن ذلك بجوابين : أحدهما : أن يكون الخبر عاماً والمراد به البعض قال وهذا سائغ في اللغة . والثاني : ان يكون المراد بالنصر الانتصار لهم ممن آذاهم سواء كان ذلك بحضرتهم أو في غيبتهم أو بعد موتهم كما فعل بقتله يحيى وزكريا وشعيا سلط الله عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم . وقد ذكر ان النمروذ أخذه الله تعالى أخذ عزيز

مقتدر وأما الذين راموا صلب المسيح عليه السلام من اليهود فسلّط الله عليهم الروم فأهانوهم وأذلوهم وأظهرهم الله عليهم، ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً فيقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود ويقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويضع الجزية ، فلا يقبل إلاّ الإسلام وهذه نصرة عظيمة . وهذه سنّة الله في خلقه أن ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ويقر أعينهم ممن آذاهم ؛ وهكذا نصر الله نبيه محمداً ﷺ وأصحابه على من خالفه وناوأه وكذّبه وعاداه ، فجعل كلمة الله هي العليا ، ودينه هو الظاهر على سائر الأديان ودانت له الجزيرة العربية كلها ودخل الناس في دين الله أفواجاً . ثم من بعده خلفاؤه فبلّغوا عنه دين الله عز وجل ودعوا عباد الله إلى الله تعالى ، وفتحوا البلاد والقلوب حتى بلغت الدعوه المحمدية مشارق الأرض ومغاربها وسيبقى هذا الدين ظاهراً منصوراً إلى يوم القيامة . ولهذا قال تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ أي يوم القيامة تكون النصرة أعظم وأكبر وأجل وقوله تعالى : ﴿ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ﴾ أي لا يقبل منهم عذر ولا فدية ﴿ ولهم اللعنة ﴾ أي الإبعاد والطرد من الرحمة ﴿ ولهم سوء الدار ﴾ أي بئس المنزل والمقيل والعاقبة ﴿ ولقد آتينا موسى الهدىٰ وأورثنا بني إسرائيل الكتاب ﴾ وهو ما بعثه الله عز وجل به من الهدى والنور ﴿ وأورثنا بني اسرائيل الكتاب ﴾ أي جعلنا لهم العاقبة وأورثناهم بلاد فرعون وأمواله بما صبروا على طاعة الله واتباع رسوله موسى ﷺ . وفي الكتاب الذي أورثوه وهو التوراة : ﴿ هدىً وذكرى لأولي الألباب ﴾ وهي العقول السليمة. وقوله عز وجل : ﴿ فاصبر ﴾ أي يا محمد ﴿ انّ وعد الله حق ﴾ أي وعدناك أن نجعل العاقبة لك ولمن اتّبعك والله لا يخلف الميعاد . وقوله تعالى : ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ هذا حض للأمة على الاستغفار ﴿ وسبّح بحمد ربّك بالعشي ﴾ أي في أواخر النهار وأوائل الليل ﴿ والإبكار ﴾ وهي أوائل النهار وأواخر الليل ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ﴾ أي يدفعون الحق بالباطل بلا برهان ولا حجة من الله ﴿ إنْ في صدورهم إلاّ كبرٌ ما هم ببالغيه ﴾ أي ما في صدورهم إلاّ كبر على أتباع الحق وليس ما يرومونه إلاّ إعلاء للباطل وما ذلك بحاصل لهم ﴿ فاستعذ بالله ﴾ من حال مثل هؤلاء ﴿ انه هو السميع البصير ﴾ هذا تفسير ابن جرير (ملخصاً) .

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ (٥٧) وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَلَا ٱلْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ ۞ (٥٨) إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ (٥٩) ﴾

ينبّه تعالى على أنه يعيد الخلق يوم القيامة وإنَّ ذلك سهل عليه لأن خلقَ السموات والأرض أكبرُ من خلق الناس ، فمن قدر على ذلك فهو قادر على ما دونه بطريق الأولى كما قال تعالى : ﴿ أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعيَ بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولكن اكثر الناس لا يعلمون ﴾ فلهذا لا يتدبرون هذه الحجة ولا يتأملونها فالذي يعترف بأن الله خلق السموات والأرضَ ثم يُنكر المعادَ فقد اعترف بما هو أولى مما أنكرتم.وقال تعالى: ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تتذكرون ﴾ أي كما لا يستوي الأعمى والبصير بل بينهما فرق عظيم كذلك لا يستوي المؤمنون الأبرار بالمسيئين الكفرة الفجار ﴿ قليلاً ما تتذكرون ﴾ أي ما أقل ما يتذكر كثير من الناس . ثم قال تعالى : ﴿ إن الساعة لآتية ﴾ أي الواقعة ﴿ لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ أي لا يصدّقون بها بل يكذبون بوجودها .

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۞ (٦٠) ﴾

هذا من فضله سبحانه وكرمه ، أنه ندب عباده إلى دعائه وتكفل لهم بالإجابة ، كما كان سفيان الثوري يقول : يا من أحبُّ عباده إليه من سأله فأكثر سؤآله ، ويا من ابغضُ عباده إليه من لم يسألْه ، وليس أحد كذلك غيرك يا رب رواه ابن أبي حاتم .

روى أبو يعلى في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروى عن ربه عز وجل قال: ٦٤ [أربع خصال واحدة منهن لي، وواحدة لك، وواحدة فيما بيني وبينك ، وواحدة فيما بينك وبين عبادي . فأما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئاً ،

واما التي لك عليّ فما عملتَ من خير جزيتك به ، وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء وعليّ الإجابة ، وأما التي بينك وبين عبادي فارض لهم ما ترضى لنفسك] وروى الإمام أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ٦٥ [«ان الدعاء هو العبادة » ثم قرأ : ﴿ ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾] ومن رواية أحمد عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ٦٦ [من لم يدعُ اللهَ عزَّ وجلَّ غضِبَ عليْه] وقوله عز وجل : ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي ﴾ أي عن دعائي وتوحيدي ﴿ سيدخلون جهنم داخرين ﴾ أي صاغرين حقيرين .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۞ (٦١) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۞ (٦٢) كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ۞ (٦٣) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَاراً وَٱلسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ۞ (٦٤) هُوَ ٱلْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۞ (٦٥) ﴾

يمتن الله على خلقه بما جعل لهم من الليل الذي يسكنون فيه،ويستريحون من حركات المعايش بالنهار ، وجعل النهار مبصراً أي مضيئاً لينصرفوا فيه بالأسفار والعمل ﴿ إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ أي لا يقومون بواجب الشكر على النعمة.ثم قال عز وجل : ﴿ ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو ﴾ أي الذي فعل هذه الأشياء وخلقها لا إله غيره ولا رب سواه ﴿ فأنّى تؤفكون ﴾ أي فكيف تعبدون من لا تخلق شيئاً بل هي مخلوقة منحوتة. وقوله عز وجل ﴿ كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون ﴾ أي كما ضل هؤلاء بعبادة غير الله كذلك أفك الذين من قبلهم فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان، إنّما بمجرد الجهل والهوى، وجحدوا حجج الله وآياته. وقوله تعالى :

﴿ الله الذي جعل لكم الأرض قراراً ﴾ أي جعلها لكم مستقراً ﴿ والسماء بناءً ﴾ أي سقفاً للعالم محفوظاً ﴿ وصوركم فأحسن صوركم ﴾ أي فخلقكم في أحسن تقويم ﴿ ورزقكم من الطيّبات ﴾ أي من المآكل والمشارب في الدنيا فهو الخالق الرازق ﴿ ذلكم الله ربّكم فتبارك الله ربُّ العالمين ﴾ أي تعالى وتقدس وتنزه ثم قال تعالى : ﴿ هو الحي لا إله إلاّ هو ﴾ أي هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن، الذي لا معبود إلا هو سبحانه. ﴿ فادعوه مخلصين له الدين ﴾ أي موحدين له مقرين بألوهيته وربوبيّته ثم روى ابن عباس قال : من قال لا إله إلا الله فليقلْ على أثرها الحمد لله رب العالمين وذلك قوله تعالى : ﴿ فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴾ .



﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ ٱلْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ * (٦٦) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * (٦٧) هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * (٦٨) ﴾

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين ، إن الله عز وجل ينهي أن يعبد سواه إذ لا يستحقّ العبادة غيره ﴿ هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا اشدّكم ثم لتكونوا شيوخاً ﴾ أي هو الذي يقلبكم في هذه الأطوار كلها وحده لا شريك له ، وعن أمره وتدبيره وتقديره يكون ذلك كله ﴿ ومنكم من يُتَوفى من قبل ﴾ أي من قبل أن يوجد ويخرج إلى هذا العالم يسقط سقطاً ومنهم يُتَوفىَّ صغيراً وشاباً وكهلاً. وقال سبحانه : ﴿ ولتبلغوا أجلاً مسمّى ولعلكم تعقلون ﴾ أي تتذكرون البعث ﴿ هو الذي يحيي ويميت ﴾ أي هو المتفرد بذلك لا يقدر على ذلك أحد سواه ﴿ فإذا قضى أمراً فإنّما يقول له كنْ فيكون ﴾ أي لا يخالف ولا يمانع بل ما شاء كان لا محالة .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ۞ (٦٩) ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِٱلْكِتَـٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ (٧٠) إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِيٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۞ (٧١) فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ۞ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۞ (٧٣) مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْـًٔا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۞ (٧٤) ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ۞ (٧٥) ٱدْخُلُوٓا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۞ (٧٦) ﴾

ألا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله ويجادلون في الحق بالباطل كيف يصرفون عقولهم عن الهدى إلى الضلال ﴿ الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا ﴾ من الهدى والبيان ﴿ فسوف يعلمون ﴾ هذا تهديد ووعيد من الرب جل جلاله لهؤلاء كما قال تعالى : ﴿ ويل يومئذٍ للمكذبين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل ﴾ أي متصلة بالأغلال بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم تارة إلى الحميم وتارةً إلى الجحيم ولهذا قال تعالى : ﴿ يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ﴾ كما قال تعالى : ﴿ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون ، يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ وقولُه تعالى : ﴿ ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله ﴾ أي أين الأنداد التي كنتم تعبدونها من دون الله هل ينصرونكم اليوم . ﴿ قالوا ضلوا عنا ﴾ أي ذهبوا فلم ينفعونا ﴿ بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً ﴾ أي جحدوا عبادتهم كقوله جلت عظمته : ﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلاّ أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ ولهذا قال عز وجل : ﴿ كذلك يضل الله الكافرين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ﴾ أي تقول لهم الملائكة هذا الذي أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق ومرحكم وأَشَرِكم وبطركم ﴿ أدخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ﴾ أي فبئس

المنزل والمقيل الذي فيه الهوان والعذاب الشديد لمن استكبر عن آيات الله واتباع دلائله وحججه . والله تعالى أعلم .

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۝ (٧٧) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ۝ (٧٨) ﴾

يقول تبارك وتعالى آمراً رسوله ﷺ بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه فإن الله تعالى سينجز لك ما وعدك من النصر والظفر على قومك،وجعل العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة ﴿ فإمّا نرينّك بعض الذي نعدهم ﴾ أي في الدنيا ... وكذلك وقع فقد أقر الله عين نبيّه ﷺ والمسلمين يوم بدرٍ وأبيد رؤوس الشرك ، ثم فتح الله على نبيه مكة وسائر جزيرة العرب في حياته ﷺ .وقوله عز وجل : ﴿ أو نتوفينك فإلينا يرجعون ﴾ أي فنذيقهم العذاب الشديد في الآخرة ، ثم قال تعالى مسلّياً لنبيه ﷺ ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ﴾ أي أوحينا إليك خبرهم ، وقصصهم مع أقوامهم كيف كذبوهم ثم كانت العاقبة والنصرة للرسل ﷺ . ﴿ ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ وهم أكثر ممن ذكر بأضعاف أضعاف. كما تقدم التنبيه على ذلك في سورة النساء ولله الحمد والمنة [1] وقوله تعالى : ﴿ وما كان لرسول أن يأتي بآيةٍ إلا بإذن الله ﴾ أي ليس لأحد من الرسل أن يأتي قومه بخارق العادات إلا أن يأذن الله له في ذلك، فيدل ذلك على صدقه فيما جاءهم به: ﴿ فإذا جاء أمر الله ﴾ وهو عذابه ونكاله المحيط بالمكذبين ﴿ قضي بالحق ﴾ فينجّي المؤمنين ويهلك الكافرين ولهذا قال عز وجل : ﴿ وخسر هنالك المبطلون ﴾ .

---

(١) راجع الآية رقم / ١٦٤ / من سورة النساء من المجلد الأول .

﴿ اللهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ۞ (٨٠) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ ٱللهِ تُنكِرُونَ ۞ (٨١) ﴾

يمنّ الله على عباده بما خلق لهم من الأنعام المختلفة فمنها ركوبهم ومنها يأكلون كالإبل والبقر والخيل والغنم وما يشبه وينتفع بلحومها و لبنها وحمل الأثقال ويلبس صوفها ووبرها ولذا قال تعالى ﴿ لتركبوا منها ومنها تأكلون ۞ ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجةً في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾ وقوله جل وعلا : ﴿ ويريكم آياته ﴾ أي براهينه في الآفاق وفي أنفسكم ﴿ فأيَّ آيات الله تنكرون ﴾ أي لا تقدروا على إنكارِ شيء من آياته إلا أن تعاندوا وتكابروا .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي ٱلْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۞ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ۞ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَافِرُونَ ۞ (٨٥) ﴾

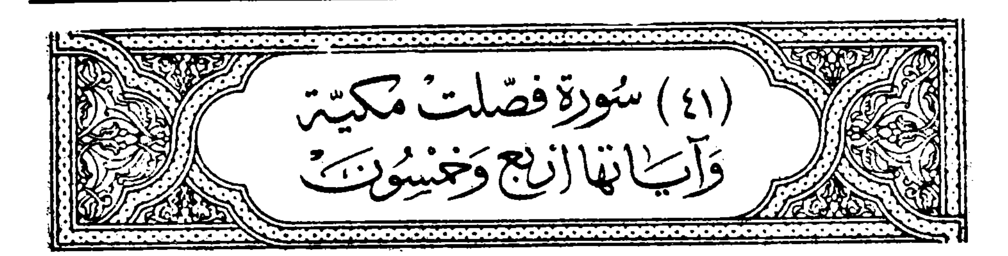
يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسل في قديم الدهر وما حل بهم من العذاب الشديد مع شدة قواهم وآثارهم في الأرض**فما أغنى**عنهم ذلك ولا منعهم من بأس الله وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل ولم يلتفتوا لحججهم وبراهينهم ، واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم

عما جاءتهم به الرسل . قال مجاهد : قالوا نحن أعلم منهم لن نبعث ولن نعذب. ﴿ وحاق بهم ﴾ أي أحاط بهم العذاب ﴿ ما كانوا به يستهزئون ﴾ أي الذي كانوا يكذبون به ﴿ فلما رأوا بأسنا ﴾ أي عاينوا وقوع العذاب بهم ﴿ قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ﴾ أي وحدوا الله عز وجل وكفروا بالطاغوت ولكن حيث لا تقال العثرات ولا تنفع المعذرة. وهذا كما قال فرعون لعنه الله حين أدركه الغرق : ﴿ آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ قال الله تبارك وتعالى ﴿ الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾ [1] أي فلم يقبل الله منه لأنه قد استجاب لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام دعاءه عليه حين قال : ﴿ واشدد على قلوبهم فلا يؤ منوا حتى يروا العذاب الأليم ﴾ وكذلك قال تعالى ههنا ﴿ فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده ﴾ أي هكذا حكم الله في جميع من تاب عند معاينة العذاب أنه لا يُقبل منه. ولهذا جاء في الحديث : ٦٧ [ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر] أي فإذا غرغر وبلغت الروح الحنجرة وعاين الملك فلا توبة حينئذ. ولهذا قال تعالى : ﴿ وخسر هنالك الكافرون ﴾ .

آخر اختصار تفسير سورة المؤمن « غافر » ولله الحمد
والمنة والفضل والشكر وحده

---

(١) قلت : هذه الآية وما بعدها من التفسير.. لدليل واضح جلي، على ان فرعون عليه لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، لم يقبل إيمانه. لأنه تأخر إلى حين معاينة العذاب الذي كان يتوعده به موسى عليه الصلاة والسلام ولذلك قال له الله تعالى : « آلآن ... ؟ ! ! وقد عصيت قبل... وكنت من المفسدين» ولكن ما تزال طائفة من المسلمين -- زعموا -- يشفقون على فرعون ويقولون بإيمانه ونجاته فنسأله تعالى أن يهديهم إلى الحق وإن أبوا فاللهم احشرهم معه .



نزلت بعد سورة المؤمن «غافر»

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۞ (١) تَنْزِيلٌ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ (٣) بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۞ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ۞ (٥)﴾

يقول تعالى: ﴿حمٓ * تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ يعني القرآن منزل من الرحمن الرحيم كقوله تعالى: ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق﴾ وقوله تبارك وتعالى: ﴿كتاب فصلت آياته﴾ أي بينت معانيه، وأحكمت أحكامه، ﴿قرآناً عربياً﴾ أي بيناً واضحاً فمعانيه مفصلة، وألفاظه واضحة غير مشكلة. كقوله تعالى: ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ أي هو معجز بلفظه ومعناه. وقوله تعالى: ﴿لقوم يعلمون﴾ أي إنّما يعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون ﴿بشيراً ونذيراً﴾ بشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين ﴿فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾ أي أكثر قريش لا يفهمون منه شيئاً مع بيان وضوحه ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة﴾ أي مغطّاة ﴿مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر﴾ أي صمم عمّا جئتنا به. ﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ فلا يصل إلينا شيء مما تقول ﴿فاعمل إننا عاملون﴾ أي أعمل أنت على طريقتك ونحن على طريقتنا لا

نتابعك . روى الإمام العالم عبد بن حميد في مسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : ٦٨ [اجتمعت قريش يوماً فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعاب ديننا ، فليكلمه ولننظر ماذا يرد عليه فقالوا ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة ، فقالوا أنت يا أبا الوليد فأتاه عتبة فقال : يا محمد أنت خير أم عبدالله؟ فسكت رسول الله ﷺ . فقال : أنت خير أم عبدالمطلب ، فسكت رسول الله ﷺ . فقال : إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك ، فقد عبدوا الآلهة التي عبت ، وان كنت تزعم انك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا وشتت أمرنا ، وعبت ديننا وفضحتنا في العرب ، حتى لقد طار فيهم ان في قريش ساحراً ، وأن في قريش كاهناً والله ما ننتظر إلاّ مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى ، أيها الرجل ان كان إنما بك الحاجة ، جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً واحدا . وان كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً . فقال رسول الله ﷺ : « فرغت » [1] قال نعم ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . حمٓ . تنزيل من الرحمن الرحيم ـ حتى بلغ ـ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . ﴾ فقال عتبة : حسبك حسبك ما عندك غير هذا فقال رسول الله ﷺ « لا » فرجع إلى قريش فقالوا ما وراءك ؟ قال ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمون به إلاّ كلمته . قالوا فهل أجابك ؟ قال : نعم ... لا والذي نصبها بنية ما فهمت شيئاً مما قاله ، غير انه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . قالوا ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال ؟ قال ، لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة]

وهذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده مثله سواءً ، وقد ساقه البغوي في تفسيره بسنده عن جابر بن عبدالله فذكر الحديث إلى قوله تعالى ٦٩ [...مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ، ورجع إلى أهله ، ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم . فقال أبو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا إليه . فقال أبو جهل : يا عتبة ما حبسك عنّا إلا أنك صبأت إلى محمد وأعجبك طعامه ، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك

---

(١) قلت : وقوله / ص / « فرغت » فيه دليل على مراعاة أدب المناظرة أي يظل المناظر ساكتاً حتى تنتهي محدثه .

من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد ، فغضب عتبة ، وأقسم أن لا يكلم محمداً أبداً وقال : والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً ، ولكني أتيته وقصصت عليه القصة ، فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ، وقرأ السورة إلى قوله تعالى : ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ فأمسكت بفيه وناشدته با لرحم أن يكف ، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخشيت ان ينزل بكم العذاب] وجاء في رواية محمد بن اسحق... ٧٠ [قالوا ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي ، خلوا ما بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به . قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم .]

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۝ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝ (٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ (٨) ﴾

يقول تعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء المكذبين المشركين ﴿ إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ﴾ لا كما تعبدون من الأصنام والأنداد ، إنما الله إله واحد . ﴿ فاستقيموا إليه ﴾ أي اخلصوا له العبادة كما أمركم به على ألسنة الرسل. ﴿ واستغفروه ﴾ أي من سالف الذنوب ، ﴿ وويل للمشركين ﴾ أي دمار لهم وهلاك عليهم ﴿ الذين لا يؤتون الزكاة ﴾ المراد هنا بالزكاة الزكاة التي هي طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك . وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها تطهره من الحرام ، وتكون سبباً لزيادته وبركته ، وتوفيقاً لاستعماله في الطاعات وهكذا فهي تشمل الطهارتين طهارة النفس من الشرك وطهارة المال من حق المستحقين منه . ثم قال جل جلاله : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ﴾ أي غير منقطع فهو أجر متصل لا ينقطع أبداً كقوله تعالى : ﴿ ماكثين فيها أبداً ﴾ وذلك من فضل الله ومنّه وكرمه .



﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۞ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۞ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ (١٢) ﴾

هذا انكار من الله تعالى على المشركين الذين عبدوا معه غيره وهو الخالق لكل شيء ، القاهر لكل شيء ، المقتدر على كل شيء فقال : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ﴾ أي نظراء وأمثالاً تعبدونها معه ﴿ ذلك رب العالمين ﴾ أي الخالق لكل شيء وهنا تفصيل لقوله تعالى : ﴿ خلق السموات والأرض في ستة أيام ﴾ [١] ففصل ما يختص بالأرض مما اختص بالسماء فذكر أنه خلق الأرض أولاً . كما قال تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ﴾ الآية فأما قوله تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ، ومرعاها * والجبال أرساها * متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ ففي هذه الآية أن الدحو أي دحو الأرض كان بعد خلق السموات واما خلق الأرض فقبلها بالنص وبهذا أجاب ابن عباس رضي الله عنهما فيما ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية في صحيحه – نقتطف منه ما يختص بالموضوع ... (وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ، ثم دحى الأرض ، ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى ، وخلق الجبال والرمال والجماد والآكام ، وما بينهما في يومين آخرين فذلك

---

(١) جاءت في أربعة مواضع في القرآن وذلك كما يلي : في الأعراف الآية /٥٤/ ، ويونس /٣/ وهود /٧/ والحديد /٤/ .

قوله تعالى : ﴿ دحاها ﴾ وقوله تعالى : ﴿ خلق الأرض في يومين ﴾ أي خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام وخلق السموات في يومين ... (وقوله تعالى: ﴿ خلق الأرض في يومين ﴾ يعني يوم الأحد ويوم الإثنين ﴿ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها ﴾ أي جعلها مبركةً ، قابلة الخير ، والبذر والغراس وقدر فيها أقواتها وهو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس ، يعني يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع اليومين السابقين أربعة [1] ولهذا قال : ﴿ في أربعة أيام سواء للسائلين ﴾ أي لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه .وقوله تعالى : ﴿ وقدر فيها أقواتها ﴾ أي جعل في كل أرضٍ ما لا يصلح في غيرها . وقوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ وهو بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض ﴿ فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً ﴾ أي استجيبا لأمري طائعتين أو مكرهتين ﴿ قالتا أتينا طائعين ﴾ أي بل نستجيب لك مطيعين بما فينا مما تريد خلقه ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾ أي في يومين آخرين بعد خلق الأرض في يومين . ﴿ وأوحى في كل سماء أمرها ﴾ أي ما تحتاج اليه من مخلوقات كالملائكة وغيرهم من لا يعلمهم إلا هو سبحانه ﴿ وزينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ وهي الكواكب المنيرة المشرقة على أهل الأرض ﴿ وحفظاً ﴾ أي حرساً من الشياطين أن تستمع من الملأ الأعلى ﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ أي عزّ كل شيء فغلبه وقهره. والعليم بحركات مخلوقاته وسكناتهم جميعاً . سبحانه وتعالى وتبارك وله الحمد دائماً .

---

(١) قلت : على فرض ثبوت تعيين أسماء الأيام التي خلق الله فيها الأرض والسماء – مع أنني أرجح العكس – فان قول المفسر الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى (ان خلق الأرض كان في يومين يعني الأحد والأثنين ، و « جعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها » أي جعلها مباركة قابلة الخير وقدر فيها أقواتها وهو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس يعني يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع اليومين السابقين أربعة) فيلزم من قوله هذا أن الدحو كان بعد خلق الأرض وقبل خلق السماء لأن الأرض في يومي الأحد والأثنين وتعيين الأرزاق والزرع الذي يستلزم الماء والرعي في يومي الثلاثاء والأربعاء . بينما يقول الله تعالى ... أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها » فثبت بهذه الآية أن الله تعالى أخرج من الأرض ماءها ومرعاها وأرزاقها بعد خلق السماء فعلى أساس ترتيب أسماء الأيام الذي ذكره ابن كثير رحمه الله يلزم ان يكون خلق السماء يوم الثلاثا والأربعا أي بعد خلق الأرض الذي كان في يومي الأحد والأثنين لا يوم الخميس والجمعة ، وان يكون دحو الأرض واخراج مائها ومرعاها يوم الخميس والجمعة لا يوم الثلاثا والأربعا لأن الله أخبرنا : « والأرض بعد ذلك دحاها » أي بعد خلق السماء . لا شك ان التمسك بأسماء الأيام هو الذي أحدث هذه البلبلة والتناقض. مع أن ذكر الأسماء يظهر انه من اخبار بني اسرائيل ولم تثبت به الأحاديث عن المعصوم صلى الله عليه وسلم بل هي نقل عن كعب الأحبار . والله الموفق .

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق، إن أعرضتم عما جئتكم به من عنده تعالى فإني انذركم حلول نقمة الله بكم كما حلت بالأمم الماضين المكذبين بالمرسلين. ﴿صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ أي ومن كان على ما هم عليه من التكذيب ﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ أي في القرى المجاورة لهم بعث الله إليهم الرسل يأمرون بعباده الله وحده لا شريك له مبشرين ومنذرين، ومع هذا لم يؤمنوا بل كذبوا وجحدوا وقالوا: ﴿لو شاء ربنا لأنزل ملائكة﴾ أي لكانوا رسلاً من الملائكة ﴿فإنا بما ارسلتم به﴾ يا أيها البشر ﴿كافرون﴾ أي لا نتبعكم وانتم بشر مثلنا. قال الله تعالى: ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض﴾ أي بغوا وعتَوْا وعصَوا ﴿وقالوا من أشد منّا قوّة﴾ أي منّوا بشدة تركيبهم وقواهم، وأنهم يمتنعون بها من بأس الله ﴿أولم يرَوْا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوّة﴾ أي أن الذي خلق قوتهم لهم وخلق كلَّ شيء أليس هو أقوى منهم؟ ومن البدهي أن يكون الذي خلَقَ أقوى من

المخلوق فبارزوا الجبار، وجحدوا آياته، وعصوا رسله.فلهذا قال: ﴿ فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً ﴾ وهي شديدة الهبوب باردة لها صوت مزعج لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم . وقوله تعالى : ﴿ في أيام نحسات ﴾ أي متتابعات ﴿ سبع ليال وثمانية أيام حسوما ﴾ حتى أبادهم عن آخرهم ، واتصل بهم خزي الحياة الدنيا بعذاب الآخرة.ولهذا قال تعالى : ﴿ لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى﴾ أشدّ خزياً لهم ﴿ وهم لا ينصرون ﴾ أي في الأُخرى كما لم ينصروا في الدنيا وما كان لهم من الله من يقيهم العذاب والنكال . وقوله تعالى : ﴿ وأما ثمود فهديناهم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره بيّنا لهم. وقال الثوري دعوناهم ﴿ فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ أي وضّحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح عليه السلام فخالفوه وكذبوه وعقروا ناقة الله التي جعلها آية وعلامة على صدق نبيّهم ﴿ فأخذتهم صاعقة العذاب الهون ﴾ أي بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلاً وهواناً وعذابا ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ أي من التكذيب والجحود ﴿ ونجينا الذين آمنوا ﴾ أي من بين أظهرهم لم يمسّهم سوء ولا نالهم من ذلك ضرر بل نجّاهم الله تعالى مع نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام بإيمانهم وتقواهم لله عزّ وجلّ.

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى : ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ﴾ أي أذكر لهؤلاء المشركين يوم يُحشرون إلى النار يوزعون أي تجمع الزبانيةُ أولهم على آخرهم كما

قال تبارك وتعالى : ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ﴾ أي عطاشاً وقوله عز وجلّ ﴿ حتى إذا ما جاؤوها ﴾ أي وقفوا عليها ﴿ شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾ أي مما قدموه وأخروه لا يكتم منه حرف ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ﴾ أي لاموا أعضاءهم وجلودهم حين شهدوا عليهم فأجابتهم الأعضاء : ﴿ قالوا أنطقنا الله الذي انطق كلّ شيء وهو خلقكم أول مرة ﴾ أي فهو لا يخالف ولا يمانع وإليه ترجعون .

روى الحافظ أبو بكر البزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ٧١ [ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم وتبسم فقال ﷺ « ألا تسألوني عن أي شيء ضحكت » قالوا : يا رسول الله من أي شيء ضحكت ؟ قال ﷺ « عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول أي ربّي أليس وعدتني أنّ لا تظلمني ، قال بلى فيقول فإني لا أقبل علي شاهداً إلاّ من نفسي ، فيقول تبارك وتعالى أوليس كفى بي شهيداً وبالملائكة الكرام الكاتبين – قال – فيردّد هذا الكلام مراراً – قال – فيختم على فيه وتتكلم أركانه بما كان يعمل ، فيقول : بعداً لكن وسحقاً ، عنكنّ كنت أجادل] وقد أخرجه مسلم والنسائي جميعاً عن أبي بكر بن أبي النضر وقوله تعالى : ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ أي تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم ما كنتم تكتمون منّا الذي كنتم تفعلونه بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي ولا تبالون منه في زعمكم لأنكم كنتم لا تعتقدون انه يعلم جميع أفعالكم ولهذا قال تعالى : ﴿ ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون . وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ﴾ أي هذا الظن الفاسد، وهو اعتقادكم أن الله تعالى لا يعلم كثيراً ممّا تعملون، هو الذي أتلفكم وأرداكم عند ربّكم. ﴿ فأصبحتم من الخاسرين ﴾ أي في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهليكم. روى الإمام أحمد عن عبدالله قال : ٧٢ [كنت مستتراً بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر ، قرشي وختناه ثقفيان – أو ثقفي وختناه قرشيان – كثيرٌ شحم بطونهم قليلٌ فقه قلوبهم ، فتكلموا بكلام لم أسمعه ، فقال أحدهم : أترون الله يسمع كلامنا هذا ، فقال الآخر ، إنّا إذا رفعنا أصواتنا سمعه، وإذا لم نرفعه لم يسمعه، فقال الآخر إن سمع منه شيئاً سمعه كله. قال فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله عز وجل : ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم – إلى قوله – من الخاسرين ﴾] وهكذا رواه الترمذي وأخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود به . وروى الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ٧٣ [لا يموتنّ أحد منكم إلاّ وهو يحسن بالله

الظن، فإن قوماً قد أرداهم سوء ظنهم بالله. فقال الله تعالى : ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فاصبحتم من الخاسرين ﴾ .]

وقوله تعالى : ﴿ فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين ﴾ أي سواء عليهم صبروا أم لم يصبروا هم في النار لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها ، وإن طلبوا أن يستعتبوا ويبدوا أعذاراً فما لهم أعذار ولا تقال لهم عثرات .

قال ابن جرير : ومعنى قوله تعالى : ﴿ وإن يستعتبوا ﴾ أي يسألوا الرجعة إلى الدنيا فلا جواب لهم قال وهذا كقوله تعالى إخباراً عنهم : ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين . ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنّا ظالمون . قال اخسأوا فيها ولا تكلمون ﴾

﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمْ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ۝ (٢٥) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۝ (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ (٢٧) ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءً بِمَا كَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝ (٢٨) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ۝ (٢٩) ﴾

يذكر تعالى أنه هو الذي أضل المشركين وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته وهو الحكيم في أفعاله بما قيض لهم من القرناء من شياطين الأنس والجن [1] ﴿ فزيّنوا لهم ما بين أيديهم

(١) قلت : إن قول المفسر الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى ، (أن الله تعالى هو الذي أضل المشركين وان ذلك بمشيئته وكونه وقدرته) ليس معنى ذلك أنهم أي المشركون استجابوا لداعي الحق ولكن الله شاء لهم الضلال ... لا ... فان الله سبحانه وتعالى منزه عن أن يفعل ذلك كقوله تعالى « وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى » يعني من أراد العسرى واختارها واستغنى عن الحق وكذب به فجزاء ذلك أن ييسره الله للعسرى حتى يكون الجزاء من نوع العمل وإن المشركين ما أضلهم الله إلا جزاء بما أعرضوا =

وما خلفهم ﴾ أي حسنوا لهم أعمالهم فلم يروا أنفسهم إلاّ محسنين.كما قال تعالى : ﴿ ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين . وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وحق عليهم القول ﴾ أي كلمة العذاب كما حقّ على أمم قدخلت من قبلهم ممن فعل كفعلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين أي استووا وإياهم في الخسار والدمار . وقوله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن ﴾ أي تواصوا فيما بينهم أن لا يطيعوا القرآن ولا ينقادوا لأوامره﴿والغوا فيه﴾ أي إذا تلي لا تسمعوا له والغوا فيه يعني بالمكاء والتصدية أي الصفير والتخليط في المنطق على رسول الله ﷺ ﴿ لعلكم تغلبون ﴾ هذا حال هؤلاء الجهلة والكفرة عند سماع القرآن، أمّا المؤمنون فهم يمتثلون أمرَ الله وقوله تعالى : ﴿ إذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ ثم قال عز وجل منتصرًا لكتابه ومنتقماً من أعدائه الكفرة : ﴿ فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ﴾ أي في مقابلة ما فعلوه عند سماعهم القرآن ﴿ ولنجزينّهم أسوأ الذي كانوا يعملون ﴾ أي بشرّ أعمالهم ﴿ ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاءً بما كانوا بآياتنا يجحدون ﴾ ﴿ وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذَيْن أضلاّنا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴾ قال هما إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه – روي ذلك عن علي رضي الله عنه وروى السدي عن علي رضي الله عنه فابليس يدعو به كل صاحب شرك وابن آدم يدعو به كل صاحب قتل كما ثبت في الحديث : ٧٤ [ما قتلت نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل] . وقولهم : ﴿ نجعلهما تحت أقدامنا ﴾ أي أسفل منا في العذاب ليكونا أشد عذاباً منا ولهذا قالوا : ﴿ ليكونا من الأسفلين ﴾ أي في الدرك الأسفل من النار كما تقدم في الأعراف – / ٣٨ / في سؤال الأتباع من الله تعالى أن يعذب قادتهم أضعاف عذابهم ﴿ قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ أي أنه تعالى قد أعطى كلاً منهم ما يستحقه من العذاب بحسب

= وقالوا : « ... قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون» وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مبلغاً لهم عن رب العالمين : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين » وقوله تعالى : « فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » فلما ظلّوا بعد كل هذا التهديد،والدعوة إلى الله تعالى ، على ما هم عليه من الشرك والعناد والكفر،واختيار هذه الصفات الخبيثة بعد الإنذار والبلاغ وصمموا على الكفر رغم ما تقدم من البيان والإنذار،فإن الله تعالى أضلّهم وأركسهم جزاء ما اختاروا لأنفسهم من الشرك والكفر والعصيان فكان إضلال الله لهم جزاء وفاقاً وذلك كقوله تعالى : « فلمـّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم » وحاشاه سبحانه من أن يضلهم بعد إذ هداهم فيما إذا سلكوا الصراط المستقيم ، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً . ولا شك أن مراد المفسر رحمه الله هو هذا الذي قلناه ولا ريب ، والحمد لله رب العالمين .

عمله كما قال تعالى : ﴿ الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون ﴾ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۞ (٣٢) ﴾

يقول تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ اي أخلصوا العقيدة والعمل لوجه الله تعالى على ما شرع سبحانه وتعالى لهم وبقوا على ذلك حتى لقوا الله . كما روى الحافظ أبو يعلى الموصلي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ٧٥ [قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ إن الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا ﴾ قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها .] وكذا رواه النسائي في تفسيره والبزار وابن جرير عن عمرو بن علي الفلاّس عن مسلم بن قتيبة به ، كذا رواه ابن أبي حاتم عن الفلاس به . ثم قال ابن جرير عن سعيد بن عمران قال : قرأت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه هذه الآية ... قال (هم الذين لم يشركوا بالله شيئاً) وعن ابن ابي حاتم بسنده عن عكرمه قال سئل ابن عباس رضي الله عنهما : أي آية في كتاب الله تبارك وتعالى أرخص ؟ قال قوله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ على شهادة ان لا اله إلا الله) وعن ابن عباس رضي الله عنهما : (﴿ قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ على أداء فرائضه .)

وروى مسلم في صحيحه والنسائي عن سفيان بن عبدالله الثقفي قال ٧٦ [قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال ﷺ : « قل آمنت بالله ثم استقم » قلت يا رسول الله : ما أكثر ما تخاف عليَّ ؟ فأخذ رسول الله ﷺ بطرف لسان نفسه ثم قال : « هذا »] .

وقوله تعالى : ﴿ تتنزل عليهم الملائكة ﴾ قال مجاهد وغيره : يعني عند الموت قائلين : ﴿ أن لا تخافوا ﴾ قال مجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿ ولا تحزنوا ﴾ على ما خلفتموه من أمر الدنيا ﴿ وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ فيبشرونهم بذهاب الشرّ وحصول الخير ، وهذا كما جاء في حديث البراء رضي الله عنه

قال ٧٧ [إن الملائكة تقول لروح المؤمن أخرجي أيتها الروح الطيبة ، في الجسد الطيّب ، كنت تعمرينه أخرجي إلى روح وريحان وربٍّ غير غضبان] وقال زيد بن أسلم : يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث ، رواه ابن أبي حاتم ، وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جداً وهو الواقع .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ أي تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار نحن كنّا أولياءكم أي قرناءكم في الحياة الدنيا نسدّدكم ونوفّقكم ونحفظكم بأمر الله . وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور ، وعند النفخة في الصور ونؤمّنكم يوم البعث والنشور ، ونجاوز بكم الصراط المستقيم ، ونوصلكم إلى جنات النعيم . ﴿ ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ﴾ أي في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه النفوس وتقرّبه العيون ﴿ ولكم فيها ما تدّعون ﴾ أي مهما طلبتم وجدتم ، وحضر بين أيديكم كما اخترتم ﴿ نزلاً من غفور رحيم ﴾ أي ضيافةً وعطاءً ، وإنعاماً من غفور لذنوبكم رحيم رؤوف حيث غفر وستر ورحم ولطف. وروى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ٧٨ [من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قلنا يا رسول الله : كلنا نكره الموت قال ﷺ ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن إذا حضر جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر اليه فليس شيء أحب اليه من أن يكون قد لقي الله تعالى فأحب الله لقاءه. قال وإن الفاجرَ ــ أو الكافرَ ــ إذا حضر جاءه بما هو صائر إليه من الشر أو ما يلقى من الشر فكره لقاء الله فكرِهَ الله لقاءه] وهذا حديث صحيح ، وقد ورد في الصحيح من غير هذا الوجه .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ إِدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝ (٣٥) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ (٣٦) ﴾

يقول عز وجل : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله ﴾ أي دعا عباد الله إليه

﴿ وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ أي هو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ، ولا يأتونه ، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير، ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى . وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد ورسول الله ﷺ أولى الناس بذلك وقيل أن هذه الآية نزلت في المؤذنين الصلحاء. والصحيح أن الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم . فأما حال نزول هذه الآية فإنه لم يكن الأذان بالكلية لأنها مكية والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة حين أُرِيَهُ عبدالله بن عبد ربه الأنصاري رضي الله عنه في منامه فقصَّه على رسول الله ﷺ ، فأمره أن يلقيه على بلال رضي الله عنه فإنه أندى صوتاً كما هو مقرر في موضعه ، فالصحيح إذاً ان هذه الآية الكريمة عامة .

على أن للمؤذنين لفضلاً وأجراً عظيمين كبيرين كما ثبت في صحيح مسلم ٧٩ [المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة] وفي السنن مرفوعاً ٨٠ [الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن فأرشد الله الأئمة وغفر للمؤذنين] روى ابن أبي حاتم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال [سهام المؤذنين عند الله تعالى يوم القيامة كسهام المجاهدين وهو بين الأذان والإقامة كالمتشحط في سبيل الله تعالى في دمه][١] وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٨١ [لو كنت مؤذناً لكمل أمري ، وما باليت أن لا انتصب لقيام الليل ولا لصيام النهار سمعت رسول الله ﷺ « اللهم أغفر للمؤذنين » ثلاثا ، قال فقلت : يا رسول الله تركتنا ونحن نجتلد على الأذان بالسيوف قال ﷺ كلاّ يا عمر إنّه سيأتي على الناس زمان يتركون الأذان على ضعفائهم وتلك لحوم حرمها الله عز وجل على النار لحوم المؤذنين] وقوله تعالى : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ﴾ أيْ فرق عظيم بين هذه وهذه ﴿إدفع بالتي هي أحسن﴾ أي من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه . وقوله عز وجل : ﴿ فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم ﴾ وهو الصديق إذا أحسنت إلىٰ من أساء اليك قادته تلك الحسنة إلى مصافاتك حتى يصير كأنه وليّ لك حميم أي قريب إليك . ثم قال عزّ وجل: ﴿ وما يلقّاها إلاّ الذين صبروا وما يلقّاها إلاّ ذو حظ عظيم ﴾ أي ذو نصيب وافر من السعادة، لأنه صبر على الأذي في سبيل الله، فهو سعيد في الدنيا والآخرة . قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ،والعفو عند الإساءة فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه وليّ حميم .

وقوله تعالى : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ﴾ إن شيطان الجن لا حيلة

(١) ان هذا الحديث في حكم المرفوع لأن مثل هذا التقرير لا يمكن ان يقوله الصحابي برأيه والله أعلم .

فيه إذا وسوس إلاّ الإستعاذة بخالقه الذي سلطه عليك فإذا استعذت بالله منه كفه عنك بعكس شيطان الإنس فقد تخدعه بالإحسان إليه وقد كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يقول : ٨٢ [أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه]

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ٱللَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * (٣٧) فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا فَٱلَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ * (٣٨) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَاءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (٣٩) ﴾

ينبّه تعالى خلقه على قدرته العظيمة فلا نظير له ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ﴾ أي خلق الليل والنهار متعاقبَين لا يفتران والشمس والقمر ليعرف باختلاف سيرهما مقادير الليل والنهار والجُمَع والشهور والأعوام ويتبين أوقات حلول الحقوق والعبادات والمعاملات ، ثم لمّا كانا أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي نبه سبحانه أنهما مخلوقان عبدان من عبيده تحت قهره وتسخيره.فقال : ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ أي ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادة غيره فإنه لا يغفر أن يشرك به. ولهذا قال تعالى: ﴿فإن استكبروا﴾ عن إفراده تعالى بالعبادة ﴿ فالذين عند ربك ﴾ يعني الملائكة ﴿ يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾ كقوله عز وجل : ﴿ فإنْ يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين ﴾ وروى الحافظ أبو يعلى عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال:قال رسول الله ﷺ ٨٣ [لا تسبوا الليل ولا النهار ولا الشمس ولا القمر ولا الرياح فانها ترسل رحمة لقوم وعذاباً لقوم] وقوله تعالى : ﴿ ومن آياته ﴾ أي على قدرته على إعادة الموتى ﴿ انك ترى الأرض خاشعة ﴾ أي هامدةً لا نبات فيها بل هي ميتة ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ﴾ أي أخرجت من جميع الألوان من الزروع والثمار ﴿ إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيءٍ قدير ﴾ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ٱعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * (٤٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * (٤١) لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ * (٤٢) مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ * (٤٣) ﴾

قوله تبارك وتعالى : ﴿ ان الذين يلحدون في آياتنا ﴾ قال ابن عباس : الإلحاد وضع الكلام على غير مواضعه . وقال قتادة هو الكفر والعناد . وقوله عز وجل : ﴿ لا يخفون علينا ﴾ فيه تهديد شديد ووعيد أكيد أي انه تعالى عالم بمن يلحد في آياته واسمائه وصفاته وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال. ولهذا قال تعالى ﴿ أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة ﴾ ؟ أي أيستوي هذا وهذا ؟ لا يستويان . ثم قال عز وجل تهديداً للكفرة : ﴿ إعملوا ما شئتم ﴾ أي من خيرٍ أو شر إنه عالم بكم ، بصيرٌ بأعمالكم. ولهذا قال تعالى : ﴿ إنه بما تعملون بصير ﴾ ثم قال جل جلاله : ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم ﴾ أي القرآن ﴿ وإنه لكتابٌ عزيز ﴾ أي منيع الجانب لا يرام أن يأتي أحد بمثله ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ أي ليس للبطلان إليه سبيل لأنه : ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾ أي حكيم في أقواله وأفعاله حميد أي محمود في جميع ما يأمر به وينهى عنه ، الجميع محمودة عواقبه وغاياته . ثم قال عز وجل : ﴿ ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ﴾ أي ما يقال لك من التكذيب إلاّ كما قيل للرسل من قبلك فكما كُذِّبْتَ كُذّبوا وكما صبروا على الأذى فاصبرْ أنتَ كذلك على أذى قومِك لك. وقوله تعالى: ﴿ إن ربك لذو مغفرة ﴾ أي لمن تاب إليه ﴿ وذو عقاب أليم ﴾ أي لمن استمر على كفره وطغيانه ومخالفته .

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي

اذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَـٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ❁(٤٤) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ❁ (٤٥)

لما ذكر الله تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته وأحكامه في ألفاظه ومعانيه ومع هذا لم يؤمن به المشركون ، نبّه على أن كفرهم به كفر عناد وتعنت كما قال عز وجلّ : ﴿ ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ﴾ وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغة العجم لقالوا على وجه التعنّت والعناد : ﴿ لولا فصلت آياته أأعجمي وعربيّ ﴾ أي لقالوا هلاّ أنزل مفصلاً بلغة العرب ، ولأنكروا ذلك فقالوا أعجمي وعربي أي كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه ؟ هكذا روي هذا المعْنَى عن ابن عباس وغيره . ثم قال عز وجل : ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ﴾ أي قل يا محمد هـــذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والرّيب[1] ﴿ والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر ﴾ أي لا يفهمون ما فيه ﴿ وهو عليهم عمى ﴾ أي لا يهتدون إلى ما فيه من البيان ﴿ أولئك ينادَوْن من مكان بعيد ﴾ قال ابن جرير : معناه كأنّ من يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد لا يفهمون ما يقول. وقوله تبارك وتعالى: ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختُلِف فيه ﴾ أي كُذِّب وأوذي ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم مـــن

(١) إلاّ ما ورد فيه النص ، كالفاتحة للدّيغ والمعوّذتين للمسحور والمعيون ...

وهذا ردّ على من يعتقد انه شفاء للأمراض الجسدية فيتخذون من آياته تمائم وحجباً،يزعمون أنها تشفي أمراضهم. ولا يتخذون الوسائل التي أمر الله بأخذها كالادوية والعقاقير فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ٥٤٦«(ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء) ويروى عنه صلى الله عليه وسلم ٥٤٧(تداووا عباد الله فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء) ولا شك أن الدعاء جيد ومطلوب،والتوسل بكلام الله تعالى رجاء الشفاء مع الأخذ بالأسباب كالدواء جيد والله سبحانه يأذن بالشفاء إن شاء وقدر . أما أن نجعل القرآن تمائمَ وعزائمَ فالله سبحانه ما أنزله إلا ليكون دستوراً ينشىء دولة إسلامية عظمى، تقر حكم الله على الأرض، كما يحب ويرضى . ولو كان القرآن وآياته شفاءً للأجساد دون الأرواح ،لكان يشفي صدور وأجساد غير المؤمنين لأن الأجساد إن كان أصحابها مؤمنين أو غير مؤمنين هي هي وتركيبها واحد لا يتبدل ولا ولا يتغيّر فالشيء الذي يكون سبباً لشفاء جسد المؤمن يكون في الوقت نفسه سبباً لشفاء جسد غير المؤمن ولكن الله تعالى قال: «قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء» وقال أيضاً سبحانه « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلاّ خساراً » فعلم ان الشفاء معنوي أي من الشرك والشك والكفر، بما فيه من الحجج الدامغة والأدلة الواضحة على وجود الله تعالى وإرسال رسله وأنبيائه بالشرع القويم والصراط المستقيم وإنه هو الدواء الناجح لإنقاذ القلوب والنفوس من الضلال إلى الهدى وإنقاذ الأمم من الذل إلى العز الدائم في ظلال أحكامه التي لا يأتيها الباطل . ولو أن الأمة الاسلامية ظلت متمسكة بالقرآن وآياته لظلت خيرَ أمةٍ أخرجت للناس ، ولما ضاعت أندلس الأمس.. .مثلما ضاعت أندلس اليوم فلسطين. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الرسل ﴾ ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربّك ﴾ إلى أجل مسمّى بتأخير الحساب إلى يوم المعاد ﴿ لقضيَ بينهم ﴾ أي لعجّل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً ﴿ وإنهم لفي شكّ منه مريب ﴾ أي وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لمّا قالوا: بل كانوا شاكين فيما قالوه غير محققين لشيء كانوا فيه، والله أعلم.



مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ❁ (٤٦) إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ❁ (٤٧) وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ❁ (٤٨)

يقول تعالى: ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ﴾ أي إنما يعود نفع ذلك على نفسه ﴿ ومن أساءَ فعليها ﴾ أي إنما يرجع وبال ذلك عليه ﴿ وما ربك بظلّام للعبيد ﴾ أي لا يعاقب أحداً إلاّ بذنبه ولا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجّة عليه وإرسال الرسول إليه. ثم قال جل وعلا: ﴿ إليه يرد علم الساعة ﴾ أي لا يعلم ذلك أحد سواه. كما قال جل جلاله: ﴿ لا يجلّيها لوقتها إلاّ هو ﴾ وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلاّ بعلمه ﴾ أي الجميع بعلمه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. وقوله تعالى: ﴿ ويوم يناديهم أين شركائي ﴾؟ أي يوم القيامة ينادي الله المشركين أين شركائي الذين عبدتموهم معي ﴿ قالوا آذنّاك ﴾ أي أعلمناك ﴿ ما منا من شهيد ﴾ أي ليس أحد منّا يشهد اليوم أن معك شريكاً ﴿ وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل ﴾ أي ذهبوا فلم ينفعوهم ﴿ وظنوا ما لهم من محيص ﴾ الظن هنا بمعنى اليقين، أي لا محيدَ لهم من عذاب الله. كقوله تعالى: ﴿ ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً ﴾.

لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ❁ (٤٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ

لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ❁ (٥٠) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ❁ (٥١)

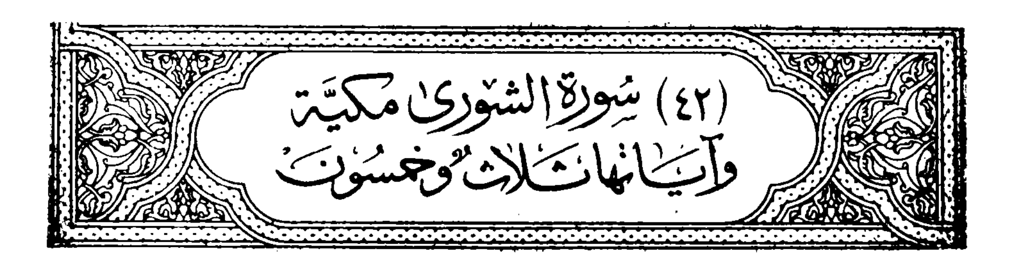
يقول تعالى لا يملُّ الإنسان من دعاء ربه بالخير وهو المال والصحة ، وغير ذلك وإن مسه الشر وهو البلاء أو الفقر ﴿ فيؤوس قَنوط ﴾ أي يقع في ذهنه أنه لا يتهيأ له بعد هذا خير ﴿ ولئن أذقناه رحمةً منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي ﴾ أي إذا أصابه رزق بعد ما كان في شدة ليقولن هذا لي إني كنت استحقه عند ربي ﴿ وما أظن الساعة قائمةً ﴾ أي يكفر بقيام الساعة أي لأجل أنه خوّل نعمةً يبطر ويفخر ويكفر. كما قال تعالى : ﴿ كلا إن الإنسان ليطغَىٰ . أن رآه استغنى ﴾ ﴿ ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى ﴾ أي ولئن كان ثم معاد فليحسننَّ إليَّ ربي كما أحسن إلي في هذه الدار. يتمنى على الله عز وجل، مع إساءته العمل وعدمِ اليقين. قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فلننبئنَّ الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنّهم من عذاب غليظ ﴾ يتهدَّد تعالى من كان هذا عمله واعتقاده، بالعقاب والنكال. ثم قال تعالى : ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأىٰ بجانبه ﴾ أي أعرض عن الطاعة واستكبر عن الانقياد لأوامر الله عز وجل ﴿ وإذا مسه الشر ﴾ أي الشدة ﴿ فذو دعاء عريض ﴾ أي يطيل المسألة في الشيء الواحد، فالكلام العريض: ما طال لفظه وقلّ معناه. والوجيز عكسه، وهو ما قل ودل. وقد قال تعالى: ﴿ وإذا مس الإنسان الضرُّ دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلمّا كشفنا عنه ضرّه مرَّ كأن لم يدعنا إلى ضرٍ مسّه ﴾ الآية .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ❁ (٥٢) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ❁ (٥٣) أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ❁ (٥٤)

يقول تعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن ﴿ أرأيتم إن كان ﴾ القرآن ﴿ من عند الله ثم كفرتم به ﴾ أي كيف حالكم عند الذي أنزله على رسوله ؟ ولهذا قال عزّ وجلّ ﴿ من أضلّ ممن هو في شقاق بعيد ﴾ ؟ أي في كفر وعناد ومشاقّة للحق، ومسلك بعيد من الهدى . ثم قال عز وجلّ:﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ﴾ أي سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله ، على رسوله ﷺ بدلائل خارجية : ﴿ في الآفاق ﴾ من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان، ودلائل في أنفسهم مثل وقعة بدر وفتح مكة، ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم، نصر اللهُ فيها محمّداً ﷺ وصحبه، وخذل فيها الباطل وحزبه . ويحتمل أن يكون المراد من قوله تعالى : ﴿ وفي أنفسهم ﴾ ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والاختلاط والهيئات العجيبة كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى ، وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة من حسن وقبح وغير ذلك وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله وقوته وحيله وحذره أن يجوزها ولا يتعداها . وقوله تبارك وتعالى :

﴿ حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكفِ بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ أي كفى بالله تعالى شهيداً على أفعال عباده وأقوالهم وهو يشهد أن محمداً ﷺ صادق فيما أخبر به عنه. كما قال تعالى : ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه ﴾ الآية وقوله تعالى : ﴿ ألا إنهم في مرية من لقاء ربّهم ﴾ أي في شكٍ من قيام الساعة والحساب. ولهذا لا يتفكرون فيه، ولا يعملون له ولا يحذَرون منه، مع أنه كائن لا محالة. ﴿ ألا إنه بكل شيء محيط ﴾ أي بالمخلوقات كلها. وهي تحت قهره وفي قبضته، وهو المتصرف فيها كلها بحكمه، وحده لا شريك له ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا إله إلاّ هو وحده لا شريك له ولا ند ولا مثيل له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . .

آخر اختصار تفسير سورة فصلت ولله الحمد والمنة .



إلاّ الآيات ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٧ فمدنيّة نزلت بعد سورة فصلت

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ ۞ (١) عٓسٓقٓ ۞ (٢) كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ (٣) لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۞ (٤) تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ (٥) وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۞ (٦) ﴾

روى مالك رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها قالت : ٨٤ [إن الحارث بنَ هشام سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ « أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ، فيُفصَم عني وقد وعَيْتُ ما قال . وأحياناً يأتيني الملكُ رجلاً، فيكلمني فأعي ما يقول. » قالت عائشة رضي الله عنها فلقد رأيته ينزل عليه الوحيُ في اليوم الشديدِ البردِ، فيُفصَمُ عنه وإن جبينَهَ ﷺ ليتفصّد عَرَقاً] **﴿ كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلكَ الله العزيز الحكيم ﴾** أي كما أنزل إليك هذا القرآن كذلك أنزل الكتب **والصحف على الانبيـاء قبلك**

وقوله ﴿ له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم ﴾[١] كقوله تعالى: ﴿ وهو العلي الكبير ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ تكاد السموات يتفطرن من فوقهن ﴾ أي فرقاً من العظمة ﴿ والملائكة يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون لمن في الأرض ﴾ كقوله جل وعلا : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً ﴾ وقوله ﴿ ألا إن الله هو الغفور الرحيم ﴾ إعلام بذلك وتنويهٌ به . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ﴾ يعني المشركين ﴿ الله حفيظ عليهم ﴾ أي شهيد عليهم ، وعلى أعمالهم يحصيها ويعدها عدّاً ، وسيجزيهم بها أوفر الجزاء ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ أي إنما أنت نذير ، والله على كلّ شيء وكيل .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝ (٧) وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ (٨) ﴾

يقول تعالى وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك ﴿ وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً ﴾ أي واضحاً جليّاً بيناً ﴿ لتنذرَ أم القرى ﴾ وهي مكة ﴿ ومن حوْلها ﴾ أي من سائر البلاد شرقاً وغرباً وسميت مكةُ أمّ القرى لأنها أشرف من سائر البلاد لأدلة كثيرة.وأوجزها ، وأدلها ما روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عدي بن الحمراء الزهري أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو واقف بالحزورة في سوق مكة : ٨٥ [والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجتُ منك ما خرجتُ] هكذا رواية الترمذي وقال حسن صحيح وكذا رواه النسائي وابن ماجة ﴿ وتنذر يوم الجمع ﴾ وهو يوم القيامة. وقوله تعالى : ﴿ لا ريب فيه ﴾ أي لا شك في وقوعه وقوله جل وعلا : ﴿ فريق في الجنة وفريق في السعير ﴾ كقوله تعالى : ﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ﴾ أي يغبن أهلُ الجنةِ أهلَ النار[٢] ، روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : ٨٦ [خرج علينا رسول الله ﷺ ، وفي يده كتابان فقال : « أتدرون ما هذان الكتابان »

(١) قلت : اي علي على خلقه بائن عنهم. وإنه عظيم لا يجاريه في علوه وعظمته أحد، ليس كمثله شي وهو السميع البصير .
(٢) قلت : أي يغبن المؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم في الجنة لو آمنوا .

قلنا لا إلاَّ ان تخبرنا يا رسول الله . قال رسول الله ﷺ للذي في يمينه « هذا كتاب من ربّ العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم » ثم أجمل على آخرهم ـ « لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً » ـ ثم قال للذي في يساره « هذا كتاب أهل النار بأسمائهم ، وأسماء آبائهم وقبائلهم « ثم أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً » فقال أصحابُ رسول الله ﷺ فلأيّ شيء نعمل إن كان هذا أمر قد فرغ منه قال رسول الله ﷺ « سدّدوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل ، وان صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإنّ عمل أيَّ عمل » ثم قال ﷺ بيده فقبضها ثم قال : « فرغ ربكم عز وجل من العباد » ثم قال باليمني فنبذ بها فقال فريق في الجنة » ونبذ باليسرى وقال « فريق في السعير »] وهكذا رواه الترمذي والنسائي .

* * *

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ولو شاء الله لجعلهم أمةً واحدة ﴾ أي إما على الهداية أو على الضلالة ولكنه تعالى فاوت بينهم فهدى من يشاء إلى الحق وأضل من يشاء عنه وله الحكمة والحجّةُ البالغة. ولهذا قال عزَّ وجلَّ : ﴿ ولكن يُدخِل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من وليّ ولا نصير ﴾ أي يدخل خلقهَ كلهم الجنة إلاَّ ما لا خير فيهم .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ (٩) وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۞ (١٠) فَاطِرُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ ٱلْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۞ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ (١٢) ﴾

ينكر تعالى على المشركين ، اتخاذهم آلهة من دون الله ، ويخبر انه هو الولي الحق الذي لا تنبغي العبادة إلاّ له وحده فإنه هو القادر على إحياء الموتى وهو على كل شيء قدير. ثم قال عزّ وجلّ ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ﴾ اي في كل ما اختلفتم فيه من الامور

وهذا عام في الأشياء كلها ﴿ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب﴾ أي أرجع إليه ، في جميع الأمور . وقوله جل جلاله : ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ أي خالقهما وما بينهما ﴿ جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾ أي وخلق لكم من جنسكم وشكلكم منةً عليكم وتفضلاً جعل من جنسكم ذكراً وأنثى ﴿ ومن الأنعام أزواجاً ﴾ أي وخلق لكم من الأنعام ثمانية أزواج . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ يذرؤكم فيه ﴾ أي يخلقكم فيه أي في الرحم جيلاً بعد جيل ، ونسلاً بعد نسل من الناس والأنعام ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ في الخلق وفي سائر صفاته العُلى لأنه لا ندّ لَهُ ولا نظيرُ له. ﴿ وهو السميع البصير ﴾ وقوله تعالى : ﴿ له مقاليد السموات والأرض ﴾ أي أنه المتصرف فيهما وتقدم تفصيل ذلك في سورة الزُّمَر ﴿ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ أي يوسع ويضيق له الحكمة والعدل التام ﴿ إنه بكل شيء عليم ﴾ .



﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ۞ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ۞ (١٤) ﴾

يقول تعالى لهذه الأمة ﴿ شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك ﴾ فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهم إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية الأحزاب عليهم في قوله تبارك وتعالى : ﴿ وإذ أخذنا من النبيّينَ ... ﴾ والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له. كما قال عز وجل : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون. ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ أي وصّى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الافتراق والاختلاف . وقوله تعالى : ﴿ كبر

على المشركين ما تدعوهم إليه ﴾ أي شق عليهم وأنكروا ما تدعوهم إليه يا محمد من التوحيد. ثم قال تعالى : ﴿ الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾ أي هو الذي يقدّر الهداية لمن يستحقها، ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشاد ولهذا قال تعالى: ﴿ وماتفرقوا إلاّ من بعد ما جاءهم العلم ﴾ أي خالفوا الحق بعد قيام الحجة عليهم بدافع البغي والمشاقّة. ثم قال عز وجل ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمّى ﴾ أي لولا الكلمة السابقة من الله تعالى بتأجيل العباد لإقامة حسابهم إلى يوم المعاد لعجّل عليهم العقوبة في الدنيا سريعاً . وقوله جلت عظمته ﴿ وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم ﴾ يعني الجيل المتأخر المكذب بالحق ﴿ لفي شكٍ منه مريب ﴾ اي ليسوا على يقين من أمرهم وإيمانهم وإنّما هم مقلدون لآبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا برهان ، وهم في حيرةٍ من أمرهم وشكٍ مريب وشقاق بعيد .

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾

اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات ، كلّ منها منفصلة عن التي قبلها حكم برأسها قالوا : لا نظير لها إلاّ آية الكرسي ، فانها عشرة فصول كهذه . وقوله تعالى : ﴿ فلذلك فادعُ ﴾ أي فللذي أوحينا إليك ممّا وصيّنا به قبلك من المرسلين فادعُ الناسَ إليه ، وقوله تعالى : ﴿واستقم كما أمرت ﴾ اي واستقم أنت ومن اتبعك في حدود أوامر الله تعالى بلا زيادة أو نقص ، وقوله تعالى : ﴿ ولا تتبع أهواءهم ﴾ يعني المشركين فيما كذّبوه وافتروه من عبادة الأوثان . وقوله عز وجل : ﴿ وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ﴾ أي جميع الكتب المنزلة . وقوله تعالى : ﴿ وأمرت لأعدل بينكم ﴾ أي في الحكم كما أمرني الله ، وقوله جلت عظمته : ﴿ الله ربّنا وربكم ﴾ أي هو خالقنا وخالقكم ولذلك فهو وحده يستحق العبادة لا معبود إلا هو . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ أي كما قال تعالى : ﴿ وإنْ كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لا حجة بيننا وبينكم ﴾ أي لا

خصومة وذلك قبل نزول آية السيف لأن هذه الآية مكية ، وآية السيف بعد الهجرة . وقوله عزّ وجل ﴿ الله يجمع بيننا ﴾ أي يوم القيامة . وقوله تعالى : ﴿ وإليه المصير ﴾ أي المرجع يوم الحساب .

﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۞ (١٦) ٱللَّهُ ٱلَّذِي أَنْزَلَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ أَلَا إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۞ (١٨) ﴾

يتوعد الله الذين يصدّون المؤمنين به عما سلكوه من الهدى . هؤلاء ﴿ حجتهم داحضة عند ربهم ﴾ أي باطلة ﴿ وعليهم غضب ﴾ منه ﴿ ولهم عذاب شديد ﴾ يوم القيامة قيل هؤلاء هم المشركون وقيل اليهود والنصارى ، وقد ضل الجميع سواء السبيل . ثم قال تعالى : ﴿ الله الذي أُنزل الكتاب بالحق ﴾ يعني الكتب المنزلة على أنبيائه ﴿ والميزان ﴾ وهو العدل والإنصاف . أي كقوله تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقومَ الناس بالقسط ﴾ وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وما يدريك لعلّ الساعة قريب ﴾ فيه ترغيب فيها وترهيب منها وتزهيد في الدنيا . وقوله عز وجل : ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ﴾ أي يقولون متى هذا الوعد ، وإنما يقولون ذلك تكذيباً وكفراً ﴿ والذين آمنوا مشفقون منها ﴾ أي خائفون من وقوعها ﴿ ويعلمون انها الحق ﴾ أي لا محالة واقعة ومستعدون عاملون من أُجلها . وقد روي حديث متواتر في الصحاح والسنن والمسانيد ؛ وفي بعض الفاظه : ٨٧ [أن رجلا سأل رسول الله ﷺ بصوت جهوري وهو في بعض أسفاره فناداه فقال : يا محمد فقال له رسول الله ﷺ نحواً من صوته « هاؤم » فقال له : متى الساعة ؟ فقال رسول الله ﷺ « ويحك إنها كائنة فما أعددت لها ؟ فقال : حب الله ورسوله فقال ﷺ « أُنت مع من أحببت »] فقوله ﷺ « المرء مع من أحب » هذا متواتر لا محالة والغرض أنه لم يجبه عن وقت الساعة بل أمره بالاستعداد لها .

وقوله تعالى : ﴿ ألا إن الذين يمارون في الساعة ﴾ أي يجادلون في وجودها ويدفعون وقوعها ﴿ لفي ضلال بعيد ﴾ أي في جهل بيّن ، لأن الذي خلق السموات والأرض قادر على إحياء الموتى بطريق الأولى والأحرى. كما قال تعالى: ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ .

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۞ (١٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ۞ (٢٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ (٢١) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۞ (٢٢) ﴾

يخبر تعالى عن لطفه بخلقه أنه لا ينسى أحداً من رزقه ويستوي البُر والفاجر كقوله تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض إلاَّ على الله رزقها ... ﴾ وقوله جل وعلا : ﴿ يرزق من يشاء ﴾ أي يوسع على من يشاء ﴿ وهو القوي العزيز ﴾ أي لا يعجزه شيء . ثم قال عز وجل ﴿ من كان يريد حرث الآخرة ﴾ أي عمل الآخرة ﴿ نزِدلهُ في حرثه ﴾ أي نقويه ونعينه ونكثّر نماءه ونجزيه بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما يشاء الله ﴿ ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منهاوما له في الآخرة من نصيب ﴾ أي ومن كان إنما سعيه ليحصل له شيء من الدنيا وليس له إلى الآخرة همٌّ البتة بالكلية ، حرمه الله الآخرة والدنيا ، إن شاء أعطاه منها ، وإن لم يشأ لم يحصل له لا هذه ولا هذه . كما قال تعالى : ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ﴾ .

وروى الثوري عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٨٨ [بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب] وقوله جل وعلا : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ أي هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس من تحريم الحلال وتحليل الحرام وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله ﷺ قال : ٨٩ [رأيت عمرو بن لحي بن قمعة يجر قُصْبَهُ في النار] وكان أحدَ ملوك خزاعة وهو الذي حمل قريشاً على عبادة الأصنام لعنه الله وقبحه . ولهذا قال تعالى : ﴿ ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم ﴾ أي لعوجلوا بالعقوبة لولا إنظارهم إلى يوم المعاد . ﴿ وإن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ أي شديد موجع .

ثم قال تعالى : ﴿ ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا ﴾ أي في عرصات القيامة ﴿ وهو واقع بهم ﴾ أي الذين يخافونه واقع بهم لا محالة ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ﴾ فأين هذا من هذا ؟ أي أين من هو في الذل والخوف والهوان ممن هو في روضات الجنات مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؟ ولهذا قال تعالى : ﴿ ذلك هو الفضل الكبير ﴾ أي الفوز العظيم والنعمة السابغة الشاملة .

﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝ (٢٣) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَاطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ (٢٤) ﴾

يقول تعالى لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات : ﴿ ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي هذه بشارة من الله تعالى حاصلة لهم لا محالة ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم ما لا تعطونيه وانما اطلب منكم ان تكفوا شركم

عني وتذروني أبلغ رسالات ربي ، ان لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة . قال البخاري عن طاووس يحدث عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالى : ﴿ الا المودة في القربى ﴾ فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد فقال ابن عباس عجلت ... ان النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلاّ كان له فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة . انفرد به البخاري . ورواه الإمام أحمد وغيره وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم .

وروى البخاري أيضاً عن سعيد بن جبير ما معناه أنه قال معنى ذلك أن تودّوني في قرابتي أي تحسنوا إليهم وتبرّوهم ... والحق تفسير هذه الآية بما فسرها به حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما كما رواه عنه البخاري ـ آنفاً ـ ولا ننكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم . فإنهم من ذرية طاهرة من اشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً ، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنّة النبويّة الصحيحة ، الواضحة الجلية ، كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعليّ وأهل ذريته رضي الله عنهم أجمعين وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال في خطبته بغدير خم٩٠ [إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وانهما لم يفترقا حتى يردا عليّ الحوض] وروى الإمام أحمد عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه، قال: ٩١ [قلت يا رسول الله إن قريشاً إذا لقي بعضهم بعضاً لقوهم ببشرٍ حسن ، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها قال : فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً وقال « والذي نفسي بيـــده لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله »] وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : أُرقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته وفي الصحيح أن الصديق رضي الله عنه قال لعليّ رضي الله عنه قال والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي. وقال عمر بن الخطاب للعباس رضي الله عنهما : والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم لأن اسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب فحال الشيخين رضي الله عنهما هو الواجب على كل أحد أن يكون كذلك ، ولهذا كانا أفضل المؤمنين بعد النبيين والمرسلين رضي الله عنهما وعن سائر الصحابة أجمعين . ولقد أوردنا أحاديث أخر وخاصة عند قوله تعالى : ﴿ إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً ﴾ الأحزاب / ٣٣ / بما أغنى عن إعادتّها ههنا ، ولله الحمد والمنّة .

وقوله عز وجل : ﴿ ومن يقترف حسنة نزدْله فيها حسناً ﴾ أي ومن يعمل حسنة

نزدْله فيها حسناً أي أجراً وثوابا ، كقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ان الله غفور شكور ﴾ أي يغفر الكثير من السيئات ، ويكثر القليل من الحسنات ، فيستر ويغفر ويضاعف فيشكر ؛ وقوله جل وعلا : ﴿ أم يقولون افترى على الله كذباً فإن يشأ الله يختم على قلبك ﴾ أي لو افتريت عليه كذباً كما يزعم هؤلاء الجاهلون ﴿ يختم على قلبك ﴾ أي يطبع على قلبك ويسلبك ما كان آتاك من القرآن . كقوله جل وعلا : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ أي لانتقمنا منه أشد الانتقام. وما قدر أحد من الناس ان يحجزعنه. والشرط لا يقتضي الوقوع

وقوله جلّت عظمته : ﴿ ويمحُ الله الباطل ﴾ ليس معطوفاً على قوله تعالى : ﴿ يختمْ ﴾ فيكون مجزوماً بل هو مرفوع على الإبتداء . كما حذفت من قوله تعالى : ﴿ سندعُ الزبانية ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ ويحقّ الحقّ بكلماته ﴾ معطوف على : ﴿ ويمحُ ﴾ أي يحققه ويثبته ويوضحه بكلماته ، أي بحججه وبراهينه ﴿ إنه عليم بذات الصدور ﴾ أي بما تكنّه الضمائر وتنطوي عليه السرائر .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ ٱلسَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ❁ (٢٥) وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِنْ فَضْلِهِ وَٱلْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ❁(٢٦) وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ❁ (٢٧) وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ❁ (٢٨) ﴾

نصف الحزب

يمتن الله على عباده بقبول توبتهم إذا تابوا ورجعوا اليه أن من كرمه وحلمه انه يعفو ويصفح ويستر ويغفر، كقوله تعالى ﴿ ومن يعمل سوءً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾ وقد ثبت في صحيح مسلم رحمه الله تعالى عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ٩٢ [لله تعالى أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كانت راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى

شجرةً فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح] . وقد ثبت في الصحيح من رواية ابن مسعود ذلك .. وقوله ﴿ **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات** ﴾ أي يقبل التوبة في المستقبل ، ويعفو عن السيئات في الماضي ﴿ ويعلم ما تفعلون ﴾ أي هو عالم بجميع ما فعلتم وقلتم وهو مع هذا يتوب على من تاب إليه . وقوله تعالى : ﴿ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ يعني يستجيب لهم الدعاء لأنفسهم ولأصحابهم وهي كقوله عز وجل : ﴿ فاستجاب لهم ربهم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ أي يستجيب دعاءهم ويزيدهم فوق ذلك . ولهذا روى ابن أبي حاتم عن عبدالله رضي الله عنه قال : ٩٣ [قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ قال « الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع اليهم معروفاً في الدنيا»] وقوله عز وجل : ﴿ والكافرون لهم عذاب شديد ﴾ موجع مؤلم يوم معادهم وحسابهم . وقوله تعالى : ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ﴾ أي لو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان من بعضهم على بعض أشراً وبطراً . وذكر قتادة حديث : ٩٤ [إنما أخاف عليكم ما يخرج الله تعالى من زهرة الحياة الدنيا] وقال قتادة : كان يقال : خير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك .

وقوله عز وجل : ﴿ ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير ﴾ ولكن يرزقهم مما يختاره لهم، و مما فيه صلاحهم ، فيغني من يستحق الغنى ويفقر من يستحق الفقر كما في الحديث المروي : ٩٥ [ان من عبادي من لا يصلحه إلاّ الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينَه وإنّ من عبادي من لا يصلحه إلاّ الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينَه]

وقوله تعالى : ﴿ وهو الذي ينزّل الغيث من بعد ما قنطوا ﴾ أي من بعد يأس من نزول المطر ، ينزله عليهم في وقت حاجتهم إليه. كقوله عز وجل: ﴿ وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ﴾ وقوله جل جلاله ﴿ وينشر رحمته ﴾ أي يعم بها الوجود على أهل ذلك القطر وتلك الناحية . وقوله تعالى : ﴿ وهو الوليّ الحميد ﴾ أي هو المتصرّف وحده بخلقه بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم وهو المحمود العاقبة في جميع ما يقدره ويفعله.

۞ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ❁ (٢٩) وَمَآ أَصَٰبَكُمْ مِنْ

مصيبةٍ فبمَا كسبَتْ أيديكُمْ ويَعفُوا عَنْ كَثيرٍ ﴿٣٠﴾ ومَا أنتُمْ بِمُعْجزينَ فِي الأَرْضِ ومَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَليٍّ ولَا نَصيرٍ ﴿٣١﴾

يقول تعالى : ﴿ ومن آياته ﴾ الدالة على عظمته وقدرته وسلطانه ﴿ خلق السموات والأرض وما بثّ فيهما ﴾ أي ذرأ فيهما ﴿ من دابة ﴾ يشمل كل ذي رُوح على اختلاف أجناسهم وأنواعهم وقد فرّقهم في أرجاء أقطار السموات والأرض ﴿ وهو ﴾ مع هذا كلّه ﴿ على جمعهم إذا يشاء قدير ﴾ أي قادر على جمع كافة الخلق يوم القيامة في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق .

وقوله عز وجل :﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ أي مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنها هي عن سيئات تقدّمت لكم ﴿ ويعفو عن كثير ﴾ من السيئات فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾ وفي الحديث الصحيح ٩٦ [والذي نفسي بيده ما يصيب المؤمن من نصب ولا وَصَب ولا همٍّ ولا حزن إلا كفّر الله عنه بها من خطاياه حتى الشوكة يُشاكُها] .

وروى ابن أبي حاتم عن علي رضي الله عنه قال ٩٧ [ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله عزّ وجلّ وحدّثنا به رسول الله ﷺ : قال :« وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ، وسأفسّرها لك يا عليّ : ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله تعالى أحلم من أن يثنّي عليه العقوبة في الآخرة ، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله تعالى أكرم من أن يعود بعد عفوه »] .

ومِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا ويَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٣٥﴾

ومن آياته على قدرته وسلطانه تسخيره البحر لتجري فيه الفلك بأمره وهي الجواري

في البحر كالجبال، ﴿ إن يشأ يسكن الريح ﴾ التي تسير بالسفن في البحر حتى لا تتحرك بل تبقى راكدة واقفة على ظهره : ﴿ إن في ذلك لآيات لكل صبار ﴾ أي في الشدائد ﴿ شكور ﴾ في الرخاء وقوله عز وجل ﴿ أو يوبقهن بما كسبوا ﴾ أي ولو شاء لأهلك السفن وأغرقها بمن فيها بذنوبهم. ﴿ ويعفُ عن كثير ﴾ أي من ذنوبهم ، ولو آخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك كل من ركب البحر . ولكن من لطفه تعالى ورحمته أن يرسل الريح بحسب الحاجة كما يرسل المطر بقدر الكفاية . وقوله تعالى : ﴿ ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص ﴾ أي لا محيد لهم عن بأسنا ونقمتنا فانهم مقهورون بقدرتنا .

﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ ٱللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ (٣٦) وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ۞ (٣٧) وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۞ (٣٨) وَٱلَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ۞ (٣٩) ﴾

يحقر الله شأن الحياة وزينتها وما فيها من النعيم الفاني. بقوله تعالى: ﴿ فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا ﴾ أي مهما حصّلتم وجمعتم فلا تغترّوا به فإنما هو متاع الحياة الدنيا الزائلة ﴿ وما عند الله خير وأبقى ﴾ أي وثواب الله تعالى خير من الدنيا ـ وما فيها ـ فلا تقدّموا الفاني على الباقي. ولهذا قال تعالى : ﴿ للذين آمنوا ﴾ أي صبروا على ترك ملاذ الدنيا ﴿ وعلى ربّهم يتوكلون ﴾ ليعينهم على الصبر في أداء الواجبات وترك المحرّمات .

ثم قال تعالى : ﴿ والذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش ﴾ وقد قدّمنا الكلام على الإثم والفواحش في سورة الأعراف [1] ﴿ وإذاما غضبوا هم يغفرون ﴾ أي يعفون ويصفحون بسجيتهم عن الناس وقد ثبت في الصحيح : ٩٨ [أن رسول الله ﷺ ما انتقم لنفسه قط إلاّ أن تنتهك حرماتُ الله] . وقال ابن ابي حاتم عن إبراهيم : كان المؤمنون يكرهون أن يستذلّوا وكانوا إذا قدروا عَفَوْا . وقوله عزّ وجلّ : ﴿ والذين استجابوا

---

(١) الآية رقم /٣٣/

لربهم ﴾ أي اتَّبعوا رسلهُ وأطاعوا أمره واجتنبوا زجره ﴿ وأقاموا الصلاة ﴾ وهي أعظم العبادات لله عزّ وجلّ ﴿ وأمرُهم شورى بينهم ﴾ أي لا يبرمون أمراً حتى يتشاوروا فيه، ويتساعدوا في كل أمر. كما قال تبارك وتعالى : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ الآية ... ولهذا كان ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها ليُطيِّبَ بذلك قلوبهم وهكذا فقد جعل عمر الأمر بعده شورى ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ وذلك بالإحسان إلى خلق الله الأقرب إليهم منهم فالأقرب.

وقوله تعالى : ﴿ والذين إذ أصابهم البغي هم ينتصرون ﴾ أي فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم ليسوا بالعاجزين ولا الأذلّين. بل يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم ، وإن كانوا مع هذا إذا قدروا عفَوْا . كعفوه ﷺ عن غورث بن الحارث الذي أراد الفتك به ﷺ وهو نائم . فاستيقظ ﷺ وفي يد غورث السيف مصلتا فانتهره فوضعه من يده، وأخذ رسول الله ﷺ السيف في يده، ولكنه عفا عنه. وكذلك عفا ﷺ عن لبيد ابن الاعصم الذي سحره ومع هذا لم يعرض له ولا عاتبه مع قدرته عليه ، وكذلك عفوه عن اليهودية زينب أخت مرحب اليهودي الخيبري التي سمتْ الذّراع يومَ خيبر ، ولكن لما مات من السم بشر بن البراء رضي الله عنه قتلها به. وكعفو يوسف عليه السلام عن إخوته وقوله لهم : ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفرِ الله لكم ﴾ والأمثلة على ذلك كثيرة جداً والله تعالى أعلم .

﴿ وَجَزَاؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ (٤٠) وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۝ (٤١) إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝ (٤٣) ﴾

قوله تبارك وتعالى : ﴿ وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها ﴾ كقوله تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ الآية ، فشرع العدل وهو القصاص ، وندب إلى الفضل وهو العفو ، ولهذ قال تعالى ها هنا : ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ أي لا يضيع ذلك عند الله كما

صح ذلك في الحديث: ٩٩ [وما زاد الله تعالى عبداً بعفوٍ إلاّ عزّاً] ﴿ إنه لا يحب الظالمين﴾ أي المبتدئين بالسيئة . ثم قال جل وعلا ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ أي ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم . وقوله عز وجل : ﴿ إنما السبيل ﴾ أي الحرج والعنت ﴿ على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق ﴾ أي يبدأون الناس بالظلم ﴿ أولئك لهم عذاب أليم ﴾ أي شديد موجع . ثم إنّ الله تعالى لما ذمّ الظلم وأهله ، وشرع القصاص ، قال نادباً العفو والصفح. ﴿ ولمن صبر وغفر ﴾ أي صبر على الأذى ، وستر السيئة. ﴿ إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ قال سعيد بن جبير : يعني لمن حق الأمور التي أمر الله تعالى بها ، أي لمن الأمور المشكورة ، والأفعال الحميدة التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل .

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ١٠٠ [إن رجلاً شتم أبا بكر رضي الله عنه والنبيّ ﷺ جالس ، فجعل النبي ﷺ يعجب ويتبسم ، فلما أكثر رد عليه بعض قوله ، فغضب النبي ﷺ وقام ، فلحقه أبو بكر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله انه كان يشتمني وأنت جالس ، فلما رددت عليه بعض قوله ، غضبتَ وقمت قال : « إنه كان معك ملَكٌ يرد عنك، فلما رددتَ عليه بعض قوله حضر الشيطان فلم أكن لأقعد مع الشيطان ــ ثم قال ــ يا أبا بكر : ثلاث كلهن حقّ : ما من عبد ظلم بمظلمةٍ فيغضي عنها لله ، إلا أعزه الله تعالى بها ونصره ، وما فتح رجل باب عطيةٍ يريد بها صلةً إلا زاده الله بها كثرة ، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة ، إلا زاده الله عز وجل بها قلةً] وهذا الحديث في غاية الحسن في المعنى ، وهو مناسب للصديق رضي الله عنه .

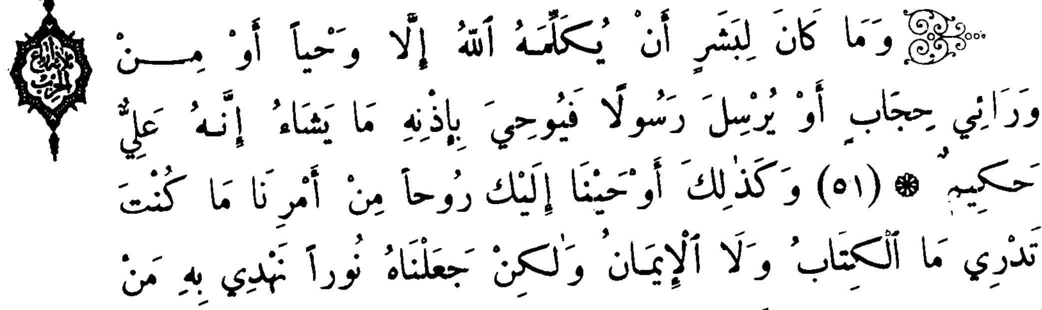
﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى ٱلظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ۞ (٤٤) وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ ٱلْخَاسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ ٱلظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ۞ (٤٥) وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ۞ (٤٦) ﴾

يخبر تعالى عن نفسه الكريمة انه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وانه من يهده فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . ثم أخبر عن الظالمين وهم المشركون بالله : ﴿ لما رأوا العذاب﴾ أي يوم القيامة تمنّوا الرجعة إلى الدنيا ﴿ يقولون هل إلى مردٍ من سبيل ﴾ كما قال عز وجلّ ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذّب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ ﴿ وتراهم يعرضون عليها ﴾ أي على النار ﴿ خاشعين من الذل ﴾ أي الذي قد اعتراهم بما اسلفوا من عصيان الله تعالى ﴿ ينظرون من طرف خفي ﴾ أي مسارقةً خوفاً منها والذي يحذرون منه واقع بهم لا محالة ، وما هو أعظم مما في نفوسهم ، أجارنا الله من ذلك ﴿ وقال الذين آمنوا ﴾ أي يقولون يوم القيامة ﴿ إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ﴾ أي ذُهِبَ بهم إلى النار خسروا أنفسهم وخسروا أحبابهم وأصحابهم ﴿ ألا إن الظالمين في عذاب مقيم ﴾ أي دائم سرمديّ أبديّ. وقوله تعالى : ﴿ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ﴾ أي ينقذونهم مما هم فيه من العذاب والنكال ، ﴿ ومن يضللِ الله فما له من سبيل ﴾ أي ليس له خلاص .

﴿ ٱسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ ٱللهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ۝ (٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنْسَانَ كَفُورٌ ۝ (٤٨) ﴾

لما ذكر الله تعالى أهوال يوم القيامة ، حذر منه وأمر بالاستعداد له فقال تعالى : ﴿ استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مردَّ له من الله ﴾ أي إذا أمر بكن يكون كلمح البصر. وقوله عز وجل ﴿ ما لكم من ملجأ يومئذٍ وما لكم من نكير ﴾ أي ليس لكم ما تتحصنون فيه ولا ما يستركم وتتنكرون فيه فتغيبون عن بصره تبارك وتعالى ، بل هو محيط بكم بعلمه وبصره وقدرته ، فلا ملجأ منه إلا إليه ﴿ فإن أعرضوا ﴾ يعني المشركين ﴿ فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ أي لست عليهم بمصيطر. كقوله تعالى : ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ وقال جل وعلا ها هنا ﴿ إنْ عليك إلاّ البلاغ ﴾ أي إنما كلفناك أن تبلّغهم رسالة الله إليهم .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ وإنا إذا أذقنا الإنسان منّا رحمةً فرح بها ﴾ أي إذا أصابه رخاء ونعمة فرح ﴿ وإن تصبهم سيئة ﴾ أي تصبِ الناسِ نقمة وشدّة ﴿ بما قدمت إيديهم فإنّ الإنسان كفور ﴾ - أي بما أذنبوا يجحدون ما تقدّم من النعم إلاّ من هداهم الله وكانوا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات. فالمؤمن كما قال ﷺ:١٠١ [إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن]



يخبر تعالى أنه المتصرّف في السموات والأرض وله المشيئة في خلقه منعاً وعطاءً ﴿ يهب لمن يشاء إناثاً ﴾ أي يرزقه بناتٍ كلوط عليه السلام ﴿ ويهب لمن يشاء الذكور ﴾ أي البنين فقط كإبراهيم عليه السلام ﴿ أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ﴾ أي يعطي لمن يشاء من الناس الزوجين الذكر والأنثى كمحمّد ﷺ ﴿ ويجعل من يشاء عقيماً ﴾ أي لا يولد له كيحيىَ وعيسى عليهما الصلاة والسلام. قاله البغوي ﴿ إنّه عليم قدير ﴾ أي عليم بمن يستحقّ كلّ قسم من هذه الأقسام قدير على تفاوت الناس في ذلك فسبحان العليم القدير .

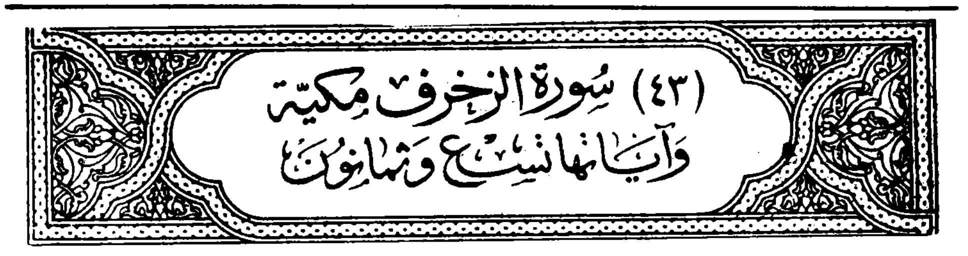


وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ ٱللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ * (٥١) وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَابُ وَلَا ٱلْإِيمَانُ وَلٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * (٥٢) صِرَاطِ ٱللهِ ٱلَّذِي لَهُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ أَلَا إِلَى ٱللهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ * (٥٣)

هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله عز وجل فتارةً يقذف في روع النبي ﷺ

شيئاً لا يتمارى فيه أنه من الله جل وعلا كما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنه قال ١٠٢ [إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب] وقوله تعالى : ﴿ أو من وراء حجاب ﴾ كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام . وقوله عز وجل : ﴿ أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء ﴾ كما ينزل جبريل عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على نبينا والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ إنه عليٌّ حكيم ﴾ فهو عليّ عليم خبير حكيم . وقوله عز وجل ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾ يعني القرآن ﴿ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ أي على التفصيل الذي شرع لك في القرآن ﴿ ولكن جعلناه ﴾ أي القرآن ﴿ نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾ كقوله تعالى : ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ﴾ الآية ...

وقوله تعالى : ﴿ وإنك ﴾ أي يا محمد ﴿ لتهدي إلى صراطٍ مستقيم ﴾ أي تدل ، ثم فسّره بقوله تعالى : ﴿ صراط الله ﴾ أي شرعِه الذي أمرَ به الله ﴿ الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴾ أي ربهما ومالكهما والمتصرّف فيهما والحاكم الذي لا معقب لحكمه ﴿ ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ أي ترجع الأمور فيفصلها ويحكم فيها سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً . آخر اختصار تفسير سورة الشورى ولله الحمد والمنة ، والشكر والفضل ، وبه التوفيق وعليه التكلان .



إلاّ الآية ٥٤ فمدنية نزلت بعد سورة الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ * (١) وَٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ * (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ ٱلْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ * (٤) أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحاً أَن كُنتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ * (٥) وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ * (٦) وَمَا يَأْتِيهِم مِن نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ * (٨) ﴾

يقول تعالى : ﴿ حم * والكتاب المبين ﴾ أي الواضح الجلي المعاني والألفاظ ، لأنه نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس . ولهذا قال تعالى : ﴿ انا جعلناه ﴾ أي انزلناه ﴿ قرآناً عربياً ﴾ أي بلغة العرب ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ أي تفهمونه وقوله تعالى : ﴿ وإنه في أم الكتاب لدينا لعليٌّ حكيم ﴾ أي بين شرفه في الملأ الأعلى فقال تعالى :﴿ وإنه ﴾ أي القرآن ﴿ في أم الكتاب ﴾ أي اللوح المحفوظ ﴿ لدينا ﴾ أي عندنا ﴿ لعلي ﴾ أي ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل ، ﴿ حكيم ﴾ أي محكم بريءٌ من اللبس والزيغ ، وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿ إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين ﴾ ولهذا استنبط العلماء رضي الله عنهم من هاتين الآيتين ان المحدِث لا يمس المصحف كما ورد به الحديث ان صح لأن الملائكة يعظمون المصاحف المشتملة على القرآن في الملأ الأعلى ، فأهل الأرض

بذلك أولى وأحرى ، لأنه نزل عليهم ، وخطابه متوجه إليهم ، فهم أحق أن يقابلوه بالإكرام والتعظيم ، والإنقياد له بالقبول ، والتسليم ، لقوله تعالى : ﴿ وإنه في أم الكتاب لدينا لعليٌّ حكيم ﴾ .

وقوله عزّ وجلّ : ﴿ أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين ﴾ اختلف المفسرون في معنى هذه الآية فقيل وقيل ... والطف قول : انه تعالى من لطفه ، ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم إلى الخير وإلى الذكر الحكيم وهو القرآن وان كانوا مسرفين معرضين عنه بل أمر به ليهتدي به من قدّر هدايته ، وتقوم الحجة على من كتب شقاوته ثم يسلّي تعالى نبيّه ﷺ بقوله عزّ وجلّ : ﴿ وكم أرسلنا من نبيٍ في الأوّلين ﴾ أي في شيع الأوّلين ﴿ وما يأتيهم من نبيّ إلاّ كانوا به يستهزئون ﴾ أي يكذبونه وبه يسخرون ﴿ فأهلكنا أشدّ منهم بطشاً ﴾ أي فأهلكنا المكذّبين بالرسل وقد كانوا أشدَّ بطشاً من قومك يا محمد كقوله تعالى : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشدَّ قوّة ﴾ والآيات في ذلك كثيرة . وقوله جلّ وعلا ﴿ ومضى مثل الأولين ﴾ أي جعلناهم عبرةً لمن بعدهم من المكذّبين أن يصيبهم ما أصابهم .كقوله تعالى في آخر هذه السورة ﴿ فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ﴾ .

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ (٩) ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ (١٠) وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۞ (١١) وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۞ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۞ (١٣) وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ۞ (١٤) ﴾

يقول تعالى : ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين : ﴿ من خلق السموات والأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم ﴾ أي ليعترفن بأن الخالق لذلك هو الله وحده لا شريك له وهم

مع هذا يعبدون معه غيره ثم قال تعالى : ﴿ الذي جعل لكم الأرض مهداً ﴾ أي قراراً ثابتةً تسيرون عليها وتقومون وتنامون مع انها مخلوقة على تيار الماء ، لكنه أرساها بالجبال لئلا تميدَ هكذا وهكذا.﴿ وجعل فيها سبلاً ﴾ أي طرقاً بين الجبال والأودية ﴿ لعلّكم تهتدون ﴾ أي في سيركم من بلد إلى بلد ﴿ والذي نزّل من السماء ماءً بقدر ﴾ أي بحسب الكفاية لزروعكم وثماركم وشربكم لأنفسكم ولأنعامكم .

وقوله تعالى وتبارك : ﴿ فأنشرنا به بلدةً ميتاً ﴾ أي أرضاً ميتاً فلما أمطرت أنبتت من كل زوج ، ثم نبه تعالى بإحياء الأرض على إحياء الأجساد يوم المعاد.فقال: ﴿كذلك تخرَجون ﴾ ثم قال عز وجلّ : ﴿ والذي خلق الأزواج كلها ﴾ أي مما تنبت الأرض من سائر أصناف الزروع والثمار وغير ذلك. ومن الحيوانات على اختلاف اجناسها ﴿ وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ﴾ أي السفن وذلل الأنعام وسخرها أكلاً وشرباً وركوباً ولهذا قال جل وعلا:﴿ لتستَووا على ظهوره ﴾ أي لتعتلوا متمكنين ﴿ على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم ﴾ فيما سخر لكم ﴿ إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ﴾ أي مقاومين ، ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه ﴿ وإنّا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ أي لصائرون إليه بعد مماتنا وإليه سيرنا الأكبر ، وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة ، كما نبه بالزاد الدنيوي على الزاد الأخروي في قوله تعالى : ﴿ وتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى ﴾ وباللباس الدنيوي على الأخروي.في قوله تعالى : ﴿ وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ﴾ .

روى الإمام أحمد عن علي بن ربيعة قال ١٠٣ [رأيت علياً رضي الله عنه أتى بدابة فلما وضع رجله في الركاب قال : بسم الله فلما استوى عليها قال الحمد لله ﴿ سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنّا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ ثم حمد الله تعالى ثلاثا وكبر ثلاثاً ثم قال : سبحانك لا إله إلا انت قد ظلمت نفسي فاغفر لي ثم ضحك ، فقلت له : مم ضحكت يا أمير المؤمنين فقال رضي الله عنه : رأيت رسول الله ﷺ فعل مثل ما فعلتُ ثم ضحك ، فقلت مم ضحكت يا رسول الله ؟ فقال ﷺ « يعجب الرب تبارك وتعالى من عبده اذا قال رب اغفر لي ، ويقول علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري »] وهكذا رواه ابو داود والترمذي ، والنسائي وقال الترمذي حسن صحيح .

روى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ١٠٤ [إن النبي ﷺ كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثاً ثم قال : ﴿ سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربّنا لمنقلبون ـ ثم يقول ـ « اللّهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ومن العمل ما

ترضى ، اللهم هوّن علينا السفر واطوِ لنا البعيد ، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا وكان ﷺ إذا رجع إلى أهله قال : « آيبون تائبون ان شاء الله عابدون لربنا حامدون »] وهكذا رواه مسلم وابو داود والنسائي والترمذي .

﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ۞ (١٥) أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ۞ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۞ (١٧) أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۞ (١٨) وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ۞ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۞ (٢٠) ﴾

يخبر تعالى عن المشركين فيما افتروه وكذبوه في جعلهم بعض الأنعام لطواغيتهم وبعضها لله تعالى ، كما قال تبارك وتعالى في سورة الأنعام : ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون ﴾ وكذلك جعلوا له من قسمي البنات والبنين أخسهما وأردأهما وهو البنات. كما قال تعالى : ﴿ ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذاً قسمة ضيزىٰ ﴾ وقال جلّ وعلا ها هنا ﴿ وجعلوا له من عباده جزءً إن الإنسان لكفورٌ مبين ﴾ ثم قال جلّ وعلا : ﴿ أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين ﴾ وهذا إنكار عليهم غاية الإنكار ثم ذكر عام الإنكار فقال جلّت عظمته : ﴿ وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظلّ وجهُه مسودّاً وهو كظيم ﴾ أي إذا بشر بالأنثى أنف غاية الأنفة ويكتئب من سوء ما بشر به ويتوارىٰ خجلاً من قومه يقول تعالى وتبارك فكيف تأنفون من ذلك وتنسبونه إلى الله عز وجل؟ ثم قال سبحانه : ﴿ أومن ينشّأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ﴾ أي المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلي منذ طفولتها واذا خاصمت فهي عاجزة عييّة كما قال بعض العرب وقد بشر ببنت : ما هي بنعم الولد ،

نصرها بكاء وبرّها سرقة . فكيف بمن هذا حالها، ينسب إلى جناب الله العظيم؟ ! ! ! .
وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ﴾ أي اعتقدوا فيهم ذلك فأنكر تعالى عليهم فقال سبحانه : ﴿ أشهدوا خلقهم ﴾ أي شاهدوه وقد خلقهم إناثاً ... ؟ ! ﴿ ستكتب شهادتهم ﴾ أي بذلك ﴿ ويُسألون ﴾ عن ذلك يوم القيامة وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ﴿ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ﴾ أي لو أراد الله لحال بيننا وبين عبادة هذه الأصنام التي هي على صور الملائكة التي هي بنات الله فإنه عالم بذلك وهو يقرنا عليه فجمعوا بين انواع كثيرة من الخطأ . ١ً ـ : جعلوا لله تعالى ولداً ٢ً ـ : دعواهم انه اصطفى البنات على البنين وجعلوا الملائكة بناته ٣ً ـ : عبدوها بلا دليل بل بمجرّد الهوى وتقليد الآباء ٤ً ـ : احتجاجهم بأن الله قدّر ذلك وشاءه لهم ولو كانت عبادتهم غير صحيحة ما عبدوا هذه الأصنام التي هي صور الملائكة وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلاً كبيراً . فان الذين يحتجون بمشيئة سبحانه وتعالى قد أنكر عليهم أشد الإنكار، فإنه منذ بعثة الرسل وإنزال الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له ، وينهى عن عن عبادة ما سواه .كما قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ وقال جلّ وعلا في هذه الآية بعد أن ذكر حجّتهم هذه : ﴿ ما لهم بذلك من علم إنْ هم إلاّ يخرصون ﴾ أي يكذبون ويتقوّلون .



﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ۞ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ۞ (٢٢) وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ۞ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۞ (٢٤) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۞ (٢٥) ﴾

ينكر تعالى على المشركين شركهم بلا برهان ﴿ أم آتيناهم كتاباً من قبله ﴾ أي من قبل أن يشركوا ﴿ فهم به مستمسكون ﴾ كقوله تعالى : ﴿ أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلّم بما كانوا به يشركون ﴾ أي ليس الأمر كذلك ﴿ بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة

وإنّا على آثارهم مهتدون ﴾ أي ليس لهم من مستند في شركهم إلاّ تقليد آبائهم ودعوى بلا دليل . ثم بين جل جلاله أن مقالتهم سبقهم إليها أشباههم من الأمم السابقة المكذّبة للرسل فقال تعالى : ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلاّ قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمّة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ ثم قال جلّ وعلا ﴿قل﴾ يا محمد للمشركين ﴿ أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ أي ولو علموا وتيقنوا صحّة ما جئتهم به لما انقادوا لذلك لسوء قصدهم ومكابرتهم. قال الله تعالى: ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ أي من الأمم المكذبة بأنواع من العذاب كما فصّله تبارك وتعالى في قصصهم ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ من الهلاك وكيف نجّى الله المؤمنين .

وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۞ (٢٦) إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ۞ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ (٢٨) بَلْ مَتَّعْتُ هٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ۞ (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ۞ (٣٠) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا ٱلْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۞ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۞ (٣٢) وَلَوْلَا أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۞ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ۞ (٣٤) وَزُخْرُفاً وَإِن كُلُّ ذٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ۞ (٣٥)

يخبر تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء أنه تبرأ من أبيه

وقومه في عبادتهم الأوثان ، فقال : ﴿ إنني براء مما تعبدون إلاّ الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عَقِبه ﴾ هذه الكلمة هي لا إلَه إلاّ الله أي جعلَها دائمةً في ذريتــه يقتدي به فيها من هداه الله تعالى من ذريته عليه الصلاة والسلام ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ أي إليها أي إلى لا إله إلاّ الله وهي إفراد العبادة لله تعالى وخلع ما سواه من الأوثان .

وقوله تعالى : ﴿ بل متّعت هؤلاء ﴾ يعني المشركين ﴿ وآباءهم ﴾ أي فتطاول عليهم العمر في ضلالهم ﴿ حتى جاءهم الحق ورسول مبين ﴾ أي – حتى جاءهم القرآن والذي أنزل عليه وهو محمد ﷺ – ﴿ ولما جاءَهم الحق قالوا هذا سحر وإنّا به كافرون ﴾ أي كابروه وعاندوه كفرا وحسداً وبغياً ﴿ وقالوا ﴾ معترضين على الذي أنزله تعالى وتقدّس ﴿ لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ أي هلاّ كان إنزال هذا القرآن على رجل كبير من القريتين ؟ يعنون مكة والطائف كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي أو أي رجل من أي القريتين كان ، فردّ الله تبارك وتعالى عليهم : ﴿ أهم يقسمون رحمةَ ربك ﴾ ؟ أي ليس الأمر مردوداً إليهم بل إليه عز وجل وحده والله أعلم حيث يجعل رسالته فإنه لا ينزلها إلاّ على أزكى الخَلْق قلباً ونفساً وأشرفهم بيتاً ، وأطهرهم أصــلاً .

ثم بيّن تعالى أنه فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة . فقال جل وعلا : ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ﴾ الآية وقوله جلت عظمته : ﴿ ليتّخذ بعضهم بعضاً سخرياً ﴾ أي ليسخر بعضهم بعضاً في الأعمال ، لاحتياج هذا إلى هذا وهذا إلى هذا. ثم قال عز وجل: ﴿ ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ أي رحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا. ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ﴾ أي ولولا أن يعتقد كثير من الناس الجهلة ان إعطاءنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه ، فيجتمعوا على الكفر لأجل المال! ﴿ لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفاً من فضة ومعارج ﴾ أي سلالم ودرجاً من فضة قاله ابن عباس وغيره ﴿ عليها يظهرون ﴾ أي يصعدون ﴿ ولبيوتهم أبواباً ﴾ أي أغلاقاً على أبوابهم. ﴿ وسرُراً عليها يتكئون ﴾ أي جميع ذلك يكون فضةً ﴿ وزخرفاً ﴾ أي وذهباً . قاله ابن عباس وغيره .

ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ﴾ أي إنما ذلك كله من متاع الحياة الدنيا الزائلة ، أي يعجل لهم بحسناتهم التي يعملونها في الدنيا مآكل ومشارب ومساكن ليوافوا الآخرة ، وليس لهم عند الله تبارك وتعالى حسنة يجزيهم بها؛ كما ورد به

الحديث الصحيح . وورد في حديث آخر ١٠٥[لو أن الدنيا تزن عند الله جناحَ بعوضة ما سقىٰ منها كافراً شربة ماء] أسنده البغوي عن سهل بن سعد رضي الله عنه . ثم قال تعالى : ﴿ والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ أي هي لهم خاصة لا يشاركهم فيها أحد غيرهم .

وفي الصحيحين ١٠٦[انّ رسول الله ﷺ قال : لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنّها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة] وإنما خولهم الله تعالى في الدنيا لحقارتها .

﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ ٱلرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۞ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ۞ (٣٧) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ۞ (٣٨) وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۞ (٣٩) أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞ (٤٠) فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ۞ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ۞ (٤٢) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۞ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ۞ (٤٤) وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ ٱلرَّحْمٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ۞ (٤٥) ﴾

يقول تعالى : ﴿ ومن يعشُ ﴾ اي تعامت بصيرته عن القرآن وهو المراد من قوله تعالى : ﴿ عن ذكر الرحمن ﴾ ﴿نقيّض له شيطاناً فهو له قرين ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وقيّضنا لهم قرناء ، فزيّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ الآية ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ وإنهم ليصدّونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا ﴾ أي هذا الذي تعامت بصيرته عن الحق وجاءنا يوم القيامة ومعه قرينه يتبرّم بالشيطان الذي وكّل به ﴿ قال يا

ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون ﴾ أي لا ينفعكم اجتماعكم في النار واشتراككم في العذاب الأليم .

وقوله جلت عظمته : ﴿ أفأنت تسمع الصمَّ أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين ﴾ أي ليس ذلك إليك إنما عليك البلاغ وليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الحكمُ العدل في ذلك . ثم قال تعالى : ﴿ فإما نذهبنَّ بك فإنا منهم منتقمون ﴾ أي لا بد أن ننتقم منهم ونعاقبهم ولو ذهبت أنت ﴿ أو نرينَّك الـذي وعدناهم فإنّا عليهم مقتدرون ﴾ أي نحن قادرون على هذا وعلى هذا ولم يقبض الله تعالى رسوله ﷺ حتى أقرَّ عينَهُ من أعدائه وحكمه في نواصيهم وملّكه ما تضمنته صياصيهم . ثم قال عزّ وجل : ﴿ فاستمسكْ بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم ﴾ أي خـذ بالقرآن المنزل على قلبك فإن هذا الحق وما يهدي إليه هو الحق المفضي الى صراط الله المستقيم الموصل إلى جنّات النعيم والخير المقيم . ثم قال جل جلاله : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾ قيل معناه لشرف لك ولقومك. قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ، واختاره ابن جرير ولم يُحكِ سواه. وأورد الترمذيّ ههنا حديثاً بسنده إلى معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ١٠٧ [إن هذا الأمر لا ينازعهم فيه أحد إلاّ أكبَّه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدّين] رواه البخاري ، ومعناه أنّه شرف لهم من حيث أنه أنزل بلغتهم فهم أفهم الناس له فينبغي أن يكونوا أقوم الناس وأعملهم بمقتضاه وهكذا كان خيارهـم وصفوتهم من الخلّص من المهاجرين السابقين الأولين ومن شابههم وتابعهم وقيل إنّ معنى الآية عام يشمل العرب وغيرهم ﴿ وسوف تسألون ﴾ أي عن هذا القرآن وكيف كنتم في العمل به ، والاستجابة له . وقوله تعالى ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنـا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ أي جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت إليه من عبادة الله وحده لا شريك له ، ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد. كقوله تعالى: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمّةٍ رسولاً أنِ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۞ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ۞ (٤٧) وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا

وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ (٤٨) وَقَالُوا يَا أَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ۞ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ۞ (٥٠)

يخبر تعالى عن عبده ورسوله موسى عليه الصلاة والسلام انه ابتعثه إلى فرعون وملئه من الأمراء والوزراء والقادة، والرعايا من القبط وبني اسرائيل، يدعوهم الى عبادة الله وحده لا شريك له ، وينهاهم عن عبادة ما سواه. وانه بعث معه آيات عظاماً: كيده وعصاه ، وما أرسل معه من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، ومن نقص الزروع والأنفس والثمرات . ومع هذا كله ... استكبروا عن اتباعها والانقياد لها ، وكذبوها وسخروا منها وضحكوا ممن جاءهم بها ﴿وما نريهم من آية إلاّ هي أكبر من أختها﴾ ومع هذا ما رجعوا عن غيهم وضلالهم وجهلهم وخبالهم . وكلما جاءتهم آية من هذه الآيات يضرعون إلى موسى عليه الصلاة والسلام ويتلطفون له في العبارة بقولهم : ﴿يا أيها الساحر﴾ وليست هذه التسمية على سبيل الانتقاص منهم لأن الحال حال ضرورة منهم إليه لا تناسب الانتقاص وإنما هو التعظيم في زعمهم ، ففي كل مرة يعدون موسى عليه السلام إن كشف عنهم هذا ، أن يؤمنوا به ويرسلوا معه بني اسرائيل ، وفي كل مرة ينكثون ما عاهدوه عليه. وهذا كقوله تعالى : ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آياتٍ مفصلاتٍ فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين.ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادعُ لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفتَ عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلنّ معك بني إسرائيل . فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون﴾

وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۞ (٥٢) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ۞ (٥٣)

فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ۞ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ ۞ (٥٦)

يقول تعالى مخبراً عن فرعون وكفره وعناده وتمرّده ، انه جمع قومه فنادى فيهم متبجّحاً مفتخراً بملك مصر وتصرّفه فيها : ﴿ أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون ﴾ أي أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك ، يعني وموسى واتباعه ضعفاء فقراء . كقوله تعالى : ﴿ فحشر فنادى فقال أنا ربّكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ﴾ وقوله : ﴿ أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ﴾ وأم ههنا بمعنى بل ويعني فرعون لعنه الله بقوله انه خير من موسى عليه الصلاة والسلام وقد كذب كذباً بيّناً واضحاً فعليه لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة . ويعني بقوله مهين أي حقير ولا ملك له ولا سلطان ولا مال ﴿ ولا يكاد يُبين ﴾ أي لا يكادُ يفهم وهذا الذي قاله فرعون لعنه الله كذب واختلاق فقوله لعنه الله : ﴿ مهين ﴾ كذب بل هو المهين الحقير خلقةً وخلقاً وديناً وموسى هو الشريف الرئيس الصادق البار الراشد. وقوله ﴿ ولا يكاد يُبين ﴾ افتراء أيضاً فقد كان موسى عليه الصلاة والسلام من الجلالة ، والعظمة والبهاء في صورة يبهر أبصار ذوي الألباب وانه قد أصاب لسانه في حال صغره شيء ومن جهة تلك الجمرة ، فقد سأل الله عز وجل أن يحلّ عقدة من لسانه ليفقهوا قوله ، وقد استجاب الله تبارك وتعالى له ذلك في قوله عزّ من قائل : ﴿ قد أوتيت سؤلك يا موسى ﴾ ولكن فرعون عليه لعائن الله يعلم هذا اي أنّه يكذب على موسى عليه أفضل الصلاة والسلام ، إنّما أراد الترويج على رعيته فانهم كانوا جهلة أغبياء . وهكذا أيضاً قوله : ﴿ فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب ﴾ وهي ما يجعل في الأيدي من الحلي، قاله ابن عباس وغيره . ﴿ أو جاء معه الملائكة مقترنين ﴾ أي يخدمونه ويصدّقونه، إستخفافاً بشعبه الجاهل. ولهذا قال تعالى: ﴿ فاستخفَّ قومه فأطاعوه ﴾ أي استخف عقولهم فدعاهم الى الضلالة فاستجابوا له ﴿ إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ قال الله تعالى : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ﴾ ومعنى آسفونا أي أسخطونا . انتقمنا منهم بالغرق إجماعاً فلا يغترّ إنسان اذا أعطي ما يشاء وهو ما يزال مقيماً على معاصيه فإنما هذا استدراج من الله تعالى . وقوله سبحانه ﴿ فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ﴾ اي سلفاً لمن عمل بعملهم وعبرة لمن بعدهم والله سبحانه وتعالى أعلم .



﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ❁ (٥٧) وَقَالُوٓا ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ❁ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ❁ (٥٩) وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ❁ (٦٠) وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ❁ (٦١) وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ❁ (٦٢) وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ❁ (٦٣) إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ❁ (٦٤) فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ❁ (٦٥) ﴾

يخبر تعالى عن تعنت كفار قريش في كفرهم وتعمدهم العناد والجدل . : ﴿ ولمّا ضُرب ابنُ مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون ﴾ أي يضحكون وأعجبوا بذلك قاله : ابن عباس وغيره . وكأن السبب في ذلك ما ذكره محمد بن اسحق في السيرة حيث قال : « وجلس رسول الله ﷺ فيما بلغني يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النضر بن الحارث حتّى جلس معهم ، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾ الآيات ...

ثم قام رسول الله ﷺ ، وأقبل عبدالله بن الزبعري التميمي حتّى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة له : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد ، وقد زعم محمد أنّا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ، فقال عبدالله بن الزبعري : أما والله لو وجدته لخصمته ، سلوا محمداً ... أكلُّ ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ، فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عزيرا ، والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم فعجب

الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبدالله بن الزبعري، ورأوا أنه قد احتج وخاصم[1] فذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ فقال ١٠٨ [كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع مَن عبَدَه فإنهم إنما يعبدون الشيطان ومَنْ أمرهم بعبادته] فأنزل الله عز وجل : ﴿ إن الذين سبقت لهم منّا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ أي عيسى وعزير ومن عبد معهما من الأحبار والرّهبان الذين مضوا على طاعة الله عز وجل فاتخذهم مَنْ بعدَهُم مِنْ أهل الضلالة أرباباً من دون الله . روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ١٠٩ يا معشر قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير » فقالوا له : ألست تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً فقد كان يعبد من دون الله ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ﴾] قال مجاهد : قالت قريش إنما يريد محمّد أن نعبدَه كما عبد قوم عيسى عليه السلام . ونحو هذا قال قتادة .

وقوله تعالى : ﴿ وقالوا آلهتنا خير أم هو ﴾ أي آلهتنا خير منه وقال قتادة : قرأ ابن مسعود رضي الله عنه : — وقالوا أآلهتنا خير أم هذا ، يعنون محمداً ﷺ . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ما ضربوه لك إلاّ جدلاً ﴾ أي مراءً وهم يعلمون أنه ليس بوارد .. لأنها لما لا يَعقِل ، وهي قوله تعالى : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾ فإن « ما » لغير العاقل ثم هي خطاب لقريش ، وهم إنّما كانوا يعبدون الأصنام والأنداد ولم يكونوا يعبدون المسيح حتى يوردوه ، فتعيّن أنّ مقالتهم إنّما كانت جدلاً منهم ليسوا يعتقدون صحّتهـــا .

روى الإمام أحمد عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ١١٠ [ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أورثوا الجدل » ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ ما ضربوه لك إلاّ جدلاً بل هم قوم خصِمون] وقد رواه الترمذي وابن ماجه وابن جرير وصحّحه الترمذي . وقوله تعالى : ﴿ إنْ هو إلاّ عبد أنعمنا عليه ﴾ يعني عيسى عليـــه الصلاة والسلام ما هو إلاّ عبد من عباد الله عزّ وجل أنعم الله عليه بالنبوّة والرسالة ﴿ وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل ﴾ أي دلالةً وحجةً وبرهاناً على قدرتنا على ما نشاء . وقوله تعالى:

---

(١) قلت : ذكر عبد الله بن الزبعري هذا ... وإنه قد أسلم فيما بعد ... وكان من الشعراء المشهورين . وقد كان يهاجي المسلمين أولا ... ثم تاب وقال معتذراً بعد إسلامه : يا رسول المليك إن لساني * راتقٌ ما فتقت إذ أنا بورُ * إذ أجاري الشيطانَ في سنن الغي م ومن مال ميله مثبور * .

﴿ ولو نشاء لجعلنا منكم ﴾ أي بدلاً منكم ﴿ ملائكة في الأرض يخلفون ﴾ أي يخلفونكم فيها . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وانه لعلم للساعة ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : هو خروج عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قبل يوم القيامة .. كما قال تعالى : ﴿ وإن من اهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته ﴾ وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً .

وقوله تعالى : ﴿ فلا تمترنَّ بها ﴾ أي لا تشكّوا فيها انها واقعة وكائنة لا محالـــة . ﴿ واتبعون ﴾ أي فيما أخبركم به ﴿ هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان ﴾ أي عن اتباع الحق ﴿ إنه لكم عدو مبين ولمّا جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ﴾ أي بالنبوة ﴿ ولأبين لكم بعض الذين تختلفون فيه ﴾ قال ابن جرير يعني من الأمور الدينية لا الدنيوية وهذا الذي قاله حسن جيد . وقوله عز وجل : ﴿ فاتقوا الله ﴾ أي فيما أمركم به ﴿ وأطيعون ﴾ فيما جئتكم به ﴿ ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ أي هو عبادة الرب جل وعلا وحده ، وقوله سبحانه : ﴿ فاختلف الأحزاب من بينهم ﴾ أي منهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله وهو الحق ، ومنهم من يدعي أنه ولد الله ومنهم من يقول أنه الله ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ولهذا قال تعالى : ﴿ فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم ﴾

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ (٦٦) ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۞ (٦٧) يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۞ (٦٨) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ۞ (٦٩) ادْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۞ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞ (٧١) وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ (٧٣) ﴾

يقول تعالى : ﴿ هل ينظرون إلاّ الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ﴾ أي إنها

واقعة لا محالة ، وهؤلاء المشركون غافلون عنها فستأتيهم فجأة ، عندها يندمون على عدم إيمانهم ، ولكن في الوقت الذي لا ينفع الندم . وقوله تعالى : ﴿ الأخلاَّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلا المتقين ﴾ أي كل محبة لغير الله تنقلب إلى عداوة إلا ما كان منها لله عز وجل ، فإنها دائمة بدوامه فالخليلان في الله إذا مات أحدهما قبل الآخر فيذكر خليله عند الله بخير ويدعو له : اللهم كما أمرني بطاعتك وطاعة رسولك وأخبرني بلقائك هذا،اللهم فلا تضله بعدي حتى تريه ما أريتني وترضى عنه كما رضيت عني فيبشره الله بخليله خيراً ، أما الخليلان الكافران ، فبعكس ذلك تماماً . ملخصاً عن عليٍّ رضي الله عنه من رواية عبد الرزاق .

وروى ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ١١١[لو أن رجلين تحابّا في الله ، أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب ، لجمع الله تعالى بينهما يوم القيامة يقول هذا الذي أحببته فيَّ] وقوله تبارك وتعالى : ﴿ يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾ ثم بشرهم فقال سبحانه : ﴿ الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ﴾ أي آمنت قلوبهم وبواطنهم ، وانقادت لشرع الله جوارحهم وظواهرهم . ﴿ ادخلوا الجنة ﴾ أي يقال لهم ذلك : ﴿ أنتم وأزواجكم ﴾ أي نظراؤكم ﴿ تحبرون ﴾ أي تنعمون وتسعدون ﴿ يطاف عليهم بصحاف من ذهب ﴾ أي آنية الطعام ﴿ وأكواب ﴾ أي آنية الشراب ﴿ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴾ أي طيّب الطعام والريح ، وحسن المنظر . وقوله تعالى : ﴿ وأنتم فيها ﴾ أي في الجنة ﴿ خالدون ﴾ أي لا تخرجون منها ولا تبغون عنها حولاً . ثم قيل لهم على وجه الفضل والامتنان : **وتلك** الجنة التي **أورثتموها** بما كنتم تعملون ﴾ أي أعمالكم الصالحة كانت سبباً لشمول الجنه وإياكم ، فإنه لا يُدخِل أحداً عملُه الجنة ولكن برحمة الله وفضله ، وإنما الدرجات ينال تفاوتها بحسب الأعمال الصالحات ، وقوله تعالى : ﴿ لكم فيها فاكهة كثيرة ﴾ أي من جميع الأنواع ﴿ منها تأكلون ﴾ أي مهما اخترتم وأردتم . ولما ذكر الطعام والشراب ذكر بعده الفاكهة لتتمّ به النعمة والغبطة ، والله تعالى أعلم .

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ❁ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ❁ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ ٱلظَّالِمِينَ ❁ (٧٦) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم

مَاكِثُونَ ۞ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ۞ (٧٨) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۞ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۞ (٨٠)

لما ذكر تعالى حال السعداء ثنّى بذكر الأشقياء فقال : ﴿ إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يُفَتَّرُ عنهم ﴾ ولا لحظة واحدة ﴿ وهم فيه مبلسون ﴾ أي آيسون من كلّ خير ﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ﴾ أي بأعمالهم السيئة بعد قيام الحجة عليهم ، وإرسال الرسل إليهم فكذبوا وعصوا فجوزوا بذلك جزاءً وفاقاً ، وما ربُّك بظلام للعبيد ﴿ ونادوا يا مالك ﴾ وهو خازن النار ﴿ ليقض علينا ربك ﴾ أي يقبض أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه فانهم كما قال تعالى : ﴿ لا يقضى عليهم فيموتوا،ولا يخفف عنهم من عذابها ﴾ فأجابهم مالك : ﴿ قال إنكم ماكثون ﴾ أي لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها ثم ذكر سبب شقوتهم ، وهو مخالفتهم للحق فقال: ﴿ لقد جئناكم بالحق ﴾ أي بيناه لكم ووضحناه وفسرناه ﴿ ولكن أكثركم للحق كارهون ﴾ أي ولكن كانت سجاياكم لا تقبله ، إنما كانت تنقاد للباطل وتصدّ عن الحق ، فلوموا أنفسكم ولكن هيهات أن ينفع الندم أو يجدي اللوم . ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ أم أبرموا أمراً فإنّا مبرمون ﴾ كما قال تعالى : ﴿ ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون ﴾ لأنهم كانوا يتحيّلون في رد الحق بالباطل بحيل ومكر يسلكونه . فكادهم الله تعالى وردّ وبالهم عليهم. ولهذا قال تعالى : ﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ﴾ أي سرهم وعلانيتهم ﴿ بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾ أي نحن نعلم ما هم عليه ، والملائكة يكتبون أعمالهم صغيرها وكبيرها .

قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ۞ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ (٨٢) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۞ (٨٣) وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۞ (٨٤) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ

ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ (٨٥) وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ (٨٦) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۞ (٨٧) وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ۞ (٨٨) فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ (٨٩)

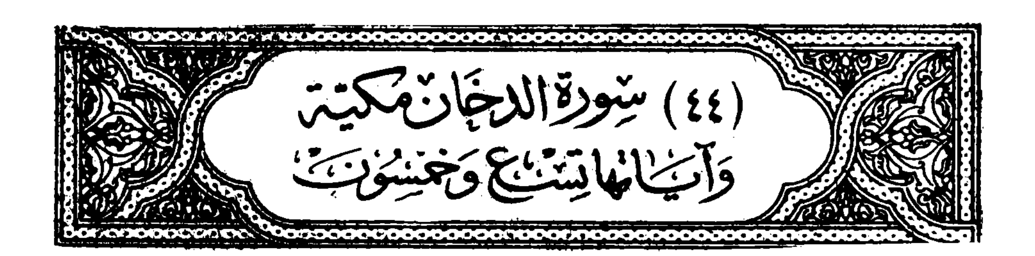
يقول تعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ إن كان للرحمن ولد فأنا أوّل العابدين ﴾ أي لو فرض هذا لعبدتُه على ذلك ، لأني عبد من عبيده مطيع لجميع ما يأمرني به ، ليس عندي استكبار ولا إباء عن عبادته ، فلو فرض هذا لكان هذا ، ولكن هذا ممتنع في حقه تعالى ، والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضاً . كما قال عزّ وجل: ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء . سبحانه هو الله الواحد القهار ﴾ . ولهذا قال جلّت عظمته ﴿ سبحان ربّ السموات والأرض ربّ العرش عما يصفون ﴾ أي تعالى وتقدّس وتنزّه خالق الأشياء عن أن يكون له ولد فإنه فرد أحد صمد لا نصير له ولا كفء له فلا ولد له .

وقوله تعالى : ﴿ فذرهم يخوضوا ﴾ أي في جهلهم وضلالهم ﴿ ويلعبوا ﴾ في دنياهم ﴿ حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ﴾ وهو يوم القيامة أي فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وهو الذي في السماء إلٓه وفي الأرض إلٓه ﴾اي هو المعبود من أهل السماء والمعبود من أهل الأرض وكلهم خاضعون له أذلاّء بين يديه ﴿ وهو الحكيم العليم ﴾ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وهو الله في السموات والأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ﴾ أي هو المدعو في السموات والأرض ﴿ وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما ﴾ أي هو خالقهما ومالكهما والمتصرف فيهما فسبحانه وتعالى عن الولد ، وتبارك أي استقر له السلامة من العيوب والنقائص بيده ملكوت كل شيء نقضاً وإبراماً ﴿ وعنده علم الساعة ﴾أي لا يجلّيها لوقتها إلاّ هو. ﴿ وإليه ترجعون ﴾ فيجازي كلاً بما يستحق ﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه ﴾من الأصنام والأوثان ﴿ الشفاعة ﴾ أي لا يقدرون على الشفاعة لهم ﴿ إلاّ من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ أي لا تنفع الشفاعة إلاّ

لمن شهد بالحق عن علم وبصيرة . ثم قال عز وجل : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولُنَّ الله فأنى يؤفكون ﴾ أي لئن سألتَ المشركين من خلقهم ليقولن أي يعترفون أنه تعالى الخالق لكل شيء ومع كلّ ذلك يعبدون معه غيره ممن لا يملك شيئاً ولا يقدر على شيء ، فإنّهم في غاية الجهل والسفاهة والسخافة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فأنّى يؤفكون ﴾

وقوله جل وعلا ﴿ وقيلِهِ يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون ﴾ أي شكا محمد ﷺ إلى ربّه أنّ قومه الذين كذبوه قوم لا يؤمنون . وقوله تعالى : ﴿ فاصفح عنهم ﴾ أي المشركين ﴿ وقل سلام ﴾ أي لا تجاوبهم بمثل ما يُخاطبونك من الكلام السيّء ولكن تألفهم واصفح عنهم فعلاً وقولاً . ﴿ فسوف يعلمون ﴾ هذا تهديد من الله تعالى لهم ، أحل بهم بأسه الذي لا يرد وأعلى دينه وكلمته ، وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً ، وانتشر الإسلام في المشارق والمغارب ، والله اعلم .

آخر اختصار تفسير سورة الزخرف بمنّه وكرمه وتوفيقه سبحانه وتعالى فله الحمد والشكر والفضل وعليه التكلان .



نزلت بعد سورة الزرخرف

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ۞ (١) وَٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ ۞ (٢) إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۞ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۞ (٤) أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۞ (٥) رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ (٦) رَبِّ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۞ (٧) لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ (٨)

يخبر تعالى عن القرآن العظيم أنه أنزله في ليلة مباركة وهي ليلة القدر . كما قال عز وجل ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾ وقد ذكرنا الأحاديث الواردة في ذلك في سورة البقرة بما أغنى عن اعادته ومن قال انها ليلة النصف من شعبان فقد أبعد النجعة فإن نص القرآن انهـــا في رمضان [1] وقوله عز وجل : ﴿ إنا كنا منذرين ﴾ أي معلمين الناس ما ينفعهم ويضرهم شرعاً لتقوم حجة الله على عباده .

وقوله تعالى : ﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾ أي في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ الى الكتبة أمر السنة ، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق وما يكون فيها إلى آخرها .

---

(١) وفي هذا دليل واضح على الخطاء الفادح الوارد في دعاء نصف شعبان ، وهو قوله : (إلهي بالتجلي الأعظم في ليلة النصف من شعبان المعظم التي يفرق فيها كل أمر حكيم.فكيف نتقرب إلى الله، بدعاء يخالف كلام الله...؟!!! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ...

وقوله جل وعلا ﴿ حكيم ﴾ أي محكم لا يبدل ولا يغير ، ولهذا قال جلّ وعلا : ﴿ أمراً من عندنا ﴾ أي جميع ما يوحيه ويقدره فبأمره وإذنه وعلمه. ﴿ إنّا كنا مرسلين ﴾ أي إلى الناس رسولاً يتلو عليهم آيات الله لمسيس الحاجة . ولهذا قال تعالى: ﴿ رحمة من ربك إنه هو السميع العليم . رب السموات والأرض وما بينهما ﴾ أي الذي أنزل القرآن رحمةً هو الله رب السموات والأرض ﴿ إن كنتم موقنين ﴾ اي إن كنتم متحققين. ثم قال تعالى : ﴿ لا اله إلاّ هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا اله إلا هو يحيي ويميت ﴾ الآية ...

﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۞ (٩) فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۞ (١٠) يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ (١١) رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۞ (١٢) أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۞ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ۞ (١٤) إِنَّا كَاشِفُوا ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۞ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ۞ (١٦) ﴾

يقول تعالى : بل هؤلاء المشركون في شك يلعبون،أي قد جاءهم الحق اليقين وهم يشكون فيه ويمترون ولا يصدقون به. ثم قال عز وجل متوعداً لهم ومهدداً : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ قال ابن مسعود ومن وافقه : أن الدخان مضىٰ أي ظهر ومضىٰ ... وهو كما وصفه خيال رآه في أعينهم جماعة قريش لما دعا عليهم الرسول ﷺ بسنين كسني يوسف فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة وجعلوا يرفعون أبصارهم الى السماء فلا يرون إلا الدخان ، وفي رواية : فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد .

وقال آخرون لم يمضِ الدخان بعد بل هو من آمارات الساعة . كما تقدم من حديث أبي سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال ١١٢[أشرف علينا رسول الله ﷺ من عرفة ، ونحن نتذاكر الساعة. فقال ﷺ : لا تقوم الساعة حتى ترُوا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج

عيسى بن مريم ، والدجال ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس ـ أو تحشر الناس ـ تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا] . تفرد به مسلم في صحيحه . و في الصحيحين :
١١٣[ان رسول الله ﷺ قال لابن صياد : « إني أخبأت لك خبأً » قال : هو الدخ ، فقال ﷺ له « اخسأ فلن تعدو قدرك » وخبأ له رسول الله ﷺ : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾] . روى ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ١١٤[يهيج الدخان بالناس ، فأما المؤمن فيأخذه كالزكمة واما الكافر فينفخه حتى يخرج من كل مسمع منه] وهناك كثير من الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما التي وردت مما يقنع ويدل دلالة ظاهرة على ان الدخان من الآيات المنتظرة ، فهو أيضا ظاهر القرآن ؛ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ أي بين واضح يراه كل أحد ، وعلى ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد ، وهكذا قوله تعالى : ﴿ يغشى الناس ﴾ أي يتغشاهم ويعمّهم ، ولو كان أمراً خيالياً يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه ﴿ يغشى الناس ﴾

وقوله تعالى : ﴿ هذا عذاب أليم ﴾ أي يقال لهم ذلك ، تقريعاً وتوبيخاً . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ يوم يُدعون الى نار جهنم دعّا هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ ربّنا اكشف عنا العذاب إنّا مؤمنون ﴾ أي يقول الكافرون هذا القول عند معاينة العذاب . فرد عليهم تعالى : ﴿ أنىّ لهم الذكرىٰ وقد جاءهم رسول مبين ثم تولّوا عنه وقالوا معلّم مجنون ﴾ يقول : كيف لهم بالتذكر وقد أرسلنا إليهم رسولاً بيِّن الرسالة والنذارة ؛ ومع هذا تولّوا عنه وكذبوه وقالوا . متّهمين الرسول أنه معلّم من قبل آخرين . وكذلك هو مجنون أيضا ـ والمراد لما أتاكم الرسول في الدنيا كفرتم به ومتم على ذلك ، ثم بعد أن عاينتم العذاب آمنتم به؟ أوَ هذا ينفعكم . . . ؟ هيهات هيهات . . . حتى ولو أرجعناكم الى الدنيا لكفرتم به أيضا ـ ولهذا قال تعالى ههنا : ﴿ إنّا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون ﴾ أي لو كشفنا عنكم العذاب وأرجعناكم إلى الدار الدنيا ، لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب ، كقوله تعالى : ﴿ ولو رُدّوا لعادوا لما نُهوا عنه وإنّهم لكاذبون ﴾

وقوله عز وجل : ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى إنّا منتقمون ﴾ فسّرها ابن مسعود رضي الله عنه بيوم بدر والظاهر أن ذلك يوم القيامة وإن كان يوم بدر يومَ بطشه أيضاً

قال ابن عباس رضي الله عنهما : قال ابن مسعود رضي الله عنه : البطشة الكبرى يوم بدر وأنا أقول هي يوم القيامة وهذا إسناد صحيح عنه .



﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۞ (١٧) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ ٱللهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ (١٨) وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى ٱللهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ (١٩) وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ۞ (٢٠) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَٱعْتَزِلُونِ ۞ (٢١) فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ۞ (٢٢) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ۞ (٢٣) وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ۞ (٢٤) كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۞ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۞ (٢٧) كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ ۞ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ۞ (٢٩) وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۞ (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۞ (٣١) وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ۞ (٣٢) وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ ٱلْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ۞ (٣٣) ﴾

يقول تعالى : ولقد اختبرنا قبل هؤلاء المشركين ، قوم فرعون ﴿ وجاءهم رسول كريم ﴾ أي موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ أن أدّوا إلي عبادَ الله ﴾ كقوله عز وجل ﴿ أن أرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم وقد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدىٰ ﴾ وقولُه جل وعلا : ﴿ إني لكم رسول أمين ﴾ أي مأمون على ما أبلغكموه . وقوله تعالى : ﴿ وأن لا تعلوا على الله ﴾ أي لا تستكبروا عن اتباع آياته والإيمان بها والانقياد لبراهينه .

وقوله تعالى : ﴿ إني آتيكم بسلطان مبين ﴾ أي بحجة ظاهرة وهي المعجزات التي ارسل بها ﴿ واني عذت بربّي وربكم أن ترجمون ﴾ أي بالشتم أو تصلوا إلي بسوء من رجم بالحجارة أو غيرها ﴿ وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون ﴾ فلا تتعرضوا لي وسالموني إلى أن يقضي الله بيننا ، فلما طال مقامه ﷺ بين أظهرهم وأقام الحجج عليهم وكل ذلك ما زادهم إلاّ كفراً وعناداً ﴿ فدعا ربّه أن هؤلاء قوم مجرمون ﴾ وهذه كقوله تعالى : ﴿ وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلّوا عن سبيلك ربّنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتّى يروا العذاب الأليم . قال قد أجيبتْ دعوتكما فاستقيما ﴾ فعند ذلك أمره تعالى : ﴿ فأسر بعبادي ليلاً إنكم متّبَعُون ﴾ كما قال تعالى : ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسرِ بعبادي فأضربْ لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى ﴾

وقوله عز وجل ههنا : ﴿ واترك البحر رهواً انهم جندٌ مغرقون ﴾ وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاوز هو وبني اسرائيل البحر ، أراد موسى أن يضربه بعصاه حتّى يعود كما كان ، ليصير حائلاً بينه وبين فرعون فلا يصل إليهم ، فأمره تعالى أن يتركه على حاله ساكناً وبشرهُ إنهم جند مغرقون فلا تخش منهم ، ولا تأمر البحر يرجع كما كان ماءً بل اتركه يبساً حتّى يدخل فيه آخر جند فرعون ثم أمره ان يعود كما كان فيكون فرعون وجنوده من المغرقين جزاء كفرهم وعنادهم . وهكذا كان والحمد لله رب العالمين .

ثم قال تعالى : ﴿ كم تركوا من جنات وعيون ﴾ أي كم تركوا من بساتين وأنهار ﴿ وزروع ومقام كريم ﴾ أي ومزروعات خصبة ومساكن طيبة أنيقة ﴾ ونعمة كانوا فيها فاكهين ﴾

كانت الجنات بحافتي نهر النيل من أوله الى آخره على الطرفين ما بين أسوان الى رشيد متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء وكانوا في عيشة يتفكهون فيها من مأكل ومشرب وملبس وأموال وجاهات وحكم في البلاد فسلبوا كل ذلك دفعةً واحدة وتركوا كل ذلك ، وصاروا إلى جهنم وبئس المصير ، واستولى بنو اسرائيل على كل ما ذكر من النعم كما قال تعالى : ﴿ كذلك أورثناها بني اسرائيل ﴾ وقال عز وجل هاهنا : ﴿ كذلك وأورثناها قوماً آخرين ﴾ وهم بنو اسرائيل كما تقدم ...

وقوله تعالى : ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض ﴾ أي لم تكن لهم اعمال صالحة

تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم ، ولالهم في الأرض بقاع عبدوا الله فيها ففقدتهم ، فلهذا استحقوا ان لا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم وعتوهم وعنادهم روى ابن جرير عن شريح بن عبيد الحضرمي قال : قال رسول الله ﷺ ١١٥[ان الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ . ألا لا غربة على مؤمن ، ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض » ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض ﴾ ثم قال : « انهما لا يبكيان على الكافر »] وقوله تعالى : ﴿ وما كانوا منظرين ﴾ أي ما كانوا مؤخرين عن العذاب .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين،من فرعون إنه كان عالياً من المسرفين ﴾ يمتن عليهم تعالىٰ بذلك حيث أنقذهم مما كانوا فيه من إهانة فرعون وإذلاله لهم ، وتسخيره إياهم في الأعمال المهينة الشاقة . وقوله تعالى : ﴿ إنّه كان عالياً من المسرفين ﴾ أي كان مستكبراً جباراً عنيداً مسرفاً في أمره سخيفاً في رأيه على نفسه. وقوله جل جلاله : ﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾ أي على أهل زمانهم ﴿ وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين ﴾ أي آتيناهم من الحجج والبراهين والمعجزات ما فيه اختبار ظاهر جليّ لمن اهتدىٰ به

﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ۞ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ۞ (٣٥) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ (٣٦) أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ۞ (٣٧) ﴾

ينكر الله تعالى على المشركين في إنكارهم البعث والمعاد وأنه ما ثم إلاّ هذه الحياة الدنيا ولا حياة بعد الممات ولا بعث ولا نشور ، ويحتجون بآبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا فإن كان البعث حقاً ﴿ فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين ﴾ وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة فإن المعاد إنّما هو يوم القيامة لا في الدار الدنيا ، ثم قال تعالى متهدداً ، ومنذراً بأسه الذي لا يرد. كما حل من النكال بأشباههم من قوم تبّع وهم سبأ حيث أهلكهم وفرقهم شذر مذر ، كما تقدم في سورة سبأ. وكذلك هؤلاء الذين يجب أن يتعظوا بما حل بأولئك وكلاهما عرب. وتبّع لقب لكل من يملك في اليمن كما يقال كسرىٰ لمن ملك

الفرس، وقيصر لمن ملك الروم. وهكذا كان من التبابعة تبّع اسمه أسعد بن كريب بن مليكرب اليماني وقد تهوّد ودعا أهل اليمن الى التهود معه وكان اذ ذاك دين موسى عليه الصلاة والسلام وقد وصل تبع هذا إلى مكة وعظّم الكعبة وطاف بها وكساها الملاء والوصائل والحبر .ووصل الى سمرقند واشتد ملكه وعظم سلطانه واتسعت مملكته، وهو الذي مصّر الحيرة . وذكر ابن عساكر انه ملك دمشق ، انه ملك على قومه ثلاثمائة وستاً وعشرين سنة ولم يكن في حمير أطول مدة منه ، وتوفي قبل مبعث رسول الله ﷺ بنحو من سبعمائةسنة. وكان لديه حبران من اليهود أخبروه لما مر بالمدينة المنوّرة ان هذه البلدة مهاجر نبيّ آخر الزمان أسمه أحمد . وقال شعراً في ذلك، واستودعه عند أهل المدينة. فكانوا يتوارثونه ويروُونه خلفاً عن سلف ، وكان ممن يحفظه أبو أيوب خالد بن زيد الذي نزل رسول الله ﷺ في داره . وهو :

شهدت على أحمد أنه ... رسول من الله باري النَّسمْ
فلو مد عمري إلى عمره ... لكنتُ وزيراً له وابنَ عَمْ
وجاهدتُ بالسيف أعداءَه ... وفرجتُ عن صدْرِهِ كلَّ غَمْ

وذكر ابن أبي الدنيا أنه حُفر قبر بصنعاء في الإسلام فوجدوا فيه امرأتين صحيحتين، وعند رأسيهما لوح فضة مكتوب فيه بالذهب ،: هذا قبر حُيَيْ وتميس وروي: حُيَيْ وتُماضِر ابنتي تبع ، ماتتا وهما تشهدان أن لا آله إلا الله ولا تشركان به شيئاً وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما . وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال ١١٦ [لا تسبّوا تبّعا فانه قد أسلم] وروى عبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ١١٧ [وما أدري تبع نبياً كان أم غير نبي] وكانت عائشة تقول لا تسبوا تبعاً فإنه قد كان رجلاً صالحاً . وقد حج البيت زمن الجرهميين وكساه الملاء والوصائل والحبر،ونحر عند البيت ستة آلاف بدنة وعظمه وأكرمه ثم عاد إلى اليمن ـ من رواية ابن عساكر ـ وإن تبعاً هذا المشار إليه في القرآن الكريم أسلم قومُه على يديه ثم لمّا توفي عادوا بعده إلى عبادة النيران والأصنام فعاقبهم الله تعالى ما ذكره سبحانه في سورة سبأ .

قال قتادة : ذكر لنا أن كعباً كان يقول في تبع نعت الرجل الصالح : ذم الله تعالى قومُه ولم يذمّه .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۝ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ (٣٩) إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ (٤٠) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ (٤١) إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ (٤٢) ﴾

يخبر تعالى عن عدله وتنزيهه نفسه عن اللعب والعبث والباطل. كقوله جل وعلا: ﴿ وما خلقنا السماءَ والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ﴾ وهو يوم القيامة، وقوله عز وجل: ﴿ ميقاتهم أجمعين ﴾ أي أولهم وآخرهم ﴿ يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ﴾ أي لا ينفع قريب قريباً. كقوله تعالى: ﴿ ولا يسأل حميم حميماً ﴾ .اي لا يسأل أخاً له عن حاله وهو يراه عياناً !!! وقولُه جل وعلا: ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ لا يتناصرون ولا يأتيهم النصر من خارج، ثم قال جل جلاله: ﴿ إلا من رحم الله ﴾ أي لا ينفع يومئذٍ إلاّ رحمة الله عز وجل بخلقه ﴿ إنه العزيز الرحيم ﴾ أي هو عزيز وذو رحمة واسعة.

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ (٤٣) طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝ (٤٤) كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۝ (٤٥) كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ۝ (٤٦) خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ ٱلْجَحِيمِ ۝ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ۝ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ۝ (٤٩) إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ۝ (٥٠) ﴾

يخبر تعالى عما يعذب به الكافرين ﴿ إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ﴾ أي الكافر. وقيل أنه أبو جهل، ويدخل غيره من الكفار وهذه الشجرة لو وقعت قطرة منها في الأرض لأفسدت معايش أهلها وقد تقدم نحو هذا القول مرفوعاً[1] . وقوله تعالى: ﴿ كالمهل ﴾

---

(١) الصافات عند تفسير الآية رقم / ٦٢ /

قالوا كعكر الزيت ﴿ يغلي في البطون كغلي الحميم ﴾ من حرارتها ورداءتها ، وقوله تعالى : ﴿ خذوه ﴾ أي الكافر ﴿ فاعتلوه ﴾ أي سوقوه سحباً ودفعاً في ظهره ﴿ إلى سواء الجحيم ﴾ أي وسطها ﴿ ثم صبّوا فوق رأسه من عذاب الحميم ﴾ فإن الملَك يضربه بمقمعة من حديد فتفتح دماغه ثم يصب الحميم على رأسه فينزل في بدنه فيسلت ما في بطنه من امعائه حتى تمرق من كعبيه . أعاذنا الله تعالى من ذلك ، وقولُه تعالى : ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ وقد قال الأموي في مغازيه عن عكرمة قال ١١٨ [لقي رسول الله ﷺ أبا جهل لعنه الله فقال : «ان الله تعالى أمرني أن أقول لك : ﴿ أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى ﴾ قال فنزع ثوبه من يده وقال : ما تستطيع لي انت ولا صاحبك من شيء ولقد علمت أني أمنع أهل البطحاء وأنا العزيز الكريم قال فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله وعيرّه بكلمته وأنزل : ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ أي تقول له الزبانية في جهنم ذلك على وجه التهكم والتقريع أي لست بعزيز ولا كريم . ولهذا قال تعالى : ﴿ إنَّ هـٰذا ما كنتم به تمترُون ﴾ .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۞ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ۞ (٥٣) كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ۞ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۞ (٥٥) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۞ (٥٦) فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ (٥٧) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ (٥٨) فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۞ (٥٩) ﴾

لما ذكر تعالى حال الأشقياء عطف بذكر السعداء ولهذا سمي القرآن مثاني. فقال سبحانه ﴿ إن المتقين ﴾ أي لله في الدنيا ﴿ في مقام أمين ﴾ أي في الآخرة هو الجنة قد أمنوا فيها الموت والخروج ومن كل هم وحزن وجزع وتعب ونصب ومن الشيطان وكيده وسائر الآفات والمصائب ﴿ في جنات وعيون ﴾ وهذا في مقابلته ما أولئك فيه من شجرة الزقوم وشرب الحميم وقوله تعالى : ﴿ يلبسون من سندس ﴾ وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوه

﴿ واستبرق ﴾ وهو ما فيه بريق ولمعان وذلك كالرياش وما يلبس على أعالي القماش ﴿ متقابلين ﴾ أي على السرر لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره. وقوله تعالى : ﴿ كذلك وزوجناهم بحور عين ﴾ أي هذا العطاء مع ما قد منحناهم من الزوجات الحسان الحور العين اللاتي ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ ﴿ هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان ﴾

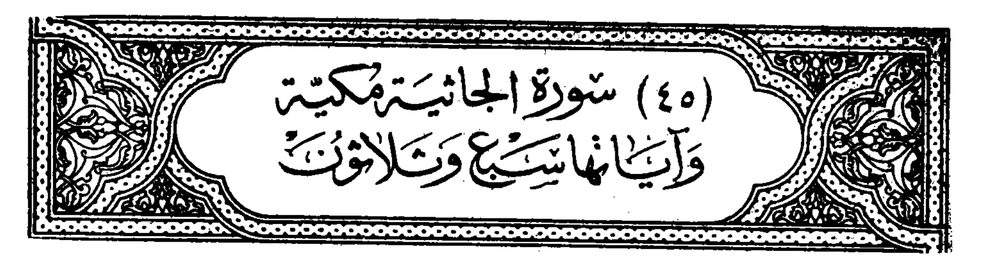
وقولُه تعالى : ﴿ يدعون فيها بكل فاكهة آمنين ﴾ أي مهما طلبوا من أنواع الثمار أحضر، وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه، بل يحضر إليهم كلما أرادوا. وقوله تعالى : ﴿ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ﴾ التي فارقوا فيها الدنيا أما في الآخرة وفي الجنة لا يذوقون فيها الموت أبداً كما ثبت في الصحيحين:إن رسول الله ﷺ قال ١١٩[ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت] . روى عبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله عنه وأبي سعيد رضي الله عنه قالا : قال رسول الله ﷺ ١٢٠[يقال لأهل الجنة إن لكم أن تصِحّوا فلا تسقَموا أبداً ، وإن لكمأن تعيشوا فلا تموتوا أبدا ، وان لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً ، وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً] رواه مسلم .

روى ابو القاسم الطبراني عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال١٢١[سئل النبي ﷺ أينام أهل الجنة ؟ فقال ﷺ النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون]

وقوله تعالى : ﴿ ووقاهم عذاب الجحيم ﴾ أي مع هذا النعيم العظيم المقيم قد وقاهم الله وسلمهم وزحزحهم عن العذاب الأليم في دركات الجحيم فحصل لهم المطلوب ، ونجاهم من المرهوب بفضله ومنه وكرمه وإحسانه. ولهذا قال تبارك وتعالى جده : ﴿ فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم ﴾ وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : ١٢٢ [اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحداً لن يُدخله عمله الجنة » قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ﷺ « ولا أنا إلاّ أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل »] وقوله تبارك وتعالى ﴿ فإنما يسرناهُ وبلسانك لعلهم يتذكرون ﴾ أي يسّرنا القرآن بلسانك الذي هو لسان قومك الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها سهلاً واضحاً بيناً جلياً ﴿ لعلهم يتذكّرون ﴾ أي يتفهّمون ويعملون . ومع هذا الوضوح والجلاء فكان من الناس من كفر وخالف وعاند. فقال الله تعالى لرسوله ﷺ مسلياً له وواعداً له بالنصر ، متوعداً لمن كذّبه بالعطب والهلاك. : ﴿ فارتقب ﴾ اي انتظر ﴿ إنهم مرتقبون ﴾ أي فسيعلمون لمن

تكون النصرة والظفر وعلو الكلمة في الدارين فانها لك يا محمد ولاخوانك من النبيين والمرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين كما قال تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار .﴾

آخر اختصار تفسير سورة الدخان ولله الحمد والمنة والشكر والفضل
وبه التوفيق والعصمة وعليه التكلان .



إلاّ الآية / ١٤ / فمدنية ، نزلت بعد سورة الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾

يرشد تعالى خلقه إلى التفكر في آلائه ونعمه . وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات والأرض ، وما ومن فيهما من المخلوقات المختلفة ، والأجناس المتنوعة في السموات وطباقها، والأرض برها وبحرها وجوها وما بينهما، وتعاقب الليل والنهار وما ينزل من السحاب من الأمطار فتحيي الأرض بعد موتها،وتصريف الرياح المتنوعة لسوق المطر وتلقيح الثمار وغذاء الأرواح ومنها ما هو عقيم لا ينتج ، كل ذلك آيات ودلالات تزيد المؤمنين إيماناً ويقيناً ، والعقول إدراكاً لصفات الله العلي ومعرفةً به سبحانه . فيزداد الحب والطاعة والرضا والاستسلام لجلاله العظيم و ما ينبغي للمؤمن ان يتخلّق به، حتى يكون قريباً من الله بما يحتوي قلبه من إسلام وإيمان وإحسان .

تِلْكَ ءَايَاتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ

ٱللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ۞ (٦) وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۞ (٧) يَسْمَعُ ءَايَاتِ ٱللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئاً ٱتَّخَذَهَا هُزُواً أُوْلَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۞ (٩) مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ (١٠) هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ ۞ (١١)

يقول تعالى : ﴿ تلك آيات الله ﴾ أي القرآن ذو الحجج والبراهين ﴿ نتلوها عليك بالحق ﴾ الذي ما بعده إلاّ الضلال ﴿ فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ﴾ إذا لم يؤمنوا وينقادوا إليها. ثم قال تعالى : ﴿ ويل لكلّ أفاكٍ أثيمٍ ﴾ أي كذاب في قوله أثيم في فعله وقلبه، كافر بآيات الله، ولهذا قال سبحانه : ﴿ يسمع آيات الله تتلى عليه ﴾ أي تقرأ عليه ﴿ ثم يُصر ﴾ على كفره عناداً ﴿ كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم ﴾ أي أخبره أنّ له عذاباً موجعاً يوم القيامة . ﴿ وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً ﴾ أي كفر بهذا الشيء واتخذه سخريةً ﴿ أولئك لهم عذاب مهين ﴾ أي في مقابل ما استهان بآيات الله واستهزأ بها. ولهذا روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال[١٢٣] [نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو] ثم فسر العذاب بقوله تعالى: ﴿ من ورائهم جهنم ﴾ أي كل من اتصف بذلك سيصيرون إلى جهنم ﴿ ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً ﴾ أي لا تنفعهم أموا لهم ولا أولادهم ﴿ ولا ما اتخذو من دون الله أولياء ﴾ أي ولا تغني عنهم آلهتهم التي عبدوها من دون الله شيئاً ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ هذا هدى ﴾ يعني القرآن ﴿ والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجزٍ أليم ﴾ وهو المؤلم الموجع، والله تعالى أعلم .

ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا

فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ (١٣) قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ (١٤) مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۞ (١٥)

يذكر تعالى نعمه على عبيده فيما سخَّر لهم من البحر ﴿ لتجري الفلك ﴾ وهي السفن فيه بأمره تعالى ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾ أي في المتاجر والمكاسب ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ أي على حصول المنافع المجلوبة إليكم من البلاد النائية . ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض ﴾ من الكواكب والجبال والبحار والأنهار وما تنتفعون به كل ذلك من إحسانه ولهذا قال : ﴿ جميعاً منه ﴾ وحده لا شريك له لا ينازعه فيه أحد ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ﴾ أي الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين أن يصفحوا عنهم ويتحملوا الأذى منهم وكان هذا في ابتداء الإسلام تألُّفاً لقلوبهم ثم لما أصروا على العناد شرع الله الجلاد والجهاد ﴿ ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون ﴾ أي اذا صفح المؤمنون عنهم في الدنيا فإن الله مجازيهم بأعمالهم السيئة في الآخرة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ أي تعودون اليه وتعرض أعمالكم عليه فيجزيكم بها خيراً أو شراً والله تعالى أعلم .

وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ۞ (١٦) وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۞ (١٧) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۞ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ ٱللهِ شَيْئاً وَإِنَّ ٱلظَّالِمِينَ

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾

يذكر تعالى نعمه على بني اسرائيل من إنزال الكتب وإرسال الرسل ، وجعل الملك فيهم . ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات ﴾ أي من المآكل والمشارب والملابس والمساكن ﴿ وفضلناهم على العالمين ﴾ أي في زمانهم ﴿ وآتيناهم بيّنات من الأمر ﴾ حججاً قاطعة قامت عليهم ، ثم اختلفوا بعد ذلك بغياً منهم على بعضهم بعضاً ﴿ إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ أي سيفصل الله بينهم بحكمه العدل ، وهذا فيه تحذير لهذه الأمة من أن تسلك مسالكهم. ولهذا قال تعالى: ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * انهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض ﴾ أي اتبع ما أنزل إليك ، وأعرض عن المشركين فإنهم لا يغنوا عنك بل ولا عن بعضهم بعضاً ولا يزيدون أنفسهم إلاّ خساراً ودماراً وهلاكاً.﴿ والله وليُّ المتقين ﴾ والكفار لا مولى لهم إلا الطواغيت الذينهم يخرجونهم من النور إلى الظلمات . ثم قال تعالى : ﴿ هذا بصائر للناس ﴾ يعني القرآن ﴿ وهدى ورحمة لقوم يوقنون ﴾ .

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا ٱلسَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات ﴾ أي عملوها وكسبوها ﴿ أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ﴾ أي نساويهم بهم في الدنيا والآخرة ﴿ ساء ما يحكمون ﴾ أي ساء ما ظنوا بنا وبعُدْ لنا أن نساويَ بين الأبرار والفجار

في الدارين !؟! ؟ وقد ذكر محمد بن اسحق في كتاب السيرة : أنهم وجدوا حجراً بمكة في أُسّ الكعبة مكتوب عليه : تعملون السيئات ، وترجون الحسنات ، أجل .. كما يُجنى من الشوك العنب ! وقال جل وعلا ﴿ وخلق الله السموات والارض بالحق ﴾ أي بالعدل ﴿ ولتجزَى كلّ نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ ثم قال جلا وعلا : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلٓهه هواه ﴾ أي إنّما يأتمر بهداه فمهما رآه حسناً فعله ، ومهما رآه قبيحاً تركه . وقوله تعالى : ﴿ وأضلّه الله على علم ﴾ أي لعلمه إنّ هذا العمل يستلزم ذاك العقاب من الله تعالى ثم عمله رغم ذلك،فكان الجزاء من نوع العمل فأضلّه الله جزاء عمله بعد علم ! . ﴿ وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ﴾ أي فلا يسمع ما ينفعه ، ولا يعي شيئاً يهتدي به ، ولا يرى حجّةً يستضييء بها . ولهذا قال تعالى : ﴿ فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكّرون ﴾ كقوله تعالى : ﴿ من يضلِلِ اللهُ فلا هادي له ويذرْهم في طغيانهم يعمهون ﴾ .

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ● (٢٤) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ٱئْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ● (٢٥) قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ● (٢٦) ﴾

يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد : ﴿ وقالوا ما هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا ﴾ أي ما ثمّ إلاّ هذه الدار ، يموت قوم ويعيش آخرون،وليس من معاد ولا قيامة ، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد وتقوله الفلاسفة الدهريون المنكرون للصانع ،فكابروا العقول وكذّبوا المنقول.ولهذا قالوا : ﴿ وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ قال الله تعالى :﴿ وما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنون ﴾ أي يتوهّمون ويتخيّلون ، فأما الحديث الذي أخرجه صاحبا الصحيح وابو داود والنسائي ... عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ١٢٤[يقول

تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر أقلب ليله ونهاره »] . وفي رواية : ١٢٥[لا تسبوا الدهر فإن الله تعالى هو الدهر] .

قال الشافعي وابو عبيدة وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله : ﷺ « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر »كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة، قالوا يا خيبة الدهر ، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه وانما فاعلها هو الله تعالىفكأنهم إنما سبوا الله عز وجل لأنه فاعل ذلك في الحقيقة ، فلهذا نهي عن سب الدهر بهذا الاعتبار، لأن الله تعالى هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال . هذا أحسن ما قيل في تفسيره وهو المراد والله تعالى أعلم . وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدهم الدهر من الأسماء الحسنى أخذاً من هذا الحديث !!! .

وقوله تعالى : ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ﴾ أي إذا استدل عليهم وبيِّن لهم الحق ، وان الله قادر على اعادة الأبدان بعد فنائها وتفرقها ﴿ ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين ﴾ أي أحيوهم إن كان ما تقولونه حقاً . قال الله تعالى : ﴿ قل الله يحييكم ثم يميتكم ﴾ أي كما يشاهدون ذلك يخرجكم من العدم إلى الوجود،كقوله تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾ أي الذي قدر على البداءة قادر على الإعادة بطريق الأولى والأحرى . كقوله تعالى : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ ثم قال ها هنا ﴿ ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ﴾ أي لا شك فيه ﴿ ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون ﴾ أي فلهذا ينكرون المعاد ويستبعدون قيام الأجساد. قال الله تعالى : ﴿ إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً ﴾ .

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ● (٢٧) وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ● (٢٨) هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ● (٢٩) ﴾

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض والحاكم فيهما في الدنيا والآخرة . ولهذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ ويوم تقوم الساعة ﴾ أي يوم القيامة وقوله تعالى : ﴿ يومئذ يخسر

المبطلون ﴾ وهم الكافرون بما أنزل الله على رسله من الآيات البينات . وقوله تعالى : ﴿ وترى كل أمة جاثيةً ﴾ على ركبها من الشدة والهول ، ويقال ان هذا إذا جيء بجهنم فإنها تزفر زفرةً ، لا يبقى أحد إلاّ جثا لركبتيه حتى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام يقول : نفسي نفسي نفسي ! لا أسألك اليوم إلا نفسي وحتى أن عيسى عليه الصلاة والسلام ليقول : لا أسألك اليوم إلا نفسي ، لا أسألك مريم التي ولدتني . وقوله عز وجل ﴿ كل أمة تدعى إلى كتابها ﴾ يعني كتاب أعمالها كقوله جل جلاله : ﴿ ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء ﴾ ولهذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ اليوم تجزون ما كنتم تعملون ﴾ أي تجازون بأعمالكم خيرها وشرها كقوله تعالى : ﴿ ينبأ الإنسان بما قدم وأخر ﴾ ولهذا قال جلت عظمته : ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ﴾ أي يستحضر جميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص كقوله تعالى ﴿ ... ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ وقولُه تعالى : ﴿ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ أي نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم .

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ❁ (٣٠) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْماً مُجْرِمِينَ ❁ (٣١) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ❁ (٣٢) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ❁ (٣٣) وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ❁ (٣٤) ذَٰلِكُمْ بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَاتِ ٱللَّهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ❁ (٣٥) فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَوَاتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ

ٱلْعَالَمِينَ ۞ (٣٦) وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَاءُ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ (٣٧)

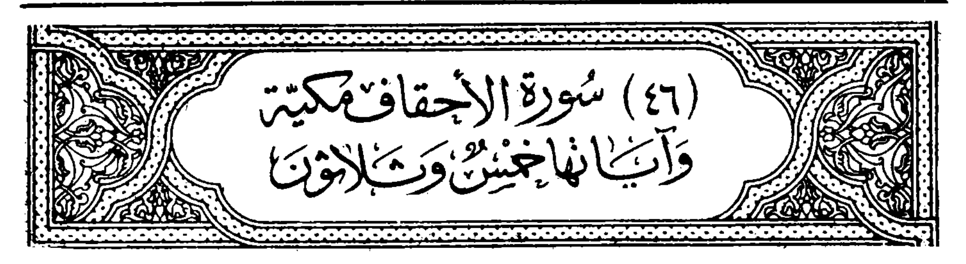
يخبر تعالى عن حكمه في خلقه يوم القيامة فقال تعالى : ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي آمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة الموافقة للشرع ﴿ فيدخلهم ربهم في رحمته ﴾ وهي الجنة كما ثبت في الصحيح١٢٦ [أن الله تعالى قال للجنة : انت رحمتي أرحم بك من أشاء] ﴿ ذلك هو الفوز المبين ﴾ أي البين الواضح . ثم قال تعالى : ﴿ وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم ﴾ أي يقال ذلك تقريعاً لهم وتوبيخاً ، ﴿ وكنتم قوماً مجرمين ﴾ أي في أفعالكم مع ما اشتملت عليه قلوبكم من التكذيب ﴿ وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها ﴾ أي إذا قال لكم المؤمنون ذلك ﴿ قلتم ما ندري ما الساعة ﴾ أي لا نعرفها ﴿ إن نظن إلاّ ظناً ﴾ أي نتوهم وقوعها توهماً ﴿ وما نحن بمستيقنين ﴾ أي بمتحققين وقوله تعالى : ﴿ وبدا لهم سيئات ما عملوا ﴾ أي وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة ﴿ وحاق بهم ﴾ أي أحاط بهم ﴿ ما كانوا به يستهزئون ﴾ أي من العذاب والنكال ﴿ وقيل اليوم ننساكم ﴾ أي نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنّم ﴿ كما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ أي فلم تعملوا له،لأنكم لم تصدّقوا به ﴿ ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾ .

وقد ثبت في الصحيح ١٢٧ [أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة ألم أزوجك؟ ألم أكرمك ، ألم أسخر لك الخيل والإبل ، وأذرك ترأس وتربع ، فيقول : بلى يا رب فيقول أفظننت أنك ملاقيَّ فيقول : لا . فيقول الله تعالى : فاليوم أنساك كما نسيتني]

وقوله تعالى : ﴿ ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً ﴾ أي إنما جازيناكم هذا الجزاء لأنكم اتخذتم حجج الله سخريةً واستهزاءً ﴿ وغرتكم الحياة الدنيا ﴾ أي خدعتكم فاطمأننتم إليها فأصبحتم من الخاسرين.ولهذا قال عز وجل : ﴿ فاليوم لا يخرجون منها ﴾ أي من النار ﴿ ولا هم لا يستعتبون ﴾ أي لا يعاتبون بل يعذّبون بغير حساب ، كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم لما ذكر تعالى حكمه في المؤمنين والكافرين قال جل جلاله : ﴿ فلله الحمد رب السموات ورب الأرض ﴾ أي المالك لهما وما فيهما . ولهذا قال سبحانه : ﴿ ربّ العالمين ﴾ ثم قال جل وعلا : ﴿ وله الكبرياء في السموات والأرض ﴾ أي العظيم الممجّد الذي كل شيء خاضع له فقير إليه ، وقد ورد في الحديث

الصحيح ١٢٨ [يقول الله تعالى : العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحداً منهما أسكنته ناري] ورواه مسلم وقوله تعالى : ﴿ وهو العزيز ﴾ أي الذي لا يغالب ولا يمانع ﴿ الحكيم ﴾ في أقواله وافعاله وشرعه وقدره تعالى .

آخر اختصار تفسير سورة الجاثية ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .



نزلت بعد سورة الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ۞ (١) تَنْزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۞ (٢) مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ۞ (٣) قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ ٱئْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ (٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ ٱللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيٰمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۞ (٥) وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۞ (٦)

يخبر تعالى أنه أنزل الكتاب على عبده ورسوله محمد ﷺ ، ووصف نفسه بالعزة التي لا ترام ، والحكمة في الأقوال والأفعال . ثم قال تعالى : ﴿ ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلاّ بالحق ﴾ أي لا على وجه العبث والباطل ﴿ وأجل مسمّى ﴾ أي وإلى مدة معينة مضروبة لا تزيد ولا تنقص ، وقوله تعالى : ﴿ والذين كفروا عما أنذروا معرضون ﴾ أي لاهون عما يراد بهم ، وقد أنزل الله تعالى إليهم كتاباً وأرسل اليهم رسولاً ، وهم معرضون عن ذلك كله وسيعلمون مغبّة ذلك . ثم قال تعالى :﴿ قل﴾ أي لهؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره ﴿ أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض ﴾ أي أرشدوني إلى المكان الذي استقلوا بخلقه من الأرض ﴿ أم لهم

شرك في السموات ﴾ أي ولا شرك لهم في السموات ولا في الأرض وما يملكون من قطمير ، إن الملكُ والتصرف كله إلا لله عز وجل . فكيف تعبدون معه غيره وتشركون به سواه ؟ من أرشدكم إلى هذا...؟! من دعاكم إليه؟ آلله أمركم به؟ أم هو شيء اقترحتموه من عند أنفسكم ؟ ولهذا قال تعالى : ﴿ إئتوني بكتاب من قبل هذا ﴾ أي هاتوا كتاباً من كتب الله المنزلة على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام يأمركم بعبادة هذه الأصنام ﴿ أو أثارة من علم ﴾ أي دليل بين على هذا المسلك ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ أي لا دليل لكم عقلياً كان أو نقلياً على ذلك وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ﴾ أي لا أضل ممن يدعو أصناماً ويسألها وهي لا تستطيع شيئاً ، وهي لا تسمع ولا تبصر ولا تعي ولا تبطش لأنها جماد. وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ كقوله عز وجل : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً ﴾ أي سيخونونهم وهم أحوج ما يكونون إليهم .

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۞ (٧) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ (٨) قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ (٩) ﴾

يخبر تعالى عن المشركين وكفرهم وعنادهم أنهم إذا تتلى عليهم آيات القرآن الواضحات قالوا : ﴿ هذا سحر مبين ﴾ أي ظاهر وقد كذبوا وضلوا ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ يعنون محمداً ﷺ ﴿ قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً ﴾ أي لو تقولته لا يقدر أحد قط ان يجيرني من عقابه. كقوله تعالى : ﴿ ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ وقوله جل وعلا : ﴿ هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيداً بيني وبينكم ﴾ هذا وعيد أكيد وترهيب شديد .

وقولُه تعالى : ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾ ترغيب لهم بالتوبة والعفو والمغفرة . وقوله تعالى : ﴿ قل ما كنت بدعاً من الرسل ﴾ أي ما أنا بأوّل رسول. وقوله تعالى : ﴿ وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما وكذا قال عكرمة والحسن وقتادة : انها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أمّ العلاء قالت ١٢٩ [... فاشتكى عثمان بن مظعون رضي الله عنه عندنا فمرضناه حتى إذا توفي أدرجناه في أثوابه فدخل علينا رسول الله ﷺ فقلت : رحمة الله عليك أبا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله عز وجل فقال رسول الله ﷺ « وما يدريك أن الله تعالى أكرمه ؟ » فقلت لا أدري بأبي أنت وأمي ، فقال رسول الله ﷺ « أمّا هو فقد جاءه اليقين من ربه وإني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي » قالت فقلت والله لا أزكي أحداً بعده أبداً ، وأحزنني ذلك فنمت فرأيت لعثمان رضي الله عنه عينا تجري ، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فقال رسول الله ﷺ « ذاك عمله »] انفرد باخراجه البخاري دون مسلم وفي لفظ له ١٣٠ [وما أدري وأنا رسول الله ﷺ ما يفعل به] وهذا اشبه ان يكون هو المحفوظ ، بدليل قولها فأحزنني ذلك ، وفي هذا الحديث وأمثاله دلالة على أنه لا يقطع لمعيّن بالجنة إلاّ الذي نص الشارع الحكيم على تعيينهم ، كالعشرة ، وابن سلام والعميصاء وبلال ، وسراقة ، وعبدالله والد جابر بن عبدالله والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة وزيد بن حارثة ، وجعفر ، وابن رواحة وما اشبه هؤلاء رضي الله عنهم . وقوله تعالى : ﴿ ان أتبع إلاّ ما يوحى إلي وما أنا إلاّ نذير مبين ﴾ أي ما اتّبع إلاّ ما ينزل عليّ من الوحي ، وما أنا إلا مبلّغ عن ربي من النذارة الواضحة لكل ذي عقل . والله أعلم .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ۞ (١٠) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ۞ (١١)

وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَـٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَـٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد للكافرين بالقرآن ﴿ أرأيتم إن كان ﴾ القرآن ﴿ من عند الله وكفرتم به ﴾ ما ظنّكم ان الله صانع بكم ... ؟ ﴿ وشهد شاهد من بني اسرائيل ﴾ وهو عبدالله بن سلام /رض/ ﴿ على مثله ﴾ أي على مثل ما في التوراة بصدق القرآن لمعرفته بحقيقته من التوراة ﴿ فآمن ﴾ أي هذا الشاهد بنبيّه وكتابه ﴿ واستكبرتم ﴾ أنتم عن اتباع القرآن فكفرتم بنبيكم وكتابكم . روى مالك عن سعد **قال** :١٣١ [ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لاحدٍ يمشي على وجه الأرض ، إنه من اهل الجنة إلا لعبدالله بن سلام رضي الله عنه . قال : وفيه نزلت ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله] ﴾ رواه البخاري ومسلم والنسائي وقال ابن عباس وجماعة من التابعين أنه عبدالله بن سلام [1] .

وقوله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه ﴾ أي قال الكفار لو كان في القرآن خير ما سبقنا اليه أمثال المستضعفين كعمّار وبلال وصهيب وخباب رضي الله عنهم وأشباههم من المستضعفين والعبيد والإماء . كقوله تعالى : ﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا ﴾ أي يتعجبون كيف اهتدى هؤلاء دونهم لأنهم يعتقدون في أنفسهم انهم وجيهون عند الله ، وله بهم عناية . وهذا هو الخطأ الفاحش ، الذي دعاهم يقولون : ﴿ لو كان خيراً ما سبقونا اليه ﴾ وأما أهل السنة والجماعة فيقولون : كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة رضي الله عنهم هو بدعة لأنه لو كان خيراً لسبقونا اليه لأنهم لم يتركوا خصلةً من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها . وقوله تعالى : ﴿ وإذ لم يهتدوا به ﴾ أي بالقرآن ﴿ فسيقولون هذا إفك قديم ﴾ أي كذب قديم مأثور عن الأقدمين ، انتقاصاً للقرآن وأهله وهذا هو الكبر الذي حدث عنه رسول

---

(١) قلت : ويجاب على ما يقال : «من ان السورة مكية وانما أسلم عبدالله بن سلام في المدينة» ، فلعل الآية نزلت في المدينة ، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن توضع هنا في هذه السورة المكية . ومثل هذا موجود في القرآن كما هو معلوم .

الله ﷺ [بطر الحق وغمط النـاس] ثم قال تعالى : ﴿ ومن قبله كتاب موسى ﴾ وهو التوراة ﴿ إماماً ورحمة وهذا كتاب ﴾ يعني القرآن ﴿ مصدق ﴾ أي لما قبله من الكتب ﴿ لساناً عربياً ﴾ أي فصيحاً بيناً واضحاً ﴿ لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ﴾ أي مشتمل على النذارة للكافرين والبشارة للمؤمنين . وقوله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ تقدم تفسيرها في سورة حم السجدة ... وقوله تعالى : ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ أي فيما يستقبلون ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ على ما خلفوا ﴿ أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ﴾ أي الأعمال سبب لنيل الرحمة لهم وسبوغها عليهم ، والله أعلم .

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَٰثُونَ شَهْراً حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۞ (١٥) أُوْلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ۞ (١٦) ﴾

لما ذكر تعالى في الآية الأولى التوحيد له واخلاص العبادة له سبحانه عطف بالوصية بالوالدين كما هو مقرون في غير ما آية من القرآن : ﴿ وقضى ربك الا تعبدوا وإلا اياه وبالوالدين إحساناً ﴾ وقال تعالى ها هنا : ﴿ ووصَّينا الإنسان بوالديه إحساناً ﴾ أي أمرناه بالإحسان إليهما والحنو عليهما . وقوله تعالى : ﴿ حملته أمه كرهاً ﴾ أي قاست بسببه في حال حمله مشقة وتعباً من وحم وغثيان وثقل وكرب إلى غير ذلك مما تنال الحوامل ... ﴿ ووضعته كرها ﴾ أي بمشقة أيضاً من الطلق وشدته ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾ وقد استدل علي رضي الله منه بهذه الآية مع التي في لقمان : ﴿ وفصاله في عامين ﴾. وقوله تبارك وتعالى : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم

راجع الآية ١٤ من سررة لقمان

الرضاعة ﴾ على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر. وهو استنباط قوي صحيح، ووافقه عليه عثمان وجماعة من الصحابة رضيَ الله عنهم . قال محمد بن اسحق بن يسار عن معمر بن عبدالله الجهني قال : تزوج رجل منّا امرأةً من جهينة فولدت له لتمام ستة أشهر ، فانطلق زوجها إلى عثمان رضي الله عنه فذكر ذلك له فبعث اليها فلما قامت لتلبس ثيابها بكت أختها فقالت : وما يبكيك ؟ فوالله ما التبس بي أحد من خلق الله تعالى غيره قط ، فيقضي الله سبحانه وتعالى فيَّ ما شاء . فلما أتيَ بها عثمان رضي الله عنه أمر برجمها ، فبلغ ذلك علياً رضي الله عنه فأتاه فقال له : ما تصنع ؟ قال ولدت تماماً لستة أشهر ، وهل يكون ذلك ؟ فقال له عليّ رضي الله عنه : أما تقرأ القرآن ؟ قال : بلى . قال : أما سمعت الله عز وجل يقول : ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾ وقال : ﴿ حولين كاملين ﴾ فلم نجده بقي إلا ستة أشهر قال : فقال عثمان رضي الله عنه والله ما فطنت بهذا، علي بالمرأة ، فوجدوها قد فرغ منها قال فقال معمر فوالله ما الغراب بالغراب ولا البيضة بالبيضة بأشبه منه بأبيه ؛ فلما رآه أبوه قال : ابني والله لا أشك فيه . قال وابتلاه الله تعالى بهذه القرحة بوجهه الآكلة ، فما زالت تأكله حتى مات رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إذا وضعت المرأة لتسعة أشهر كفاه من الرضاع أحد وعشرون شهراً ، وإذا وضعت لسبعة أشهر كفاه من الرضاع ثلاثة وعشرون شهراً ، وإذا وضعته لستة أشهر فحولين كاملين لأن الله تعالى : يقول : ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده ﴾ أي قوي وشب وارتجل . ﴿ وبلغ أربعين سنةً ﴾ أي تناهى عقله وكمل فهمه .

روى الحافظ أبو يعلى الموصلي : عن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ١٣٢ [العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة خفف الله تعالى حسابه ، واذا بلغ ستين سنة رزقه الله تعالى الإنابة إليه ، واذا بلغ سبعين سنة أحبه أهل السماء ، وإذا بلغ ثمانين سنة ثبت الله تعالى حسناته ومحا سيئاته وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه الله تعالى في أهل بيته وكتب في السماء أسير الله في أرضه] .

﴿ قال ربّ أوزعني ﴾ أي ألهمني ﴿ أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه ﴾ أي في المستقبل (١) ﴿ وأصلح لي في ذريتي ﴾ أي نسلي

(١) قلت : لا يقبل الله عملا ولا يرضاه إلا اذا كان خالصاً لوجهه ، مطابقاً لشريعته . فإذا كان عملا يبتغي فيه رضاء الناس...ولو كان في حد ذاته صالحاً، فلا يتقبله الله ولا يرضاه. وقد يكون قاصداً به وجه الله ومخلصاً، ولكنه عمل بدعي غير مشروع. فكذلك لا يتقبله ولا يرضاه أما اذا كان خالصاً لوجه الله ذي الجلال

وعقبي ﴿ إني تبت إليك وإني من المسلمين ﴾ وهذا فيه ارشاد لمن بلغ الأربعين ان يجدد التوبة اليه تعالى ويعزم عليها. ثم قال تعالى : ﴿ أولئك الذين نتقبّل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة ﴾ أي هؤلاء المتصفون بما ذكرنا التائبون إلى الله المنيبون اليه المستدركون ما فات بالتوبة والاستغفار هم الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فيغفر لهم الكثير من الزلل ويتقبل منهم اليسير من العمل ، ويدخلون في جملة من يدخلون الجنة كما وعد الله التائبين ﴿ وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾ روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ عن الروح الأمين عليه الصلاة والسلام قال : ١٣٣ [يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فيقتص بعضها ببعض ، فإن بقيت حسنة وسع الله تعالى له في الجنة] .

﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۞ (١٧) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ۞ (١٨) وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞ (١٩) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ۞ (٢٠) ﴾

قوله تعالى : ﴿ والذي قال لوالديه أفٍ لكما ﴾ فبعد أن ذكر سبحانه وتعالى حال الداعين للوالدين ، البارين بهما وما لهم عنده تعالى من الفوز والنجاة، عطف بحال الأشقياء

والإكرام، وطبق ما في كتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، فهذا هو العمل الصالح الطيب الذي يتقبله ويرضاه، ويجزى عليه أضعافاً مضاعفة تفضلا منه وتكرماً. فإذا كان العمل هكذا تم به شكر النعمة ، وشكر النعمة طاعته كما أمر . « فاستقم كما أمرت » اللهم جنبنا ما لا ترضى وسلكنا صراطك المستقيم .

العاقّين للوالدين . وهذه الآية عامة في كل من قال هذا لوالديه ولا عبرة لقول من خصصها بأحد أبناء أبي بكر الصديق فلم يصحّ شيء من هذا البتة . وإنما هذا عامّ في كل من عقّ والديه وكذّب بالحق. والذي صح من رواية البخاري والنسائي وابن أبي حاتم تبرئة عبد الرحمن بن أبي بكر من ذلك ذكرنا هذا كي لا يخوض بذلك خائض ـ وقوله تعالى : ﴿ أتعدانني أن أخرج ﴾ أي أبعث ... ! ﴿ وقد خلت القرون من قبلي ﴾ أي قد مضى الناس فلم يرجع منهم مخبر ﴿ وهما يستغيثان الله ﴾ أي يسألان الله فيه أن يهديه ويقولان لولدهما : ﴿ ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا أساطير الأولين ﴾ قال الله تعالى : ﴿ أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴾ أي دخلوا في زمرة أشباههم وأضرابهم من الكافرين الخاسرين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وهذه الآية تؤيد ما ذهبنا إليه من ان قوله تعالى : ﴿ والذي قال لوالديه اف لكما ... ﴾ عامّ في كل من عقّ والديه وكذب بالحق . وقوله تعالى : ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ أي لكل عذاب بحسب عمله ﴿ وليوفّيهم اعمالهم وهم لا يظلمون ﴾ أي لا يظلمون مثقال ذرة فما دونها وقوله عز وجل ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ﴾ أي يقال ذلك لهم تقريعاً وتوبيخاً ﴿ فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴾ فعاقبهم الله من جنس أعمالهم. فكما منعوا أنفسهم واستكبروا عن أتباع الحق وتعاطوا الفسق والمعاصي . جازاهم الله تبارك وتعالى بعذاب الهون، وهو الإهانة والخزي والآلام الموجعة . والحسرات المتتابعة والمنازل في الدركات المفزعة المفظعة. أجارنا الله سبحانه وتعالى والمؤمنين من ذلك كله .



﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ (٢١) قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝ (٢٣)

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ❁ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ❁ (٢٥)

يقول تعالى مسلياً لنبيه ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه : ﴿ واذكر أخا عادٍ ﴾ وهو هود عليه الصلاة والسلام بعثه الله الى عاد الأولىٰ وكانوا يسكنون الأحقاف : وهي الجبال من الرمل من بلاد حضرموت مشرفة على البحر ، وقوله تعالى : ﴿ وقد خلت النذر من يديه ومن خلفه ﴾ يعني وقد أرسل الله تعالى إلى من حولهم في القرى مرسَلين ومنذرين ﴿ ألاّ تعبدوا إلاّ الله إني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ أي قال لهم هود ذلك، فأجابه قومه: ﴿ أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا ﴾ أي تصدّنا عن آلهتنا ﴿ فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ﴾ استعجلوا عذاب الله وعقوبته استبعاداً منهم وقوعه . كقوله تعالى : ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ﴾ ﴿ قال إنما العلم عند الله ﴾ أي هو أعلم بكم ان كنتم مستحقين تعجيل العذاب فما أنا إلا رسول بما أرسلت به ﴿ ولكني أراكم قوماً تجهلون ﴾ أي لا تعقلون ولا تفهمون . قال الله تعالى : ﴿ فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم ﴾ أي لما رأوا العذاب يستقبلهم، اعتقدوه بشرىٰ مطر فاستبشروا به، وقد كانوا ممحلين بحاجةٍ إلى المطر. قال الله تعالى: ﴿ بل هو ما استعجلتم به ريحٌ فيها عذاب أليم ﴾ أي هو العذاب الذي قلتم: فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ﴿ تدمّر ﴾ أي تخرب ﴿ كل شيء ﴾ من بلادهم ﴿ بأمر ربها ﴾ أي بإذنه تعالى، كقوله سبحانه : ﴿ ما تذر من شيء أتت عليه إلاّ جعلته كالرميم ﴾ أي كالشيء البالي. ولهذا قال عز وجل: ﴿ فأصبحوا لا يرى إلاّ مساكنهم ﴾ أي قد بادوا كلهم عن آخرهم ﴿ كذلك نجزي القوم المجرمين ﴾ أي هذا حكمنا فيمن كذب رسلنا وخالف أمرنا .

روى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ١٣٤[ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته ، انما كان يبتسم . وقالت : كان رسول الله ﷺ إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف ذلك في وجهه . قالت يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم، فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر ، وأراك إذا رأيته عـرفـتَ في وجهك الكراهية

فقال رسول الله ﷺ : « يا عائشة ما يؤمنني ان يكون فيه عذاب . قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب وقالوا هذا عارض ممطرنا » وأخرجاه

روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت :١٣٥[كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال : « اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به » قالت : وإذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل ، وأقبل وأدبر ، فإذا أمطرت سُرِّيَ عنه ، فعرفت ذلك عائشة رضي الله عنها فسألته فقال رسول الله ﷺ « لعله يا عائشة كما قال قوم عاد » : ﴿ فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ﴾] وقد ذكرت قصة هلاك قوم عاد في سورتي الأعراف وهود .

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ ٱللهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۞ (٢٦) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ (٢٧) فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِ ٱللهِ قُرْبَاناً آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۞ (٢٨) ﴾

يقول تعالى : ولقد مكنّا الأمم السالفة في الدنيا من الأموال والأولاد ، وأعطيناهم منها ما لم نعطكم مثله حتى ولا قريباً منه ﴿ وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنىٰ عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ أي وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يكذبون به ويستبعدون وقوعه . والمراد تحذير المخاطبين المشركين ان يكونوا مثلهم فيصيبهم مثل ما أصابهم من العذاب في الدارين . وقوله تعالى : ﴿ ولقد اهلكنا ما حولكم من القرىٰ ﴾ يعني أهل مكة ، وقد أهلك الأمم المكذبة بالرسل مما حولها ، كعاد بالأحقاف بحضرموت وثمود ما

بينهم وبين الشام ، وسبأ باليمن ، ومدين في طريقهم الى غزة وكذلك بحيرة قوم لوط كانوا يمرّون بها أيضاً . وقوله عز وجل : ﴿ وصرفنا الآيات ﴾ أي أوضحناها ﴿ لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة ﴾ أي فهل نصروهم عند احتياجهم إليهم ﴿ بل ضلّوا عنهم ﴾ أي بل ذهبوا عنهم أحوج ما كانوا إليهم ﴿ وذلك إفكهم ﴾ أي كذبهم ﴿ وما كانوا يفترون ﴾ في اتّخاذهم إياهم آلهة وقد خابوا وخسروا في عبادتهم لها واعتمادهم عليها والله تعالى أعلم .

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۝(٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ۝(٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ ٱللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝(٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝(٣٢) ﴾

روى الإمام أحمد عن الزبير ١٣٦ [﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ﴾ قال بنخلة ، ورسول الله ﷺ يصلّي العشاء الآخرة ﴿ كادوا يكونون عليه لبدا ﴾ قال سفيان ألبدَ بعضهم على بعضٍ كاللبد بعضه على بعض]

روى الإمام الشهير ابو بكر البيهقي في كتابه دلائل النبوة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ١٣٧ [ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم . انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وارسلت عليه الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم ، فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلاّ شيء قد حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها ، يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين

خبر السماء . فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة، عامداً الى سوق عكاظ وهو يصلّي بأصحابه صلاة الفجر . فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء . فهنالك حين رجعوا الى قومهم، ﴿ فقالوا : إنّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنّا به ولن نشرك بربنا أحداً ﴾ وأنزل الله على نبيه ﷺ : ﴿ قل أوحي إليّ انه استمع نفرٌ من الجن ﴾ وإنما أوحي اليه قول الجن]. رواه البخاري عن مسدد بنحوه ، وأخرجه مسلم عن شيبان بن فروخ عن أبي عوانة ، ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من حديث ابي عوانة .

روى أبو بكر بن أبي شيبة عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال ١٣٨ [هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة ، فلما سمعوه قالوا : أنصتوا قال : صـه وكانوا تسعةً أحدهم زوبعة . فأنزل الله عز وجل : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولّوا إلى قومهم منذرين – الى – ضلال مبين ﴾] فهذا .. مع رواية ابن عباس رضي الله عنهما يقتضي ان رسول الله ﷺ لم يشعر بحضورهم في هذه المرة وانما استمعوا قراءته ثم رجعوا الى قومهم ، ثم بعد ذلك وفدوا اليه أرسالاً قوماً بعد قوم وفوجاً بعد فوج ، كما ستأتي بذلك الأخبار في موضعها .

قال الحافظ البيهقي : وهذا الذي حكاه ابن عباس رضي الله عنهما انما هو أول ما سمعت الجن قراءة رسول الله ﷺ ، وعلمت حاله ، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ، ولم يرهم ، ثم بعد ذلك أتاه داعي الجن فقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى الله عز وجل كما رواه عبدالله بن مسعود ، رضي الله عنه .

روى الإمام أحمد عن علقمة قال : ١٣٩ [قلت لعبدالله بن مسعود رضي الله عنه : هل صحب رسول الله ﷺ ليلة الجن منكم أحدا ؟ فقال : ما صحبه منا أحد ولكنـا فقدناه ذات ليلة بمكة ، فقلنا اغتيل ؟ استطير ؟ ما فعل ؟ قال : فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم. فلما كان في وجه الصبح – أو قال – في السحر إذا نحن به يجيء من قبل حراء ، فقلنا يا رسول الله : فذكروا له الذي كانوا فيه فقال : « إنه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم » قال : فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم قـال : قال الشعبي : سألوه الزاد ، قال عامر : سألوه بمكة وكانوا من جن الجزيرة فقال : « كل عظم ذكر اسم الله عليه

يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً ، وكل بعرة أوروثة علف لدوابكم ـ قال ـ فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجن] » . هكذا رواه مسلم في صحيحه .

(طريق أخرى) فيها إنه ـ الى ابن مسعود ـ كان معه ليلة الجن. روى ابن جرير رحمه الله تعالى عن ابي عثمان بن شيبة الخزاعي وكان من أهل الشام قال : ان عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه وهو بمكة ١٤٠ [من أحب منكم أن يحضر أمر الجن الليلة فليفعل» فلم يحضر منهم أحد غيري . قال فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة، خطّ لي برجله خطاً، ثم أمرني أن أجلس فيه. ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته، ثم طفقوا يتقطّعون مثل قطع السحاب ذاهبين، حتى بقيَ منهم رهط ، ففرغ رسول الله ﷺ مع الفجر فانطلق فتبرّز ثم أتاني فقال : « ما فعل الرهط ؟» قلت : هم أولئك يا رسول الله فأعطاهم عظماً وروثاً زاداً . ثم نهىٰ أن يستطيب أحد بروثٍ أو عظـــم] .

= يتضح ممّا تقدم من أحاديث ، أن رسول الله ﷺ إستمع إليه نفر من الجن دون أن يعلم بهم وقد أخبره بذلك ثم تبين من حديث علقمة وحديث عثمان بن شيبة الخزاعي كلاهما عن ابن مسعود ان رسول الله ﷺ ذهب الى الجن قصداً، فتلا عليهم القرآن ودعاهم الى الله عز وجل . وكان ابن مسعود معه ولكن أمره أن يجلس بعيداً بعد أن خط له خطاً أمره ﷺ ان لا يجتازه خشية ان تخطفه الجن. وكل هذا كان بمكة أما الجن الذين لقوه بنخلة، فجن نينوى . وأما الجن الذين لقوه بمكة بالحجون، فجن نصيبين .

على أن ابن عباس الذي رويَ عنه أنه نفى أن يكون عليه الصلاة والسلام اجتمع بالجن إنما هم اجتمعوا إليه، وسمعوا منه القرآن دون أن يعلم. فقد روي عنه أيضاً أنه ﷺ اجتمع بهم، كما قال ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن ﴾ قال كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين ، فجعلهم رسول ﷺ رسلاً إلى قومهم .

فهذا يدل على ان ابنَ عباس رضي الله عنهما قد روىٰ القصتين . نفياً وإثباتاً . وقد اختلف بعدد الجن الذين وفدوا على رسول الله ﷺ ، فقيل تسعة أتوه من أصل نخلة ، وقيل خمسة عشر ، وقيل ثلثمائة ، وقيل اثني عشر ألفاً . فلعل هذا الاختلاف دليل على

تكرار الوفادة عليه ﷺ من قبلهم . كما ان وفود الجن كانت تأتيه ﷺ الى المدينة. كما روي ذلك عن ابن مسعود والزبير بن العوام . ولكن في رواية ابن مسعود مجهولاً ورواية الزبير ابن العوام بقيّة بن الوليد وهو مدلس مما دعانا أن نضرب صفحاً عن تسجيل الحديثين وقد اخترنا من الأحاديث الواردة ما يفي بالمراد بغية الاختصار غير المخل وأهملنا ما لا كبير أهمية بذكره لبعض أخبار عن الجن ذكرها ابن كثير رحمه الله استطراداً [1] . =

وقوله تعالى : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن ﴾ أي طائفة منهم ﴿ يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا ﴾ أي استمعوا ... وهذا أدب منهم .

وقد روى الحافظ البيهقي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : ١٤١ [قرأ رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال: « ما لي أراكم سكوتاً ؟ لَلْجِن كانوا أحسن منكم رداً ، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة ﴿ فبأي آلا ربكما تكذبان ﴾ إلا قالوا : ولا بشيء من آلائك أو نعمك ، ربنا نكذب فلك الحمد »] ورواه الترمذي.

وقوله عز وجل : ﴿ فلما قُضِيَ ﴾ أي فرغ كقوله تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة ﴾ ﴿ ولّوْا إلى قومهم منذرين ﴾ أي رجعوا الى قومهم فأنذروهم ما سمعوه من القرآن من فم رسول الله ﷺ كقوله جل وعلا: ﴿ ليتفقّهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ وقد استُدِل بهذه الآية على انه في الجن نذر وليس فيهم رسل ،أنبياء ـ ولا شك أن الجن لم يبعث الله تعالى منهم رسولاً لقوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي اليهم من أهل القرى ﴾ فأما قوله تعالى : ﴿ يا معشر الجن والأنس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ فالمراد من مجموع الجنسين فيصدق على احدهما وهو الإنس كقولـه ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ أي أحدهما .

ثم انه تعالى فسر انذار الجن لقومهم فقال مخبراً عنهم : قالوا ﴿ يا قومنا إنا سمعنا كتاباً انزل من بعد موسى ﴾ ولم يذكروا عيسى ، لأن عيسى عليه الصلاة والسلام أنزل عليه الأنجيل فيه مواعظ ورقائق وقليـل من التحليل والتحريم وهو في الحقيقة كالمتمّم لشريعة التوراة فالعمدة هو التوراة . فلهذا قالوا : ﴿ أنزل من بعد موسى ﴾ ﴿ مصدقاً لما بين يديه ﴾ أي من الكتب المنزلة على الأنبيـاء قبله . وقوله تعالى : ﴿ يهدي إلى الحق ﴾ أي في الاعتقاد والأخبار ﴿ وإلى طريق مستقيم ﴾ في الأعمال فإن القرآن مشتمل على شيئين : خبر وطلب ، فخبره صدق وطلبه عدل .

(١) ما بين المساوين من كلامي لا من كلام المفسر رحمه الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ وتمت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً ﴾ . وقوله تعالى حكاية عنهم : ﴿ يا قومنا أجيبوا داعي الله ﴾ فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمداً ﷺ إلى الثقلين الجن والإنس. حيث دعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم، وهي سورة الرحمن. ولهذا قال : ﴿ اجيبوا داعي الله وآمنوا به ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ﴾ أي ويقيكم من عذابه الأليم ، وقد استدل بعض العلماء بهذه الآية إلى أن الجن المؤمنين لا يدخلون الجنّة وإنّما جزاء صالحيهم أن يجارَ من عذاب النار يوم القيامة وهذا قول فيه نظر ، والحق أن مؤمنيهم كمؤمني الأنس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف بدليل : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ فقد امتن الله تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنّة وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من الأنس فقالوا : ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد . فلم يكن تعالى ليمتن عليهم بجزاء لا يحصل لهم ، وإذا كان يجازي كافرهم بالنار وهو مقام عدل فلأن يجازي مؤمنهم بالجنة وهو مقام فضل بطريق الأولى والأحرى . ومما يدلّ أيضاً على ذلك عموم قوله تعالى: ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً ﴾ وما أشبه ذلك من الآيات ثم قال مخبراً عنهم ﴿ ومن لا يُجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض ﴾ بل قدرة الله شاملة له محيطة به ﴿ وليس لهم من دونه أولياء ﴾ أي لا يجيرهم منه أحد ﴿ أولئك في ضلالٍ مبين ﴾ وهذا مقام تهديد وترهيب فدعوا قومهم بالترغيب والترهيب ، ولهذا نجع في كثير منهم وجاءوا إلى رسول الله ﷺ وفوداً وفوداً كما تقدم بيانه ولله الحمد والمنّة والله أعلم .

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ (٣٣) وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۞(٣٤) فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ

يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَاسِقُونَ ۞ (٣٥)

يقول تعالى : أولم ير هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة المستبعدون لقيام الأجساد يوم المعاد ﴿ أن الله خلق السموات والأرض ولم يعْيَ بخلقهن ﴾ أي ولم يكن شديداً عليه ذلك بل قال لها: كوني فكانت بلا ممانعة ولا مخالفة، بل طائعة مجيبة خائفة وجلة. أفليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟ ﴿ بلى إنه على كل شيء قدير ﴾

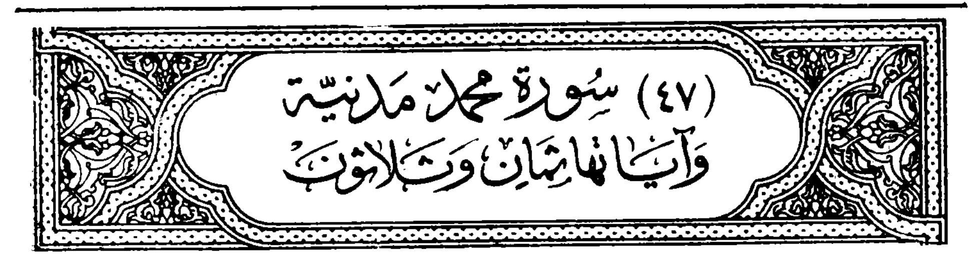
ثم قال جل جلاله متهدداً لمن كفر به: ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق ﴾ أي يقال لهم أما هذا حقّ ، أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ؟ ﴿ قالوا بلى وربّنا ﴾ أي لا يسعهم إلاّ الاعتراف ﴿ قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ ثم أمر تعالى رسوله ﷺ بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ أي على تكذيب قومهم لهم وأشهر الأقوال أن أولي العزم هم : نوح إبراهيم موسى ، عيسى ، محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام .

وقد روى ابن أبي حاتم عن مسروق قال ١٤٢ [قالت لي عائشة رضي الله عنها : ظلّ رسول الله ﷺ صائماً ثم طواه ثم ظل صائماً ثم طواه ثم ظل صائماً ثم قال : « يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد ، يا عائشة إن الله تعالى لم يرضَ من أولي العزم من الرسل إلاّ بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها ثم لم يرض مني إلا ان يكلفني ما كلفهم فقال : ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ وإني والله لأصبرن كما صبروا جهدي ولا قوّة إلاّ بالله »] ﴿ ولا تستعجل لهم ﴾ أي لا تستعجل لهم حلول العقوبة بهم كقوله تعالى: ﴿ فمهّل الكافرين أمهلهم رويداً ﴾

وقوله تعالى : ﴿ كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعةً من نهار ﴾

كقوله تعالى : ﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلاّ عشية أو ضحاها ﴾ وقولُه تعالى : ﴿ بلاغ ﴾ أي هذا القرآن بلاغ وقوله تعالى : ﴿ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ﴾ أي وهذا من عدله عز وجل أنه لا يعذب إلاّ من يستحق العذاب والله أعلم .

آخر اختصار تفسير سورة الأحقاف ولله الحمد
والمنّة وبه التوفيق والعصمة والسداد



إلاّ الآية / ١٣ /فقد نزلت في الطريق أثناء الهجرة . نزلت بعد سورة الحديد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۞(١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۞ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۞ (٣) ﴾

يقول تعالى : ﴿ الذين كفروا ﴾ أي بآيات الله ﴿ وصدوا ﴾ غيرهم ﴿ عن سبيل الله أضلَّ أعمالهم ﴾ أي أبطلها.كقوله تعالى : ﴿ وقدِمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ ثم قال جل وعلا : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي آمنت قلوبهم بالله وانقادت جوارحهم لشرعه باطناً وظاهراً ﴿ وآمنوا بما نزّل على محمد ﴾ عطف خاص على عام وهو دليل على أنه شرط في صحة الايمان بعد بعثته ﷺ . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وهو الحق من ربهم ﴾ جملة معترضة حسنة. ولهذا قال جل جلاله﴿ كفّر عنهم سيئآتـهم وأصلح بالهم ﴾ أي حالهم.وقد جاء في حديث تشميت العاطس : ١٤٣ [يهديكم الله ويصلح بالكم] ثم قال عز وجل : ﴿ ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل ﴾ أي إنما أبطلنا أعمال الكفار لأن الذين كفروا اختاروا الباطل على الحق ﴿ وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم ﴾ أي يبين لهم أعمالهم ، وما يصيرون إليه في معادهم والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ❁ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ❁ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ❁ (٦) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ❁(٧) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ❁ (٨) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ❁ (٩) ﴾

يرشد تعالى المؤمنين إلى ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين ﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ﴾ أي فاحصدوهم حصداً بالسيوف ﴿ حتى اذا أثخنتموهم ﴾ أي أهلكتموهم قتلاً ﴿ فشدوا الوثاق ﴾ أي وثاق الأسرىٰ الذين تأسرونهم ، ﴿ فإما منّا بعدُ وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ ثم أنتم بعد انقضاء الحرب وانفصال المعركة مخيّرون في أمرهم : إن شئتم مننتم عليهم فاطلقتموهم مجاناً ، أو شئتم فاديتموهم بمـــال تأخذونه منهم ، وتشارطونهم عليه. والظاهر أن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر ، فقد عاتب الله تعالى المؤمنين على الاستكثار من الأسارىٰ والتقليل من القتل ليأخذوا منهم الفداء فقال تعالى : ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرىٰ حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴾ وقيل إن آية : ﴿ فإما منّاً بعد وإما فداءً ﴾ منسوخة بقوله تعالى ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي وقال آخرون وهم الأكثرون ، ليست منسوخة ثم قال بعضهم إنّما الإمام مخيّرٌ بين المنِّ والمفاداة فقط ، ولا يجوز قتله. وقال آخرون منهم : بل له ان يقتله ان شاء لحديث١٤٤ [قتل النبي ﷺ النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط من أسارىٰ بدر] :
١٤٥[وقال ثمامة بن أثال لرسول الله ﷺ حين قال له : « ما عندك يا ثمامة »؟ فقال : ان

تقتل تقتل ذادَم ، وإن تمنن تمنن على شاكر ، وإن كنت تريد المال فاسأل تعطَ منه ما شئت] وزاد الشافعي رحمة الله عليه فقال : الإمام مخير بين قتله أو المنّ عليه أو مفاداته أو استرقاقه أيضاً ، وهذه المسألة محررة في مواضعها من كتب الأحكام .

وقوله عز وجل : ﴿ حتّى تضع الحرب أوزارها ﴾ قال مجاهد : حتّى ينزل عيسى بنُ مريم عليه الصلاه والسلام وكأنه أخذه من قوله ﷺ :١٤٦[لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يقاتل آخرهم الدجّال] وروى الإمام أحمد عن جبير بن نفير : ١٤٧[أن سلمة بن نفيل أخبرهم أنه أتى رسول الله ﷺ فقال : إني سيّبتُ الخيل، وألقيت السلاح ووضعت الحرب أوزارها. وقلت : لا قتال ، فقال له النبي ﷺ « الآن جاء القتال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس يزيغ الله تعالى قلوب أقوام ، فيقاتلونهم ، ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ألا إن عقد دار المؤمنين بالشام ، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة »] وهكذا رواه النسائي من طريقين عن جبير بن نفير عن سلمة بن نفيل به وهذا ما يقوىّ القول بعدم النسخ كأنه شرع هذا الحكم في الحرب إلى أن لا يبقى حرب . وقوله تعالى : ﴿ ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ﴾ أي لانتقم من الكافرين بعقوبة من عنده ﴿ ولكن ليبلو بعضكم ببعض ﴾ أي ولكن شرع لكم الجهاد ليختبركم ، كقوله تعالى : ﴿ أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ ولما كان من شأن القتال أن يقتل كثير من المؤمنين قال تعالى : ﴿ والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ﴾ أي لن يذهبها بل يضاعفها وينمّيها ، ومنهم من يجرى عليه عمله طول برزخه . روى أحمد عن قيس الجذامي – رجل كانت له صحبة – قال قال رسول الله ﷺ : ١٤٨[يعطى الشهيد ست خصال : عند أول قطرة من دمه تكفر عنه كل خطيئة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويزوج من الحور العين ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ومن عذاب القبر ، ويحلّى حلة الإيمان] وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو وابي قتادة رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال :١٤٩[يغفر للشهيد كلّ شيء إلاّ الدَّيْن] وروى أبو الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ ١٥٠[يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته] وقوله تبارك وتعالى : ﴿ سيهديهم ﴾ أي إلى الجنة وقوله تعالى : ﴿ ويصلح بالهم ﴾ أي أمرهم وحالهم ﴿ ويدخلهم الجنة عرّفها لهم ﴾ أي عرفهم بها وهداهم إليها. روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ١٥١[إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار ، يتقاصّون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هُذّبوا ونُقّوا أذن لهم في دخول الجنة ، والذي نفسي بيده

إن أحدهم بمنزله في الجنة أهدى منه بمنزله الذي كان في الدنيا] .

ثم قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ كقوله تعالى: ﴿ ولينصرنّ الله من ينصره ﴾ فإن الجزاء من جنس العمل ولهذا قال تعالى : ﴿ ويثبت أقدامكم ﴾ كما جاء في الحديث ١٥٢ [من بلّغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله تعالى قدميه على الصراط يوم القيامة] ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ والذين كفروا فتعساً لهم ﴾ عكس تثبيت الأقدام للمؤمنين الناصرين لله تعالى ولرسوله ﷺ وقد ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال ١٥٣ [تعس عبد الدينار تعس عبد الدر هم تعس عبد القطيفة ، تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش] أي فلا شفاه الله عز وجل وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وأضل أعمالهم ﴾ أي أحبطها وأبطلها. ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله ﴾ أي لا يريدونه ولا يحبونه ﴿ فأحبط أعمالهم ﴾ .

نصف الحزب

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ۞ (١٠) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۞ (١١) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ۞ (١٢) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۞ (١٣) ﴾

يقول تعالى : ﴿ أفلم يسيروا ﴾ يعني المشركين بالله المكذبين لرسوله ﴿ في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمّر الله عليهم ﴾ أي عاقبهم بتكذيبهم وكفرهم ونجّى المؤمنين من بين أظهرهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وللكافرين أمثالها ﴾ ثم قال جل جلاله ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولىٰ لهم ﴾ ولذلك أمر رسول الله

ﷺ المسلمين يوم فرغوا من وقعة أحد ـ أن يجيبوا أبا سفيان لما قال لهم: لنا العزّى لا عزّى لكم ـ « الله مولانا ولا مولى لكم ».

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ أي يوم القيامة ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ﴾ أي في دنياهم ... وليس لهمَ همٌّ إلا ذلك ولهذا ثبت في الصحيح:٥٤[المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء] أي كأن له سبعة أمعاء كنايةً عن كثرة أكله ثم قال تعالى: ﴿ والنار مثوى لهم ﴾ أي يوم جزائهم. وقوله تعالى: ﴿ وكأين من قريةٍ هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك ﴾ يعني مكة ﴿ أهلكناهم فلا ناصر لهم ﴾ وهذا تهديد ووعيد لأهل مكة في تكذيبهم لرسول الله ﷺ. فإذا كان الله عزّ وجل قد أهلك الأممَ قبلهم بسبب تكذيبهم لرسلهم ـ وقد كانوا أشدّ قوّة من هؤلاء فماذا ظن هؤلاء أن يفعل الله بهم في الدنيا والآخرة وقد كذبوا أعظم الرسل وأكرمَهم على الله وخاتمهم عبده ورسوله محمداً صلوات الله وسلامه عليه.

﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۝ (١٤) مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۝ (١٥) ﴾

يقول تعالى: ﴿ أفمن كان على بيّنة من ربّه ﴾ أي على بصيرة ويقين في أمر الله ودينه ﴿ كمن زيّن له سوء عمله واتّبعوا أهواءَهم ﴾ أي ليس هذا كهذا. كقوله تعالى: ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ﴾ ثم قال عز وجل: ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ أي وصفها ﴿ فيها أنهار من ماء غير آسن ﴾ أي غير متغير الرائحة ولا كدر فيه، ﴿ وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ﴾ بل في غاية البياض والحلاوة والدسومة ﴿ وأنهار من خمر لذة للشاربين ﴾ أي ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر

الدنيا بل حسنة المنظر والطعم والرائحة والفعل ﴿ وأنهار من عسل مصفّى ﴾ في غاية الصفاء وحسن اللون والطعم والريح .

قال الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ١٥٥[في الجنة بحر اللبن وبحر الماء وبحر العسل وبحر الخمر، ثم تشقق أنهار منها بعد]ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح . وفي الصحيح ١٥٦[إذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن] .

وقوله تعالى : ﴿ ولهم فيها من كل الثمرات ﴾ كقوله جلّ وعلا : ﴿ يدعون فيها بكل فاكهة آمنين ﴾ ﴿ ومغفرة من ربهم ﴾ أي مع كل ذلك. وقوله تعالى: ﴿ كمن هو خالد في النار ﴾ أي هؤلاء الذين ذكرت منزلتهم في الجنة كمن هو خالد في النار ؟ أي ليس من هو في الدرجات كمن هو في الدركات ﴿ وسقوا ماءً حميماً ﴾ أي حاراً شديد الحر لا يستطاع ﴿ فقطع أمعاءهم ﴾ أي قطع ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء عياذاً بالله من ذلك .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۞ (١٦) وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۞ (١٧) فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ۞ (١٨) فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۞ (١٩) ﴾

يخبر تعالى عن المنافقين في بلادتهم وقلة فهمهم ، إذ يستمعون منه ﷺ ولا يفهمون وإذا خرجوا من عنده ﴿ قالوا للذين أوتوا العلم ﴾ من الصحابة رضي الله عنهم ﴿ ماذا قال آنفاً ﴾ أي الساعة لا يعقلون ماذا قال ولا يكترثون ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم ﴾ فلا فهم صحيح ولا قصد صحيح ثم قال عز وجل: ﴿ والذين

اهتدوا زادهم هدى ﴾ وزادهم وثبتهم على هدايتهم ﴿ وآتاهم تقواهم ﴾ أي ألهمهم رشدهم. وقوله تعالى : ﴿ فهل ينظرون إلاّ الساعة أن تأتيهم بغتةً ﴾ أي فجأةً ﴿ فقد جاء أشراطها ﴾ أي علامات اقترابها. كقوله جل وعلا : ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ﴾ فبعثة رسول الله ﷺ من أشراط الساعة ، لأنه خاتم الرسل والأنبياء الذي أكمل الله به الدين، وأقام به الحجة على العالمين . وقال البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه ١٥٧.[رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعيه هكذا بالوسطى والتي تليها : « بعثت أنا والساعة كهاتين »] ثم قال تعالى: ﴿ فأنّى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾ أي فكيف للكافرين بالتذكر إذا جاءتهم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ يومئذ يتذكر الإنسان وأنّى له الذكرىٰ ﴾ وقوله عز وجل ﴿ فاعلم أنه لا إله إلاّ الله ﴾ هـذا إخبار بأنه لا إله إلاّ الله . ولا يتأتّى كونه آمراً بعلم ذلك [1] ﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ وفي الصحيح : ان رسول الله ﷺ كان يقول ١٥٨[اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني ، اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي] وفي الصحيح ١٥٩[انه كان يقول في آخر الصلاة اللهم أغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت ، وما أنت أعلم به مني انت إلهي لا إله إلاّ أنت»] وفي الصحيح أنه قال ١٦٠[يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فاني استغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة] .

وروى أبو يعلى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : ١٦[عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فأكثروا منهما فإن إبليس قال: إنما هلكت الناس بالذنوب واهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء ، فهم يحسبون أنهم مهتدون] وقوله تعالى : ﴿ والله يعلم متقلّبكم ومثواكم ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وهو الذي يتوفّاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾ .

۞ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

---

(١) قلت : إن « لا إله إلا الله » هذه الكلمة الطيبة ، يجب أن يقولها المؤمن عالماً بمعناها و بمستلزماتها بنفي الألوهية عن كل شيء و إثباتها لله وحده لا شريك له. كما أن لها حقوقاً يجب أن يتحقق بها قائلها فهماً و تطبيقاً ، فلا ينقضها بقول أو عمل. أما ترديدها بلا فهم ولا علم بمعناها ولا تحقق بما يجب من حقوقها. . . فلا ينتفع بها قائلها شيئاً.

يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۞ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۞ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۞ (٢٢) أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ۞ (٢٣)

يخبر تعالى عن المؤمنين أنهم تمنّوا شرعية الجهاد . فلما فرضه الله عز وجل وأمر به نكل عنه كثير من الناس. كقوله تبارك وتعالى: ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفّوا أيديكم واقيموا الصلاة وآتو الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لما كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً ﴾ وقال عز وجل ها هنا : ﴿ ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة ﴾ أي مشتملة على حكم القتال.ولهذا قال تعالى : ﴿ فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشيّ عليه من الموت ﴾ أي من فزعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء الأعداء . ثم قـال مشجّعاً لهم ﴿ فأولى لهم طاعة وقول معروف ﴾ أي وكان الأولى بهم أن يسمعوا ويطيعوا أي في الحالة الراهنة ﴿ فإذا عزم الأمر ﴾ أي جدّ الحال . وحضر القتال ﴿ فلو صدقوا الله ﴾ أي أخلصوا له النيّة ﴿ لكان خيراً لهم ﴾ .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ فهل عسيتم إن تولّيتم ﴾ أي عن الجهاد ونكلتم عنه ﴿ أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ أي تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية الجهلاء تسفكون الدماء وتقطعون الأرحام.ولهذا قال تعالى : ﴿ أولئك الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم ﴾ وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموماً ، وعن قطع الأرحام خصوصاً ، بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام ، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال وقد وردت الأحاديث الصحيحة والحسان بذلك نذكر منها ما ييسره الله تعالى .

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ١٦٢ [« خلق الله تعالى الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقوي الرحمن عز وجل فقال : مه .فقالت

هذا مقام العائذ بك من القطيعة فقال تعالى : ألا ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك ؟ قالت بلى ، قال فذاك لك » قال أبو هريرة رضي الله عنه : اقرأوا ان شئتم ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتُقَطِّعوا أرحامكم ﴾] ثم رواه البخاري من طريقين آخرين عن معاوية بن أبي مزرد به قال١٦٣ [قال رسول الله ﷺ إقرأوا ان شئتم : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتُقَطِّعُوا أرحامكم ﴾] ورواه مسلم من حديث معاوية بن أبي مزرد به .

روى الإمام أحمد عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ١٦٤ [ما من ذنب أحرى أن يعجل الله تعالى عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم] ورواه ابو داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث صحيح .

روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ١٦٥ [ان الرحم معلقة بالعرش، وليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها] رواه البخاري .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۞ (٢٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۞ (٢٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۞ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ۞ (٢٧) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۞ (٢٨) ﴾

يأمر تعالى بتدبُّر القرآن وتفهّمه وناهياً عن الإعراض عنه. فقال سبحانه: ﴿ أفلا يتدبَّرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ أي بل على قلوب أقفالها فهي مطبقة لا يخلص اليها شيء من معانيه. ثم قال تعالى: ﴿ إن الذين ارتدُّوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى ﴾ أي فارقوا الايمان ورجعوا إلى الكفر ـ والعياذ بالله تعالى من سوء المنقلب ـ ﴿ من بعد ما

تبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم ﴾ أي زين لهم ذلك وحسّنه ﴿ وأملى لهم ﴾ أي غرَّهم وخدعهم ﴿ ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر ﴾ أي مالؤوهم وناصحوهم في الباطن على الباطل وهذا شأن المنافقين يظهرون خلاف ما يبطنون. ولهذا قال جل جلاله : ﴿ والله يعلم إسرارهم ﴾ أي ما يخفون كقوله تعالى : ﴿ والله يكتب ما يبيتون ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ فكيف إذا توفّتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ أي كيف حالهم إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم ، وتعاصَّت الأرواح في أجسادهم واستخرجتها الملائكة بالعنف والقهر والضرب كقوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ يتوفّى الذين كفروا الملائكةُ يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ الآية ... ﴿ ذلك بأنهم اتّبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ — نعوذ بالله من غضبه ونقمه —

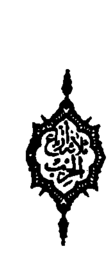
﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ۞ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ۞ (٣٠) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ ۞ (٣١) ﴾

يقول تعالى : ﴿ أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يُخرجَ الله أضغانهم ﴾ أي أيعتقد المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين ، بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمهم ذوو البصائر ، وقد أنزل الله تعالى في سورة براءة فبيّن فيها فضائحهم ، وما يعتمدونه من الأفعال الدّالة على نفاقهم ، ولهذا كانت تسمى الفاضحة .

والأضغان: جمع ضغن. وهو ما في النفوس من الحسد والحقد للإسلام وأهله، والقائمين بنصره . وقوله تعالى : ﴿ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ﴾ ولكن لم يفعل تعالى ذلك في جميع المنافقين حملاً للأمور على ظاهر السلامة ورداً للسرائر إلى عالمها ﴿ ولتعرفنّهم في لحن القول ﴾ أي فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم ، يفهم المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه ، وهو المراد من لحن القول . كما قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه : ما أسر أحد سريرة إلاّ أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه ، وقد ورد في الحديث تعيين جماعة من المنافقين ، قال الإمام أحمد عن أبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه قال ١٦٦[خطبنا رسول الله ﷺ خطبة فحمد الله

تعالىٰ وأثنى عليه ثم قال : « ان منكم منافقين فمن سمَّيتُ فليقمْ ، ثم ــ قال ــ قم يا فلان ، قم يا فلان ، قم يا فلان ــ » حتى سمىٰ ستة وثلاثين رجلاً ثم قال : « ان فيكم أو منكم ــ منافقين فاتقوا الله » قال فمر عمر رضي عنه برجل ممن سمّى مقنع قد كان يعرفه فقال : مالك ؟ فحدّثه بما قال رسول الله ﷺ فقال : بعداً لك سائر اليوم .]

وقوله عز وجل: ﴿ولنبلونّكم﴾ ولنختبرنكم بالأوامر والنواهي ﴿حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾ وهو أعلم بها وليس في علم الله شك أو ريب انما المراد حتى يرى وقوع الأعمال المستندة للأوامر والنواهي ولهذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما : « إلاّ لنعلم ، أي لنرى » .



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ (٣٢) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا أَعْمَٰلَكُمْ ۝ (٣٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۝ (٣٤) فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوٓا إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ۝ (٣٥)﴾

يخبر تعالى عمن كفر وصدّ عن سبيل الله وخالف الرسول وشاقّه وارتدّ عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى إنه لن يضر الله شيئاً ، وانما يضر نفسه ويخسرها يوم معادها وسيحبط الله عمله فلا يثيبه على سالف عمله الذي عقّبه بردةٍ ولا مثقال بعوضة من خير بل يحبطه ويمحقه بالكلية ، كما أن الحسناتِ يذهبن السيئات .

روى الإمام أحمد عن طريق عبدالله بن المبارك ... عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ١٦٧[كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أنه ليس شيء من الحسنات إلاّ مقبول حتى نزلت : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا ؟ فقلنا : الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل قوله تعالى : ﴿ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ فلما نزلت كففنا عن القول في ذلك فكنّا

نخاف على من أصاب الكبائر والفواحش ونرجو لمن لم يصبها] .

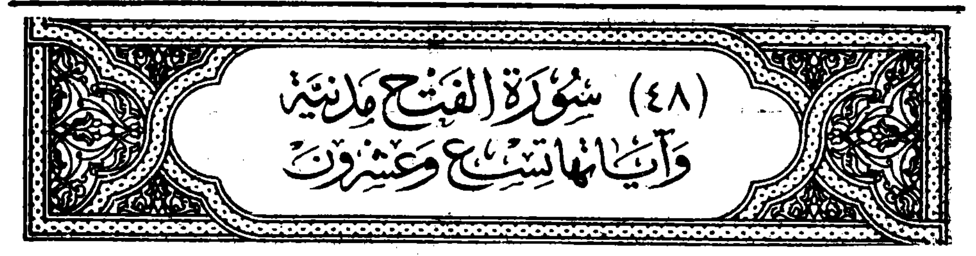
ثم أمر تبارك وتعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله التي هي سعادتهم في الدارين ونهاهم عن الارتداد الذي هو مبطل للأعمال ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ولا تبطلوا أعمالكم﴾ أي بالردّة. ولهذا قال بعدها : ﴿ إن الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفّار فلن يغفر الله لهم ﴾ ثم قال جل وعلا لعباده المؤمنين : ﴿ فلا تهنوا ﴾ أي لا تضعفوا عن الأعداء ﴿ وتدعوا إلى السلم ﴾ أي المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عددكم وعُددكم. ولهذا قال تعالى : ﴿ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون ﴾ أي في حال علوّكم على عدوّكم ، فأمّا إذا كان الكفار فيهم قوّة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين ، ورأى الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحة فله ان يفعل ذلك ، كما فعل رسول الله ﷺ حين صدّه كفّار قريش عن مكة ودعوه إلى الصلح ، ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين ، فأجابهم ﷺ إلى ذلك. وقوله جلت عظمته : ﴿والله معكم﴾ فيه بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعداء ﴿ ولن يتركم أعمالكم ﴾ أي ولن يحبطها ويسلبكم إيّاها بل يوفّيكم ثوابها ولا ينقصكم منها شيئاً ، والله تعالى أعلم .

﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ۞ (٣٦) إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ۞ (٣٧) هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ۞ (٣٨) ﴾

يقول الله تعالى تحقيراً لأمر الدنيا : ﴿ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو ﴾ إلاّ ما كان منها لله عز وجل ولهذا قال تعالى : ﴿ وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ﴾ بل هو غنيّ عنكم إنّما فرض عليكم الصدقات من الأموال مواساةً لإخوانكم الفقراء ويعود ثوابه إليكم. ثم قال جل جلاله : ﴿ إن يسألكموها فيُحفكم تبخلوا ﴾ أي

يحرجكم تبخلوا ﴿ ويخرج أضغانكم ﴾ صدق الله تعالى فإن إخراج المال إخراج الأضغان لأن المال محبوب لا يصرف إلا فيما هو أحب إلى الشخص منه وقوله تعالى : ﴿ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ﴾ أي لا يجيب إلى ذلك ﴿ ومن يبخلْ فإنما يبخل عن نفسه ﴾ أي أضاع على نفسه الأجر وعود الوبال عليه ﴿ والله الغنيّ ﴾ عما سواه وفقير إليه ما عداه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وأنتم الفقراء ﴾ أي بالذات إليه فوصفه بالغنى ، ووصف الخلق بالفقر وصف لازم لهم لا ينفكّون عنه . وقوله تعالى : ﴿ وإن تتولّوْا ﴾ أي عن طاعته واتباع شرعه ، ﴿ يستبدلْ قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ ولكن يكونون سامعين مطيعين له ولأوامره .

آخر اختصار تفسير سورة محمّد ﷺ ولله الحمد والمنة وبه العصمة وعليه التكلان



نزلت في الحديبية بعد سورة الجمعة

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة قال : سمعت عبد الله بن مغفل يقول : [قرأ رسول الله ﷺ عام الفتح في مسيره سورة الفتح على راحلته فرجّع فيها . قال معاوية لولا أني أكره أن يجتمع الناس علينا لحكيت قراءته] أخرجاه من حديث شعبة .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ۞ (١) لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ۞ (٢) وَيَنْصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً ۞ (٣) ﴾

نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله ﷺ ، من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة ، حين صدّه المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام.فيقضي عمرته فيه وحالوا بينه وبين ذلك ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة ، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل ، فأجابهم إلى ذلك على تكرّه من جماعة من الصحابة ، منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما سيأتي تفصيله في موضعه من تفسير هذه السورة إن شاء الله تعالى . فلما نحر هديه حيث أُحصِر ورجع ، أنزل الله عزّ وجل هذه السورة فيما كان من أمره وأمرهم وجعل ذلك الصلح فتحاً باعتبار ما فيه من المصلحة ، وما آل الأمر إليه . كما روى

ابن مسعود رضي الله عنه ، وغيره انه قال : انكم تعدّون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح صلح الحديبية. قال البخاري عن البراء رضي الله عنه قال ١٦٨ [تعدون أنتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية ، كنّا مع رسول الله ﷺ أربع عشر مائة ، والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا... ثم صبّه فيها فتركناها غير بعيد ، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركائبنا] وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ١٦٩ [نزلت على النبي ﷺ ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ مرجعه من الحديبية . قال النبي ﷺ « لقد نزلت علي الليلة آية أحبّ إلي ممّا على الأرض » ثم قرأها عليهم النبي ﷺ فقالوا : هنيئاً مريئاً يا نبي الله بين الله عز وجل ما يفعل بك فماذا يفعل بنا ؟ فنزلت عليه ﷺ : ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار ـ حتى بلغ ـ فوزاً عظيماً ﴾] أخرجاه في الصحيحين من رواية قتادة به . وروى الإمام أحمد عن مجمع بن حارثة الأنصاري رضي الله عنه وكان أحدَ القراء الذين قرأوا القرآن قال ١٧٠ [شهدنا الحديبية فلما انصرفنا عنها إذا الناس ينفرون الأباعر فقال الناس بعضهم لبعض : ما للناس ؟ قالوا : أوحي إلى رسول الله ﷺ على راحلته عند كراع الغميم ، فاجتمع الناس عليه فقرأ عليهم : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ قال فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أي رسول الله أو فتح هو ؟ قال ﷺ « إي والذي نفس محمد بيده إنه لفتح » قسّمت خيبر على أهل الحديبية لم يدخل معهم فيها أحد إلاّ من شهد الحديبية فقسمها رسول الله ﷺ ثمانية عشر سهماً ، وكان الجيش ألفاً وخمسمائة منهم ثلثمائة فارس فأعطى الفارس سهمين وأعطى الراجل سهماً] . ورواه أبو داود .

وروى الإمام أحمد عن المغيرة بن شعبة يقول ١٧١ [كان النبي ﷺ يصلي حتى ترم قدماه ، فقيل له أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال ﷺ : « افلا أكون عبداً شكوراً »] أخرجاه وبقية الجماعة إلا أبا داود من حديث زياد به . فقوله تعالى : ﴿ إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ أي بيّناً ظاهراً. والمراد به صلح الحديبية حصل بسببه خير كثير وآمن الناس ، واجتمع بعضهم إلى بعض ، وتكلم المؤمن مع الكافر وانتشر العلم النافع والايمان .

وقوله تعالى : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ وهذا من خصائصه ﷺ ، وهذا فيه تشريف وتعظيم لرسول الله ﷺ وهو ﷺ في جميع أموره على الطاعة

والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه وهو أكملهم وسيدهم في الدارين وأشدهم تعظيماً لأوامره ونواهيه قال عليه الصلاة والسلام يوم الحديبية ١٧٢ [والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم شيئاً يعظمون به حرمات الله إلاّ أجبتهم إليها] فلما أطاع الله في ذلك واجاب إلى الصلح قال الله تعالى له : ﴿ انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ٭ ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر ويتمّ نعمته عليك ﴾ أي في الدارين ﴿ ويهديك صراطاً مستقيماً ﴾ أي بما يشرعه لك من الدين القويم ﴿ وينصرك الله نصراً عزيزاً ﴾ أي بسبب خضوعك لأمر الله عز وجل ويرفعك الله وينصرك على أعدائك كما جاء في الحديث الصحيح ١٧٣ [وما زاد الله عبداً بعفو إلاّ عزّا ، وما تواضع أحد لله عزّ وجل إلاّ رفعه الله تعالى] .

﴿ هُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللهُ عَلِيماً حَكِيماً ٭ (٤) لِيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذٰلِكَ عِنْدَ ٱللهِ فَوْزاً عَظِيماً ٭ (٥) وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَاتِ ٱلظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ٭ (٦) وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللهُ عَزِيزاً حَكِيماً ٭ (٧) ﴾

يقول تعالى : ﴿ هو الذي أنزل السكينة ﴾ أي جعل الطمأنينة ﴿ في قلوب المؤمنين ﴾ يوم الحديبية الذين انقادوا لحكم الله ورسوله فلما اطمأنّت قلوبهم بذلك زادهم الله إيماناً، وفي هذا دليل على تفاضل الإيمان. ولهذا قال سبحانه ﴿ ليزدادوا إيماناً ﴾ ثم ذكر تعالى انه لو شاء لأرسل على الكافرين عقاباً من السماء فقال : ﴿ ولله جنود السموات والأرض ﴾ لأبادوهم ولكنه تعالى شرع الجهاد لما في ذلك من الحكمة البالغة والحجة القاطعة. ولهذا قال تعالى : ﴿ وكان الله عليماً حكيماً ﴾ ثم قال عز وجل : ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ قد تقدم حديث أنس رضي الله عنه حين

قالوا : هنيئاً لك يا رسول الله هذا لك فما لنا فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ ليدخل المؤمنين ـ إلى قوله ـ خالدين فيها ﴾ أي ماكثين فيها أبداً ﴿ ويكفر عنهم سيئاتهم ﴾ أي خطاياهم وذنوبهم فلا يعاقبهم عليها بل يعفو ويصفح ﴿ وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً ﴾ كقوله جلّ وعلا ﴿ فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز ﴾ وقوله تعالى ﴿ ويعذّب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانّين بالله ظنّ السوء ﴾ أي يتهمون الله تعالى في حكمه ويترقبون بالرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أن يُقتلوا ويذهبوا بالكلية . ولهذا قال تعالى : ﴿ عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم ﴾ أي أبعدهم من رحمته ﴿ وأعدَّ لهم جهنم وساءت مصيراً ﴾ ثم قال عزَّ وجل مؤكداً لقدرته على الانتقام من الأعداء أعداءِ الإسلام من الكفرة والمنافقين. ﴿ ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ .

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ۝ (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ (٩) إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ۝ (١٠) ﴾

يقول تعالى لنبيّه ﷺ : ﴿ إنا أرسلناك شاهداً ﴾ أي على الخلق ، ﴿ ومبشّراً ﴾ أي للمؤمنين ﴿ ونذيراً ﴾ أي للكافرين وقد تقدّم تفسيرها في سورة الأحزاب ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد : تعظموه ﴿ وتوقّروه ﴾ أي تحترموه وتجلّوه وتعظموه ـ هذا عائد لرسول الله ﷺ ـ ، ﴿ وتسبحوه ﴾ أي تسبّحون الله تعالى ﴿ بكرةً وأصيلاً ﴾ أي أول النهار وآخره. ثم قال عز وجل لرسوله ﷺ تشريفاً له وتعظيماً وتكريماً : ﴿ ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ﴾ كقوله جل وعلا : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾[1] ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ أي هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرىَ مكانهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم وهو : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ـ فالله تعالى هو المبايَع بواسطة رسوله ﷺ كقوله تعالى : ﴿ إن الله اشترى

(١) قلت : لكن « أهل وحدة الوجود يفسرون هذه الآية كما يلي بالحرف الواحد : (... لقد أخبر تعالى ان نبيه محمداً (ص) هو الله تعالى وتقدس...) نعوذ بالله من الكفر . راجع كتاب (شطحات الصوفية) تأليف عبد الرحمن البدوي في رسالة منسوبة لعبد الغني النابلسي . ويد الله صفة له ، معلومة الحقيقة ، مجهولة الكيفية ، لا هي نعمته ، ولا قدرته ، إنما هي يده صفة له حقيقةً لا كالأيدي ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ يد تليق بجلاله وعظمته ، تعالى وتقدس .

من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ وقد روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :١٧٤[من سل سيفه في سبيل الله فقد بايع الله] ولهذا قال تعالى : ﴿ فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ﴾ أي إنما يعود وبال ذلك على الناكث، والله غني عنه. ﴿ ومن أوفى بما عاهد عليه اللهَ فسيؤتيه أجراً عظيماً ﴾ أي ثواباً جزيلاً. وهذه البيعة هي بيعة الرضوان، وكانت شجرة سمرة بالحديبية. وكان الصحابة رضي الله عنهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ يومئذ ألفاً واربعمائة .

(ذكر سبب هذه البيعة العظيمة)

دعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال : يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وليس بمكة من بني عدي بن كعب من يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظي عليها ، ولكني أدلك على رجل أعزّ بها مني عثمان بن عفان رضي الله عنه ، نبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه إنّما جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمته ، فخرج عثمان رضي الله عنه إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص فأجاره حتى بلّغ رسالة رسول الله ﷺ فأتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم ما أرسل به فقالوا لعثمان إن شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين ، أن عثمان رضي الله عنه قد قتل . قال ابن اسحق : فحدثني عبدالله بن ابي بكر أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أنّ عثمان قد قتل ١٧٥ [لا نبرح حتى نناجز القوم] .

ودعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فبايع الناس ولم يتخلف أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة فكان جابر رضي الله عنه يقول : والله لكأني أنظر اليه لاصقاً بإبط ناقته قد صبأ إليها يستتر بها من الناس. ثم أتى رسول الله ﷺ أنّ الذي كان من أمر عثمان رضي الله عنه باطل . وقد كانت البيعة على ان لا يفروا أبداً فأرعب ذلك المشركين وأرسلوا من كان عندهم من المسلمين ، ودعوا إلى الموادعة والصلح .

روى ابو بكر الحميدي عن جابر رضي الله عنه قال:١٧٦[كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فقال لنا رسول الله ﷺ : « أنتم خير أهل الأرض »] وروى الإمام أحمد عن

جابر بن عبدالله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال ١٧٧[لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة] وروى مسلم عن جابر رضي اللهعنه ١٧٨[ان عبداً لحاطب بن أبي بلتعة جاء يشكو حاطباً فقال : يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله ﷺ « كذبت لا يدخلها فانه قد شهد بدراً والحديبية »] ولهذا قال تعالى في الثناء عليهم : ﴿ ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً ﴾ كما قال عز وجل في الآية الأخرى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾ .

﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ۞ (١١) بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْماً بُوراً ۞ (١٢) وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً ۞ (١٣) وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ۞ (١٤) ﴾

يخبر تعالى رسوله ﷺ ، باعتذار المخلّفين من الأعراب الذين فضّلوا المقام في أهليهم وشغلهم واعتذروا عن الاشتراك مع رسول الله ﷺ في السير معه وسألوه الاستغفار لهم تقيّةً ومصانعةً. ولهذا قال تعالى : ﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً ﴾ أي لا أحد يستطيع ردّ مراد الله وهو العليم بالسرائر والضمائر وإن صانعتمونا ونافقتمونا. ولهذا قال عز من قائل : ﴿ بل كان الله بما تعملون خبيراً ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ بل ظننتم أنْ لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً ﴾ أي اعتقدتم انهم سيقتلون وتستأصل شأفتهم ولا يرجع منهم

مخبر ﴿ وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بورا ﴾ أي هلكى فاسدين. ثم قال تعالى : ﴿ ومن لم يؤمن بالله ورسوله ﴾ أي من لم يخلص العمل لله ظاهراً وباطناً فانه تعالى سيعذبه في السعير ولو تظاهر للناس بخلاف ما يبطن. ثم بيّن تعالى أنه الحاكم المالك المتصرف في أهل السموات والأرض ﴿ يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ أي لمن تاب إليه وأناب وخضع لديه .

سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ (١٥)

يخبر تعالى عن الأعراب المتخلفين عن رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية إذ ذهب الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم إلى خيبر يفتحونها - أنهم يسألون أن يخرجوا معهم إلى المغنم ، وقد تخلّفوا حين محاربة الأعداء . فأمر الله تعالى رسوله ﷺ ألاّ يأذن لهم في ذلك عقاباً لهم من جنس ذنبهم ، فإن الله وعد أهل الحديبية بمغانم خيبر وحدهم لا يشاركهم فيها غيرهم من الأعراب المتخلفين ، فلا يقع غير ذلك شرعا ولا قدراً ، ولهذا قال تعالى : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ قال ابن جريج : يعني بتثبيطهم المسلمين عن الجهاد ﴿ قل لن تتّبعونا كذلكم قال الله من قبل ﴾ أي وعد الله أهل الحديبية قبل سؤآلكم الخروج معهم ﴿ فسيقولون بل تحسدوننا ﴾ أي أن نشرككم في المغانم ﴿ بل كانوا لا يفقهون إلاّ قليلاً ﴾ أي ليس الأمر كما زعموا ولكن لا فهم لهم .

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ (١٦)

لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ (١٧)

= اختلف المفسرون في تعيين من هم أولو البأس الشديد الذين سيدعون إلى قتالهم وهذا الاختلاف في تعيينهم ليس ذي بال، فليكونوا من كانوا ... فإن أمر الله تعالى تجب فيه الطاعة والامتثال... مهما كانوا أولي بأس شديد. فما دام المسلمون هم على الحق ، ويحاربون من اجل الحق، حتّى تعلو كلمته ويزهق الباطل. فلا شك والحالة هذه ان المسلمين انصار الحق، سيجعلهم الله تعالى أشد بأساً من كل ذي بأسٍ شديد . حتّى ينصر الله دينه ويعلي كلمته . وقد كانوا كذلك حتّى أنهم غلبوا بإذن الله فارسَ والروم، والسند والصين، وأهل مصر والبربر جميعاً، وبلاد الأندلس والفرنجة، فكانوا بحول الله وقوته أشدّ من كل بأس شديد لأن الله معهم .

هذا من حيث المعنى العام. واما المعنى الخاص: المراد بهذه الآية فإن الخطاب للأعراب المخلّفين. فهؤلاء هم الذين سيدعون إلى قوم أولي بأس شديد في عصرهم كهوازن وثقيف وبني حنيفه وغيرهم من أشداء القبائل . =

وقوله تعالى : ﴿ تقاتلونهم أو يسلمون ﴾ يعني شرع لكم جهادهم، فلا يزال ذلك مستمراً عليهم ، ولكم النصرة عليهم أو يسلمون فيدخلون في دينكم بلا قتال بل باختيار . ثم قال عز وجل : ﴿ فإن تطيعوا ﴾ أي تستجيبوا للجهاد ﴿ يؤتكم الله أجراً حسناً وان تتولّوا كما تولّيتم من قبل ﴾ يعني زمن الحديبية فتخلفتم ﴿ يعذبكم عذاباً أليماً ﴾ ثم ذكر تعالى الأعذار في ترك الجهاد فمنها لازم : كالعمى والعرج المستمر. وعارض : كالمرض الذي يطرأ أياماً ثم يزول فهو ملحق بذوي الأعذار اللازمة حتّى يبرأ . ثم قال تبارك وتعالى مرغّباً في الجهاد وطاعة الله ورسوله : ﴿ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتولّ ﴾ أي ينكل عن الجهاد ويقبل على المعاش ﴿ يعذبه عذاباً أليماً ﴾ في الدنيا بالمذلة وفي الآخرة بالنار والله تعالى أعلم .

---

(١) الكلام الذي بين المساويين ليس من كلام المفسر رحمه الله تعالى إنما هو من كلامي .

حزب ٥٢

﴿ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ۞(١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ۞ (١٩) ﴾

يخبر تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة التي كانت سمرة بأرض الحديبية ﴿ فعلم ما في قلوبهم ﴾ من الصدق والوفاء والسمع والطاعة ﴿ فأنزل السكينة ﴾ هي الطمأنينة ﴿ عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾ وهو ما أجرى الله عز وجل على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم ، وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة.ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم ، وما قدَّر الله لهم من العز والنصر والرفعة في الدارين.ولهذا قال تعالى : ﴿ ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ .

روى ابن أبي حاتم عن أياس بن سلمة عن ابيه قال:١٧٩ [بينما نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله ﷺ ، أيها الناس: البيعة البيعة نزل روح القدس . قال : فثرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه ، فذلك قول الله تعالى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ قال فبايع رسول الله ﷺ لعثمان بن عفان رضي الله عنه بإحدى يديه على الأخرى فقال الناس : هنيئاً لابن عفان يطوف بالبيت ، ونحن ههنا فقال رسول الله ﷺ « لو مكث كذا وكذا سنةً ما طاف حتى أطوف»] .

﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً ۞ (٢٠) وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً ۞ (٢١) وَلَوْ قَاتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيراً ۞ (٢٢) سُنَّةَ

ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾

قال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ﴾ هي جميع المغانم إلى اليوم ﴿ فعجل لكم هذه ﴾ يعني فتح خيبر . ﴿ وكفّ أيدي الناس عنكم ﴾ أي لم ينلكم سوءٌ مما كان أعداؤكم أضمروه لكم من المحاربة والقتال ، وكذلك كف أيدي الناس عنكم ، الذين خلفتموهم وراء ظهوركم عن عيالكم وحريمكم . ﴿ ولتكون آيةً للمؤمنين ﴾ أي يعتبرون بذلك ، فإن الله تعالى حافظهم وناصرهم ، على سائر الأعداء مع قلة عددهم . وليعلموا بصنيع الله هذا بهم ، أنه العالم بعواقب الأمور ، وان الخيرة فيما يختاره لعباده المؤمنين كرهوه في الظاهر ... كما قال عز وجل : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ ﴿ ويهديكم صراطاً مستقيماً ﴾ أي بسبب انقيادكم لأمره واتباعكم طاعته ، وموافقتكم رسوله ﷺ .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً ﴾ أي وغنيمة أخرى وفتحاً آخر معيناً لم تكونوا تقدرون عليها ، قد يسّرها الله عليكم وأحاط بها لكم ، فانه تعالى يرزق عباده المتقين من حيث لا يحتسبون . وقد اختلف المفسرون في المراد من هذه الغنيمة ، والذي اختاره ابن جرير انها مكة ، وقال مجاهد : هي كل فتح وغنيمة إلى يوم القيامة قال ابن عباس رضي الله عنهما : هي هذه الفتوح التي تفتح إلى اليوم .

وقوله تعالى : ﴿ ولو قاتلكم الذين كفروا لولّوُا الأدبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً ﴾ وهذه بشرى للمؤمنين بأنه لو ناجزهم المشركون ، لنصر الله رسوله وعباده المؤمنين عليهم ، ولا نهزم جيش الكفر مدبراً لا يجدون ولياً ولا نصيراً ، لأنهم محاربون لله ولرسوله ولحزبه المؤمنين . ثم قال تعالى : ﴿ سنّة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾ أي هذه سنة الله وعادته في خلقه ، ما تقابل الكفر والايمان في موطن إلاّ نصر الله الإيمان على الكفر .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾ هذا أمتنان من الله تعالى : على

عباده المؤمنين ، فكف ايدي المشركين عنهم ، وكف أيديهم عن المشركين فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام ، بل صان كلاً ...وأوجد بينهم صلحاً فيه خيرة للمؤمنين، وعاقبة لهم في الدارين . روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال١٨٠ [لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ، ثمانون رجلاً من أهل مكة بالسلاح من قبل جبل التنعيم ، يريدون غرّة رسول الله ﷺ فدعا عليهم فأخذوا . قال عفان : فعفا عنهم ونزلت هذه الآية : ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ﴾] ورواه مسلم وابو داود في سننه والترمذي والنسائي.

﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ ٱللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ۞ (٢٥) إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ ٱللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ ٱللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ۞ (٢٦) ﴾

يقول تعالى مخبراً عن مشركي العرب من قريش ومن مالأهم على رسول الله ﷺ : ﴿ هم الذين كفروا ﴾ أي هم الكفار دون غيرهم ﴿ وصدّوكم عن المسجد الحرام ﴾ أي وأنتم أحقّ به وأنتم أهله في نفس الأمر ﴿ والهدْي معكوفاً أن يبلغ محلّه ﴾ أي وصدّوا الهدي أن يصل إلى محلة وكان سبعين بدنة.وقوله عز وجل : ﴿ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ﴾ أي بين أظهرهم ممن يكتم ايمانه خيفةً ، ولكن لا تعرفونهم وقد تقتلونهم ولهذا قال تعالى : ﴿ لم تعلموهم أن تطأوهم فتصيبكم منهم معرّة ﴾ أي إثم وغرامة ﴿ بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء ﴾ أي يؤخر عقوبتهم ليخلص من بين أظهرهم المؤمنون وليرجع كثير منهم إلى الإسلام . ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ لو تزيّلوا ﴾ أي لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم ﴿ لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً ﴾ أي لسلّطناكم عليهم فلقتلتموهم قتلاً ذريعاً .

وقوله عزّ وجل : ﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحميّة حميّة الجاهلية ﴾ وذلك حين أبوا أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم . وأبوا أن يكتبوا : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﴿ فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى ﴾ وهي قول « لا إله إلاّ الله » كما روى ابن جرير وعبدالله بن الإمام أحمد عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول .١٨١[﴿ والزمهم كلمة التقوى ﴾ قال : « لا إله إلا الله »] وكذا رواه الترمذي وقال غريب لا نعرفه إلاّ من حديث الحسن بن قزعة .وقوله تعالى ﴿ وكانوا أحق بها وأهلها ﴾ أي كان المسلمون أحقّ بها وكانوا أهلها.﴿ وكان الله بكل شيء عليما ﴾ أي هو عليم بمن يستحق النعيم ممن يستحق العذاب .

« ذكر قصة الحديبية والصلح »

١٨٢ [خرج رسول الله ﷺ يريد زيارة البيت والاعتمار به .لا يريد قتالاً .وساق معه سبعين بدنة . ثم سار حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال : يا رسول الله : هذه قريش . قد سمعت بمسيرك فخرجتْ ومعها العوذ المطافيل [(١)] قد لبست جلود النمور يعاهدون الله تعالى ألاّ تدخلها عليهم عنوةً أبداً . وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدّموهُ إلى كراع الغميم [(٢)] فقال رسول الله ﷺ « يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر الناس فإن أصابوني كان الذي أرادوا وإن أظهرني الله تعالى دخلوا في الإسلام وهم وافرون ، وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فماذا تظن قريش . فوالله لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله تعالى به حتى يظهرني الله عز وجل أو تنفرد هذه السالفة [(٣)] ثم أمر الناس فسلكوا ذات اليمين ، بين ظهريْ الحمض على طريق تخرجه على ثنية المرار والحديبية من أسفل مكة ، قال فسلك بالجيش تلك الطريق ، فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش ، فخرج رسول الله ﷺ حتى إذا سلك ثنية المرار بركت ناقته فقال الناس : خلأت [(٤)] فقال رسول الله ﷺ « ما خلأت وما ذلك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة والله لا تدعوني قريش إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلاّ أعطيتهم إياها » .

---

(١) أي النوق ذوات الأطفال . (٢) مكان . (٣)السالفة شعر طويل من مكان من القرط حتى الترقوة. فقوله أو تنفرد هذا السالفة أي يضرب رأسي بالسيف فتنفرد سالفة عن اختها وهذا القول كناية عن الموت فكأنه يقول : حتى يظهرني الله عز وجل أو أموت دون دينه . (٤) أي حرنت .

ثم قال ﷺ للناس : « انزلوا » قالوا يا رسول الله ما بالوادي من ماء ينزل عليه الناس فأخرج رسول الله ﷺ سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل في في قليب من القلب فغرزه فيه فجاش بالماء حتى ضرب الناس عنه بعطن [1] فلما اطمأن رسول الله ﷺ إذا بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة ، فقال لهم كقوله لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد ﷺ إن محمداً لم يأت لقتال ، إنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحقه ، فاتهموهم ، وكانت خزاعة عيبة [2] نصح رسول الله ﷺ مشركها ومسلمها لا يخفون على رسول الله ﷺ شيئاً كان بمكة ، فقالت قريش : وان كان إنما جاء لذلك فوالله لا يدخلها أبداً علينا عنوةً ولا يتحدث بذلك العرب ثم بعثوا اليه مكرز بن حفص أحد بني عامر بن لؤي. فقال رسول الله ﷺ : « هذا رجل غادر » فلما انتهى اليه ﷺ كلّمه بنحوٍ مما كلّم به من قبله ، ثم رجع إلى قريش فأخبرهم ... ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ الحليس بن علقمة الكناني وهو يومئذ سيد الأحابيش فلما رآه رسول الله ﷺ قال « هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدْي » فلما رأى الهدي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع إعظاماً لما رأى فقال يا معشر قريش لقد رأيت ما لا يحل صد الهدي في قلائده قالوا : إجلس انما أنت أعرابي لا علم لك . فبعثوا عروة بن مسعود الثقفي فقال : يا محمد جمعتَ أوباش الناس ثم جئت بهم لبيضتك لنقضها ، إنها قريش قد خرجت بالعوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله تعالى أن لا تدخلها عليهم عنوةً أبداً ، وأيم الله لكأني بهؤلاء قـد انكشفوا عنك غداً ، قال : وابو بكر رضي الله عنه قاعد خلف رسول الله ﷺ فقال : أمصص بظر اللات أنحن ننكشف عنه ؟ قال من هذا يا محمد ؟ قال ﷺ « هذا ابن أبي قحافة » قال : أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بها . ثم تناول لحية رسول الله ﷺ والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه واقف على رأس رسول الله ﷺ بالحديد ، قال : فقرع يده ثم قال أمسك يدك عن لحية رسول الله ﷺ قبل والله أن لا تصل إليك قال : ويحك ما أفظك وأغلظك ! فتبسّم رسول الله ﷺ قال : من هذا يا محمد ؟ قال ﷺ « هذا ابن اخيك المغيرة بن شعبة » قال : أغدر ، وهل غسلت سوأتك إلاّ بالأمس ؟ قال فكلمه رسول الله ﷺ بمثل ما كلم به من جاء قبله فقام من عند رسول الله ﷺ ، وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ وضوءً إلا ابتدروه ، ولا يبصق

---

(١) أي وردوا الماء ورووا منه ثم أقاموا عليه . (٢) أي موضع سره صلى الله عليه وسلم .

بصاقاً إلاّ ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شيء إلاّ أخذوه ، فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش : إني جئت كسرى في ملكه ، وجئت قيصر والنجاشي في ملكهما ، والله ما رأيت ملكاً قط مثل محمد ﷺ في أصحابه ولقد رأيت قوماً لا يسلّمونه لشيء أبداً فروْا رأيكم . وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها . ثم إن قريشاً بعثوا سهيل بن عمرو وقالوا : إئت محمداً فصالحه ولا تلن في صلحه إلا ان يرجع عنّا عامَه هذا. فأتاه سهيل بنُ عمرو فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال : « قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل » فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلّم رسول الله ﷺ في الصلح وأطالا الكلام وتراجعا حتى جرى الصلح بينهما فلما لم يبق إلاّ الكتاب وثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال : يا أبا بكر أوليس برسول الله ؟ أو لسنا بالمسلمين ؟ أو ليسوا بالمشركين ؟ قال بلى فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال ابو بكر : إلزم غرزه حيث كان فإني أشهد أنه رسول الله فقال عمر رضي الله عنه : وأنا أشهد ، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أولسنا بالمسلمين؟ أو ليسوا بالمشركين ؟ قال ﷺ : بلى... قال : فعلامَ نعطي الدنيّة في ديننا ؟ فقال ﷺ : « أنا عبدالله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيّعني » ثم قال عمر رضي الله عنه : ما زلت أصوم وأصلي وأتصدّق وأعتق مِنَ الذي صنعت مخافةَ كلامي الذي تكلمتُ به يومئذٍ ، حتى رجوت ان يكون خيراً .

* * *

ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال : « اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن أكتب : باسمك اللهم . فقال رسول الله ﷺ « اكتب باسمك اللهم . « هذا ما صالح عليه محمد رسول الله » فقال سهيل بن عمرو : لو شهدتُ أنك رسول الله لم أقاتلْك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله وسهيل ابنَ عمرو على وضع الحرب عشر سنين ، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى رسول الله ﷺ من اصحابه بغير اذن وليه رده عليه.ومن أتى قريشاً ممن مع رسول الله ﷺ لم يردّوه عليه.وأن بيننا عيبة مكفوفة وانه لا أسلال ولا أغلال . وكان في شرطهم حين كتبوا الكتاب أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، فدخلت خزاعة في حلف رسول الله ﷺ ، وبنو بكر في حلف قريش . وانك ترجع عنا عامنا هذا فلا تدخل علينا

مكة واذا كان عام قابل، خرجنا عنك فتدخلها بأصحابك وأقمت بها ثلاثاً، معك سلاح الراكب لا تدخلها بغير السيوف في القرب .

فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب إذ جاءه أبو جندل بن سهيل بن عمرو في الحديد قد انفلت إلى رسول الله ﷺ . وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكّون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمّل رسول الله ﷺ على نفسه ، دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا . فلما رأى سهيلُ أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وقال : يا محمد قد تمّت القضيّة بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال : « صدقت » فقام إليه فأخذه بتلابيبه وصرخ أبو جندل بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أتردونني إلى أهل الشرك فيفتنونني عن ديني ؟ ! فزاد الناس شراً إلى ما بهم ، فقال رسول الله ﷺ « يا أبا جندل إصبر واحتسب فإن الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً إنا عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، فأعطيناهم على ذلك وأعطونا عليه عهداً وإنّا لن نغدر بهم » فوثب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فجعل يمشي مع أبي جندل إلى جنبه ويقول إصبر أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنّما دم أحدهم دم كلب ، قال ويدني قائم السيف منه يقول : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه . قال فضنّ الرجل بأبيه ، قال ونفذت القضيّة .

* * *

فلما فرغا من الكتاب ، وكان رسول الله ﷺ يصلي في الحرم وهو مضطرب في الحل قال فقام رسول الله ﷺ فقال : يا أيها الناس انحروا واحلقوا فما قام أحد ثم عاد ﷺ بمثلها فما قام رجل ثم عاد ﷺ بمثلها فما قام رجل . فرجع رسول الله ﷺ فدخل على أم سلمة رضي الله عنها فقال يا أم سلمة ما شأن الناس ؟ قالت : يا رسول الله قد دخلهم ما رأيت ، فلا تكلمن منهم إنساناً واعمد إلى هديك حيث كان فانحره واحلق فلو قد فعلت ذلك، فعل الناس ذلك. فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحداً حتى إذا أتى هديه فنحره ثم فجلس فحلق ، فقام الناس ينحرون ويحلقون ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة في وسط الطريق نزلت سورة الفتح] رواه أحمد عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم هكذا ساقه أحمد من هذه الوجه. وهكذا رواه يونس بن بكير وزياد البكائي عن أبي إسحاق بنحوه. ورواه البخاري عنهما أي عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، يصدّق كل واحد منهما صاحبه قالا ... ثم ذكر نحوه ...

وفي رواية البخاري١٨٣[... ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من

قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا : العهد الذي جعلت لنا ، فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً ، فاستله الآخر فقال : أجل والله إنه لجيد لقد جربت منه ثم جربت . فقال أبو بصير : أرني أنظر إليه ، فأمكنه منه ، فضربه حتى برد ، وفر الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ﷺ حين رآه « لقد رأى هذا ذعراً » فلما انتهى إلى النبيّ ﷺ قال : قتل والله صاحبي وإني لمقتول . فجاء ابو بصير فقال : يا رسول الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني اليهم ثم نجاني الله تعالى منهم. فقال النبي ﷺ « ويل امه مسعر حرب لو كان معه أحد »

فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر ، قال وتفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرَّحِمَ لما أرسل إليهم فمن أتاه منهم فهو آمن فأرسل النبي ﷺ إليهم وانزل الله عز وجل : ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة — حتى بلغ — حمية الجاهلية ﴾ ...] هكذا ساقه البخاري من بعض حديثه .

﴿ لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّؤْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحاً قَرِيباً ۞ (٢٧) هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً ۞ (٢٨) ﴾

كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت ، فأخبر أصحابه بذلك وهو في المدينة ، فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام ، فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل ، وقع في نفس بعض الصحابة رضي الله عنهم من ذلك شيء حتى سأل عمر بن

الخطاب رضي الله عنه في ذلك فقال له فيما قال ١٨٤[أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال« بلى أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا ؟ » قال : لا. قال النبي ﷺ : « فإنّك آتيه ومطوّف به »] ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله ﴾ هذا لتحقيق الخبر وتوكيده وليس من الاستثناء في شيء وقوله عزّ وجل: ﴿ آمنين ﴾ في حال دخولكم . وقوله تعالى: ﴿ محلّقين رؤوسكم ومقصّرين ﴾ فكان منهم من حلق رأسه ومنهم من قصره . وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال ١٨٥[رحم الله « المحلقين » قالوا : والمقصّرين يا رسول الله ؟ قال ﷺ : « رحم الله المحلّقين » قالوا والمقصّرين يا رسول الله ؟ قال ﷺ « رحم الله المحلّقين » قالوا : والمقصّرين يا رسول الله قال ﷺ : « والمقصّرين » في الثالثة أو الرابعة] وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ لا تخافون ﴾ فأثبت لهم الأمن حال الدخول ، ونفى عنهم الخوف حال استقرارهم في البلد لا يخافون من أحد . وهذا كان في عمرة القضاء في ذي القعدة سنةَ سبع فان النبيّ ﷺ لما رجع من الحديبية في ذي القعدة سنه ست إلى المدينة فأقام بها ذا الحجة والمحرم وخرج في صفر إلى خيبر ففتحها الله عليه، بعضها عنوة وبعضها صلحاً وهي اقليم عظيم كثير النخل والزروع ، فاستخدم من فيها من اليهود عليها على الشطر وقسمها بين أهل الحديبية وحدَهم ، ولم يشهدها أحد غيرهم ، إلا الذين قدموا من الحبشة جعفر بن أبي طالب وأصحابه،وأبو موسى الأشعري وأصحابه رضي الله عنهم .

فلما كان في ذي القعدة من سنة سبع خرج ﷺ إلى مكة معتمراً هو وأهل الحديبية ، فأحرم من ذي الحليفة وساق معه الهدي ، قيل كان ستين بدنة فلبّى وسار أصحابه يلبُّون فلما كان ﷺ قريباً من مرّ الظهران بعث محمد بن سلمة بالخيل والسلاح أمامه فلما رآه المشركون رعبوا رعباً شديداً... ! وظنوا أن رسول الله ﷺ يغزوهم ،وأنه قد نكث العهد، فأخبروا أهل مكة فأرسلوا مكرز بن حفص فقال: يا محمد ما عرفناك تنقض العهد! فقال ﷺ « وما ذاك»؟ قال دخلت علينا بالسلاح والقسيّ والرماح؟!!! فقال ﷺ « لم يكن ذلك وقد بعثنا به إلى يأجج » . فقال: بهذا عرفناك بالبر والوفاء . وخرجت رؤوس الكفّار من مكة، لئلاّ ينظروا إلى رسول الله ﷺ وإلى اصحابه رضي الله عنهم غيظاً وحنقاً . وأما بقيّة أهل مكة من الرجال والنساء والولدان فجلسوا في الطريق وعلى البيت ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، فدخلها عليه الصلاة والسلام وبين يديه أصحابه يلبّون ، والهدْي قد بعثه إلى ذي طوى وهو راكب ناقته القصواء التي كان راكبها يوم الحديبية ، وعبدالله بن رواحة الأنصاري آخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ يقودها وهو يقول :

باسم الذي لا دين إلا دينه   باسم الذي محمد رسوله
خلوا بني الكفار عن سبيله   اليوم نضربكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله   ضرباً يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله   قد أنزل الرحمن في تنزيله
في صحف تتلى على رسوله   بأن خير القتل في سبيله
يا رب إني مؤمن بقيله

روى أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ١٨٦[قدم رسول الله ﷺ وأصحابه مكة وقد وهنتهم حمى يثرب ولقوا منها سوءً فقال المشركون : انه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب ولقوا منها شراً. وجلس المشركون من الناحية التي تلي الحجر، فأطلع الله تعالى نبيه ﷺ على ما قالوا، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يرملوا الأشواط الثلاثة، ليرى المشركون جلدهم . قال : فرملوا ثلاثة أشواط ، وأمرهم ان يمشوا بين الركنين حيث لا يراهم المشركون ، ولم يمنع النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط كلها إلاّ إبقاءً عليهم ، فقال المشركون : أهؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم؟هؤلاء أجلد من كذا وكذا] أخرجاه في الصحيحين وروى أحمد عن ابن عباس رضي الله عنه قال ١٨٧ [إنما سعى النبيّ ﷺ بالبيت وبالصفا والمروة ليرى المشركون قوته] ورواه مسلم والنسائي .

وقوله تعالى : ﴿ فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً ﴾ أي فعلم الله عز وجل من المصلحة في صرفكم عن مكة ودخولكم إليها عامكم ذلك، ما لم تعلموا أنتم. ﴿ فجعل من دون ذلك ﴾ أي قبل دخولكم الذي وُعِدتم به في رؤيا النبي ﷺ ﴿ فتحاً قريباً ﴾ وهو الصلح الذي كان بينكم وبين أعدائكم من المشركين . ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ﴾ أي بالعلم النافع والعمل الصالح ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ أي على أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض من عرب وعجم ﴿ وكفى بالله شهيداً ﴾ أي أنه رسوله وهو ناصره والله أعلم .

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ

وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ❁ (٢٩)

يخبر تعالى عن محمد ﷺ أنه رسول الله حقاً بلا شك ولا ريب فقال سبحانه ﴿ محمد رسول الله ﴾ وهذا مشتمل على كل وصف كريم جميل، ثم ثنّى بالثناء على أصحابه رضي الله عنهم فقال عز من قائل ﴿ والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ كقوله تعالى: ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبّونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ وهذه صفة عامّة يدخل فيها كل مؤمن ورسول الله محمد والأنبياء جميعاً من باب أولى هم أشداء على الكفار رحماءُ باررّون بالأخيار، غاضبون في وجوه الكفار باشّون في وجوه المؤمنين كما قال جل وعلا ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ﴾ وقال النبي ﷺ: ١٨٨[مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالحمّى والسهر.] وقال عليه الصلاة والسلام ١٨٩[« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وشبّك ﷺ بين أصابعه] كلا الحديثين في الصحيح. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا﴾ وصفَهم بكثرة العمل، وإن الصلاة خيرُ الأعمال، وبالإخلاص له تعالى واحتساب الأجر عنده، وهو الجنة المشتملة على الفضل وسعة الرّزق، ورضاه تعالى وهذا هو الأكبر. كقوله تعالى ﴿ ورضوان من الله اكبر ﴾ وقوله جل جلاله: ﴿ سيما هم في وجوههم من أثر السجود ﴾ والسيماء هو السمت الحسن وأثر الخشوع لله تعالى. قال بعض السلف: من كثُرتْ صلاتُه بالليل حسن وجهُه بالنهار، فالمؤمن اذا كانت سريرته صحيحة مع الله تعالى أصلح الله عز وجل ظاهره للناس. كما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيته.

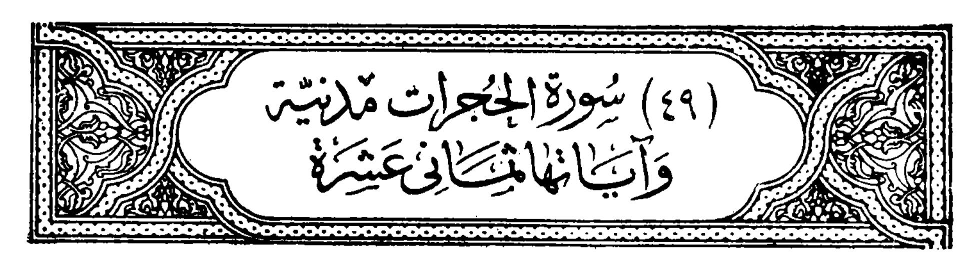
وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ١٩٠ [إن الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءً من النبوة] فالصحابة رضي الله عنهم خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم – وأضاءت وجوههم – فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم. وقال مالك رضي الله عنه: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من

الحواريين فيما بلغنا ،وصدقوا في ذلك فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد نوّه الله تعالى بذكرهم في الكتب المنزلة . ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا : ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ﴾ ثم قال عزّ من قائل : ﴿ ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه ﴾ أي فراخه ﴿ فآزره ﴾ أي شدّه ﴿ فاستغلظ ﴾ أي شب وطال ﴿ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ﴾ أي فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء: مع الزرع ﴿ ليغيظ بهم الكفار ﴾ . ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه في رواية عنه بتكفير كل من يبغض الصحابة رضي الله عنهم . والأحاديث في فضل الصحابة رضي الله عنهم والنهي عن التعرُّض لهم كثيرة ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم . ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم ﴾ من هذه لبيان الجنس ﴿ مغفرةً ﴾ أي لذنوبهم ﴿ وأجراً عظيماً ﴾ أي ثواباً جزيلاً ورزقاً كريماً . ووعده تعالى حق وصدق لا يخلف ولا يبدّل . وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم ،فهو في حكمهم.قال مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ١٩١ [لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه] .

* * *

آخر اختصار تفسير سورة الفتح ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

وعليه التُّكلان



نزلت بعد سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۞ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ (٣) ﴾

هذه آيات أدّب الله تعالى بها عباده المؤمنين، فيما يعاملون به الرسول ﷺ، من التوقير والاحترام، والتبجيل والإعظام. فقال تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾ أي لا تسرعوا في الأشياء بين، يديه أي قبله، بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور، حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي، حديث معاذ رضي الله عنه حيث قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن١٩٢[« بم تحكم ؟» قال : بكتاب الله تعالى، قال ﷺ : « فإن لم تجد » ؟ قال : بسنة رسول الله ﷺ ، قال ﷺ « فان لم تجد » قال رضي الله عنه أجتهد رأيي، فضرب في صدره وقال: «الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله ﷺ إلى ما يرضي رسول الله ﷺ »] وقد رواه أحمد وابو داود والترمذي وابن ماجه فالغرض

منه،أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة،ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله ﷺ .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما :﴿ لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾ أي لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة ، ﴿ واتقوا الله ﴾ فيما أمركم به ﴿ إن الله سميع ﴾ لأقوالكم ، ﴿ عليم ﴾ بنياتكم . وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾ هذا أدب ثان أدّب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبيّ ﷺ فوق صوته .

روى البخاري عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما :١٩٣[أنه قدم ركب بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر رضي الله عنه : أمـرِ القعقاع بن معبد . وقال عمر رضي الله عنه بل أمـرِ الأقرع بن حابس ، فقال ابو بكر رضي الله عنه : ما أردت إلاّ خلافي ، فقال عمر رضي الله عنه : ما أردت خلافك ، فتماريا حتّى ارتفعت أصواتهما فنزلت في ذلك: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾ حتّى انقضت الآية : ﴿ ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم ﴾ الآية... وروى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه١٩٤ [أن النبي ﷺ أفتقد ثابت بن قيس رضي الله عنه فقال رجل : يا رسول الله أنا أعلم لك علمه.فأتاه فوجده في بيته منكساً رأسه.فقال له:ما شأنك ؟ فقال:شر.كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله فهو من أهل النار ، فأتى الرجلُ النبيَّ ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا ، قال موسى – يعني ابن انس بن مالك – فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال « إذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكنّك من أهل الجنّة »] تفرّد به البخاري من هذا الوجه . ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن عداه ، بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم . ولهذا تبارك وتعالى قال : ﴿ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ﴾ كما قال تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾ وقال العلماء : يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام لأنه محترم حياً وميتاً . وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي ﷺ قد ارتفعت اصواتهما فجاء فقال : أتدريان أين أنتما ؟ ثم قال : من أين أنتماً ؟ قالا: من أهل الطائف ، فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً . وقوله عز وجل : ﴿ أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ أي إنّما نهيناكم عن رفع الصوت عنده ، خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه ﷺ ، فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري كما جاء في الصحيح١٩٥[إن

الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، لا يلقي لها بالاً يكتب له بها الجنة . وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض.] ثم ندب الله تعالى إلى خفض الصوت عنده وحث على ذلك ، وأرشد اليه ، ورغّب فيه.فقال تعالى : ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾ أي أخلصها لها وجعلها أهلاً ومحلاً ﴿لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ وقد قال الإمام أحمد عن مجاهد قال : كتب إلى عمر : يا أمير المؤمنين ، رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها أفضل ، أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها ؟ فكتب عمر رضي الله عنه : إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها ﴿أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوىٰ لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۞ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ (٥)﴾

ثم إنه تبارك وتعالى : ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات،وهي بيوت نسائه كما يصنع أجلاف الأعراب.فقال تعالى : ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾ ثم أرشد تعالى إلى الأدب في ذلك فقال عز وجل : ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾ أي لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة.ثم قال جل ثناؤه داعياً لهم إلى التوبة والإنابة ﴿والله غفور رحيم﴾ وقد ذكر انها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي رضي الله عنه فيما أورده غير واحد .

روى الإمام أحمد عن الأقرع بن حابس رضي الله عنه[١٩٦] [انه نادى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد يا محمد ، وفي رواية : يا رسول الله فلم يجبه،فقال : يا رسول الله إن حمدي لزَيْن وإن ذمّي لشين ، فقال : « ذاك الله عز وجل »] .

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۞ (٦) وَٱعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ

وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ❁ (٧) فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ❁ (٨)

يأمر تعالى بالتثبُّت في خبر الفاسق ليحتاط له لئلاّ يُحكمَ بقوله ، فيكون في نفس الأمر كاذباً أو مخطئاً ، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه . وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين . ومن ها هنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال ، لاحتمال فسقه في نفس الأمر .وقبلها آخرون لأنا إنما أُمرنا بالتثبُّت عند خبر الفاسق ، وهذا ليس بمحقق الفسق لأنه مجهول الحال . وقد ذكر كثير أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق ، وقد روي ذلك من طرق ، ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق ، وهو الحارث بن أبي ضرار والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنهما .

روى الإمام أحمد عن دينار انه سمع الحارث بن أبي ضرار الخزاعي رضي الله عنه يقول: ١٩٧[قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به . ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت : يا رسول الله أرجعُ إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته وترسل إلي يا رسول الله رسولاً إبّان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له ، وبلغ الإبّانُ الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث اليه احتبس عليه الرسول ولم يأته وظن الحارث انه قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسوله ، فدعا بسادات قومه فقال لهم : إن رسول الله ﷺ كان وقّتَ لي وقتاً يرسل إلي رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة ، وليس من رسول الله ﷺ الخلفُ ، ولا أرى حبس رسوله إلاّ من سخطة ، فانطلقوا بنا نأتي رسول الله ﷺ ، وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى الحارث ، ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة . فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق أي خاف ، فرجع حتى أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ان الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي ، فغضب رسول الله ﷺ ، وبعث البعث إلى الحارث رضي الله عنه . وأقبل الحارث بأصحابه حتى اذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا : هذا الحارث ، فلمّا غشيهم قال لهم : إلى من بعثتم ؟ قالوا : إليك قال : ولمَ ؟ قالوا :

إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة ، فزعم إنك منعته الزكاة وأردت قتله . قال رضي الله عنه لا والذي بعث محمداً ﷺ بالحق ما رأيته بتة ولا أتاني .

فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال : منعت الزكاة وأردت قتل رسولي ؟ قال : والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني. وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول الله ﷺ خشيت أن يكون كانت سخطة من الله تعالى ورسوله . قال فنزلت الحجرات : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق – إلى قوله – حكيم ﴾]ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير . والطبراني وقوله تعالى : ﴿ واعلموا أن فيكم رسول الله ﴾ أي أعلموا أن بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه وتأدبوا معه وانقادوا لأمره ، فإنه أعلم بمصالحكم، وأشفق عليكم من أنفسكم ، ورأيه فيكم أتم من رأيكم لكم ؛ كما قال تبارك وتعالى : ﴿ النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ ثم بيّن إنّ رأيهم سخيف بالنسبة إلى مراعاة مصالحهم. فقال تعالى : ﴿ لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتّم ﴾ أي لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لأدّى ذلك إلى حرجكم . كما قال تعالى: ﴿ ولو اتبع الحقّ أهواءَهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ... ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم ﴾ أي حبّبه إلى نفوسكم وحسّنه في قلوبكم .

روى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : ١٩٨[كان رسول الله ﷺ يقول : « الإسلام علانية والإيمان في القلب » قال ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات ثم يقول : « التقوى ههنا التقوى ههنا »] ﴿ وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴾ أي وبغّض إليكم الكفر والفسوق وهي الذنوب الكبار والعصيان وهي جميع المعاصي ، وهذا تدريج لكمال النعمة.وقوله تعالى . ﴿ أولئك هم الراشدون ﴾ أي الذين لهم هذه الصفة قد آتاهم الله رشدهم.وروى الإمام أحمد من بعض حديث له عن أبي رفاعة الزرقي عن أبيه قال من دعاء رسول الله ﷺ يوم أن انكفأ المشركون يوم أحُد قال رسول الله ﷺ – من بعض ما قال – ١٩٩[... اللهم حبّبْ إلينا الإيمان وزيّنه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين ...] وفي الحديث المرفوع : ٢٠٠[من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن] ثم قال تعالى : ﴿ فضلاً من الله ونعمة ﴾ أي هذا العطاء منحكموه هو فضل منه عليكم ونعمة من لدنه ﴿ والله عليم حكيم ﴾ آي عليم بمستحق الهداية أو الغواية ، حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره .

﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * (١٠) ﴾

يأمر الله تعالى عباده بالاصلاح بين الفئتين المتقاتلتين ﴿ وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ فسمّاهم مؤمنين مع الاقتتال . وبهذا استدلّ البخاري وغيره . على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت . لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم . وهكذا ثبت في صحيح البخاري من حديث الحسن عن أبي بكر رضي الله عنه قال : ٢٠١ [ان رسول الله ﷺ خطب يوماً . ومعه على المنبر الحسن بن علي رضي الله عنهما فجعل ينظر إليه مرةً . وإلى النّاس أخرى ويقول : إن ابني هذا سيد . ولعلّ الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين] فكان كما قال ﷺ . أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة . والواقعات المهولة .

وقوله تعالى : ﴿ فإن بغت أحداهما على الأخرى فقاتلوا الّتي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ﴾ أي حتى ترجع إلى أمره تعالى ورسوله ﷺ . وتسمع للحق وتطيعه . كما ثبت في الصحيح عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ٢٠٢ [انصرْ أخاك ظالماً أو مظلوماً قلت : يا رسول هذا نصرته مظلوماً . فكيف انصره ظالماً قال ﷺ : « تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه »] .

وروى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : ٢٠٣ [قيل للنبي ﷺ ، لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق اليه النبي ﷺ . وركب حماراً وانطلق المسلمون يمشون ، وهي أرض سبخة . فلما انطلق النبي ﷺ إليه قال : إليك عني فوالله لقد آذاني ريح حمارك. فقال رجل من الأنصار والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك . قال فغضب لعبدالله رجال من قومه . فغضب لكل واحد منهما أصحابه قال فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنه أنزلت فيهم : ﴿ إنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾] ورواه البخاري ومسلم. وقوله عز وجل : ﴿ فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا

ان الله يحب المقسطين ﴾ أي اعدلوا بينهما فيما كان أصاب بعضهم لبعض بالعدل ﴿ إن الله يحب المقسطين ﴾ .

روى ابن أبي حاتم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : ٢٠٤ [ان رسول الله ﷺ قال : « ان المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن عز وجل بما أقسطوا في الدنيا »] ورواه النسائي وهذا إسناد جيّد قويّ رجاله على شرط الصحيح . وحدثنا عبدالله بن يزيد بسنده عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : ٢٠٥ [المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة على منابر من نور على يمين العرش، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما وُلّوا] ورواه مسلم والنسائي . وقوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون أخوة ﴾ أي الجميع أخوة في الدين كما قال رسول الله ﷺ ٢٠٦ [المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه »] وفي الصحيح : ٢٠٧ [والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه] وفي الصحيح : ٢٠٨ [مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر] . وقوله تعالى : ﴿ فأصلحوا بين أخويكم ﴾ يعني الفئتين المقتتلتين ﴿ واتقوا الله ﴾ أي في جميع أموركم ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ وهذا تحقيق منه تعالى للرحمة لمن اتقاه .

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ ٱلِاسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ ﴾ (١١)

ينهى تعالى عن السخرية بالناس واحتقارهم كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : ٢٠٩ [الكِبْرُ بطر الحق وغمص الناس - ويروى - وغمط الناس] أي استصغارهم وهذا حرام، فقد يكون المحتقَر أرفع قدراً عند الله تعالى . ولهذا قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أنْ يكن خيراً مِنهن ﴾ فنهى الرجال والنساء. وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ كقوله تعالى ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ أي لا يقتل بعضكم بعضاً وهذه معناها لا تلمزوا بعضكم بعضاً والهمز بالفعل واللمز بالقول ، وذلك احتقار الناس طغياناً عليهم

والمشي بالنميمة من اللمز بالمقال كما قال تعالى : ﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ أي قولاً وفعلاً . وقوله تعالى : ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ أي لا تدعوا بعضكم بالألقاب وهي التي يسوء الشخص سماعها . روى الإمام أحمد عن أبي جبيرة بن الضحاك قال ٢٢١ [فينا نزلت في بني سلمة ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وليس فينا رجل إلاّ وله اسمان أو ثلاثة فكان اذا دَعَى أحداً منهم باسم من تلك الأسماء قالوا يا رسول الله إنه يغضب من هذا ، فنزلت : ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾] ورواه ابو داود . وقوله جل وعلا : ﴿ بئس الأسم الفسوق بعد الإيمان ﴾ أي بئس الصفة والاسم الفسوق ، وهو التنابز بالألقاب، كما كان أهل الجاهلية يتناعتون بعدما دخلتم في الإسلام وعقلتموه ﴿ ومن لم يتب ﴾ من هذا ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ۞ (١٢) ﴾

ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن كثير من الظن ، وهو التهمة والتخوّن للأهل والأقارب والناس في غير محله ، لأن بعض ذلك يكون إثماً محضاً ، فليُتَجنَّب كثير منه احتياطاً . ورَوينا عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال : ولا تظنن بكلمة خرجت من اخيك المؤمن إلاّ خيراً ، وانت تجد لها في الخير محملاً .

وروى مالك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ٢١١ [إيّاكم والظن فإن الظن أكذبُ الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله أخواناً] رواه البخاري ومسلم وابو داود عن العتبي عن مالك به ومن حديث عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ : ٢١٢ [... ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام] رواه مسلم والترمذي وصححه . عن حديث سفيان بن عيينة .

﴿ ولا تجسسوا ﴾ أي على بعضكم بعضاً ، والتجسس غالباً يطلق في الشر ومنه الجاسوس ويطلق التحسس غالباً في الخير. كقوله تعالى إخباراً عن يعقوب عليه السلام أنه

قال : ﴿ يا بَنِيَّ اذهبوا فتحسَّسوا من يوسف وأخيه ... ﴾ وقد يستعمل كل منهما في الشرّ كما ثبت في الصحيح : لا تجسسوا ... كما تقدم آنفاً . وقوله تعالى : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ فيه نهي عن الغيبة وقد فسرها الشارع كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود عن أبي هريرة قال ٢١٣ [قيل يا رسول الله : ما الغيبة ؟ قال ﷺ : « ذكرك أخاك بما يكره . » قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ : قال ﷺ : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتَّه »] ورواه الترمذي وقال : حسن صحيح ورواه ابن جرير .

والغيبة محرمة بالإجماع . ولا يستثنى من ذلك إلاّ من رجَحَت مصلحتُه ، كما في الجرح والتعديل والنصيحة ، وكذا ما جرى مجرى ذلك ثم بقيَّتُها على التحريم الشديد ، والزجر الأكيد . ولهذا شبهها تبارك وتعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت . كما قال عز وجل : ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحمَ أخيه ميْتاً فكرهتموه ﴾ أي كما تكرهون هذا طبعــاً فاكرهوا ذاك شرعاً فإن عقوبته أشدّ من هذا . وهذا من التنفير عنها والتحذير منها كما قال ﷺ في العائد في هبته : (« كالكلب يقيء ، ثم يرجع في قيئه ») .

روى أبو داود عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ٢١٤ [كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرام ماله وعرضُه ودمُه ، حسب امرء من الشر أن يحقِر أخاه المسلم] ورواه الترمذي .

روى أبو داود عن أبي بردة البلوي قال : قال رسول الله ﷺ : ٢١٥ [يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته]

وروى ابو داود عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : ٢١٦ [لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم] ورواه أحمد .

وروى ابن أبي حاتم عن ابي سعيد الخدري قال : ٢١٧ [قلنا يا رسول الله حدثنا ما رأيت ليلة أسرى بك قال « ... ثم انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير ، رجال ونساء موكل بهم رجال يَعمدون إلى عرض جنب أحدهم فيجذون منه الجذة مثل النعل ثم يضعونها في فيِّ أحدِهم ، فيقال له : كل كما أكلت وهو يجد من أكله الموت يا محمد لو يجد الموت وهو يكره عليه فقلت : يا جبرائيل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الهمازون اللمازون أصحاب النميمة فيقال : أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه وهو يُكرَهُ على أكل

لحمه »] هكذا أورد هذا الحديث، وقد أوردناه / بل / سقناه بطوله في أول تفسير سورة سبحان ولله الحمد والمنة .

وروى الحافظ أبو يعلى في روايته لقصته رجم ماعز رضي الله عنه إلى أن قال ٢١٨ [... سمع النبي ﷺ رجلين يقول أحدهما لصاحبه : ألم تر أن هذا الذي ستر الله عليه ، فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب ؟ ثم سار النبي ﷺ حتى مر بجيفة حمار فقال : « أين فلان وفلان إنزلا فكلا من جيفة هذا الحمار . قالا : غفر الله لك يا رسول الله وهل يؤكل هذا ؟ قال ﷺ : « فما نلتما من أخيكما آنفاً أشد أكلاً منه ، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها » .] إسناد صحيح .

وروى الإمام أحمد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: ٢١٩ [كنا مع النبي ﷺ فارتفعت ريح جيفة منتنة . فقال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما هذه الريح ؟ هذه ريح الذين يغتابون الناس »] .

وقوله تعالى : ﴿ واتقوا الله ﴾ أي فيما أمركم به ونهاكم عنه فراقبوه في ذلك واخشوا منه ﴿ إن الله تواب رحيم ﴾ أي تواب على من تاب إليه ، رحيم لمن رجع إليه واعتمد عليه . قال الجمهور من العلماء : طريق المغتاب للناس في توبته أن يقلع عن ذلك ويعزم على أن لا يعود ، وهل يشترط الندم على ما فات ، وأن يتحلل من الذي اغتابه ، فقال جماعة منهم بذلك ، وقال آخرون : لا يشترط أن يتحلله فإنه إذا أعلمه بذلك ربما تأذى أشد مما إذا لم يعلم بما كان منه ، فطريقه إذاً ، أن يثني عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها ، وأن يرد عنه الغيبة بحسبه وطاقته ، تكون تلك بتلك . كما روى الإمام أحمد عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ٢٢٠ [من حمى مؤمناً من منافق يغتابه، بعث الله تعالى اليه ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مؤمناً بشيء يريد سبّه حبسه الله تعالى على جسر جهنم حتى يخرج مما قال] وكذا رواه أبو داود .

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۞ (١٣) ﴾

يخبر الله تعالى الناس انه خلقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ، وهما آدم وحواء وجعلهم شعوباً وقبائل ، فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء ؛ وانما يتفاضلون بالأمور الدينية وهي طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله ﷺ . ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضاً ، منبهاً على تساويهم في البشرية : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ أي ليحصل التعارف بينهم كل يرجع إلى قبيلته وروى ابو عيسى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ٢٢١ [تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر] ثم قال غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه .

وقوله تعالى : ﴿ إن إكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ أي إنما تتفاضلون عند الله تعالى بالتقوى لا بالأحساب وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله ﷺ : ٢٢٢ [... فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا] رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وروى مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٢٢٣ [إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم] ورواه ابن ماجه .

روى ابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : ٢٢٤ [طاف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته القصواء يستلم الأركان بمحجن في يده ، فما وجد لها مناخاً في المسجد حتى نزل ﷺ على أيدي الرجال ، فخرج بها إلى بطن المسيل فأنيخت ثم إن رسول الله ﷺ خطبهم على راحلته فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال : « يا أيها الناس إن الله تعالى قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعظمها بآبائها ، فالناس رجلان : رجل برٌّ تقي كريم على الله تعالى ، ورجل فاجر شقيٌ هين على الله تعالى إن الله عز وجل يقول : ﴿ يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ ثم قال ﷺ أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم »] هكذا رواه ابن حميد. وروى الإمام أحمد عن درّة بنت أبي لهب رضي الله عنها قالت ٢٢٥ [قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال : يا رسول الله : أي الناس خير؟ قال ﷺ : « خير الناس أقرأهم وأتقاهم لله عز وجل ، وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم »] وقوله تعالى : ﴿ إنّ الله عليم خبير ﴾ أي عليم بكم ، خبير بأموركم وله المشيئة بكم ، في الهداية والضلالة ، والرحمة والعذاب ، والتفضيل وهو

الحكيم العليم الخبير في ذلك كله. وقد ذهب بعض العلماء بدلالة ما تقدم من الآية الكريمة والأحاديث إلى أن الكفاءة في النكاح لا تشترط سوى الدين لقوله تعالى ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ وذهب آخرون إلى أدلة أخرى موجودة في كتب الفقه ، وفي كتابنا كتاب الأحكام طرفاً من ذلك .



﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٧) إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) ﴾

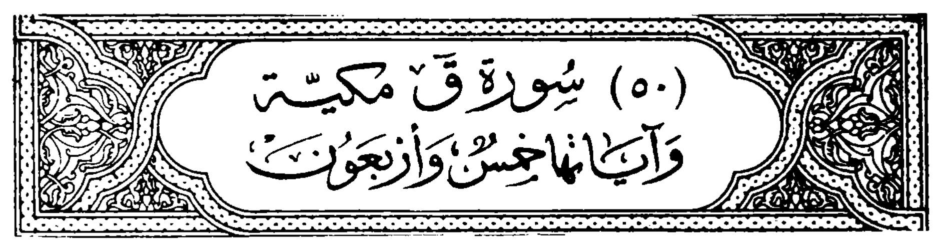
ينكر الله تعالى على الأعراب الذين ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان أول ما دخلوا في الإسلام في الوقت الذي لم يتمكن فيهم بل في قلوبهم الإيمان بعد. ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام، حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص ثم للأخص منه . فلما أدعى الأعراب لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا إليه، فأدّبوا في ذلك . وهؤلاء ليسوا من المنافقين خلافاً لمن يقول أنهم منهم ، فلو كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا كما ذكر المنافقون في سورة براءة [١] وإنما قيل لهؤلاء

(١) الآية رقم / ٩٧ /

تأديباً ﴿ قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ أي لم تصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد. ثم قال تعالى : ﴿ وإن تطيعوا الله ورسوله لا يَلِتكم من أعمالكم شيئاً ﴾ أي لا يُنقصكم من أجوركم شيئاً. كقوله عز وجل : ﴿ وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إنّ الله غفور رحيم ﴾ أي لمن تاب إليه وأناب. وقوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون ﴾ أي الكاملون في إيمانهم هم : ﴿ الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ أي لم يشكّوا ويتزلزلوا، بل ثبتوا على حال واحدة وهي التصديق المحض. ﴿ وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴾ أي وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم، في طاعة الله ورضوانه. ﴿ أولئك هم الصادقون ﴾ إذا قالوا إنهم مؤمنون ، لا كبعض الأعراب الذين ليس لهم من الإيمان إلا الكلمة الظاهرة .

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد - الخدري - رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ قال : ٢٢٦ [« المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء : الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، والذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، والذي إذا أشرف على طمع تركه لله عز وجل . »] وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ قل أتعلّمون الله بدينكم ﴾ أي أتخبرونه بما في ضمائركم ﴿ والله يعلم ما في السموات وما في الأرض ﴾ أي لا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ يمنّون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم ﴾ يعني الأعراب الذين يمنّون بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم على الرسول ﷺ يقول الله تعالى رداً عليهم : ﴿ قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم ﴾ فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم، ولله المنة عليكم فيه. ﴿ بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ أي في دعواكم ذلك كما قال النبي ﷺ للأنصار يوم حنين : ٢٢٧ [يا معشر الأنصار ألم أجدْكم ضلالاً فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرّقين فألفكم الله بي ؟ وكنتم عالةً فأغناكم الله بي كلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمنّ .]

وروى الحافظ أبو بكر البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ٢٢٨ [جاءت بنو أسد إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله أسلمنا وقاتلتك العرب ولم نقاتلْك . فقال رسول الله ﷺ : إن فقههم قليل ، وإن الشيطان ينطلق على ألسنتهم . ونزلت هذه الآية ﴿ يمنّون عليك أن أسلموا ...] ثم قال : لا نعلمه يروي إلاّ من هذه الوجه . ثم كرر تعالى الأخبار بعلمه بجميع الكائنات وبصره بأعمال المخلوقات. فقال: ﴿ ان الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون ﴾ آخر تفسير سورة الحجرات ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة . واسأله تعالى ان يسدد الخطى ويهدي إلى الصواب ويوفّق مسعانا لانهاءِ هذا المختصر على خير ما يحب الله ويرضى .



إلا الآية ٣٨ فمدنية نزلت بعد سورة المرسلات

هذه السورة هي أول الحزب المفصل على الصحيح ، والدليل ما رواه أبو داود عن عثمان بن عبدالله بن أوس عن جده ، وقال عبدالله بن سعيد : حدثنيه أوس بن حذيفة ثم اتفقا قال : ٢٢٩ [قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف ، قال فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، وانزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبة له ، قال مسدّد : وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من ثقيف قال كان رسول الله ﷺ كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا قال أبو سعيد قائماً على رجليه حتى يراوح بين رجليه من طول القيام ، فأكثر ما يحدثنا ﷺ ما لقي من قومه قريش ثم يقول ﷺ « لا أساء وكنا مستضعفين مستذلين – قال مسدد بمكة – فلما خرجنا إلى المدينة كانت الحرب سجالاً بيننا وبينهم ندال عليهم ، ويدالون علينا » فلما كانت ليلة أبطأ عنّا ﷺ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه ، فقلنا : لقد أبطأت علينا الليلة ، قال ﷺ « إنه طرأ علي حزبي من القرآن فكرهت أن أجيء حتى أتمّه »] قال أوس : سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزّبون القرآن ؟ فقالوا : (ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة . وحزب المفصل وحده) ورواه ابن ماجه ، والإمام أحمد ، إذا علم هذا فإذا عددت ثمانياً وأربعين سورة فالّتي بعدهن « ق » .

بيانه : ثلاث : البقرة ، وآل عمران والنساء . وخمس : المائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة . وسبع : يونس وهود ويوسف والرعد وابراهيم والحجر والنحل . وتسع : سبحان والكهف ومريم وطه والأنبياء ، والحج ، والمؤمنون والنور والفرقان . واحدى عشرة : الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان وآلم السجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويس . وثلاث عشرة : الصافات ، وص والزمر وغافر وحم السجدة وحم عسق والزخرف والدخان والجاثية ، والأحقاف ، والقتال والفتح والحجرات .

ثم بعد ذلك الحزب المفصّل. كما قاله الصحابة رضي الله عنهم . فتعين أن أوله سورة ﴿ ق ﴾ وهو الذي قلناه ولله الحمد والمنة .

روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عبدالله ان عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي : ٢٣٠ [ما كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيد ؟ قال : بـ ﴿ ق ﴾ و « ﴿ اقتربت ﴾] ورواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث مالك به .

وروى الإمام أحمد عن أم هشام بنت حارثة قالت: ١٣١ « [لقد كان تنورنا وتنور النبي ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة، وما أخذت ﴿ ق . والقرآن المجيد ﴾ إلا على لسان رسول الله ﷺ. كان يقرأها كل يوم جمعة، على المنبر إذا خطب الناس] رواه مسلم وأبو داود .

والقصد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار كالعيد والجمع ، لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور والمعاد والقيامة والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۞ (١) بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۞ (٢) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۞ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۞ (٤) بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۞ (٥) ﴾

﴿ ق ﴾ حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل بعض السور كقوله تعالى : ﴿ صٓ – و – نٓ – و – الٓمٓ – و – حمٓ – و – طسٓ – ﴾ ونحو ذلك ؛ قاله مجاهد وغيره وقد أسلفنا الكلام عليها في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ، وقد روي أن ق جبل – محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف ، وكأن هذا والله أعلم من خرافات بني اسرائيل وعندي ان هذا

وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم ، يلبِّسون به على الناس أمر دينهم . وقوله تعالى : ﴿ والقرآن المجيد ﴾ أي الكريم العظيم الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ وجواب القسم هو مضمون الكلام بعد القسم ، وهو إثبات النبوّة وإثبات المعاد وتقريره وتحقيقه ، وإنْ لم يكن القسم يتلقى لفظاً وهذا كثير في أقسام القرآن كما تقدّم في قوله تعالى : ﴿ صّ والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزّةٍ وشقاق ﴾ وهكذا قال ها هنا : ﴿ ق.والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ﴾ أي تعجَّبوا من إرسال رسول إليهم من البشر . كقوله جلّ وعلا : ﴿ أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجلٍ منهم أن أنذرِ الناس ﴾ أي وليس هذا بعجيب فإن الله يصطفي من الملائكة رسلاً ،ومن الناس ثم قال عز وجل مخبراً عنهم في تعجّبهم أيضاً من المعاد واستبعادهم لوقوعه : ﴿أإذا مِتنا وكنّا تُراباً ذلك رجع بعيد ﴾ أي إذا متنا وصرنا تراباً كيف يمكن رجوعنا هذا بعيد أي هذا مستحيل فردّ تعالى عليهم : ﴿ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم ﴾ أي لا يخفى علينا تفتت أجسادهم ولا أين تفرقت ، وإلى أين صارت ﴿ وعندنا كتاب حفيظ ﴾ أي حافظ ضابط لكل الأشياء ، ثم بيّن تعالى سبب كفرهم واستبعادهم البعث فقال جل وعلا : ﴿ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريجٍ ﴾ أي مختلف مضطرب ملتبس وهذا حال كل من خرج عن الحق مهما قال بعد ذلك فهو باطل .

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۞ (٦) وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۞ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۞ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۞ (٩) وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۞ (١٠) رِزْقاً لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۞ (١١) ﴾

نبَّه تعالى عباده على قدرته العظيمة على ما هو أعظم مما تعجبوا مستبعدين لوقوعه ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّنّاها ﴾ أي بالمصابيح ﴿ وما لها من

فروج ﴾ أي من شقوق كقوله تعالى ﴿ الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ﴾ وقولُه تعالى : ﴿ والأرض مددناها ﴾ أي وسعناها ﴿ وألقينا فيها رواسي ﴾ وهي الجبال لئلاّ تميد بأهلها وتضطرب ﴿ وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ﴾ أي من جميع الزروع والثمار والنبات من حسن المنظر والصنع ﴿ تبصرة وذكرى لكلّ عبدٍ منيب ﴾ أي ومشاهدة السموات والأرض وما جعل فيهما من الآيات العظيمة تبصرةً ودلالةً وذكرى لكلّ عبد منيب أي رجاع إلى الله عزّ وجلّ . وقوله تعالى : ﴿ ونزّلنا من السماء ماءً مباركاً ﴾ أي نافعاً ﴿ فأنبتنا به جناتٍ ﴾ أي حدائق من بساتين ونحوها ﴿ وحب الحصيد ﴾ وهو الزرع الذي يراد بـه لحبّه وادّخاره ﴿ والنخل باسقاتٍ ﴾ أي شاهقات ﴿ لها طلعٌ نضيد ﴾ أي منضود بعضه فوق بعض ﴿ رزقاً للعباد ﴾ أي للخلق ﴿ وأحيينا به بلدة ميتاً ﴾ وهي الأرض التي كانت هامدة، فلما نزل عليها الماء أهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج فبعد ما كانت لا نبات فيها فأصبحت تهتزُّ خضراءَ . فهذا مثالٌ للبعث بعد الموت الذي أُنكروه واستبعدوه كذلك يحيي الله الموتى. ولهذا قال تعالى: ﴿ كذلك الخروج ﴾ أي البعث بعد الموت كقوله تعالى : ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت ان الذي أحياها لمحيي الموتى إنّه على كلّ شيءٍ قدير . ﴾

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝ (١٣) وَأَصْحَابُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝ (١٤) أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ (١٥) ﴾

يهدد تعالى الكفارَ من قريش وغيرهم بما أحله بأشباههم ونظرائهم من المكذّبين قبلهم ، قد تقدّمت قصتهم في سورة الفرقان ﴿ وثمود . وعاد وفرعون وإخوان لوط ﴾ وهم أمّتهُ الذين بعثَ إليهم من أهل سدوم ، ومعاملتها من الغور ، وكيف خسف بهم الأرض وأحال أرضَهم بحيرة منتنة خبيثة بكفرهم وطغيانهم ومخالفتهم الحق ﴿ وأصحاب الأيكة ﴾ وهم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام ﴿ وقوم تبّع ﴾ وهو اليماني وقد ذكرنا من شأنه في سورة الدخان ما أغنَى عن إعادته ولله الحمد والشكر .

﴿ كلٌّ كذّب الرسل ﴾ أي كلٌّ من الأمم هذه كذبوا رسلهم ، ومن كذب رسولاً فكأنما كذب جميع الرسل ﴿ فحق وعيد ﴾ أي فحق ما أوعدهم الله من النكال والعذاب جزاء تكذيبهم.وقوله تعالى : ﴿ أفعيينا بالخلق الأول ﴾ وهل أعجزنا ابتداء الخلق حتى أنهم في شكٍّ من الإعادة ﴿ بل هم في لَبْس من خلق جديد ﴾ أي أن ابتداء الخلق لم يعجزنا والإعادة أسهل منه. كما قال عز وجل : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ وقد تقدم في الصحيح : ٢٣٢ [يقول الله تعالى : يؤذيني ابن آدم يقول لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته .]

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝ (١٨) وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝ (١٩) وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ۝ (٢٠) وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ۝ (٢١) لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝ (٢٢) ﴾

يخبر تعالى عن قدرته على الإنسان بأنه خالقه وعلمه محيط بجميع أموره ، حتى أنه تعالى يعلم ما توسوس به نفوس بني آدم من الخير والشر،ومن كل شيء. وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ انه قال: ٢٣٣ [ان الله تعالى تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل] وقوله عز وجل : ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ يعني ملائكته تعالى أقرب إلى **الانسان** من حبل وريده إليه كما قال في المحتضر ﴿ ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون ﴾ يعني ملائكته ، وكما قال تبارك وتعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾ فالملائكة نزلت بالذكر بإذن الله عز وجل ، وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه،بإقدار الله جل وعلا لهم على ذلك. ولهذا قال تعالى ههنا : ﴿ اذ يتلقّى المتلقّيان ﴾ يعني الملكين اللذيْن يكتبان عمل الإنسان﴿ عن اليمين وعن الشمال قعيد ﴾ أي مترصّد ﴿ ما يلفظ ﴾ أي ابن آدم ﴿ من قول ﴾ أي ما يتكلم بكلمة ﴿ إلاّ لديه رقيب عتيد ﴾ **إلا ولها من** يرقبها ويكتبها لا يترك كلمة ولا حركة ولا شيئاً

من قول أو عمل .

روى الإمام أحمد عن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٢٣٤[«ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، ما يظن أن تبلغ ما بلغت... يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه . وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى، ما يظن أن تبلغ ما بلغت...يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه» فكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث] ورواه الترمذي وصححه وذكر عن الإمام أحمد أنه كان يئن في مرضه فبلغه عن طاووس أنه قال : يكتب الملك كل شيء حتى الأنين فلم يئن أحمد حتى مات رحمه الله تعالى ..

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ ان المخاطب بذلك الإنسان من حيث هو مؤمناً كان أو كافراً.وقد ثبت في الصحيح عن النبيّ ﷺ : ١٣٥ [أنه لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول : « سبحان الله إن للموت لسكرات »] وقوله تعالى : ﴿ ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ أي ان الإنسان لا محيد له عن الموت مهما فرّ منه فإنه ملاقيه .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ﴾ أي يوم القيامة . وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : ٢٣٦ [كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له » قالوا : يا رسول الله: كيف نقول: قال ﷺ : « قولوا؟حسبنا الله ونعم الوكيل » فقال القوم : حسبنا الله ونعم الوكيل] ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ أي ملك يسوقه إلى المحشر وملك يشهد عليه بأعماله هذا هو الظاهر من الآية الكريمة وهو اختيار ابن جرير . وروي عن يحيى بن رافع مولى لثقيف قال سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يخطب فقرأ هذه الآية : ﴿ وجاءت كلّ نفس معها سائق وشهيد ﴾ فقال سائق يسوقها إلى الله تعالى وشاهد يشهد عليها بما عملت، وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد .

وقوله تعالى : ﴿ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ أي كنت في غفلة من يومك هذا وهو يوم القيامة ﴿ فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ أي قوي لأن كل أحد يوم القيامة ، يكون مستبصراً حتى الكفار في الدنيا ، يكونون يوم القيامة على الاستقامة ، لكن لا ينفعهم ذلك قال الله عز وجل : ﴿ ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فأرجعنا نعمل صالحاً إنّا موقنون ﴾ .

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۞ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۞ (٢٤) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ۞ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ۞ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۞ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ۞ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ۞ (٢٩) ﴾

قوله تعالى : ﴿ وقال قرينه هذا ما لديّ عتيد ﴾ أي معتدٌ محضر بلا زيادة ولا نقصان وهذا يعم السائق والشهيد اختاره ابن جرير وله اتجاه وقوة . فعند ذلك يحكم الله تعالى في الخليقة بالعدل ، فيقول سبحانه : ﴿ ألقيا في جهنم كل كفّار عنيد ﴾ فالسائق أحضره إلى عرصة الحساب ، فلما أدّى الشهيد عليه ، أمرهما الله تعالى بإلقائه في جهنم وبئس المصير . والكفّار أي كثير الكفر والتكذيب بالحق والعنيد المعاند للحق المعارض له بالباطل ، مع علمه بذلك ﴿ مناع للخير ﴾ أي لا يؤدي ما عليه من الحقوق ، ولا بر فيه ولا صلة ولا صدقة ﴿ معتدٍ ﴾ أي فيما ينفقه ويصرفه يتجاوز فيه الحد. وقال قتادة : معتد في منطقه وسيره وأمره . ﴿ مريب ﴾ أي شاكّ في أمره ، مريب لمن نظر اليه ﴿ الذي جعل مع الله إلهاً آخر ﴾ أي أشرك بالله تعالى فعبد معه غيره. ﴿ فألقياه في العذاب الشديد ﴾ روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : ٢٣٧ [يخرج عنق من النار يتكلم يقول: وكلت اليوم بثلاثة: بكل جبار عنيد، ومن جعل مع الله إلهاً آخر، ومن قتل نفساً بغير نفس، فتنطوي عليهم فتقذفهم في غمرات جهنم][1] ﴿ قال قرينه ﴾ هو الشيطان الذي وكّل به – فكما أن للانسان قريناً من الجن فكذلك له قرين من الملائكة وكلاهما قرين له الملك يأمره بالخير ،والشيطان يأمره بالشر .فقوله تعالى في أول هذه الآية الكريمة : ﴿ وقال قرينه ﴾ هذا القرين الملك . أما قوله تعالى ههنا ﴿ قال قرينه ﴾ فهو الشيطان – ﴿ ربنا ما أطغيتُه ﴾ أي ما أضللته ﴿ ولكن كان في ضلال بعيد ﴾ أي بل كان هو في نفسه ضالاً قابلاً للباطل معانداً للحق. ﴿ قال لا تختصموا لديّ ﴾ يقول عز وجل للإنسيّ وقرينه من الجن ، وذلك أنهما يختصمان بين يدي الحق تعالى ، فيقول الأنسي

(١) فيه عطية بن سعيد العوفي ضعيف .

يا رب هذا أضلَّني عن الذكر بعد إذ جاءني ويقول الشيطان : ﴿ ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد ﴾ أي عن منهج الحق. فيقول الرب عز وجل لهما : ﴿ لا تختصموا لديَّ وقد قدمت إليكم بالوعيد ﴾ أي قد أعذرت إليكم على ألسنة الرسل ، وأنزلت الكتب وقامت الحجة ﴿ ما يبدل القول لديَّ ﴾ أي قد قضيت ولا يرد قضائي. ﴿ وما أنا بظلاّمٍ للعبيد ﴾ أي لا أعذب أحداً إلاّ بذنبه بعد قيام الحجة عليه .

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ۞ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۞ (٣١) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۞ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ۞ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۞ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۞ (٣٥) ﴾

يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة : هل امتلأتِ ؟ وذلك لأنه تبارك وتعالى وعدها أن سيملأها من الجنّة والناس أجمعين. فهو سبحانه وتعالى يأمر بمن يأمر به إليها ويلقى وهي تقول : هل من مزيد ، أي هل بقي شيء تزيدوني هذا هو الظاهر من سياق الآية وعليه تدلّ الأحاديث .

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ٢٣٨ [يلقى في النار وتقول هل من مزيد ؟ حتّى يضع قدمه فيها فتقول قط قط] وروى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ١٣٩ [لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد ؟ حتّى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوي بعضها إلى بعض وتقول : قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتّى ينشىء الله لها خلقاً آخر ، فيسكنهم الله تعالى في فضول الجنة] ثم رواه مسلم بنحوه .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ : ٢٤٠ [احتجّت الجنة والنار فقالت النار : فيَّ الجبارون والمتكبرون ، وقالت الجنة فيَّ ضعفاء **الناس ومساكينهم**، فقضى بينهما فقال للجنة إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحد منكما ملؤها .] وقوله تعالى : ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد ﴾ أي أدنيت وقُرّبت من

المتقين ﴿ غير بعيد ﴾ وذلك يوم القيامة وليس ببعيد لأنه واقع لا محالة وكل ما هو آت قريب ﴿ هذا ما توعدون لكل أواب ﴾ أي رجاع تائب مقلع ﴿ حفيظ ﴾ أي يحفظ العهد فلا ينقضه ولا ينكثه وقال عبيد بن عمير الأواب الحفيظ الذي لا يجلس مجلساً فيقوم حتى يستغفر الله عز وجل ﴿ من خشي الرحمن بالغيب ﴾ أي من خاف الله في سرّه حيث لا يراه أحد إلاّ الله عزّ وجل كقوله ﷺ : ٢٤١ [...ورجل ذكر الله تعالى ففاضت عيناه] ﴿ وجاء بقلب منيب ﴾ رجاع إليه سليم من الشرك ﴿ أدخلوها ﴾ أي الجنة ﴿ بسلام ﴾ أي سلموا من عذاب النار وسلّم عليهم الملائكة ﴿ ذلك يوم الخلود ﴾ أي يخلدون في الجنة فلا يموتون أبداً ولا يظعنون ، ولا يبغون عنها حولاً . ﴿ لهم ما يشاءون فيها ﴾ أي مهما طلبوا وجدوا ، وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أن رسول الله ﷺ قال له ٢٤٢[إنك لتشتهي الطير في الجنة فيخر بين يديك مشوياً] وقوله تعالى: ﴿ ولدينا مزيد ﴾ كقوله عز وجل ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ وقد تقدم في صحيح مسلم انها النظر إلى وجه الله الكريم .

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِي ٱلْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ * (٣٦) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ * (٣٧) وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ * (٣٨) فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ * (٣٩) وَمِنَ ٱللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ ٱلسُّجُودِ * (٤٠) ﴾

يقول تعالى : ﴿ وكم أهلكنا قبلهم ﴾ أي هؤلاء المكذبين ﴿ من قرن هم أشد منهم بطشاً ﴾ أي كانوا أكثر منهم وأشد قوةً وأثاروا الأرض وعمّروها أكثر مما عمَّروها ، ولهذا قال تعالى ها هنا : ﴿ فنقّبوا في البلاد ﴾ أي فساروا في البلاد منقّبين عن الأرزاق والمعايش والمكاسب وطافوا بها أكثر مما طفتم .

وقوله تعالى : ﴿ هل من محيص ﴾ أي هل من مفرٍ لهم من قضاء الله وقدره ، فأنتم أيضاً لا مفر لكم ولا محيدولا محيص وقوله عز وجل : ﴿ إن في ذلك لذكرى ﴾ أي لعبرة ﴿ لمن كان له قلب ﴾ أي لبّ وعقل يعي به ﴿ أو ألقىٰ السمع وهو شهيد ﴾ أي استمع

الكلام فوعاه وتعقله بعقله وتفهمه بلبّه ، والعرب يقولون : ألقىٰ فلان سمعه إذا استمع بأذنيه وهو شاهد بقلب غير غائب. وهكذا قال الضحاك والثوري . وقوله سبحانه تعالى : ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسّنا من لغوب ﴾ فيه تقرير للمعاد لأن من قدر على خلق السموات والأرض ولم يعيَ بخلقهن، قادر على أن يحيي الموتى بطريق الأولى والأحرى. قالت اليهود – عليهم لعائن الله المتتابعة – خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت ، وهم يسمونه يـوم الراحة ، فأنزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوه وتأوّلوه ﴿ وما مسّنا من لغوب ﴾ أي من إعياءٍ ولا تعب. كما قال تعالى : ﴿ ... ولم يعيَ بخلقهن ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ فاصبر على ما يقولون ﴾ يعني المكذبين واهجرهم هجراً جميلاً ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾ وكانت الصلاة المفروضة قبل الإسراء ثنتين قبل طلوع الشمس في وقت الفجر وقبل الغروب في وقت العصر ، وقيام الليل كان واجباً على النبي ﷺ وعلى أمته حولاً ، ثم نسخ في حق الأمة وجوبُه . ثم بعد ذلك نسخ الله تعالى ذلك كله ليلة الإسراء بخمس صلوات ولكن منهن صلاة الصبح والعصر فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب. وقد روى الإمام أحمد عن جرير بن عبدالله رضي الله عنهما قال: ٢٤٣[كنّا جلوساً عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال : « أما إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامّون فيه ، فإن استطعتم ألاّ تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » ثم قرأ : ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾] ورواه البخاري ومسلم وبقية الجماعة من حديث إسماعيل به . وقوله تعالى : ﴿ ومن الليل فسبحه ﴾ أي فصلِّ له. كقوله تعالى : ﴿ ومن الليل فتهجّد به نافلةً لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ ﴿ وأدبار السجود ﴾ قيل انه التسبيح دبر كل صلاة والتحميد والتكبير ، وقيل الركعتان بعد المغرب وباقي الصلوات ما عدا العصر والفجر . روى الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه قال: ٢٤٤[كان رسول الله ﷺ يصلي إثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلاّ الفجر والعصر] ورواه ابو داود والنسائي . ودليل التسبيح والتحميد والتكبير في الصحيحين = ومن هذا يتضح إن القولين صحيحان إنما المراد ههنا والله أعلم هي السنن التي تصلّى دبر المكتوبات، ما عدا الفجر والعصر، والله الموفق الصواب.=[1]

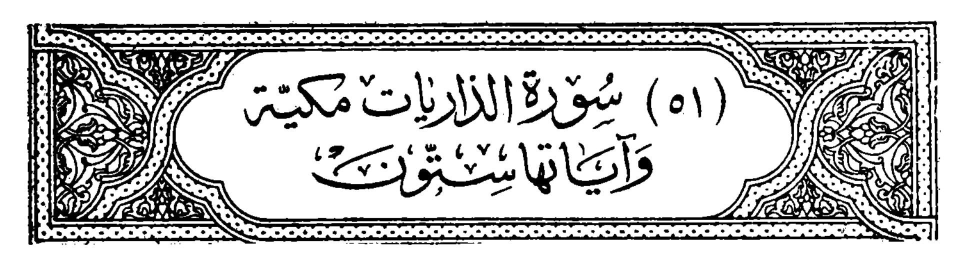
---

(١) ما بين المساويين من كلامي لا من كلام المفسر رحمه الله وطيب ثراه .

﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۞ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ۞ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ۞ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۞ (٤٤) نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۞ (٤٥) ﴾

يقول تعالى : ﴿ واستمع ﴾ يا محمّد ﴿ يوم ينادي المنادِ من مكان قريب ﴾ أي ينادي الملك اسرافيل عليه السلام بأمر الله تعالى : أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة ان الله تعالى يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء ﴿ يوم يسمعون الصيحة بالحق ﴾ يعني النفخة في الصور التي تأتي بالحق الذي كان أكثرهم فيه يمترون ﴿ ذلك يوم الخروج ﴾ أي من الأجداث ﴿ إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير ﴾ أي هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وإليه المصير أي مصير الخلائق جميعاً ، فيجازي كلاً بعمله إنْ خيراً فخير أو شراً فشر . وقوله تعالى : ﴿ يوم تشقّق الأرض عنهم سراعاً ﴾ وذلك أن الله عز وجل ينزل مطراً من السماء ينبت به أجساد الخلائق في قبورها كما ينبت الحب في الثرى والماء فإذا تكاملت الأجساد أمر الله تعالى إسرافيل فينفخ في الصور فتخرج الأرواح منه تتوهج بين السماء والأرض ، فيقول الله عز وجل : وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره. فترجع كل روح إلى جسدها ، فتدب فيه كما يدب السم في اللديغ وتنشق الأرض عنهم فيقومون إلى موقف الحساب سراعاً مبادرين إلى أمر الله عز وجل ﴿ مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ٢٤٥ [أنا أول من تنشق عنه الأرض] وقوله تعالى : ﴿ ذلك حشر علينا يسير ﴾ أي تلك إعادة سهلة علينا ، كما قال جلَّ جلاله ﴿ وما أمرنا إلاَّ واحدة كلمح بالبصر ﴾ وقوله جلّ وعلا : ﴿ نحن أعلم بما يقولون ﴾ أي بما يقوله لك المشركون من التكذيب فلا يهولنك ذلك. وقوله تعالى: ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ أي وما أنت بمجبرهم على الإيمان، إنما أنت مبلّغ. ثم قال عزّ وجل : ﴿ فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ أي بلّغ أنت رسالة ربك، فإنما يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده. كقوله تعالى، ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ وكان قتادة يقول : اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعودك يا بار يا رحيم .

آخر اختصار تفسير سورة ﴿ ق ﴾ والحمد لله وحده وهو حسبنا ونعم الوكيل .



نزلت بعد سورة الأحقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

●

﴿ وَٱلذَّارِيَاتِ ذَرْواً * (١) فَٱلْحَامِلَاتِ وِقْراً * (٢) فَٱلْجَارِيَاتِ يُسْراً * (٣) فَٱلْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً * (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * (٥) وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ * (٦) وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ * (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ * (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ * (٩) قُتِلَ ٱلْخَرَّاصُونَ * (١٠) ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ * (١١) يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ * (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ * (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ * (١٤) ﴾

ثبت عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه صعد منبر الكوفة فقال : لا تسألوني عن آية في كتاب الله تعالى ، ولا عن سنّة رسول الله ﷺ إلاّ أنبأتكم بذلك فقام ابن الكواء فقال : يا أمير المؤمنين ما معنى قوله تعالى : ﴿ والذاريات ذرواً ﴾ قال عليّ رضي الله عنه الريح ، قال : ﴿ فالحاملات وقراً ﴾ قال رضي الله عنه : السحاب ، قال : ﴿ فالجاريات يسرا ﴾ قال رضي الله عنه : السفن ، قال : ﴿ فالمقسمات أمراً ﴾ قال : الملائكة . وهكذا فسرها عمر بن الخطاب ، وابنُ عباس وابنُ عمر رضي الله عنهم وسعيدُ بن جبير والحسنُ وقتادة ، والسديُّ وغيرُ واحد ، ولم يحكِ ابن جرير وابن أبي

حانم غير ذلك . وهذا قَسَم من الله تعالى على وقوع المعاد. ولهذا قال تعالى: ﴿ إنما توعدون لصادق ﴾ أي لخبر صِدق ﴿ وإن الدين ﴾ يوم الحساب ﴿ لواقع ﴾ أي لكائن لا محالة . ثم قال تعالى : ﴿ والسماء ذات الحبك ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء ﴿ إنكم لفي قول مختلف ﴾ أي إنكم أيها المشركون المكذبون للرسل، لفي قول مختلف مضطرب لا يلتئم ولا يجتمع . وقال تعالى : ﴿ يؤفك عنه من أفك ﴾ أي إن ذلك القول المختلف يروِّج على من هو ضال في نفسه ، لأنه قول باطل إنّما ينقاد له ضالٌ غمْره لا فهم له. كقوله تعالى ﴿ فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين * إلاّ من هو صالِ الجحيم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قتل الخرّاصون ﴾ قال قتادة : الخراصون أهل الغرة والظنون ﴿ الذين هم في غمرة ساهون ﴾ أي في الكفر والشك غافلون لاهون ، قاله ابن عباس وغيره ﴿ يسألون أيان يوم الدّين ﴾ أي متى يوم الحساب إنما يقولون هذا تكذيباً وعناداً وشكّاً واستبعاداً . وقوله تعالى : ﴿ يوم هم على النار يفتنون ﴾ أي يحرقون ﴿ ذوقوا فتنتكم ﴾ أي حريقكم ﴿ هذا الذي كنتم به تستعجلون ﴾ أي يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً وتحقيراً والله أعلم .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ * (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ ٱللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَٱلْمَحْرُومِ * (١٩) وَفِي ٱلْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * (٢١) وَفِي ٱلسَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * (٢٢) فَوَرَبِّ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ * (٢٣) ﴾

يقول تعالى مخبراً عن المتقين لله عز وجل أنهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من العذاب والنكال والحريق والأغلال . وقوله تعالى : ﴿ آخذين ما آتاهم ربهم ﴾ آخذين حال من قوله في جنات وعيون ، فالمتقون في حال

كونهم في الجنات والعيون آخذين ما آتاهم ربهم أي من النعيم والسرور والغبطة.وقوله عز وجل ﴿ إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ﴾ أو في الدار الدنيا . كقوله تعالى: ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ثم إنه تعالى بيّن إحسانهم في العمل، فقال جلّ وعلا : ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ﴾ أي قل ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون. قاله مجاهد وكذا قال قتادة . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لم تكن تمضي عليهم ليلة إلاّ يأخذون منها ولو شيئاً. وقال زيد بن أسلم: طوبى لمن رقد إذا نعس واتقى الله إذا استيقظ.

وقال عبدالله بن سلام رضي الله عنه: ٢٤٦ [لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه ، فكنت فيمن انجفل فلما رأيت وجهه ﷺ عرفت أن وجهه ليس وجهَ رجل كذّاب ، فكان أول ما سمعته ﷺ يقول : « يا أيها الناس أطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وأفشوا السلام ، وصَلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام »] . وقوله عزّ وجل : ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ كقوله تعالى : ﴿ والمستغفرين بالأسحار ﴾ وإن كان الاستغفار في صلاة فهو أحسن. وقد ثبت في الصحاح وغيرها عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ انه قال: ٢٤٧ [ان الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ، فيقول هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفرٍ فأغفرُ له ، هل من سائل فيعطى سؤله ؟ حتى يطلع الفجرُ] .

وقوله تعالى : ﴿ وفي أموالهم حقّ للسائل والمحروم ﴾ لما وصفهم الله تعالى بالصلاة ثنّى بوصفهم بالزكاة والبر والصلة. فقال سبحانه ﴿ وفي أموالهم حقّ ﴾ أي جزء مقسوم قد أفرزوه للسائل والمحروم . أما السائل فمعروف وهو الذي يبتدىء بالسؤال ، وله حق كما روى الإمام أحمد عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ٢٤٨ [للسائل حق وان جاء على فرس] ورواه ابو داود من حديث سفيان الثوري به وأما المحروم قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره : هو المحارف الذي ليس له سهم في الإسلام . يعني لا سهم له في بيت المال ولا كسب له ولا حرفة يتقوّت منها . وقالت أم المؤمنين : هو المحارف الذي لا يكاد يتيسّر له مكسبه. وقال الضحاك: هو الذي لا يكون له مال إلاّ ذهب .

وقوله تعالى : ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين ﴾ أي فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها، وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات، والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار ، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم ، وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى ، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم ، والحركات والسعادة والشقاوة وما في

تركيبهم من الحكم في وضع كل عضوٍ من أُعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه . ولهذا قال : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ قال قتادة : من تفكّر في خلق نفسه عرف أنه إنّما خلق ولينّت مفاصله للعبادة .

ثم قال تعالى : ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ يعني المطر هو الرزق من السماء والجنة هي التي يوعدون . وقوله تعالى : ﴿ فوربِّ السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾ يقسم تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لا محالة . وهو حقّ لا مرية فيه فلا تشكّوا فيه ، كما لا تشكون في نطقكم حين تنطقون . وكان معاذ رضي الله عنه إذا حدث بالشيء يقول لصاحبه : إن هذا الحق كما أنك ههنا .

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۞ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ۞ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۞ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۞ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۞ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۞ (٢٩) قَالُوا كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ۞ (٣٠) ﴾

هذه القصة قد تقدمت في سورتي هود والحجر ... فقوله تعالى : ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ﴾ أي أعدّ لهم الكرامة والضيافة ﴿ قالوا سلاماً قال سلامٌ ﴾ الرفع أقوى من النّصب أي ردَّ السلام بردٍ أفضل. كما قال تعالى : ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيّوا بأحسن منها أو ردّوها ﴾ فالخليل اختار الأحسن . وقوله تعالى : ﴿ قوم منكرون ﴾ أي لا يعرفهم وهم في الحقيقة الملائكة المكرمون : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم. قدموا على إبراهيم في صورة شبّان حسان عليهم مهابة عظيمة . ولهذا قال: ﴿ قوم منكرون ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ فراغ إلى أهله ﴾ أي

إنسلّ خفيةً في سرعة. ﴿ فجاء بعجل سمين ﴾ أي من خيار ماله ، كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿ فما لبث أن جاء بعجلٍ حنيذ ﴾ أي مشوي على الرضف ، ﴿ فقرَّبه إليهم ﴾ أي أدناه منهم. ﴿ قال ألا تأكلون ﴾ وهذا تلطف في العبارة وعرض حسن ، وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة : فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة ، ولم يمتن عليهم أولاً فقال نأتيكم بطعام بل جاء به بسرعة وخفاء ، وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل سمين مشوي ، فقربه إليهم لم يضعه وقال اقتربوا ، بل وضعه بين أيديهم ، ولم يأمرهم أمراً يشقّ عليهم بصيغة الجزم،بل قال : ﴿ ألا تأكلون ﴾ على سبيل العرض والتلطف ، كما يقول القائل اليوم : إن رأيت أن تتفضل.وقوله تعالى : ﴿ فأوجس منهم خيفةً قالوا لا تخف ﴾ أي نحن رسل ربّك إلى قوم لوط ثم بشروه بإسحق . ولهذا قال تعالى : ﴿ وبشّروه بغلامٍ عليم ﴾ فالبشارة له هي لها لأن الولد منهما فكل منهما بشّر به وقوله تعالى : ﴿ فأقبلت امرأته في صَرَّةٍ ﴾ أي في صرخة عظيمة ورنّة ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره وهي قولها : ﴿ يا ويلتا ﴾ ﴿ فصكت وجهها ﴾ تعجباً كما تتعجب النساء من الأمر الغريب ﴿ وقالت عجوز عقيم ﴾ أي كيف ألد وأنا عجوز وقد كنت في حال الصبا عقيماً لا أحبل ؟ ﴿ قالوا كذلك قال ربّكِ إنه هو الحكيم العليم ﴾ أي الحكيم في أقواله وأفعاله والعليم بما تستحقّون من الكرامة .



﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ (٣١) قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝ (٣٣) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۝ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝ (٣٧) ﴾

قوله تعالى : ﴿ قال فما خطبكم أيها المرسلون ﴾ أي ما شأنكم .. وفيم جئتم ؟ ﴿ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين ﴾ يعنون قوم لوط ﴿ لنرسل عليهم حجارة من طين مسوّمة ﴾ أي معلمة ﴿ عند ربّك للمسرفين ﴾ أي مكتتبة عنده بأسمائهم كلّ حجر عليه اسمُ صاحبه فقال في سورة العنكبوت ﴿ قال إن فيها لوطاً، قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينّه وأهله إلاّ امرأته كانت من الغابرين ﴾ وقال تعالى ههنا : ﴿ فأخرجنا من كان فيها من

المؤمنين﴾ وهم لوط وأهل بيته إلاّ امرأته ﴿ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾ هو بيت لوط عليه السلام فحسب. وقوله تعالى : ﴿ وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم ﴾ أي جعلناها عبرة بما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل، وجعلنا محلتهم بحيرة منتنة خبيثة، ففي ذلك عبرة للمؤمنين . ﴿ للذين يخافون العذاب الأليم ﴾ .

﴿ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ (٣٨) فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۞ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ۞ (٤٠) وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ۞ (٤١) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ۞ (٤٢) وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ۞ (٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۞ (٤٤) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ۞ (٤٥) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۞ (٤٦) ﴾

يقول تعالى ﴿ وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين ﴾ ـ وفي موسى معطوف على ﴿ فيها ﴾ الواردة في الآية التي قبلها : ﴿ وتركنا فيها آية ... ﴾ والمعنى : وجعلنا في قصة موسى آية ـ ﴿ إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين ﴾ أي بدليل باهر وحجة قاطعة ﴿ فتولىّ بركنه ﴾ أي فأعرض فرعون عما جاء به موسى من الحق المبين استكباراً وعناداً ﴿ وقال ساحر أو مجنون ﴾ أي لا تخلو من أحد الوصفين قال تعالى : ﴿ فأخذناه وجنوده فنبذناهم ﴾ أي ألقيناهم ﴿ في اليم ﴾ وهو البحر ﴿ وهو مليم ﴾ أي وهو ملوم كافر جاحد فاجر معاند .

ثم قال عز وجل ﴿ وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ﴾ أي المفسدة التي لا تنتج شيئاً. ولهذا قال تعالى : ﴿ ما تذر من شيء أتت عليه ﴾ أي مما تفسده الريح. ﴿ إلاّ جعلته كالرّميم ﴾ أي كالشيء الهالك البالي . وقد ثبت في الصحيح من رواية شعبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : [نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور] ﴿ وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا

العمي على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون ﴾ وهكذا قال ههنا : ﴿ وفي ثمود إذ قيل لهم تمتّعوا حتّى حين * فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ﴾ أي لا يقدرون على أن ينتصروا مما هم فيه . وقوله عز وجل : ﴿ وقوم نوح من قبل ﴾ أي وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء ﴿ إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ وكل هذه القصص قد تقدّمت مبسوطة في أماكن كثيرة من سور متعددة والله تعالى أعلم .

وَٱلسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۞ (٤٧) وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ ٱلْمَاهِدُونَ ۞ (٤٨) وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ (٤٩) فَفِرُّوا إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ (٥١)

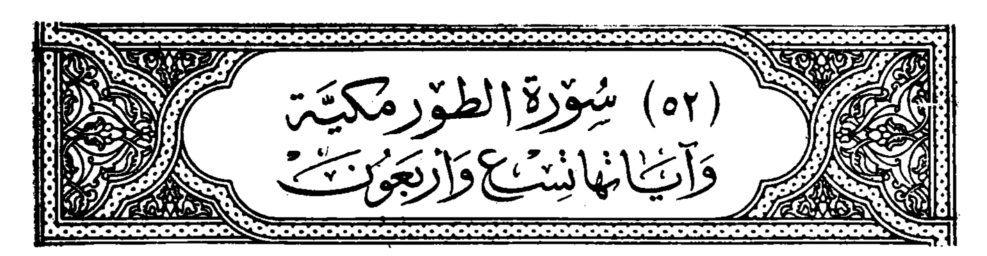
يقول تعالى منبّهاً على خلق العالم العلوي والسفلي ﴿ والسماء بنيناها ﴾ أي جعلناها سقفاً محفوظاً رفيعاً ﴿ بأيدٍ ﴾ أي بقوّة ﴿ وإنا لموسعون ﴾ أي قد وسعنا أرجاءها فرفعناها بغير عمد حتى استقلّت. كما هي ﴿ والأرضَ فرشناها ﴾ أي جعلناها فراشاً للمخلوقات . ﴿ فنعمَ الماهدون ﴾ أي وجعلناها مهداً لأهلها ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴾ أي جميع المخلوقات أزواج : سماء وأرض ، وليل ونهار ، وشمس وقمر ، وبر وبحر ، وضياء وظلام ، وإيمان وكفر ، وموت وحياة ، وشقاء وسعادة ، وجنة ونار ، حتى الحيوانات والنباتات. ولهذا قال تعالى: ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ أي لتعلموا أن الخالق واحد لا شريك له ﴿ ففِرُّوا إلى الله ﴾ أي الجأوا إليه واعتمدوا في أموركم عليه. ﴿ إني لكم منه نذير مبين * ولا تجعلوا مع الله إلٓهاً آخر ﴾ أي لا تشركوا به شيئاً ﴿ إني لكم منه نذير مبين ﴾

كَذَٰلِكَ مَا أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۞ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۞ (٥٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ۞ (٥٤) وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ (٥٥) وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۞ (٥٧) إِنَّ ٱللَّهَ

هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ❁ (٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ❁ (٥٩) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ❁ (٦٠)

يسلّي الله تعالى نبيّه ﷺ : وكما قال لك هؤلاء المشركون قال المكذّبون الأوّلون لرسلهم : ﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلاّ قالوا ساحر أو مجنون ﴾ قال الله عزّ وجل ﴿ أتواصوا به ﴾ أي هل أوصى بعضهم بعضاً بذلك ؟ ﴿ بل هم قوم طاغون ﴾ أي لكنهم هم الطغاة أي هؤلاء وأولئك ، فقد تشابهت قلوبهم وأقوالهم . قال الله تعالى : ﴿ فتولّ عنهم ﴾ أي فأعرض عنهم يا محمد ﴿ فما أنت بملوم ﴾ على ذلك ﴿ وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ أي إنما تنتفع بها القلوب المؤمنة . ثم قال عز وجل ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون ﴾ أي إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي إليهم ، وليقرّوا طوعاً أو كرهاً بعبادتي – وما أمرتهم بعبادتي إلا لأني استحقّها وحدي فإن هم أشركوا بها غيري حاق بهم سخَطي وان وحّدوني في العبادة رضيت عنهم وادخلتهم جنّتي ، ولا شك أن هذا رحمة منه تعالى بعباده أن يبيّن لهم هذا الأمر حتى يعملوا بما علموا على الوجه الذي يرضيه تعالى – وهو تعالى ليس بحاجة إليهم وهو الغني عن العالمين. ولهذا قال سبحانه : ﴿ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ٭ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ والمراد ان الله تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، وإنّه غير محتاج اليهم بل هم الفقراءُ إليه دائماً فهو خالقهم ورزاقهم روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ – عن ربه تعالى – : ٢٤٩ [يا ابن آدم تفرغ لعبادتي املأْ صدرك غنى وأسد فقرك ، وإلاّ تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك] ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة وقال الترمذي : حسن غريب. وقوله تعالى : ﴿ فإن للذين ظلموا ذنوباً ﴾ أي نصيباً من العذاب ﴿ مثل ذنوب أصحابهم ﴾ أي الذين سبقوهم ﴿ فلا يستعجلون ﴾ العذاب ﴿ فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون ﴾ يعني يوم القيامة الذي يكذبون به .

آخر اختصار تفسير سورة الذاريات ولله الحمد والمنة عليه نتوكل وبه نستعين .



نزلت بعد السجدة

روى مالك عن جبير بن مطعم عن أبيه : ٢٥٠ [سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه] أخرجاه .

وروى البخاري عن أم سلمة ــ رضي الله عنها ــ قالت ؛ ٢٥١ [شكوت إلى رسول الله ﷺ أني اشتكي فقال : « طوفي من وراء الناس وأنت راكبة » فطفت ورسول الله ﷺ يصلي إلى جانب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور .]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ۞ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ۞ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ۞(٣) وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۞ (٤) وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۞ (٥) وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۞ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۞ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ۞(٨) يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَاءُ مَوْراً ۞ (٩) وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْراً ۞ (١٠) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۞ (١١) ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۞ (١٢) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۞ (١٣) هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۞ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۞ (١٥) ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ (١٦)

يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة، أن عذابه واقع بهم أي بأعدائه، وأنه لا دافع له عنهم. فالطور هو الجبل الذي يكون فيه الشجروهو الذي كلم الله عليه موسى وأرسل منه عيسى – على نبينا وعليهما الصلاة والسلام – وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً، إنّما يقال له جبل. والمراد في هذه الآية هوجبل الطور نفسه. ﴿ كتاب مسطور ﴾ هو الكتب المنزلة المكتوبة التّي تقرأ على الناس جهاراً . ولهذا قال تعالى : ﴿ في رق منشور ﴾ وقيل هو اللوح المحفوظ – والأول أصح والله أعلم – ﴿ والبيت المعمور ﴾ ثبت في الصحيحين : ان رسول الله ﷺ قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته السماء السابعة ٢٥٢ [ثم رفع بي إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم] يعني يتعبّدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم كذلك البيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة وهو بحيال الكعبة الأرضية وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصلّون إليه والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزّة والله أعلم . وقوله تعالى ﴿ والسقف المرفوع ﴾ قال الربيع بن أنس هو العرش يعني انه سقف لجميع المخلوقات وهو مراد مع غيره كما قاله الجمهور .

وقوله تعالى : ﴿ والبحر المسجور ﴾ أي يوقد يوم القيامة ناراً . كقوله تعالى ﴿ وإذا البحار سجّرت ﴾ أي أُضرمت فتصير ناراً تتأجج . روي عن علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم . وقوله تعالى : ﴿ إن عذاب ربّك لواقع ﴾ هذا هو المقسم عليه أي لواقع بالكافرين. كما قال سبحانه في الآية الأخرى : ﴿ ما له من دافع ﴾ إي ليس له من دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله تعالى بهم ذلك . وقوله تعالى : ﴿ يوم تمور السماء موراً ﴾ قال ابن عباس وقتادة : تتحرك تحريكاً باستدارة ﴿ وتسير الجبال سيراً ﴾ أي تذهب فتصير هباءً منبثاً وتنسف نسفاً. ﴿ فويل يومئذ للمكذبين ﴾ أي ويل لهم يومئذ من عذاب الله تعالى ونكاله بهم وعقابه لهم. ﴿ الذين هم في خوض يلعبون ﴾ أي هم في الدنيا يخوضون في الباطل ويتخذون دينهم هزواً ولعباً . ﴿ يوم يُدَعّون ﴾ أي يُدفعون ويساقون ﴿ إلى نار جهنم دعّاً ﴾ أي يدفعون فيها دفعاً ﴿ هذه النار التّي كنتم بها تكذبون ﴾ أي تقول لهم الزبانية ذلك تقريعاً وتوبيخاً ﴿ أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ۔ إصلوها ﴾ أي أدخلوها دخول من تغمره من جميع جهاته ﴿ فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم ﴾ أي سواء إن صبرتم أو جزعتم فلا محيد لكم عنها، ولا خلاص لكم منها. ﴿ وانما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ أي ولا يظلم الله أحداً بل يجازي كلاً بعمله .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ۝ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ (١٨) كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ۝ (٢٠) ﴾

أخبر تعالى عن حال السعداء فقال عز من قائل: ﴿ إن المتقين في جنات ونعيم . ﴾ وذلك بضدّ ما أولئك فيه من العذاب والنكال ﴿ فاكهين بما آتاهم ربهم ﴾ أي يتفكّهون بما آتاهم الله تعالى من النعيم المقيم ﴿ ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ﴾ أي وقد نجّاهم من عذاب النار وتلك نعمة مستقلة مع ما أضيف إليها من دخول الجنة فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وقوله تعالى : ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ﴾ كقوله تعالى : ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ أي هذا بذاك تفضلاً منه وإحساناً وقوله تعالى : ﴿ متكئين على سرر مصفوفة ﴾ كقوله تعالى : ﴿ على سرر متقابلين ﴾ أي وجوههم بعضها إلى بعض ﴿ وزوجناهم بحور عين ﴾ أي وجعلنا لهم قرينات صالحات، وزوجات حساناً من الحور العين. وقد تقدم وصفهن في غير موضع بما أغنى عن إعادته ههنا .

﴿ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۝ (٢١) وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ۝ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ۝ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝ (٢٦) فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ۝ (٢٨) ﴾



يخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه، ولطفه بخلقه وإحسانه، ان المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان، يلحقهم بآبائهم في المنزلة، وان لم يبلغوا عملهم لتقرَّ أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم ، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه ، بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل ، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته للتساوي بينه وبين ذاك. ولهذا قال تعالى: ﴿ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾ قال الثوري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ان الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه في العمل لتقرَّبهم عينه. ثم قرأ : ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾ ورواه ابن جرير وابن ابي حاتم ، من حديث سفيان الثوري به ورواه البزار عن ابن عباس مرفوعاً وموقوفاً .

وروى الإمام أحمد عن –علي رضي الله عنه– قال: ٢٥٣ [سألت خديجة النبي ﷺ عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ « هما في النار » فلما رأى الكراهة في وجهها قال : « لو رأيتِ مكانهما لأبغضتهما » قالت : يا رسول الله فولدي منك ؟ قال : « في الجنة » قال ثم قال ﷺ « ان المؤمنين وأولادهم في الجنة وإن المشركين وأولادهم في النار » ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان﴾ الآية .] هذا فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء فقد قال الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ٢٥٤[إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول : يا رب أنّى لي هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك] إسناده صحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه ولكن له شاهد في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ ٢٥٥: [إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له] . وقوله تعالى : ﴿كل امرىء بما كسب رهين﴾ لما أخبر عن مقام الفضل وهو درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك ، أخبر عن مقام العدل وهو أنه لا يؤآخذ أحداً بذنب أحد. فقال تعالى : ﴿كـل امرىءٍ بما كسب رهين﴾ أي مرتهن بعمله، لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس . كقوله تعالى : ﴿كلّ نفس بما كسبتْ رهينة إلاّ أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عـن المجرمين﴾ وقوله تعالى : ﴿وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون * يتنازعون فيها كأساً﴾ أي من الخمر ، ﴿لا لغوٌ فيها ولا تأثيم﴾ أي لا يتكلمون فيها بكلام لاغ . أي هذيان ولا إثم أي فحش، كما يتكلم به الشربة من أهل الدنيا ، فنزّه الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها ، فنفى عنها صداع الرأس ووجع البطن ، وازالة العقل بالكلية ،

واخبر أنها لا تحملهم على الكلام السيء ، الفارغ عن الفائدة ، وأخبر بحسن منظرها وطيب طعمها ومخبرها. فقال جل وعلا : ﴿ بيضاء لذّة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ﴾ وقال ههنا : ﴿ يتنازعون فيها كأساً لا لغوٌ فيها ولا تأثيم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤٌ مكنون ﴾ إخبار عن خدمهم وحشمهم في الجنة، كأنهم اللؤلؤ الرطب المكنون، في حسنهم وبهائهم ونظافتهم. كقوله تعالى : ﴿ ويطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكوابٍ وأباريقَ وكأسٍ معين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ أي أقبلوا يتحادثون ، ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا. وهذا كما يتحادث أهل الشراب بما كان من أمرهم : ﴿ قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ﴾ أي كنّا في الدار الدنيا ونحن بين أهلينا خائفين من ربنا ، مشفقين من عذابه وعقابه. ﴿ فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم ﴾ أي فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف. ﴿ إنا كنّا من قبل ندعوه ﴾ أي نتضرع اليه فاستجاب لنا ، واعطانا سؤالنا. ﴿ إنه هو البر الرحيم ﴾ .

روى ابن أبي حاتم عن مسروق عن عائشة أنها قرأت هذه الآية . ﴿ فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم * إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم ﴾ فقالت : اللهم مُنّ علينا وقنا عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم . قيل للأعمش : في الصلاة ؟ قال : نعم .

﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ * (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ * (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ * (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ * (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ * (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ * (٣٤) ﴾

يأمر تعالى رسوله ﷺ ، بأن يبلغ رسالته إلى عباده ، ثم نفى عنه ما يرميه به أهل البهتان فقال جل وعلا : ﴿ فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهنٍ ولا مجنون ﴾ أي لست بحمد الله كاهناً ، وهو الذي يأتيه الرئي من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء. ﴿ ولا مجنون ﴾ وهو الذي يتخبطه الشيطان من المس. ثم أنكر تعالى عليهم قولهم في الرسول ﷺ ﴿ أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ﴾ فنستريح منه ﴿ قل تربصوا فإني معكم من المتربصين ﴾ أي انتظروا فإني منتظر معكم ، وستعلمون لمن ستكون العاقبة والنصرة في

الدارَيْن . ثم يقول تعالى : ﴿ أم تأمرهم أحلامهم بهذا ﴾ أي عقولهم تأمرهم بما يقولون من الأباطيل والكذب والزور؟ ﴿ أم هم قوم طاغون ﴾ أي ولكن هم قوم طاغون ضلاّل معاندون، وهذا ما حملهم على ما قالوه فيك . وقوله تعالى : ﴿ أم يقولون تقوّله ﴾ أي افتراه من عند نفسه ﴿ بل لا يؤمنون ﴾ أي كفرهم هو الذي دعاهم يقولون ما قالوه ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ في تقوّلهم ونسبة الافتراء إليه ﷺ فليأتوا بمثل هــذا القرآن وأنىٰ لهم ذلك؟ فلو اجتمع أهل الأرض من الجن والإنس ما جاءوا بمثله... ولا بعشر سور بل ولا بسورة .

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَالِقُونَ ۞ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ ۞ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُسَيْطِرُونَ ۞ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ (٣٨) أَمْ لَهُ ٱلْبَنَاتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ۞ (٣٩) أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُم مِن مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ۞ (٤٠) أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۞ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ۞ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللهِ سُبْحَانَ ٱللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ (٤٣) ﴾

هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية فقال تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شيء ﴾ أي هل أوجدوا من غير موجد ؟ ﴿ أم هم الخالقون ﴾ أم هم أوجدوا أنفسهم ، أي لا هذا ولا هذا ... بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً . روى البخاري عن جبير بن مطعم قال: ٢٥٦ [«سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ۞ أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ۞ أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون ﴾ كاد قلبي أن يطير] وهذا الحديث مخرج في الصحيحين، من طرق عن الزهري به . وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبي ﷺ بعد وقعة بدر في فداء الأسرى، وكان إذ ذاك مشركاً. فكان سماعه هذه الآية من هذه السورة، من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام بعد ذلك . ثم قال تعالى :

﴿ أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ﴾ أي هم خلقوا السموات والأرض ؟ وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله وهم يعلمون أنه الخالق وحده لا شريك له . ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك. ﴿ أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون ﴾ أي المحاسبون للخلائق ... ؟ لا .. ليس الأمر كذلك. بل الله عزّ وجلّ هو المالك، المتصرف الفعّال لما يريد .

وقوله تعالى : ﴿ أم لهم سلّم يستمعون فيه ﴾ أي مرقاة إلى الملأ الأعلى ﴿ فليأت مستمعهم بسلطان مبين ﴾ أي بحجة ظاهرة على صحة ما يزعم. فليس لهم دليل على شيء. ثم قال تعالى: ﴿ أم له البنات ولكم البنون ﴾ هذا إنكار عليهم فيما نسبوه إليه من البنات. وجعلهم الملائكة إناثا. واختيارهم لأنفسهم الذكور على الإناث. هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله وعبدوهم مع الله. فقال تعالى: ﴿ أم له البنات ولكم البنون ﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ﴿ أم تسألهم أجراً ﴾ أي أجرة على إبلاغك إياهم رسالة الله . أي لست تسألهم على ذلك شيئاً. ﴿ فهم من مغرم مثقلون ﴾ أي يثقل ويشقّ عليهم ذلك. ﴿ أم عندهم الغيب فهم يكتبون ﴾ أي ليس الأمر كذلك فإنه لا يعلم الغيب إلاّ الله تعالى. : ﴿ أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون ﴾ فإن كانوا يريدون كيداً . فإنه سيرجع في نحورهم . وعلى أنفسهم . وإنّهم المكيدون . ﴿ أم لهم إله غير الله سبحان الله عمّا يشركون ﴾ وهذا إنكار شديد على المشركين. في عبادتهم الأصنام والأنداد مع الله . ثم نزّه نفسه الكريمة عما يقولون ويفترون ويشركون . فقال سبحانه جل وعلا : ﴿ سبحان الله عمّا يشركون ﴾ .

﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ۝ (٤٤) فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ۝(٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ۝ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ (٤٧) وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝(٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ۝ (٤٩) ﴾

يخبر تعالى عن المشركين عناداً ومكابرةً للمحسوس : ﴿ وإن يَرَوْا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم ﴾ أي متراكم . وهذا كقوله تعالى : ﴿ ولولا فتحنا عليهم باباً من السماء فظلّوا فيه يعرجون . لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ وقال تعالى : ﴿ فذرهم ﴾ أي دعهم يا محمد ﴿ حتّى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿ يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ﴾ أي لا ينفعهم كيدهم يوم القيامة شيئاً ، ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ وان للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ﴾ أي قبل ذلك في الدار الدنيا. كقوله تعالى : ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ أي لا يفهمون ما يراد بهم بل إذا جلّي عنهم مما كانوا فيه ، عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه . كما جاء في بعض الأحاديث : ٢٥٧ [إن المنافق إذا مرض وعوفي مثَلُه في ذلك كمثَل البعير ، لا يدري فيما عقلوه ، ولا فيما أرسلوه] وقوله تعالى : ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﴾ أي اصبر على أذاهم ولا تبالِهم ، فإنك بمرأى مِنّا وفي حفظنا وعصمتنا . وقوله تعالى : ﴿ وسبح بحمد ربك حين تقوم ﴾ لقد قيل في تفسيرها ثلاثة أقوال : قال الضحاك : أي في الصلاة : ٢٥٨ [سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إلَهَ غيرك] وروى مسلم في صحيحه عن عمر أنه كان يقول : هذا في ابتداء الصلاة ، وكذلك رواه أحمد وأهل السنن عن أبي سعيد وغيره عن النبي ﷺ انه كان يقول ذلك .

وقال ابو الجوزاء : ﴿ وسبِّح بحمد ربّك حين تقوم ﴾ أي من نومك من فراشك ، واختاره ابن جرير ، ومصداقه ما رواه أحمد عن عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال : ٢٥٩ [من تعار من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال : رب اغفر لي ــ أو قال ــ ثم دعا استجيب له فإن عزم فتوضأ ثم صلّى قبلت صلاته] وأخرجه البخاري في صحيحه ، وأهل السنن من حديث الوليد بن مسلم به .

وقال مجاهد : ﴿ وسبح بحمد ربّك حين تقوم ﴾ قال من كل مجلس وقال أبو الأحوص إذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال : سبحانك اللهم وبحمدك . وعن عطاء بن أبي رباح قال : حين تقوم من كل مجلس إن كنت أحسنت ازددتَ خيراً ، وان كنت غير ذلك كان هذا كفارةً لك . وروى أبو داود اللفظ له ، والنسائي والحاكم في المستدرك عن أبي برزة الأسلمي قال : ٢٦٠ [كان رسول الله ﷺ يقول بآخر عمره إذا أراد أن يقوم

من المجلس « سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » فقال رجل : يا رسول الله وإنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى قال : « كفارة لما يكون من المجلس »] .

وقوله تعالى: ﴿ ومن الليل فسبحه ﴾ أي اذكره واعبده بالتلاوة، والصلاة في الليل. كما قال تعالى : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلةً لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ وقولُه تعالى : ﴿ وأدبار النجوم ﴾ قد تقدم في حديث ابن عباس ، إنّهما الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر ، فإنهما مشروعتان عند أدبار النجوم أي عند جنوحهما للغيبوبة . وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنهما قالت : ٢٦١ [لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتَي الفجر .] وفي لفظ مسلم٢٦٢ [ركعتا الفجر خيرٌ من الدنيا وما فيها] .

* * *

آخر اختصار تفسير سورة الطور ولله الحمد والمنة وبه العصمة وعليه التكلان



إلاّ الآية ٣٢ فمدنية نزلت بعد سورة الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ❁ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ❁(٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ❁(٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ❁ (٤) ﴾

قال الشعبي وغيره: الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي له ان يقسم إلاّ بالخالق. رواه ابن أبي حاتم. وقوله تعالى: ﴿ والنجم إذا هوىٰ ﴾ يعني إذا رمىٰ الشياطين. قاله الضحاك ﴿ ما ضلّ صاحبكم وما غوىٰ ﴾ وهذا هو المقسم عليه وهو الشهادة من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ بأنه راشد تابع للحق ليس بضال، والضال هو الجاهل الذي يمشي على غير هدى ولا علم. والغاوي هو العالم بالحق، العادل عنه إلى غيره قصداً. فالرسول ﷺ في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد. ولهذا قال تعالى عنه: ﴿ وما ينطق على الهوى ﴾ أي ما يقول قولاً عن غرض وهوى: ﴿ إنْ هو إلاّ وحيٌ يوحىٰ ﴾ أي إنما يقول ما أُمر به، ويبلغه للناس كاملاً من غير زيادة ولا نقصان. كما روىٰ أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: ٢٦٣[كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ بشرٌ يتكلّم في الغضب، فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: « أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منّي إلاّ الحق »] رواه أبو داود.

﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۞ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۞ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۞ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۞ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۞ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۞ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۞ (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۞ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۞ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ۞ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۞ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۞ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۞ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۞ (١٨) ﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ أنه علّمه الذي جاء به إلى الناس ﴿ شديد القوىٰ ﴾ وهو جبريل عليه السلام ، كما قال تعالىٰ : ﴿ إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاعٍ ثم أمين ﴾ وقال ههنا : ﴿ ذو مرةٍ ﴾ أي ذو قوّة . وقوله تعالى : ﴿ فاستوىٰ ﴾ أي جبريل عليه الصلاة والسلام ، قاله الحسن ومجاهد وقتادة والربيع . ﴿ وهو بالأفق الأعلىٰ ﴾ يعني جبريل عليه السلام استوىٰ في الأفق الأعلى . قاله عكرمة وغيره . وروى ابن أبي حاتم عن عبدالله بن مسعود : (أن رسول الله ﷺ لم يرَ جبريل عليه الصلاة والسلام في صورته العظمىٰ إلاّ مرتين : أما واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته ، فسدّ الأفق . وأما الثانية فانه كان معه حيث صعد فذلك قوله تعالى : ﴿ وهو بالأفق الأعلى ﴾) . وكانت الرؤية الأولى في أوائل البعثة بعد ما جاء جبريل عليه السلام أول مرة ، فأوحى اليه صدر سورة (إقرأ) ثم فتر الوحي فترة ذهب النبي ﷺ فيها مراراً ليتردّى من رؤوس الجبال ، فكلما همّ بذلك ، ناداه جبريل من الهواء يا محمد أنت رسول الله حقّاً وأنا جبريل ، فيسكن لذلك جأشُه وتقرّ عينه ، وكلما طال الأمر عاد لمثلها ، حتى تبدّىٰ له جبريل ، وهو بالأبطح في صورته التي خلقه عليها ، له ستمائة جناح قد سدَّ عظمُ خلقه الأفقَ ، فاقترب منه وأوحىٰ اليه عن الله عز وجل ما أمره به ، فعرف عند ذلك عظمة الملك الذي جاءه بالرسالة وجلالة قدره وعلو مكانته عند خالقه الذي بعثه اليه .

وقوله تعالى : ﴿ ثم دنا فتدلىٰ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ ﴾ أي اقترب جبريل عليه السلام من محمد ﷺ لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد ﷺ قاب

قوسين أي بقدرهما إذا مُدّا ، قاله مجاهد وقتادة . وقوله تعالىٰ : ﴿ أو أدنىٰ ﴾ أي ليس أزيد من بُعْدِ وتر القوس إلى كبدها . كقوله تعالى : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ أي ما هي ألين من الحجارة ، بل هي مثلها أو تزيد قسوةً وهذا الذي قلناه من أن هذا المقترب الداني الذي صار بينه وبين محمّد ﷺ قاب قوسين أو أدنىٰ،هو جبريل عليه الصلاة والسلام . وهو قول أم المؤمنين عائشة وابن مسعود ، وأبي ذر ، وأبي هريرة كما سنورد ما تيسر من أحاديثهم قريباً إن شاء الله تعالى . وروىٰ مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال : (رأى محمد ربّه بفؤاده مرتين) فجعل هذه إحداهما وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية وهي محمولة على المقيّدة بالفؤاد ... ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب ، فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم . وروىٰ البخاري عن الشيباني قال : سألت زراً عن قوله تعالى : ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلىعبده ما أوحىٰ ﴾ قال: حدثناعبدالله ٢٦٤ [ان محمداًﷺرأى جبريل له ستمائة جناح] وقوله تعالى : ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأىٰ * أفتمارونه على ما يرىٰ ﴾ روى ابن جرير عن عبدالله قال: ٢٦٥ [رأىٰ رسول الله ﷺ جبريل عليه حلتا رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض] فعلى ما ذكرناه يكون قوله تعالى : ﴿ فأوحىٰ إلى عبده ما أوحىٰ ﴾ معناه فأوحىٰ جبريل إلى عبدالله محمدٍ ما أوحىٰ ، أو فأوحىٰ الله إلى عبده محمد ما أوحىٰ بواسطة جبريل وكلا المعنيين صحيح .

وفي صحيحمسلم عن أبي ذر قال: ٢٦٦ [سألت رسول الله ﷺ ، هل رأيت ربّك فقال «نور أنّى اراه»] وفي رواية ٢٦٧ [رأيت نوراً] . أما الحديث الذي رواه أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ٢٦٨ [رأيت ربّي عز وجل] فانه حديث إسناده على شرط الصحيح لكنه مختصر من حديث المنام كما رواه أحمد أيضاً عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: ٢٦٩ [أتاني ربي في أحسن صورة –أحسبه يعني في النوم– فقال يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قال : قلت لا ، فوضع يده بين كتفيّ حتى وجدت بردها بين ثدييّ – أو قال – نحري] الحديث ... وقد تقدم في آخر سورة ﴿صٓ﴾ عن معاذ نحوه وقوله تعالى : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى ﴾ هذه هي المرة الثانية التي رأىٰ رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وكانت ليلةَ الإسراء . وقد قدمنا الأحاديث بطرقها في أول سورة سبحان ، بما أغنى عن إعادته ههنا ، وتقدم أن ابن عباس رضي الله عنهما ، كان

يثبت الرؤية ليلة الإسراء ويستشهد بهذه الآية . وتابعه جماعة من السلف والخلف ، وقد خالفه جماعات من الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعين وغيرهم . روى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : ١٦٨ [رأيت جبريل على سدرة المنتهى وله ستمائة جناح ينتثر من ريشه التهاويل من الدر والياقوت] وهذا إسناد جيد قوي . وقال الإمام أحمد عن مسروق قال ١٦٩ [كنت عند عائشة فقلت: أليس الله يقول : ﴿ ولقد رآه في الأفق المبين ﴾ ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ فقالت : أنا أول هذه الأمة سألت رسول الله ﷺ عنها فقال : « إنما ذاك جبريل » لم يره في صورته التي خُلِقَ عليها إلاّ مرتين رآه منهبطاً من السماء إلى الأرض سادّاً عظمُ خَلْقه ما بين السماء والأرض] أخرجاه في الصحيحين ومن قال أنه عليه الصلاة والسلام خاطب عائشة على قدر عقلها كابن خزيمة في كتاب التوحيد الذي حاول تخطئتها فإنه هو المخطىء والله أعلم .

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال في قوله تعالى : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ قال : ١٧٠ [رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته مرتين] ، وكذا قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس وغيرهم .

وقوله تعالى : ﴿ إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ قد تقدم في أحاديث الإسراء إنه غشيتها الملائكة مثل الغربان وغشيها نور الرب وغشيتها ألوان ما أدري ما هي [1] وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود قال: ١٧١ [لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض ، فيقبض منها ، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها ﴿ إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ قال فراش من ذهب قال : وأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً : أعطي الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة . وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من أمته المقحمات] إنفرد به مسلم . وقوله تعالى : ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾[2] قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما ذهبت يميناً

(١) راجع سورة الاسراء رقم /١٧/ الأحاديث من رقم /٢٩هـ ـ ٣٩د/ . من المجلد الثاني .

(٢) قوله تعالى : « ما زاغ البصر وما طغى » دليل قاطع على أنّ الاسراء والمعراج كانا بالروح والبدن ، لأن البصر من البدن ولا بصر بلا بدن . كما لا بصر بلا روح وعلى هذا فيكون رؤية محمد صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام (عند سدرة المنتهى) رؤية واقعية ماديّة وما زاغ في هذه الرؤية بصره وما طغى ، بل رأى حقيقة ببصره المادي الحسي ما رأى ، والبصر هذا لا يكون إلا في البدن إذاً فالبدن كان موجوداً أثناء المعراج لاستحالة وجود بصر بلا بدن . وبدن بلا روح تستحيل فيه الرؤية ، لأن الروح مادة الرؤية للبصر ، كما ان الروح مادة الحياة للبدن ، إذاً فالمعراج كان روحاً وبدناً . والله الموفق للصواب وهو العليم الخبير .

ولا شمالاً ﴿ وما طغىٰ ﴾ ما جاوز ما أمر به وهذه صفة عظيمة من الثبات والطاعة ، فإنه ما فعل إلاّ ما أُمر به ، ولا سأل فوق ما أعطي وما أحسن ما قال الناظم :

«رأى جنّة المأوى ومـا فوقها ولـو * رأى غيرُه ما قـد رآه ، لتاهـا .»

وقوله تعالى : ﴿ لقد رأى من آيات ربّه الكبرى ﴾ كقوله تعالى : ﴿ لنُريَه مـن آياتنا ﴾ أي الدالة على قدرتنا العظيمة وبهاتين الآيتين استدلّ من ذهب من أهل السنة أن الرؤية – أي رؤية الرب – تلك الليلة لم تقع لانه قال تعالى : ﴿ لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرى ﴾ ولو كان رأى ربّه لأخبر بذلك ولقاله للناس. وقد تقدّم تقرير ذلك في سورة ﴿ سبحان ﴾ .

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ ٱللَّاتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۞ (١٩) وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَـةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۞ (٢٠) أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۞ (٢١) تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ۞ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ ٱللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰ ۞ (٢٣) أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ۞ (٢٤) فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ۞ (٢٥) وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِـن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ۞ (٢٦) ﴾

يقرِّع الله تعالى المشركين ويوبخهم على عبادتهم الأصنام والأنداد ، واتخاذهم لهـا البيوت ، مضاهاةً للكعبة : ﴿ أفرأيتم اللاّت ﴾ وكانت اللات صخرة منقوشة ، عليها بيت بالطائف له استار وسدنة وحوله فناءٌ معظم عند أهل الطائف ، وهم ثقيف ومن تابعها . واللاّتُ بتشديد التاء ، وفسروه بما قال البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : كان اللاّت رجلاً يلتُّ السويق سويق الحاج . وقال ابن جرير كان قد اشتقوا اسم اللاّت من اسم الله فقالوا اللات يعنون مؤنثة منه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وكذا العُزّى من العزيز ، وكانت شجرةً عليها بناءٌ وأستار بنخلة ، وهي بين مكة والطائف

كانت قريش يعظمونها كما قال ابو سفيان يوم أحُدٍ لنا العزّى ولا عزّى لكم. فقال رسول الله ﷺ: ٢٧٤ [قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم] وروى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ٢٧٥ [من حلف فقال في حلفه واللات والعُزّى فليقل لا إله إلا الله ومن قال لصاحبه تعالَ أقامرْكَ . فليتصدّق .] وهذا محمول على من سبق لسانه في ذلك. كما كانت ألسنتهم قد اعتادته من زمن الجاهلية . وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها. ويهلّون منها للحج إلى الكعبة. وروى البخاري عن عائشة نحوه . وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخرى تعظّمها العرب كتعظيم الكعبة. غير هذه الثلاثة التي نصّ عليها كتابه العزيز. ولهذا قال تعالى : ﴿ أفرأيتم اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها . وقد بعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة وأبا سفيان صخر بن حرب إلى اللات فهدماها وجعلا مكانها مسجداً بالطائف . وأرسل خالد بن الوليد إلى العزّى فهدمها . وأرسل أبا سفيان بن حرب إلى مناة وكانت بناحية المشلل بقديد فهدمها ، وهناك أصنام أخرى كذي الخلصة . وقيس ، وريام . ورضاء وذي الكعبات... موزعة في الجهات فأرسل رسول الله ﷺ من أصحابه رضي الله عنهم مَنْ هدمها جميعاً وطهر الجزيرة من أرجاسها. ثم قال تعالى : ﴿ ألكم الذكر وله الأنثى ﴾ أي أتجعلون له ولداً وتجعلون ولده الأنثى . وتختارون لأنفسكم الذكور فلو اقتسمتم هذه القسمة أنتم ومخلوق مثلكم ، لكانت : ﴿ قسمة ضيزى ﴾ أي جوراً باطلة . فكيف تقاسمون ربّكم هذه القسمة ...؟!! ثم قال تعالى : ﴿ إنْ هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ﴾ من تلقاء أنفسكم ، وهذا إنكار منه تعالى عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الكذب والكفر من عبادة الأصنام وتسميتها آلهة ﴿ ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ أي من حجّة. ﴿ إن يتّبعون إلا الظنّ وما تهوى الأنفس ﴾ أي ليس لهم مستند إلاّ تعظيم آبائهم لها. وحسن ظنّهم بآبائهم. وما تهوى نفوسهم لذلك. ﴿ ولقد جاءهم من ربّهم الهدى ﴾ بإرسال الرسل بالحق وبالحجة القاطعة ... ومع كل هذا اتبعوا ما كان عليهم آباؤهم . ثم قال تعالى : ﴿ أم للإنسان ما تمنّى ﴾ أي ليس كلّ من تمنّى خيراً حصل له. وما كل من زعم أنه مهتد يكون كذلك. ﴿ فلله الآخرة والأولى ﴾ أي إنّما الأمر كله لله مالك الدارين . المتصرف بهما طبق مشيئته سبحانه وتعالى . وقولــه تعالى : ﴿ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلاّ من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ كقوله تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه ﴾ فإذا كان هذا في حق الملائكة المقرّبين . فكيف ترجون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله الذي نهى عن عبادتها . واتخاذها شفعاء على ألسنةِ جميع رسله ؟!!.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ۞ (٢٧) وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۞ (٢٨) فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ (٢٩) ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ۞ (٣٠) ﴾

ينكر تعالى على المشركين تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى ، وقولهم أنها بنات الله ، تعالى الله عن ذلك . كما قال تعالى : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ وما لهم به من علم ﴾ أي ليس لهم علم صحيح بصدق ما قالوه ، بل هو زور وافتراء وكفر شنيع . ﴿ إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً ﴾ أي لا يجدي شيئاً ولا يقوم أبداً مقام الحق ، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال ٢٧٦ : [إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث] .

وقوله تعالى : ﴿ فأعرض عمّن تولّى عن ذكرنا ﴾ أي أعرضْ عن الذي أعرضَ عن الحق واهجره . وقوله تعالى : ﴿ ولم يرد إلا الحياة الدنيا ﴾ أي جعلها أكثر همه ومنتهى غايته . ولهذا قال سبحانه : ﴿ ذلك مبلغهم من العلم ﴾ أي طلب الدنيا وفي الدعاء المأثور ٢٧٧ [اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا] وقوله تعالى : ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ﴾ أي هو العالم بمصالح عباده وهو الذي يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء ، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته ، وهو العادل الذي لا يجور أبداً لا في شرعه ولا في قدره .

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا بِٱلْحُسْنَى ۞ (٣١) ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ

هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ۞ (٣٢)

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض، وأنه الغني عما سواه، الحاكم في خلقه بالعدل وخلَق الخلق بالحق ﴿ ليجزيَ الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ أي يجازي كلاًّ بعمله خيراً كان أو شراً ، ثم فسّر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون الكبائر والفواحش ولا يتعاطونها وإن وقع منهم بعض الصغائر فانه تعالى يغفر لهم ويستر عليهم . كما قال جل وعلا : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً ﴾ وقال ههنا ﴿ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ﴾ وهذا استثناء منقطع ، لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال .

روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ قال :٢٧٨ [ان الله تعالى كتب على ابن آدم حظَّه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنى العين النظر ، وزنى اللسان النطق ، والنفس تمنّى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه] وأخرجاه في الصحيحين . قال عبد الرحمن بن نافع الذي يقال له ابن لبابة الطائفي قال : سألت أبا هريرة عن قول الله : ﴿ إلاّ اللمـم ﴾ قال : القبلة ، والغمزة ، والنظرة والمباشرة فإذا مس الختانُ الختانَ فقد وجب الغسل وهو الزنا . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ إلا اللمم ﴾ إلاّ ما سلف وعن مجاهد قال : الذي يلم بالذنب ثم ينزع عنه قال : وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون :

ان تغفرِ اللهمَّ تغفرْ جمّـاً وأي عبدٍ لكَ ، ما ألمّا ؟

أي يلم بالذنب قليلاً ثم يقلع عنه –[1] وقوله تعالى : ﴿ إن ربك واسع المغفرة ﴾ أي رحمته وسعت كل شيء ، ومغفرته تسع الذنوب كلَّها لمن تاب منها. كقوله تعالى: ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض ﴾ أي هو بصير بكم ، عليم بأحوالكم وافعالكم وأقوالكم ، التي ستصدر عنكم ، وتقع منكم حين أنشأ أباكم آدم من الأرض ، واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذر ثم قسمهم

---

(١) قلت : أرجح ان معنى « اللمم » ما فسره ابو هريرة من القبلة ، والغمزة وما شابه ... قال عليه الصلاة والسلام « ... وإن محقرات الذنوب متى يأخذ بها صاحبها تهلكه » .

فريقين ، فريقاً للجنّة وفريقاً للسعير . وكذا قوله تعالى : ﴿ وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ﴾ قد كتب الملك الذي يوكل به، رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد. وقوله تعالى: ﴿ فلا تزكُّوا أنفسكم ﴾ أي تمدحوها وتشكروها ، وتمنّوا بأعمالكم. ﴿ هو أعلم بمن اتّقى ﴾ كما قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزكّون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلاً ﴾ وقد ثبت في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أبي بكرة قال ٢٧٩ [مدح رجلٌ رجلاً عند النبيّ ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « ويلك قطعتَ عنقَ صاحبك ـ مراراً ـ ، إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة فليقل أحسب فلاناً والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك . »] رواه البخاري ومسلم وابو داود وابن ماجه من طرق عن خالد الحذّاء به . وروى الإمام أحمد عن همام بن الحارث قال : ٢٨٠ [جاء رجل إلى عثمان فأثنى عليه في وجهه قال فجعل المقداد بن الأسود يحثو في وجهه التراب، ويقول: أمرنا رسول الله ﷺ إذا لقينا المداحين، أن نحثو في وجوههم التراب .] ورواه مسلم وأبو داود .

﴿ أَفَرَأَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ۞ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ۞ (٣٤) أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ۞ (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۞ (٣٦) وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰ ۞ (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۞ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۞ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۞ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۞ (٤١) ﴾

يذمُّ تعالى من تولّى عن طاعته فلا صدّق ولا صلّى ، ولكن كذّب وتولّى ﴿ وأعطى قليلاً وأكدى ﴾ قال ابن عباس: أطاع قليلاً ثم قطعه. وكذا قال مجاهد وغير واحد، وقوله تعالى : ﴿ أعنده علم الغيب فهو يرى ﴾ أي أعند هذا الذي قد أمسك يده خشية الإنفاق وقطع معروفه أعنده علم الغيب أنه سينفد ما في يده ، حتى قد أمسك عن معروفه فهو يرى ذلك عياناً ؟ أي ليس الأمر كذلك ، وإنّما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلاً وشحاً وهلعاً . ولهذا جاء في الحديث : ٢٨١ [أنفقْ بلالاً ولا تخش من ذي العرش إقلالاً] وقد قال تعالى : ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفّى ﴾ أي قام بجميع الأوامر

وترك جميع النواهي ، وبلغ الرسالة على التمام والكمال فاستحق بهذا أن يكون للناس إماماً يقتدى به في جميع أحواله وأقواله وأفعاله . قال الله تعالى : ﴿ ثم أوحينا إليك ان اتّبع ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ .

ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسى فقال : ﴿ أن لا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ أي كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب، فانما عليها وزرها لا يحمله عنها أحد . كما قال تعالى : ﴿ وان تدعُ مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ﴾ وقولُه تعالى : ﴿ وأن ليس للانسان إلاّ ما سعى وان سعيه سوف يُرى ﴾ أي كما لا يُحمل عليه وزر غيره ، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه ، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله ومن اتّبعه ، أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتىٰ ، لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم ولهذا لم يندب اليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه ، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء ، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضيَ الله عنهم ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه ، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء ، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما ، ومنصوص من الشارع عليهما . وأما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ٢٨٢ [اذا مات الإنسان انقطع عمله إلاّ من ثلاث من ولد صالح يدعو له، أو صدقةٍ جارية من بعده ، أو علم ينتفع به] فهذه الثلاثة في الحقيقة، هي من سعيه وكدّه وعمله. كما جاء في الحديث ٢٨٣ [ان أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه] والصدقة الجارية كالوقف ونحوه وهي من آثار عمله ووقفه. وقد قال تعالى: ﴿ إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم ﴾ الآية . والعلم الذي نشره في الناس فاقتدىٰ به الناس بعده، هو أيضاً من سعيه وعمله. وثبت في الصحيح : ٢٨٤ [من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من اتّبعهُ من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً] وقوله تعـالى : ﴿ وأنّ سعيه سوف يُرىٰ ﴾ أي يوم القيامة ، أي فيخبركم الله به ويجزيكم عليه أتم الجزاء خيراً أو شراً ... وقوله تعالى : ﴿ ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾ أي الأوفر .

وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنْتَهَىٰ ۞ (٤٢) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۞(٤٣) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۞ (٤٤) وَأَنَّـهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ

وَٱلْأُنثَىٰ ۞ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۞ (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۞ (٤٧) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۞ (٤٨) وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ۞ (٤٩) وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۞ (٥٠) وَثَمُودَ فَمَآ أَبْقَىٰ ۞ (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۞ (٥٢) وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۞ (٥٣) فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۞ (٥٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۞ (٥٥)

يقول تعالى : ﴿ وأن إلى ربك المنتهى ﴾ أي المعاد يوم القيامة وقوله تعالى : ﴿ وأنه هو أضحك وأبكىٰ ﴾ أي خلق في عباده الضحك والبكاء وسببهما وهما مختلفان ﴿ وأنه هو أمات وأحيا ﴾ كقوله تعالى : ﴿ الذي خلق الموت والحياة ﴾ وقولُه تعالى : ﴿ وانه خلق الزوجين الذكر والأنثى * من نطفة إذا تُمنَى ﴾ كقوله تعالى : ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفةً من منيٍ يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوّى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وأن عليه النشأة الأخرى ﴾ أي كما خلق البداءة هو قادر على الإعادة وهي النشأة الآخرة يوم القيامة ﴿ وأنه هو أغنىٰ وأقنىٰ ﴾ أي ملَّك عباده المال وجعله لهم قنيةً مقيماً عندهم لا يحتاجون إلى بيعه فهذا تمام النعمة عليهم ﴿ وأنه هو ربُّ الشِعرى ﴾ الشِعْرَى هو النجم الوقّاد الذي يقال له مرزم الجوزاء كانت طائفة من العرب يعبدونه ﴿ وأنه أهلك عاداً الأولى ﴾ وهم قوم هود وكانوا أقوى الناس وأعتاهم على الحق ، فأهلكهم الله . وقوله تعالى : ﴿ وثمود فما أبقىٰ ﴾ أي دمَّرهم فلم يُبقِ منهم أحداً ﴿ وقوم نوح من قبل ﴾ أي من قبل هؤلاء ﴿ إنهم كانوا هم أظلم وأطغىٰ ﴾ أي أشد تمرّداً من الذين من بعدهم ﴿ والمؤتفكة أهوىٰ ﴾ يعني مدائن لوط ...قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود . ولهذا قال تعالى : ﴿ فغشاها ما غشّى ﴾ يعني من الحجارة التي أرسلها عليهم ﴿ فبأي آلاء ربك تتمارى ﴾ أي ففي أي نعم الله عليك أيها الإنسان تمتري؟ قاله قتادة .

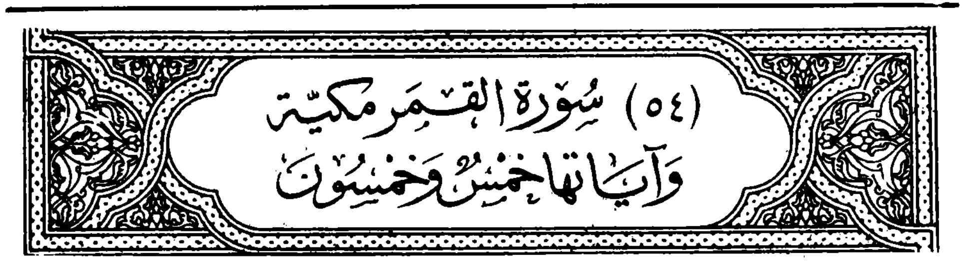
﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾ ﴾



﴿ هذا نذير ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿ من النذر الأولى ﴾ أي من جنسهم أرسل كما أرسلوا كما قال تعالى : ﴿ قل ما كنت بدعاً من الرسل ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أزفت الآزفة ﴾ اقتربت القريبة وهي القيامة ﴿ ليس لها من دون الله كاشفة ﴾ أي لا يدفعها إذاً من دون الله أحد ولا يطلع على علمها سواه ، والنذير الحذر لما يعاين من الشر الذي يخشىُ وقوعه فيمن أنذرهم. كما قال: ﴿ إني نذير لكم بين يدَيْ عذابٍ شديد ﴾ ثم قال تعالى منكراً على المشركين في استماعهم القرآن وإعراضهم عنه ﴿ تعجبون ﴾ من أن يكون صحيحاً ﴿ وتضحكون ﴾ منه استهزاء وسخرية ﴿ ولا تبكون ﴾ أي كما يفعل الموقنون به كما أخبر عنهم ﴿ ويخرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وانتم سامدون ﴾ أي مستكبرون معرضون . ثم قال تعالى آمراً عباده بالسجود له والعبادة المتابعة لرسول الله ﷺ والتوحيد والإخلاص : ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾ أي فاخضعوا له وأخلصوا ووحدوه .

روى البخاري عن ابن عباس قال: ٢٨٥ [سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس .] انفرد به دون مسلم . وروى الإمام أحمد عن المطلب بن أبي وداعة قال: ٢٨٦ [قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم فسجد وسجد من عنده فرفعت رأسي فأبيت أن أسجد ، ولم يكن أسلم يومئذ المطلب فكان بعد ذلك لا يسمع أحداً يقرأها إلاّ سجد معه] وقد رواه النسائي .

آخر اختصار تفسير سورة النجم ولله الحمد والمنة



إلا الآيات ٤٤ , ٤٥ , ٤٦ فمدنية نزلت بعد سورة الطارق

قد تقدم في حديث أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بقاف ، واقتربت الساعة في الأضحى والفطر ، وكان يقرأ بهما في المحافل الكبار لاشتمالهما على ذكر الوعد والوعيد وبدء الخلق وإعادته ، والتوحيد ، واثبات النبوات وغير ذلك من المقاصد العظيمة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۞ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۞ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۞ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۞ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۞ (٥) ﴾

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها. كما قال تعالى : ﴿ أتىٰ أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ وقال سبحانه ﴿ أقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ﴾ وروىٰ الإمام أحمد عن سهل بن سعد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ٢٨٧ [بعثت أنا والساعة هكذا » وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى] أخرجاه . وقوله تعالى : ﴿ وانشق القمر ﴾ قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة . وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود انه قال : خمس قد مضين : الروم والدخان واللزام والبطشة والقمر وهذا أمر متفق عليه بين العلماء، ان انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وانه كان احدى المعجزات الباهرات .

وروى البخاري عن أنس بن مالك ٢٨٨ [أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقّتين حتى رأوا حراء بينهما] وأخرجاه .

روى الحافظ أبو بكر البيهقي عن عبدالله بن عمر في قوله تعالى: ٢٨٩ [« ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ قال وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ ، انشق فلقتين ، فلقة من دون الجبل وفلقة من خلف الجبل فقال النبي ﷺ « اللهم اشهد »] وهكذا رواه مسلم والترمذي من طرق وقال حسن صحيح روى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال : [إنشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقّتين ، حتى نظروا إليه فقال رسول الله ﷺ : « اشهدوا »] وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث سفيان بن عيينة .

وروى البيهقي عن عبدالله بن مسعود قال: ٢٩٠ [إنشق القمر بمكة حتى صار فرقتين فقال كفار قريش أهل مكة : هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة ، انظروا السفّار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق ، وان كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به. قال: فسئل السفّار قال : وقدموا من كل وجهة فقالوا : رأينا .]

ورواه ابن جرير من حديث المغيرة به وزاد : فأنزل الله عز وجل : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وإن يروا آية ﴾ أي دليلاً وحجة وبرهاناً ﴿ يعرضوا ﴾ أي لا ينقادون له ويتركونه وراء ظهورهم ﴿ ويقولوا سحر مستمر ﴾ أي باطل ﴿ وكذبوا واتّبعوا أهواءهم ﴾ أي كذبوا بالحق إذ جاءهم، واتبعوا آراءهم بدافع جهلهم وسخافة عقولهم .

وقوله تعالى : ﴿ وكل أمر مستقر ﴾ أي واقع بأهله خيراً كان أو شراً ﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ﴾ أي قصص الأمم المكذبة برسلهم ما حلّ بهم من العقاب ﴿ ما فيه مزدجر ﴾ أي فيه رادع عن الشرك والتمادي فيه . وقوله تعالى : ﴿ حكمة بالغة ﴾ أي في هدايته تعالى لمن هداه وإضلاله لمن أضلّه. ﴿ فما تغني النذر ﴾ وهذا كقوله تعالى: ﴿ وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ = أي ليس يغني ذلك عن قوم علم الله منهم أنهم سيختارون الكفر على الإيمان من قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام فكتبه عليهم ، أي لا يفيدهم الدلائل ولا الإنذارت فإنهم لا يؤمنون . = [1]

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

(١) ما بين المساويين من كلامي .

﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ۞ (٧) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۞ (٨)﴾

يقول تعالى : فتولَّ يا محمد عن هؤلاء الذين إن رأوا آية يعرضوا ويقولوا هذا سحر مستمر ، أعرضْ عنهم وانتظرهم ﴿يوم يدعُ الداع إلى شيء نُكُر﴾ أي إلى شيء منكر فظيع ، وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء بل والزلازل والأهوال ، ﴿خشعاً أبصارهم﴾ أي ذليلةً أبصارهم ﴿يخرجون من الأجداث﴾ أي القبور ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ أي كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب ، إجابة للداعي جراد منتشر في الآفاق. ولهذا قال تعالى : ﴿مهطعين﴾ أي مسرعين ﴿إلى الداعي﴾ لا يخالفون ولا يتأخرون ﴿يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾ أي شديد الهول عبوس قمطرير . كقوله تعالى : ﴿فذلك يوم عسير على الكافرين غير يسير﴾ .

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۞ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ۞ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۞ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۞ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۞ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ۞ (١٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۞ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ (١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۞ (١٧)﴾

يقول تعالى : ﴿كذبت﴾ أي قبلك يا محمد ﴿قوم نوح فكذبوا عبدنا﴾ أي صرحوا بتكذيبهم له ﴿وقالوا مجنون وازدجر﴾ أي اتهموه بالجنون ، وانتهروه وزجروه متوعدين لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ﴿فدعا ربه أني مغلوب فانتصر﴾ أي أني ضعيف فانتصر أنت لدينك . قال الله تعالى : ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾ وهو الكثير ﴿وفجَّرنا الأرض عيوناً﴾ أي نبعت جميع أرجاء الأرض ﴿فالتقى الماء﴾ أي ماء السماء وماء الأرض ﴿على أمر قد قدر﴾ أي أمر مقدر .

﴿ وحملناه على ذات ألواح ودسر ﴾ أي ذات ألواح من الخشب ودسر أي مسامير واحدها دسار ويقال دسير والمقصود السفينة . أي حملناهم على السفينة . وقوله تعالى : ﴿ تجري بأعيننا ﴾ أي بمرأى منا ، وتحت حفظنا. ﴿ جزاء لمن كان كُفِرَ ﴾ أي جزاء لهم على كفرهم بما نزل عليهم من الحق ، وانتصاراً لنوح عليه السلام .

وقوله تعالى: ﴿ ولقد تركناها آيةً ﴾ = أي تركنا سفينة نوح خالدة المثال والصنع ، وكأنها ـ والله أعلم ـ أول سفينة علّم الله نوحاً صناعتها ، فبقيت هذه الصناعةُ قائمةً من بعده ، تصنع كل سفينة على غرارها تمشي على الماء بقدرته تعالى . وتكون ذكرى لسفينة نوح تتعظون بما حل بقوم نوح الكافرين من الغرق ، وبما حلَّ من الرضوان والنجاة بالمؤمنين الذين حملهم على السفينة وأنجاهم من الغرق . كقوله تعالى : ﴿ إنَّا لمَّا طغىْ الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية(1) = ولهذا قال جلّت قدرته ﴿ فهل من مدَّكر ﴾ أي فهل من يتذكّر ويتّعظ . وقوله تعالى : ﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾ أي كيف كان عذابي لمن كفر بي وبرسلي ولم يتعظ بما جاءت به نذري ، وكيف انتصرتُ لرسلي وثأرتُ لهم ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر ﴾ يعني هونّا قراءته ويسرنا فهمه فله الحمد والمنة ﴿ فهل من مدّكر ﴾ أي فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسره الله حفظاً ومعنىً فهل من منزجرٍ به عن المعاصي ، ومتبع للأوامر فيحلَّ له نعيمي ورضواني ... ؟ .

﴿ كَذَّبَتْ عَـادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ۞ (١٩) تَنْزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْـلٍ مُنْقَعِرٍ ۞ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَـلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۞ (٢٢) ﴾

يقول تعالى مخبراً عن عاد قوم هود ، انهم كذّبوا رسولهم أيضاً ، كما صنع قوم نوح وأنه تعالى أرسل عليهم ﴿ ريحاً صرصراً ﴾ وهي الباردة الشديدة البرد ﴿ في يوم نحس ﴾ أي عليهم ، ﴿ مستمر ﴾ عليهم نحسه ودماره لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالأخروي . وقوله تعالى : ﴿ تنزِع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ﴾ وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار ثم تنكسه على أم رأسه فيسقط إلى الأرض ، فتثلغ

(١) ما بين المساويين كلامي لا من كلام المفسر رحمه الله تعالى .

رأسه فيبقى جثة بلا رأس . ولهذا قال : ﴿ كأنهم أعجاز نخل منقعر ۝ فكيف كان عذابي ونذر ۝ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر ﴾ .

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ۝ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۝ (٢٤) ءَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ۝ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ۝ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ۝ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ۝ (٢٨) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ۝ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ۝ (٣١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۝ (٣٢) ﴾

هذا إخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحاً عليه السلام ﴿ فقالوا أبشراً منّا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلال وسُعُرٍ ﴾ يقولون : لقد خسرنا إن سلّمنا قيادنا لواحد منا أي لنبيّهم صالح عليه السلام . ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خاصةً من دونهم ثمّ رموه بالكذب. فقالوا : ﴿ بل هو كذاب أشر ﴾ أي متجاوز في حد الكذب ، فقال تعالى : ﴿ سيعلمون غداً من الكذاب الأشر ﴾ وهذا تهديد لهم شديد ووعيد أكيد. ثم قال تعالى: ﴿ إنّا مرسلو الناقةِ فتنةً لهم ﴾ أي إختباراً لهم ، أخرج لهم ناقة عظيمة عشراء ، من صخرة صمّاء طبق ما سألوا لتكون حجة الله عليهم في تصديق صالح عليه السلام، فيما جاءهم به. ثم قال تعالى : آمراً عبده ورسوله صالحاً ﴿ فارتقبهم واصطبر ﴾ أي انتظر ما يؤول اليه أمرُهم واصبر عليهم فإن العاقبة لك والنصر في الدنيا والآخرة ﴿ ونبئهم أن الماء قسمةٌ بينهم ﴾ أي يوم لهم ويوم للناقة. كقوله تعالى : ﴿ قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يومٍ معلوم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ كل شرب محتضر ﴾ قال مجاهد : إذا غابت حضروا الماء وإذا جاءت حضروا اللبن . ثم قال تعالى : ﴿ فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ﴾ هو عاقر الناقة واسمه قدار بن سالف وكان أشقى قومه كقوله تعالى : ﴿ إذ انبعث اشقاها ﴾

﴿ فتعاطى ﴾ أي حسر ﴿ فعقر ٭ فكيف كان عذابي ونذرِ ﴾ أي فعاقبتهم فكيف كان عقابي لهم على كفرهم بي وتكذيبهم رسولي ﴿ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ﴾ أي فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية ، وهمدوا كما يهمد يبيس الزرع والمحتظر هو المرعى بالصحراء حين ييبس ويحترق وتسفيه الريح .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ٭ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ٭ (٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ٭ (٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ٭ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ٭ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ٭ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ٭ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ٭ (٤٠) ﴾

يخبر تعالى عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم واقترفوا فاحشة لم يسبقهم بها أحد من العالمين ولهذا فقد أُهلكوا إهلاكاً لم تُهلَكْه أمة من الأمم، فإنه تعالى أمر جبريل عليه السلام فحمل مدائنهم حتى وصل بها عنان السماء ثم قلبها عليهم ، ورجموا بحجارة من سجيل منضود . ولهذا قال ها هنا، ﴿ إنّا أرسلنا عليهم حاصباً ﴾ وهي الحجارة﴿ إلاّ آل لوطٍ نجيناهم بسَحَر ﴾ أي خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم لم يمسسهم سوء . ولهذا قال تعالى: ﴿ كذلك نجزي من شكر ٭ ولقد أنذرهم بطشتنا ﴾ أي قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه فما أصغوا اليه بل شكّوا وتماروا .

﴿ ولقد راودوه عن ضيفه ﴾ وذلك ليلة ورد عليه الملائكة : جبريل وميكائيل وإسرافيل في صور شباب مرد حسان، محنة من الله بهم، فأضافهم لوط عليه السلام وبعثت إمرأته العجوز السوء ، إلى قومها فأعلمتهم بأضياف لوط فأسرعوا إليه ، فأغلق لوط دونهم الباب ، فحاولوا كسره ولوط عليه السلام يدافعهم ويمانعهم ويقول : ﴿ هؤلاء بناتي ﴾ يعني نساءهم فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول ، خرج عليهم جبريل عليه السلام فضرب أعينهم بطرف جناحه فانطمست أعينهم ، فرجعوا على أدبارهم يتحسسون

بالحيطان،ويتوعّدون لوطاً عليه السلام إلى الصباح . قال تعالى: ﴿ ولقد صبّحهم بكرةً عذاب مستقر ﴾ أي لا محيد لهم عنه ﴿ فذوقوا عذابي ونذر ＊ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر ﴾ .

وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ＊ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ＊ (٤٢) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ＊ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ＊ (٤٤) سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ＊ (٤٥) بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ＊ (٤٦)

يخبر تعالى عن فرعون وقومه : انهم جاءهم رسول الله موسىٰ وأخوه هارون عليهما الصلاة والسلام بالبشارة والنذارة وأيّدهما بالمعجزات المتعددة فكذبوا بها جميعاً فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ولم يبق منهم أثر. ثم قال تعالى : ﴿ أكفّارُكُمْ ﴾ أي أيها المشركون من قريش ﴿ خير من أولئكم ﴾ يعني ممن ذكرهم والذين أهلكهم بسبب تكذيبهم لرسلهم وكفرهم بكتبهم ﴿ أم لكم براءة في الزبر ﴾ أم معكم براءة ان لا ينالكم عذاب ولا نكال ؟ ثم أخبر جل جلاله : ﴿ أم يقولون نحن جميع منتصر ﴾ أي أن جمعهم يغني عنهم من أرادهم بسوء. قال الله تعالى: ﴿ سيهزم الجمع ويولّون الدُبر ﴾ أي سيغلبون ويمزّقون .

روَى البخاري عن ابن عباس انالنبي ﷺ ٢٩١ [قال وهو في قبة لهيوم بدر : «أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم في الأرض أبداً » فأخذ أبو بكر رضيَ الله عنه بيده وقال حسبك يا رسول الله ألححت على ربك ، فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول : ﴿ سيهزم الجمع ويولّون الدبر ＊ بل الساعة موعدهم والساعة أدهىٰ وأمرّ ﴾] وكذا رواه البخاري والنسائي في غير موضع .

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ＊ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ＊ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ

خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۞ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۞ (٥٠) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۞ (٥١) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۞ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ۞ (٥٣) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۞ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ۞ (٥٥)

يخبرنا تعالى عن المجرمين أنهم في ضلال عن الحق وسعر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء ، وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق . ثم قال تعالى : ﴿ يوم يسحبون في النار على وجوههم ﴾ أي فكما كانوا في سعر وشكٍّ وتردد أورثهم ذلك النار ، وكما كانوا ضلالاً يسحبون فيها على وجوههم لا يدرون أين يذهبون ، ويقال لهم تقريعاً وتوبيخاً ﴿ ذوقوا مسَّ سقر ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إنّا كلَّ شيء خلقناه بقدر ﴾ كقوله تعالى : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوىً والذي قدّر فهدى ﴾ أي قدّر قدراً ، وهدىُ الخلائق إليه ، ولهذا يستدل أئمة السنة من هذه الآية الكريمة على اثبات قدر الله تعالى السابق لخلقه وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابتها لها قبل برئها ، وردُّوا بهذه الآية وبما شابهها من الآيات والأحاديث الثابتة ، على الفرقة القدرية ، الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة ولنذكر ما تيسر من هذه الأحاديث المتعلقة بهذه الآية الكريمة .

روى أحمدعن أبي هريرة قال : ٢٩٢ [جاء مشركو قريش إلى النبيّ ﷺ يخاصمونه في القدر فنزلت : ﴿ يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسَّ سقر ۔ إنّا كل شيء خلقناه بقدر ﴾] وهكذا رواه مسلم والترمذي وابن ماجه .

وروى ابن أبي حاتم عنزرارة عن النبي ﷺ ٢٩٣ [انه تلا هذه الآية : ﴿ ذوقوا مسَّ سقر ۔ إنّا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ قال : « نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله . »] .

وروى أحمد عن عبدالله بن عمر ان رسول الله ﷺ قال : ٢٩٤ [لكل أمة مجوس ، ومجوس أمتي [1] الذين يقولون لا قدر إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم]

---

(١) أي المعتزلة .

وفي الحديث الصحيح: ٢٩٥ [استعن بالله ولا تعجز فإن اصابك أمر فقل قدر الله وما شاء فعل ، ولا تقل لو اني فعلت لكان كذا فإن لو تفتح عمل الشيطان] وقد ثبت في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ ٢٩٦ [ان الله كتب مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة ــ زاد ابن وهب ــ وكان عرشه على الماء] ورواه الترمذي وقال : حسن صحيح غريب .

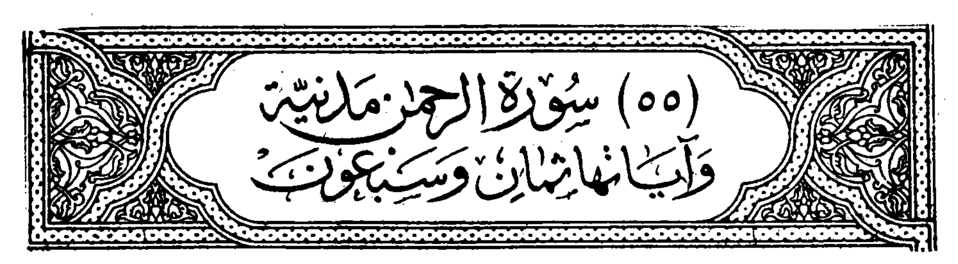
وروى الإمام أحمد عن عبادة بن الوليد بن عبادة ، حدثني أبي قال : ٢٩٧ [دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت : أوصني واجتهد لي، فقال : أجلسوني... فلما أجلسوه قال : يا بُنيَّ إنك لم تطعم الإيمان ولم تبلغْ حق حقيقة العلم بالله، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره . قلت : يا أبتاه وكيف لي أن اعلم ما خير القدر و شره ؟ قال : تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك ، يا بُنَيَّ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان أول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة » يا بني إن متَّ ولست على ذلك دخلت النار] .

وقوله تعالى : ﴿ وما أمرنا إلاّ واحدة كلمح بالبصر ﴾ وهذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه كما أخبر بنفوذ قدره فيهم ﴿ وما أمرنا الا واحدة ﴾ أي لا نحتاج إلى تأكيد بثانية لأن الأمر ينفذ حالاً لا يتأخر طرفة عين وما أحسن ما قال بعض الشعراء :

إذا ما أراد الله أمراً فإنمّـــا　　　يقول له : كنْ . قولةً فيكون

وقوله تعالى : ﴿ ولقد أهلكنا أشياعكم ﴾ يعني أمثالكم وسلفكم من الأمم السابقة المكذبين بالرسل ﴿ فهل من مدّكر ﴾ أي فهل من متعظ بما أخزى الله أولئك وقدّر لهم من العذاب؟ وقوله تعالى : ﴿ وكل شيء فعلوه في الزبر ﴾ أي في الكتب التي بأيدي الملائكة عليهم السلام ﴿ وكل صغير وكبير ﴾ من أعمالهم ﴿ مستطر ﴾ أي مسطرّ في صحائفهم ومحصيّ . قال الإمام أحمد عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقول: ٢٩٨ [يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً] ورواه النسائي وابن ماجه . وقوله تعالى : ﴿ إن المتقين في جنات ونَهَر ﴾ أي بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسُعُر ، والسَّحب في النار على وجوههم. وقوله تعالى ﴿ في مقعد صدق ﴾ أي في دار كرامة الله ورضوانه ﴿ عند مليك مقتدر ﴾ أي عند الملك العظيم الخالق القادر على كلّ شيء مما يطلبون ويريدون. وقد روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمر يبلغ به النبي ﷺ قال : [المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلّوا] انفرد باخراجه مسلم والنسائي .

آخر اختصار تفسير سورة القمر ولله الحمد والمنة وبه العصمة .



نزلت بعد الرّعد

روى ابو عيسى الترمذي عن جابر قال: ٢٩٩ [خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد»] غريب. روى ابن جرير عن عبدالله ابن عمر ٣٠٠ [إن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن أو قرئت عنده فقال «ما لي أسمع الجن أحسنَ جواباً لربها منكم؟» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال «ما أتيت على قول الله تعالى: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذّبان﴾ إلا قالت الجن: لا بشيء من نعم ربنا نكذّب»] ورواه الحافظ البزار عن عمرو بن مالك به ثم قال لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حزب ٥٤

ٱلرَّحْمَٰنُ ۞ (١) عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۞ (٢) خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ ۞ (٣) عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۞ (٤) ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۞ (٥) وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۞ (٦) وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۞ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي ٱلْمِيزَانِ ۞ (٨) وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا ٱلْمِيزَانَ ۞ (٩) وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۞ (١٠) فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۞ (١١) وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۞ (١٢) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ (١٣)

يخبر تعالى عن فضله ورحمته بخلقه أنه أنزل على عباده القرآن ويسر حفظه وفهمه على من رحمه . فقال تعالى: ﴿ الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان ﴾ قال الحسن : يعني النطق ، وهو أداء تلاوته ، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق،واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها وانواعها. كقوله تعالى : ﴿ فالق الإصباح وجَعَل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ نص علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : النجم ما انبسط على وجه الأرض يعني النبات ، وكذا قال سعيد بن جبير والسدّي وسفيان الثوري واختاره ابن جرير رحمه الله تعالى . وقوله تعالى : ﴿ والسماء رفعها ووضع الميزان ﴾ يعني العدل . كما قال تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ وهكذا قال ههنا : ﴿ ألاّ تطغوا في الميزان ﴾ أي خلق السموات والأرض بالحق والعدل لتكون الأشياء كلها بالحقّ والعدل . ولهذا قال تعالى : ﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ولا تُخسروا الميزان ﴾ أي لا تبخسوا الوزن، بل زنوا بالحق والقسط . كما قال تعالى : ﴿ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ والأرض وضعها للأنام ﴾ أي كما رفع السماء وضع الأرض وجعلها مستقرّاً لمعاش أهلها ﴿ فيها فاكهة ﴾ أي مختلفة الألوان والطعوم والروائح ﴿ والنخل ذات الأكمام ﴾ والأكمام: قال ابن جريج عن ابن عباس: هي أوعية الطلع. وهكذا قال غير واحد من المفسّرين ، وهو الذي يطلع فيه القِنْو ثم ينشق عن العنقود ، فيكون بسراً ثم رطباً ثم ينضج ويتناهى يفعه واستواؤه .

﴿ والحبّ ذو العصف والريحان ﴾ ذو العصف:يعني التبن وهو ما على السنبلة،والريحان: وهو الورق الملتف على ساقها . وقوله تعالى : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ أي فبأي النعم المغمورون بها يا معشر الثقلين من الإنس والجن تكذبان ؟ قاله مجاهد وغير واحد ، ويدل عليه السياق بعده فأيّ نعمة من هذه النعم التي لا تستطيعون إنكارها ولا جحودها تكذّبون ؟ فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون به : اللهم ولا بشيء من آلائك ربّنا نكذّب ، فلك الحمد .

خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَٱلْفَخَّارِ ۞ (١٤) وَخَلَقَ

ٱلْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۞ (١٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ (١٦) رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۞ (١٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ (١٨) مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۞ (٢٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ (٢١) يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۞ (٢٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ (٢٣) وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَآتُ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَامِ ۞ (٢٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ (٢٥)

يذكر تعالى خَلقه الإنسانَ من صلصالٍ كالفخار ، وخلقه الجان من مارج من نار ، أي من خالص النار قاله ابن عباس وغيره . روى الإمام أحمد عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ ٣٠١ [خلقتِ الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدمُ مما وصف لكم] ورواه مسلم .

وقوله تعالى : ﴿ فبأي آلاءِ ربكما تكذبان ﴾ تقدم تفسيره ﴿ رب المشرقين ورب المغربَيْن ﴾ يعني مشرقي الصيف والشتاء ومغربي الصيف والشتاء ، ولما كان في اختلاف هذه المطالع مصالح للخلق من الجن والإنس قال سبحانه : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ وقوله تعالى : ﴿ مَرَجَ البحرين يلتقيان ﴾ قال ابن عباس أي أرسلهما وقوله تعالى : ﴿ يلتقيان ﴾ قال ابن زيد : أي منعهما أن يلتقيا بما جعل بينهما من الحاجز الفاصل بينهما والمراد بالبحرين : أي الملح والحلو ؛ فالحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس ، وقد قدمنا الكلام على ذلك في سورة الفرقان. عند قوله تعالى: ﴿ وهو الذي مرج البحرين هذا عذاب فُرات وهذا ملح أجاج ۞ وجعل بينهما برزخاً وحِجْراً محجوراً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ بينهما برزخ لا يبغيان ﴾ أي وجعل بينهما حاجزاً من الأرض لئلاّ يبغي هذا على هذا ، وهذا على هذا فيفسد كل واحد منهما الآخر ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه . وقوله تعالى : ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ أي من مجموعهما ، فإذا وجد ذلك من أحدهما كفى. كما قال تعالى: ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتِكم رسل منكم ﴾ والرسل إنما كانوا من الإنس خاصة دون الجن وقد صح هذا الإطلاق . واللؤلؤ معروف ، وأما المرجان

فقيل هو صغار اللؤلؤ ، وقيل : هو نوع من الجواهر أحمر اللون ، وقيل هو الخرز الأحمر .

وعن ابن عباس قال : إذا امطرت السماء فتحت الأصداف في البحر أفواهها فما وقع فيه من القطر فهو اللؤلؤ . إسناده صحيح.رواه ابن أبي حاتم . ولما كان اتخاذ هذه الحلية على أهل الأرض نعمة ، أمتنّ بها عليهم فقال تعالى : ﴿ فبأي آلاء ربّكما نكذبان ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وله الجوار المنشآت ﴾ يعني السفن التي تجري ﴿ في البحر ﴾ قال مجاهد ما رُفع قلعُه من السفن فهي منشآت. ﴿ كالأعلام ﴾ أي كالجبال في كبرها وما فيها من مصالح نقل التجارات من قُطر إلى قُطر ، مما فيه صلاح للناس.ولهذا قال سبحانه ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ وقال ابن أبي حاتم عن عمرة بن سويد قال : كنت مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه على شاطىء الفرات إذ أقبلتْ سفينة مرفوع شراعها ، فبسط عليٌّ يديْه ثم قال : يقول الله عزّ وجل ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴾ والذي أنشأها تجري في بحوره ما قتلتُ عثمان ولا مالأتُ على قتله [1] .

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ ۞ (٢٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ (٢٨) يَسْئَلُهُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۞ (٢٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ (٣٠) ﴾

يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيموتون ، وكذلك أهل السموات إلاّ من شاء الله ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم ؛ فإن الرب تعالى وتقدس هو الحي الذي لا يموت أبداً . قال قتادة: أنبأ بما خلق ثم أنبأ أن ذلك كلّه فان .وفي الدعاء المأثور: ٣٠٢ [يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام ، لا إله إلا أنت برحمتك نستغيث أصلح لنا شأننا كله ، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفةَ عين ، ولا إلى أحد من خلقك] . وقال الشعبيّ : إذا قرأتَ : ﴿ كل من عليها فان ﴾ فلا تسكت حتى تقرأ : ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ أي أنه أهل أن يُجلّ فلا يُعصَى ، وأن يطاع فلا يخالف . ولما

(١) صدقت يا أمير المؤمنين صدقت... فأنت البريء المبرّأ من دمه على رسول الله وعليكما صلاة الله وسلامه ورحمته وبركاته.

أخبر تعالى عن تساوي أهل الأرض كلهم في الوفاة وصيرورتهم إلى الدار الآخرة . فيحكم فيهم ذو الجلال والإكرام بحكمه العدل قال سبحانه : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذّبان وقوله تعالى : ﴿ يسأله من في السموات والأرض كلّ يوم هو في شأن ﴾ وهذا إخبار عن غناه عما سواه، وافتقار الخلائق إليه في جميع الأحوال . وقوله تعالى : ﴿كل يوم هو في شأن ﴾ قال ابنُ أبي حاتم عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : ٣٠٣ [قال الله عز وجل ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾ ــ قال ــ من شأنه أن يغفر ذنباً ، ويفرّجَ كرباً ويرفعَ قوماً ويضعَ آخرين]

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۞ (٣١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ (٣٢) يَا مَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ۞ (٣٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِن نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ۞ (٣٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ (٣٦)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾ قال : وعيد الله تعالى ــ للثقلين الإنس والجن ــ وليس بالله شغل وهو فارغ . قال البخاري : سنحاسبكم لا يشغله شيء عن شيء ، وهو معروف في كلام العرب ، يقال لأتفرغنَّ لك وما به شغل ، يقول لآخذنّك على غرّتك ﴿ فبأي آلاء ربّكما تكذّبان ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلاّ بسلطان ﴾ أي لا تستطيعون هرباً من أمر الله وقدره بل هو محيط بكم ، لا تقدرون على التخلص من حكمه ولا النفوذ عن حكمه فيكم ، أينما ذهبتم أحيط بكم وهذا في مقام الحشر ؛ الملائكة محدِقة بالخلائق كقوله تعالى : ﴿ يقول الإنسان يومئذ أين المفرّ كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر ﴾ وكقوله تعالى ﴿ وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم ﴾ قال تعالى : ﴿ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ﴾ أي لو ذهبتم هاربين يوم القيامة لردتكم الملائكة والزبانية بإرسال اللهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا ، ولهذا قال : ﴿ فلا تنتصران ، فبأي آلاء ربّكما تكذّبان ﴾ .

﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ (٣٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ (٣٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٤٠) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ (٤١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٤٢) هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾ (٤٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٤٥) ﴿

يقول تعالى : ﴿ فإذا انشقت السماء ﴾ أي يوم القيامة كما دلّت عليه هذه الآيات ... مع ما شابهها من الآيات الواردة في معناها كقوله تعالى : ﴿ وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ﴾ وقوله تعالى ﴿ فكانت وردةً كالدهان ﴾ أي تتلوّن كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها فتارة حمراء وتارة صفراء وخضراء وزرقاء وذلك من شدّة الأمر وهول يوم القيامة العظيم . وقوله تعالى : ﴿ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ﴾ أي بعد أن يسألوا عن جميع أعمالهم : لمَ عملتم كذا وكذا ... ثم يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. ثم يؤمر بهم إلى النار فذلك الوقت لا يسألون عن ذنوبهم ، بل يقادون إليها ويلقون فيها. كما قال تعالى : ﴿ يعرف المجرمون بسيماهم ﴾ أي بعلامات تظهر عليهم ، ويعرفونهم بسواد وجوههم. قلت : وهذا كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء .

وقوله تعالى : ﴿ فيؤخذ بالنواصي والأقدام ﴾ أي يجمع الزبانية ناصية الكافر مع قدميه في سلسلة من وراء ظهره ثم يلقى من جهنم فيهوي فيها سنين حتى يصل قاعها . وقوله تعالى : ﴿ هذه جهنم التي يكذّب بها المجرمون ﴾ أي هذه هي النار التي كنتم تكذبون بوجودها ، فها هي حاضرة تشاهدونها عياناً وتحسّون بلهيبها يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً وتصغيراً وتحقيراً . وقوله تعالى : ﴿ يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ أي تارةً يعذّبون ، وطوراً يسقون من الحميم الذي هو كالنحاس المذاب يقطع الأمعاء والأحشاء . وقوله تعالى: ﴿ آن ﴾ أي حار قد بلغ منتهى حرارته. كقوله تعالى : ﴿ تسقى من عين آنية ﴾ أي لا تستطاع من شدة الحرارة . ولما كان معاقبة المجرمين وتنعيم المتقين

من فضله ورحمته وعدله ولطفه بخلقه ، وكان إنذاره لهم عن عذابه وبأسه مما يزجرهم عما هم فيه من الشرك والمعاصي وغير ذلك. قال ممتناً بذلك على بريته : ﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذّبان ﴾ .

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ۞ (٤٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۞ (٤٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۞ (٥٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ (٥١) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ۞ (٥٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ (٥٣) ﴾

قوله تعالى : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره. يقول الله تعالى : ﴿ ولمن خاف مقام ربه ﴾ بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾ ولا آثر الحياة الدنيا ، وعلم أن الآخرة خير وأبقى، فأدى فرائض الله واجتنب محارمه فله يوم القيامة عند ربه جنتان. كما روى البخاري رحمه الله تعالى عن عبدالله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: ٣٠٤ [جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب وآنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجلّ إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن] وأخرجه بقية الجماعة إلاّ أبا داود .

وروى ابن جرير عن أبي الدرداء ٣٠٥ [أن رسول الله ﷺ قرأ يوماً هذه الآية : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقلت : وإن زنى وان سرق ؟ فقال : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنّتان ﴾ فقلت : وإن زنى وإن سرق ؟ فقال : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقلت : وإن زنى وإن سرق ؟ فقال : « وإن رغم أنف أبي الدرداء »] وروي عن أبي الدرداء موقوفاً : إن من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق . وهذه الآية عامة في الإنس والجن فهي من أدلّ الدليل على الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا ، ولهذا امتن الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء . فقال : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان * فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ ثم نعت هاتين الجنتين فقال تعالى : ﴿ ذواتا أفنان ﴾ أي أغصان نضرة حسنة، تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة. ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ روى محمد بن إسحق عن أسماء بنت أبي بكر قالت: ٣٠٦ [سمعت رسول الله ﷺ وذكر سدرة المنتهى ، فقال : «يسير

في ظل الفنن منها الراكب مائة سنة ــ أو قال يستظل في ظلّ الفنن منها مائة راكب ــ فيها فراش الذهب كأنّ ثمارها القلال »] ورواه الترمذي . وقوله تعالى : ﴿ فيهما عينان تجريان ﴾ أي تسرحان لسقي تلك الأشجار والأغصان فتثمر من جميع الألوان ﴿ فبأي آلاءِ ربكما تكذبان ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ فيهما من كلّ فاكهة زوجان ﴾ أي من جميع أنواع الثمار ممّا يعلمون وخير مما يعلمون ، ومما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ قال ابن عباس : ليس في الدنيا مما في الآخرة إلاّ الأسماء يعني أن بين ذلك بوناً عظيماً وفرقاً بيّناً في التفاضل .

مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَا ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ ٱلْإِحْسَانِ إِلَّا ٱلْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾

يقول تعالى : ﴿ متكئين ﴾ أي مضطجعين ﴿ على فرش بطائنها من إستبرق ﴾ وهو ما غلظ من الديباج والمزين بالذهب فنبّه على شرف الظهارة بشرف البطانة وعن ابن مسعود قال : هذه البطائن فكيف لو رأيتم الظواهر ؟ ! ﴿ وجنى الجنتين دانٍ ﴾ أي ثمرهما قريب إليهم متى شاءوا تناولوه على أي صفة كانوا . كما قال تعالى: ﴿ قطوفها دانية ﴾ أي لا تمتنع ممّنْ تناولها بل تنحط إليه من أغصانها . ﴿ فبأي آلاء ربّكما تكذبان ﴾ ولما ذكر الفرش وعظمتها.قال بعد ذلك ﴿ فيهن ﴾ أي من الفرش ﴿ قاصرات الطرف ﴾ أي غضيضات عن غير أزواجهن فلا يرين شيئاً في الجنة أحسن من أزواجهن قاله ابن عباس وغيره وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلها : والله ما أرى في الجنة شيئاً أحسنَ منك ، ولا في الجنة شيئاً أحب إليّ منك فالحمد لله الذي جعلك لي وجعلني لك .

وقوله تعالى : ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ أي بل هن أبكار عرب أتراب لم يطأهن أحد قبل أزواجهن من الإنس والجن، وهذه أيضاً من الأدلة على دخول مؤمني الجن الجنة. ثمّ

قال تعالى ينعتهن للخُطّاب : ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ قال مجاهد والحسن وغيرهما في صفاء الياقوت ، وبياض المرجان ، فجعلوا المرجان ها هنا : اللؤلؤ وعن عبدالله بن مسعود قال : إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير حتى يُرى مخها ، وذلك قوله تعالى : ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ فأما الياقوت فإنّه حجر لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيته من روائه وهكذا فقد رواه ابن أبي حاتم مرفوعاً والترمذي موقوفاً ثم قال وهو أصح . وروى مسلم عن محمد بن سيرين قال: ٣٠٧ [إما تفاخروا واما تذاكروا، الرجال أكثر في الجنة أم النساء فقال أبو هريرة : أوَ لم يقل أبو القاسم ﷺ « ان أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على ضوء كوكب دري في السماء ، لكل امرىءٍ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم وما في الجنة أعزب »] وهذا الحديث مخرج في الصحيحين . من حديث همّام بن منبّه وأبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وقوله تعالى : ﴿ هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان ﴾ أي لا لمن أحسن العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه في الآخرة . روى البغوي عن أنس بن مالك قال:٣٠٨ [قرأ رسول الله ﷺ ﴿ هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان ﴾ وقال : « هل تدرون ما قال ربكم » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : « يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة »] ولما كان في الذي ذكر نعم عظيمة لا يقاومها عمل بل مجرد تفضل وامتنان قال بعد ذلك كله : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ .

وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۞ (٦٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ (٦٣) مُدْهَامَّتَانِ ۞ (٦٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۞ (٦٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ (٦٧) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۞ (٦٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ (٦٩) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ۞ (٧٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ (٧١) حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ۞ (٧٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ

وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى : ﴿ ومن دونهما جنّتان ﴾ هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن ؛ وقد تقدم الحديث : جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فِضّة وآنيتهما وما فيهما فالأوليان للمقربين والأخريان لأصحاب اليمين . والدليل على شرفِ الأوليَيْن على الأخريَين من وجوه أحدها أنه نعتَ الأوليين قبل هاتين والتقديم يدل على الاعتناء . ثم قال تعالى : ﴿ ذواتا أفنان ﴾ وهي الأغصان وقال ها هنا : ﴿ مدهامتان ﴾ أي سوداوان من شدة الإخضرار والري من الماء . وقال هناك : ﴿ فيهما عينان تجريان ﴾ وقال تعالى ههنا : ﴿ نضاختان ﴾ أي فياضتان والجري أقوى من النضخ . وقال تعالى هناك : ﴿ فيهما من كل فاكهة زوجان ﴾ وقال تعالى ههنا ﴿ فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾ ولا شك ان الأولى أعم وأكثر في الإفراد والتنويع على فاكهة وهي نكرة في سياق الإثبات لا تعم . ثم قال تعالى : ﴿ فيهن خيرات حسان ﴾ قيل المراد خيرات كثيرة حسنة في الجنة قاله قتادة وقيل خَيرات جمع خَيرة وهي المرأة الصالحة الحسنة الخلق والوجه قاله الجمهور . وروي مرفوعاً عن أم سلمة وفي الحديث الآخر الذي سنورده في سورة الواقعة إن شاء الله تعالى إن الحور العين يغنين: نحن الخيرات الحسان خلقنا لأزواج كرام ولهذا قرأ بعضهم : ﴿ فيهن خيّرات ﴾ بالتشديد ﴿ حسان * فبأي آلاء ربّكما تكذبان ﴾ ثم قال جلّت عظمته ﴿ حور مقصورات في الخيام ﴾ وهناك قال سبحانه ﴿ فيهن قاصرات الطرف ﴾ ولا شك ان التي قد قَصَرَتْ طرفها بنفسها ، أفضل ممن قُصِرَتْ ، وان كان الجميع مخدرات وقوله تعالى : ﴿ في الخيام ﴾ روى البخاري عن عبدالله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: ٣٠٩ [إنَّ في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوّفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمنون] ورواه مسلم بنفس المعنى وقال ابن عباس : ﴿ حور مقصورات في الخيام ﴾ أي خيام اللؤلؤ وقوله تعالى : ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ قد تقدم مثله سواء إلاّ أنه زاد في وصف الأوائل بقوله تعالى : ﴿ كأنهنَّ الياقوت والمرجان * فبأي آلاء ربّكما تكذبان ﴾ .

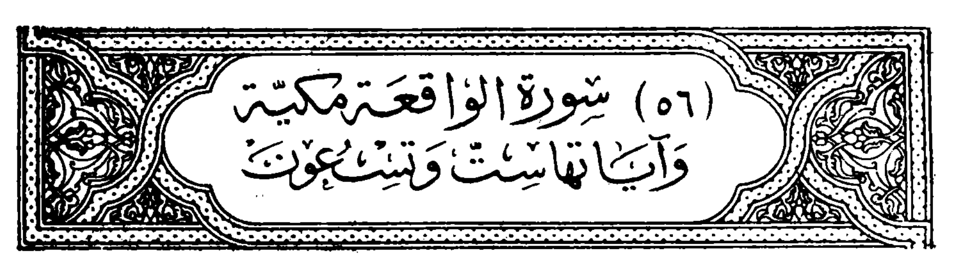
وقوله تعالى : ﴿ متكئين على رفرف خضر وعبقريّ حسان ﴾ الرفرف على السرير كهيئة المحابس المتدلي وقيل الوسائد وقال سعيد بن جبير : رياض الجنة ، وقوله تعالى :

﴿ وعبقري حسان ﴾ أي جياد بسط أهل الجنة الملوّنة الموشاة . قال الخليل بن أحمد كل شيء نفيس من الرجال وغير ذلك يسمّى عند العرب عبقرياً . ومنه قول النبي ﷺ في عمر : ٣١٠ [فلمْ أرَ عبقرياً يفري فريه] . فمرافق صفة أهل الجنتين الأوليين أرفع وأعلى من هذه الصفة، فإنه قد قال هناك: ﴿ متكئين على فرش بطائنها من إستبرق ﴾ فنعت بطائنها وسكت عن ظهائرها بما مدح به البطائن بطريق الأولى والأحرى ، وتمام الخاتمة أن قال تعالى بعض الصفات المتقدمة : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ والإحسان أعلى المراتب والنهايات . فهذه وجوه عديدة في تفضيل الجنّتين الأوليين على هاتين الأخريين ونسأل الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أهل الأوليين .

ثم قال جل وعلا : ﴿ تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ﴾ أي هو أهل أن يُجلّ فلا يُعصَى ، وأنْ يكرَمَ فيعبَد ، ويُشكرَ فلا يُكفَرَ ، وأنْ يذكرَ فلا يُنسى .

روى الإمام أحمد عن ربيعة بن عامر قال : ٣١١ [سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ألظّوا بيا ذا الجلال والإكرام »] ورواه النسائي من حديث عبدالله المبارك به والإلظاظ هو : المداومة واللزوم والإلحاح وفي صحيح مسلم والسنن الأربعة من حديث عبدالله بن الحارث عن عائشة قالت : ٣١٢ [كان رسول الله ﷺ إذا سلّم لا يقعد يعني بعد الصلاة إلاّ بقدر ما يقول : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام »] .

آخر اختصار تفسير سورة الرحمن ولله الحمد والمنة .



إلا الآية ٨١ و ٨٢ فمدنيتان نزلت بعد طه

روى الحافظ ابن عساكر عن عبدالله بن مسعود قال في المرض الذي توفي فيه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ٣١٣ [من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً » فكان أبو ظبية لا يدعها] وكذا رواه أبو يعلى عن ابن مسعود .

وروى أحمد عن جابر بن سمرة يقول : ٣١٤ [كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم ، ولكنه كان يخفف ، كانت صلاته أخف من صلاتكم وكان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور .]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۞ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۞ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۞ (٣) إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۞ (٤) وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۞ (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ۞ (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً ۞ (٧) فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۞ (٨) وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَا أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۞ (٩) وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۞ (١٠) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۞ (١١) فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۞ (١٢) ﴾

ربع الحزب

الواقعة من أسماء يوم القيامة سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها . كما قال تعالى :

﴿ فيومئذ وقعت الواقعة ﴾ وقولُه تعالى : ﴿ ليس لوقعتها كاذبة ﴾ أي لا بد أن تكون، وليس لوقوعها إذا أراد الله كونها صارف يصرفها ولا دافع يدفعها. كما قال تعالى: ﴿ استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ خافضة رافعة ﴾ أي تخفض أقواماً إلى الجحيم وان كانوا أعزاء في الدنيا وترفع آخرين إلى أعلى عليين إلى النعيم المقيم وان كانوا وضعاء في الدنيا .

وقوله تعالى : ﴿ إذا رجّت الأرض رجّاً ﴾ كقوله تعالى : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وبست الجبال بسّاً ﴾ أي فتّتَتْ فتاً. كما قال تعالى: ﴿ كثيباً مهيلاً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فكانت هباءً منبثّاً ﴾ أي كرهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء ، قاله علي رضي الله عنه . وقوله تعالى : ﴿ وكنتم أزواجاً ثلاثةً ﴾ أي أصنافاً ثلاثة ، ﴿ فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ﴾ وهم قوم عن يمين العرش ، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن ويؤتون كتبهم بأيمانهم ويؤخذ بهم ذات اليمين وهم جمهور أهل الجنة ، ﴿ وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ﴾ وهم قوم عن يسار العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر ويؤتَون كتبهم بشمالهم،ويؤخذ بهم ذات الشمال وهم عامة أهل النار ــ عياذاً بالله من صنيعهم ــ ﴿ والسابقون السابقون ﴾ هم سابقون بين يديه عزّ وجلّ،وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين،الذين هم سادتهم ، فيهم الرسل والأنبياء والصدّيقون والشهداء وهم أهل عليين ؛ فمَنْ سابقَ في هذه الدنيا ، وسبق إلى الخير ، كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة فإن الجزاء من نوع العمل ، وكما تدين تدان . ولهذا قال تعالى : ﴿ أولئك المقربون * في جنات النعيم ﴾ أي المقربون إلى كنفِ الله تعالى ورضاه نسأله تعالى أن يجعلنا منهم بفضله ومنّه وكرمه ــ . آمين

﴿ ثُلَّةٌ مِنْ ٱلْأَوَّلِينَ * (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ ٱلْآخِرِينَ *(١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ * (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ * (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * (٢١) وَحُورٌ عِينٌ *(٢٢)

كَأَمْثَالِ ٱللُّؤْلُوءِ ٱلْمَكْنُونِ ۞ (٢٣) جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً ۞ (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَاماً سَلَاماً ۞ (٢٦)

يخبر تعالى عن هؤلاء السابقين انهم ثلة أي جماعة من الأولين ، وقليل من الآخرين وقد اختلفوا في المراد بقوله الأولين والآخرين . فقيل : المراد بالأولين الأمم الماضية وبالآخرين هذه الأمة وهو قول ضعيف ، لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن ، فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها ، اللهم إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة ، والراجح أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿ ثلة من الأولين ﴾ أي صدر هذه الأمة ﴿ وقليل من الآخرين ﴾ أي من هذه الأمة . ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها ، فيحتمل أن تعم الآية جميع الأمم كل أمة بحسبها، وخير الأمم أمة محمد ﷺ. روى ابن أبي حاتم عن عبدالله بن بكر المزني قال: سمعت الحسن أتى على هذه الآية ﴿ والسابقون السابقون * أولئك المقربون ﴾ فقال: أما السابقون فقد مضوا...ولكن اللهم اجعلنا من أصحاب اليمين. وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: ٣١٥ [خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.] والغرض ان هذه الأمة أشرف من سائر الأمم والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة لشرف دينها وعظم نبيها . ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه أخبر ٣١٦ [إن في هذه الأمة سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب] وفي لفظ: ٣١٧ [مع كل ألف سبعون ألفاً] – وفي لفظ آخر – ٣١٨ [مع كل واحد سبعون ألفاً] .

وروى الحافظ أبو قاسم الطبراني عن أبي مالك قال : قال رسول الله ﷺ ٣١٩ [أما والذي نفسي بيده ليبعثن منكم يوم القيامة مثل الليل الأسود، زمرة جميعها يحيطون الأرض تقول الملائكة : لما جاء مع محمد ﷺ أكثر مما جاء مع الأنبياء عليهم السلام] وقوله تعالى : ﴿ على سرر موضونة ﴾ أي منسوجة ومضفورة بالذهب واللؤلؤ . وقوله تعالى : ﴿ متكئين عليها متقابلين ﴾ أي وجوه بعضها إلى بعض ليس أحد وراء أحد ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون ﴾ أي على صفة واحدة لا يكبرون ولا يشيبون ولا يتغيرون ﴿ بأكواب وأباريق وكأس من معين ﴾ والجميع من خمر من عين جارية معين ، ليس من أوعية تنقطع وتفرغ بل من عيون سارحة . وقوله تعالى: ﴿ لا يصدعون عنها ولا

ينزفون ﴾ أي لا تصدع رؤوسهم ولا تنزف عقولهم، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة . وروى الضحاك عن ابن عباس انه قال : في الخمر أربع خصال : السكر ، والصداع ، والقيء ، والبول . فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال .

وقوله تعالى : ﴿ وفاكهة مما يتخيّرون * ولحم طير مما يشتهون ﴾ أي ويطوفون عليهم بما يتخيّرون من الثمار ، وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخيّر لها ويدل على ذلك حديث عكراش بن ذؤيب الذي يحدث عن مؤاكلته لرسول الله ﷺ في بيت أم سلمة ٣٢٠[... ثم أخذ بيدي فانطلقنا إلى منزل أم سلمة فقال - ﷺ « هل من طعام » فأتينا بجفنة كالقصعة كثيرة الثريد والوذر فجعل يأكل منها فأقبلت أخبط بيدي في جوانبها فقبض رسول الله ﷺ بيده اليسرى على يدي اليمنى فقال : « يا عكراش ، كل من موضع واحد فإنه طعام واحد » ثم أتينا بطبق فيه تمر أو رطب - شك عبيدالله رطباً كان أو تمراً - فجعلت آكل من بين يدي وجالت يد رسول الله ﷺ في الطبق وقال : « يا عكراش كل من حيث شئت فانه غير لون واحد » ثم أتينا بماء فغسل رسول الله ﷺ يده ومسح وجهه وذراعيه ورأسه ثلاثاً ثم قال : « يا عكراش هذا الوضوء مما غيّرت النار »] ورواه الترمذي مطوّلاً وابن ماجه جميعاً عن محمد بن بشار . وروى الحافظ الطبراني : عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ :٣٢١ [إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى] وقوله تعالى : ﴿ ولحم طير مما يشتهون ﴾ قال الإمام أحمد عن أنس قال قال رسول الله ﷺ :٣٢٢[«إن طير الجنة كأمثال البخت يرعى في شجر الجنة» فقال أبو بكر : يا رسول الله إن هذه لطير ناعمة ، فقال : « آكلها أنعم منها - قالها ثلاثا - وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها »] وروى الحسن بن عرفة عن عبدالله بن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ :٣٢٣[انك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخرّ بين يديك مشوياً] وقوله تعالى : ﴿ وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ أي كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه. كما تقدم في سورة الصافّات : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ وقد تقدم في سورة الرحمن وصفهن أيضاً. ولهذا قال تعالى : ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ أي هذا الذي اتحفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل . ثم قال تعالى : ﴿ لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً * إلا قيلاً سلاماً سلاماً ﴾ أي لا يسمعون في الجنة كلاماً لاغياً أي عبثاً خالياً عن المعنى أو مشتملاً على معنى حقير أو ضعيف. كما قال : ﴿ لا تسمع فيها لاغية ﴾ أي كلمةً لاغية ﴿ ولا تأثيماً ﴾ أي ولا كلاماً فيه قبح ﴿ إلاّ قيلاً سلاماً سلاماً ﴾ أي إلاّ التسليم منهم بعضهم على بعض. كما قال تعالى: ﴿ تحيتهم فيها سلام ﴾ وكلامهم أيضاً سالم من اللغو والأثم .

﴿ وَأَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ ۞ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ۞ (٢٨) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ۞ (٢٩) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ۞ (٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ۞ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۞ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۞ (٣٣) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ۞ (٣٤) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ۞ (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً ۞ (٣٦) عُرُباً أَتْرَاباً ۞ (٣٧) لِأَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ ۞ (٣٨) ثُلَّةٌ مِنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ ٱلْآخِرِينَ ۞ (٤٠) ﴾

لما ذكر تعالى مآل السابقين وهم المقربون ، عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين وهم الأبرار لأن أصحاب اليمين منزلتهم دون المقرّبين فقال تعالى : ﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ﴾ ثم فسر ذلك : ﴿ في سدر مخضود ﴾ وهو الذي لا شوك فيه وهو الموقر بالثمر بعكس سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر . روى الحافظ أبو بكر أحمد بن سلمان النجار عن سليم بن عامر قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : ٣٢٤ [إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم قال : أقبل اعرابي يوماً فقال : يا رسول الله ذكر الله في الجنة شجرةً تؤذي صاحبها ، فقال رسول الله ﷺ « وما هي » ؟ قال : السدر فإن له شوكاً مؤذياً فقال رسول الله ﷺ « أليس الله تعالى يقول : ﴿ في سدر مخضود ﴾ خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة ، فإنها لتنبت ثمراً تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لوناً من طعام ، ما فيها لون يشبه الآخر »] .

وقوله تعالى : ﴿ وطلح منضود ﴾ الطلح شجر عظام يكون بأرض الحجاز ، واحدته طلحة . ومنضود أي متراكم الثمر. قال ابن عباس يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمر أحلى من العسل ، فكأنه السدر ، وصفه بأنه مخضود وهو الذي لا شوك فيه وأن طلعه كثير الثمر وروى عن ابن عباس الطلح : الموز وكذلك يسمون أهل اليمن الموز الطلح .

وقوله تعالى : ﴿ وظل ممدود ﴾ روى البخاري عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: ٣٢٥ [إن في الجنّة شجرة يسير الراكب في ظلها مئةعام لا يقطعها، إقرأوا إن شئتم : ﴿ وظلٍّ ممدود ﴾] ورواه مسلم . وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد ، وسهل

بن سعد عن رسول الله ﷺ قال : ٣٢٦ [ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمَّر السريع مئة عام ما يقطعها] فهذا حديث ثابت عن رسول الله ﷺ ، بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد ، لتعدد طرقه وقوة أسانيده وثقة رجاله . وقال الضحاك والسدي وابو حزرة في قوله تعالى : ﴿ وظل ممدود ﴾ لا ينقطع ، ليس فيها شمس ولا حر مثل قبل طلوع الشمس. وقوله تعالى: ﴿ وماء مسكوب ﴾ قال الثوري يجري في غير أخدود . وقد تقدم الكلام عند تفسير قوله تعالى ﴿ فيها أنهار من ماء غير آسن...[1] ﴾ بما أغنى عن أعادته ههنا . وقوله تعالى : ﴿ وفاكهة كثير ة لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾ أي وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . كما قال تعالى: ﴿ كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأُتُوا به متشابهاً ﴾ أيْ يشبه الشكلُ الشكلَ ولكن الطعمَ غيرُ الطعم . وفي الصحيحين في ذكر سدرة المنتهى :٣٢٧[... فإذا ورقها كآذان الفيلة، ونبقها مثل قلال هجر] وفيهما أيضاً ـ أي في الصحيحين ـ عن ابن عباس قال: ٣٢٨[خسفت الشمس فصلى رسول الله ﷺ والناس معه فذكر الصلاة وفيه قالوا : يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ثم رأيناك تكعكعت ، قال : « إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا »] وقوله تعالى ﴿ لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾ لا تنقطع شتاءً ولا صيفاً بل أكلها دائم مستمر أبداً ، مهما طلبوا وجدوا لا يمتنع عليهم بقدرة الله تعالى شيء ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ أي عالية وطيئة ناعمة. وقوله تعالى : ﴿ إنا أنشأناهن إنشاءً * فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً * لأصحاب اليمين ﴾ جرى الضمير على غير مذكور. لكن لما دل السياق وهو ذكر الفرش دلَّ على النساء اللاتي يضاجَعْنَ فيها. إكتفى بذلك عن ذكرهن وعاد الضمير عليهن. فقوله تعالى : ﴿ إنا أنشأناهن إنشاءً ﴾ إنا أعدناهن في النشأة الأخرى بعد ما كُن عجائزَ رُمصاً صرن أبكاراً بعد الثيوبة عدن أبكاراً عرباً متحببات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة .

روى ابو القاسم الطبراني عن أم سلمة قالت: ٣٢٩[قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى : ﴿ حور عين ﴾ قال « حور بيض عين ضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر » قلت : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ قال : « صفاؤهن صفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي » قلت : أخبرني عن قوله : ﴿ فيهن خيرات حسان ﴾ قال : « خيرات الأخلاق حسان الوجوه » قلت : اخبرني عن قوله : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ قال : « رقتهن كرقة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي

(١) سورة محمد الآية رقم / ١٥ / .

القشر وهو الغرقيء » قلت : يا رسول الله أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ عُرُباً أتراباً ﴾ قال: « هنّ اللواتي قبضن في الدار الدنيا عجائز رمصاً شمطاً خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عُرُباً متعشقات محبّبات أتراباً على ميلاد واحد » قلت : يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال « بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة » قلت : يا رسول الله وبم ذاك ؟ قال : « بصلاتهنّ وصيامهنّ وعبادتهنّ الله عزّ وجل . ألبس الله وجوههن النورَ ، وأجسادهنّ الحريرَ . بيضُ الألوان خضرُ الثياب صفرُ الحليّ مجامرهن الدرّ وأمشاطهن الذهب ، يقلن : نحن الخالدات فلا نموت أبداً ، ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً ، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا طوبى لمن كنّا له وكان لنا » قلت : يا رسول الله المرأة منا تتزوج زوجين ، والثلاثة والأربعة ، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها ؟ قال : « يا أم سلمة إنها تُخيَّر فتختار أحسنهم خلُقاً ، فتقول يا رب إنّ هذا كان أحسن خلقا معي فزوجنيه. يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة »] .

وقوله تعالى : ﴿ عُرُباً ﴾ قال ابن عباس : العُرُب العواشق لأزواجهن وأزواجهن لهنّ عاشقون .وقوله تعالى: ﴿ أتراباً ﴾ يعني في سنٍّ واحدة ثلاث وثلاثين سنة، والمستويات في الأخلاق ليس بينهن تباغض ولا تحاسد. وقوله تعالى: ﴿ لأصحاب اليمين ﴾ أي خَلَقهن لأصحاب اليمين أو أنشأناهن لهم ويحتمل أن يكون المعنى أي في أسنانهم يعني ثلاثاً وثلاثين سنة كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: ٣٣٠[أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءةً لا يبولون ولا يتغوّطون ولا يتفلون ولا يتمخّطون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الإلوة [1] وأزواجهم الحور العين ، اخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء] وقوله تعالى : ﴿ ثلّة من الأولين وثلّة من الآخرين ﴾ أي جماعة من الأولين وجماعة من الآخرين . روى ابن جرير عن ابن عباس : ٣٣١ [﴿ ثلّة من الأولين * وثلّة من الآخرين ﴾ قال:قال رسول الله ﷺ (هما جميعاً من أمتي » .]

(١) الإلوة العود الذي يتبخر به .

﴿ وَأَصْحَابُ ٱلشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ ٱلشِّمَالِ ۝ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝ (٤٢) وَظِلٍّ مِن يَحْمُومٍ ۝ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۝ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ۝ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ۝ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ (٤٧) أَوَ ءَابَاؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ۝ (٤٨) قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ۝ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّالُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝ (٥١) لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ۝ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ۝ (٥٥) هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝ (٥٦) ﴾

لما ذكر تعالى أصحاب اليمين عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال فقال سبحانه : ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ﴾ أيْ أيُّ شيء هم فيه ؟ ... ثم فسر ذلك فقال تعالى : ﴿ في سموم ﴾ وهو الهواء الحار ﴿ وحميم ﴾ وهو الماء الحار ﴿ وظل من يحموم ﴾ وهو الدخان الأسود ، ﴿ لا بارد ولا كريم ﴾ أي ليس طيب الهبوب ولا حسن المنظر ، وكل شيء ليس على ما يجب أن يكون ، فليس بكريم . ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك فقال عز من قائل : ﴿ إنهم كانوا قبل ذلك مترفين ﴾ أي كانوا في الدنيا مقبلين على لذائذ أنفسهم ، لا يلوُون على ما جاءتهم به الرسلُ ﴿ وكانوا يُصرّون ﴾ أي مقيمون ولا ينوون توبةً ﴿ على الحنث العظيم ﴾ وهو الشرك ، وقيل هو اليمين الغموس [1] بل هو الشرك قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة. ولهذا قال تعالى : ﴿ وكانوا يقولون أإذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون ﴾ يعني يكذّبون بذلك مستبعدين وقوعه . قال الله تعالى : ﴿ قل إنّ الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ﴾ أي

---

(١) هو ان تحلف على شيء وأنت عالم بأنه على خلاف ما حلفت .

أخبرهم يا محمد انهم وبني آدم عامةً ، سيجمعون يوم القيامة. كقوله تعالى : ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ۞ وما نؤخّره إلاّ لأجل معدود ﴾ لا يزيد ولا ينقص . ﴿ ثم إنكم أيها الضالّون المكذّبون ۞ لآكلون من شجر من زقوم ۞ فمالئون منه البطون ﴾ وذلك أنهم يقبضون ويسجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم حتى يملأوا منها بطونهم ﴿ فشاربون عليه من الحميم ۞ فشاربون شرب الهيم ﴾ وهي الإبل العطاش واحدها أهيم ، والأنثى هيماء . قال السدّي: الهيم: داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداً حتى تموت فكذلك أهل جهنم لايروون من الحميم أبدا . ثم قال تعالى : ﴿ هذا نُزُلُهم يومَ الدين ﴾ أي هذا الذي وصفنا ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم . أما ضيافة المؤمنين فكما قال الكريم سبحانه ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً ﴾ أي ضيافـةً وكرامـةً .

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۞ (٥٧) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ۞ (٥٨) ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَالِقُونَ ۞ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۞ (٦٠) عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۞ (٦٢) ﴾

يقول تعالى مقرراً للمعاد ، وراداً على المكذبين به من أهل الزيغ والإلحاد، من الذين أنكروا البعث تكذيباً واستبعاداً له. فقال تعالى: ﴿ نحن خلقناكم ﴾ من عدم أفلسنا قادرين على إعادتكم بطريق الأولى ؟ ولهذا قال سبحانه : ﴿ فلولا تصدّقون ﴾ أي فهلاّ تصدقون بالبعث؟ ثم قال جل وعلا : ﴿ أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾ أي أنتم تقرون هذه النطف في الأرحام وتخلقونها أم نحن خلقناها ... ؟ ثم قال تعالى : ﴿ نحن قدرنا بينكم الموت ﴾ أي صرّفناهُ بينكم ﴿ وما نحن بمسبوقين ﴾ أي وما نحن بعاجزين ﴿ على أن نبدل أمثالكم ﴾ أي نغيّر خلقكم يوم القيامة ﴿ وننشئكم فيما لا تعلمون ﴾ أي من الصفات والأحوال . ثم قال تعالى: ﴿ ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ﴾ أي قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً ، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة فهلاّ تتذكرون، وتعرفون أنّ الذي قدر على هذه البداءة قادرٌ على

الإعادة بطريق الأولىٰ والأحرى. كما قال تعالى: ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾.

﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۞ (٦٣) ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۞ (٦٤) لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۞ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۞ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۞ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۞ (٦٨) ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۞ (٦٩) لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۞ (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۞ (٧١) ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۞ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۞ (٧٣) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۞ (٧٤) ﴾

يقول تعالى: ﴿ أفرأيتم ما تحرثون ﴾ وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها: ﴿ أأنتم تزرعونه ﴾ أي تنبتونه في الأرض ﴿ أم نحن الزارعون ﴾ أي بل نحن الذي نقره وننبته في الأرض. روى ابن جرير عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ [٣٣٢« لا تقولن زرعت ولكن قل حرثت » قال أبو هريرة: ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿ أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾.] وقوله تعالى: ﴿ لو نشاء لجعلناه حطاماً ﴾ أي نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا وأبقيناه لكم رحمةً بكم ولو نشاء لأيبسناه قبل استوائه واستحصاده وجعلناه حطاماً. ﴿ فظلتم تفكهون ﴾ ثم فسر ذلك بقوله تعالى: ﴿ إنا لمغرمون ۞ بل نحن محرومون ﴾ أي لو جعلناه حطاماً لظللتم تفكهون في المقالة تنوّعون كلامكم فتقولون تارة إنا لمغرمون أي لا يثبت لنا مال ولا ينتج لنا ربح، وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم وتقولون: ﴿ بل نحن محرومون ﴾ يعني لا حظّ لنا قال الكسائي: تفكه من الأضداد، تقول العرب تفكهتُ بمعنى تنعمت. وتفكهت بمعنى حزنتُ. ثم قال تعالى: ﴿ أفرأيتم الماء الذي تشربون ۞ أأنتم أنزلتموه من المزن ﴾ يقول: بل نحن المنزِلون ﴿ لو نشاء جعلناه أجاجاً ﴾ أي زعاقاً مُراً لا يصلح لشرب ولا زرع ﴿ فلولا تشكرون ﴾ أي فهلاّ تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذباً زلالاً. كما

قال تعالى : ﴿ لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ● ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ وقولُه تعالى : ﴿ أفرأيتم النار التي تورون ﴾ أي تقدحون من الزناد وتستخرجونها من أصلها ﴿ أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ﴾ أي بل نحن الذين جعلناها مودعةً في موضعها . وللعرب شجرتان : احداهما : المرخ والأخرى : العفار ، إذا أخذ منهما غصنان أخضران فحك أحدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار . وقوله تعالى : ﴿ نحن جعلناها تذكرة ﴾ أي تذكّر النارَ الكبرى .

وروى الإمام مالك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال ٣٣٣ [« نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » فقالوا : يا رسول الله إن كانت لكافية فقال : إنها قد فضّلت عليها بتسعةٍ وستين جزءاً »] رواه البخاري من حديث مالك ومسلم من حديث أبي الزناد ، ورواه مسلم من حديث عبد الرزاق .

وقوله تعالى : ﴿ ومتاعاً للمقوين ﴾ قال مجاهد يعني المستمتعين من الناس أجمعين وان هذا التفسير أعمُّ من غيره ، فإن الحاضر والبادي من غنيٍ وفقير ، جميعاً محتاجون إليها للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع .

وقوله تعالى : ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ الذي بقدرته خَلَق هذه الأشياء المختلفة المتضادّة : الماء الزلال العذب البارد ولو شاء لجعله أجاجاً كالبحار المغرقة ، وخلق النار المحرقة وجعل ذلك مصلحة للعباد ، وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم وزجراً لهم في المعاد .

نصف الحزب

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ● (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ● (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ● (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ● (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ● (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ● (٨٠) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ● (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ● (٨٢) ﴾

ليست (لا) من قوله تعالى : ﴿ فلا ﴾ لا معنى لها ؛ بل يؤتى بها في أول القسم به

على منفيّ كقول عائشة رضي الله عنها ٣٣٤ [لا .. والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأةٍ قط] وهكذا ههنا تقدير الكلام : لا .. ليس الأمر كما تظنون وتزعمون في القرآن أنَّه سحر أو كهانة بل ﴿ أقسم بمواقع النجوم ● وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ● إنه لقرآن كريم ﴾... قال الضحاك عن ابن عباس : نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا ، فنجَّمَتْه السفَرة على جبريل عشرين ليلة ونجمه جبريل على محمد ﷺ عشرين سنة . فهو قوله تعالى: ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ أي نجوم القرآن . وكذا قال مجاهد وعكرمة والسدي وأبو حزرة . وقوله تعالى : ﴿ وانه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ أي وأن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم ، لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به عليه ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾ أي ان هذا القرآن الذي نزل على محمد لكتابٌ عظيم ﴿ في كتاب مكنون ﴾ أي معظم في كتاب معظم محفوظ موقّر ﴿ لا يمسه ﴾ أي هذا الكتاب الذي في السماء ﴿ إلاّ المطهّرون ﴾ يعني الملائكة.وكذا قال ابن عباس وأنس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وابو الشعثاء جابر بن زيد وابو نهيك والسدّي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم .

وروى ابن جرير عن قتادة ﴿ لا يمسّه إلا المطهَّرون ﴾ قال : لا يمسه عند الله إلا المطهَّرون ، فأما في الدنيا يمسّه المجوسي النجس والمنافق الرجس . وقال ابو العاليه : ﴿ لا يمسه إلاّ المطهرون ﴾ ليس أنتم ، أنتم أصحاب الذنوب . وقال ابن زيد : زعمت كفّار قريش أنّ هذا القرآن تنزّلتْ به الشياطين ، فأخبر الله تعالى أنه لا يمسّه إلا المطهرون كما قال تعالى : ﴿ وما تنزّلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون ﴾ وهذا القول قول جيد وهو لا يخرج عن الأقوال التي قبله .

وقال آخرون : ﴿ لا يمسّه إلاَّ المطهَّرون ﴾ أي من الجنابة والحدث . ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب، قالوا والمراد بالقرآن المصحف بدليل ما رواه مسلم عن ابن عمر ٣٣٥ [ان رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو. واحتجّوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في موطئه عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: ٣٣٦ [أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم أن لا يمسّ القرآن إلا طاهر]

وروى أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال: قرأت في صحيفة عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان رسول الله ﷺ قال ٣٣٧ [ولا يمس القرآن إلا طاهر]

وهذه وجادة جيدة قد قرأها الزهري وغيره ، ومثل هذا ينبغي الأخذ به [١] وقوله تعالى : ﴿ تنزيل من رب العالمين ﴾ أي هذا القرآن منزل من رب العالمين وليس هو كما يقولون أنه سحر أو كهانة أو شعر ... !!! بل هو الحق الذي لا مرية فيه وليس وراءه حق نافع . وقوله تعالى : ﴿ أفبهذا الحديث أنتم مدهنون ﴾ أي تريدون أن تمالئوهم فيه وتركنوا إليهم . وقال ابن عباس: أي مكذبون غير مصدقين . وقوله تعالى: ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذّبون ﴾ وقد روي عن علي وابن عباس انهما قرآها : ﴿ وتجعلون شكركم أنكم تكذبون ﴾ كما سيأتي أي تكذّبون بدل الشكر . روى الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: ٣٣٨ [وتجعلون رزقكم : شكركم أنكم تكذّبون ، تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا] وروى مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : ٣٣٩ [ما أنزل الله من السماء من بركة إلاّ أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الغيث فيقولون بكواكب كذا وكذا] انفرد به مسلم من هذا الوجه .

قال قتادة : أما الحسن فكان يقول : بئس ما أخذ قوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله إلاّ التكذيب ، فمعنى قول الحسن هذا : وتجعلون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون به. ولهذا قال تعالى: ﴿ أفبهذا الحديث أنتم مدهنون * وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۞ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۞ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۞ (٨٥) فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۞ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ (٨٧) ﴾

---

(١) قلت : فيما أرى – والله أعلم – أن مس المصحف للجنب حرام . لحديث عمرو بن حزم : (... ولا يمس القرآن إلا طاهر) وإن هذا الحديث وإن كان فيه مقال ، إلا أنه يتقوّى بتعدّد طرقه ، التي يقوي بعضها بعضاً . ولذا قال ابن كثير : (ومثل هذا ينبغي الأخذ به) . وأما قوله تعالى : (لا يمسه إلاّ المطهرون) إنما هو رد على ما زعم كفار قريش ... من أن القرآن تنزلت به الشياطين فأقسم تعالى : (إنه لقرآن كريم ، في كتاب مكنون . لا يمسه إلا المطهرون) أي أن القرآن محفوظ في كتاب مكنون ، لا يمسه أحد إلا المطهرون أي الملائكة الكرام الكاتبون في السماء الدنيا ، كما أن الله ينفي في آية أخرى زعم كفار قريش : (وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون) . والخلاصة : أنه يحرم على الجنب مس المصحف قبل أن يغتسل . لما جاء في الحديث، لا لما جاء في الآية ، والله تعالى أعلم ، وهو الموفق للصواب .

يقول تعالى : ﴿ فلولا إذا بلغت ﴾ أي الروح ﴿ الحلقوم ﴾ أي الحلق وذلك حين الاحتضار. كما قال تعالى: ﴿ كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق * وظن أنه الفراق * والتفّت الساق بالساق * إلى ربك يومئذ المساق ﴾ ولهذا قال ههنا : ﴿ وأنتم حينئذ تنظرون ﴾ أي إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت ﴿ ونحن أقرب إليه منكم ﴾ أي بملائكتنا ﴿ ولكن لا تبصرون ﴾ أي لا ترونهم . كقوله تعالى : ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ وقولُه تعالى : ﴿ فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها ﴾ أي الروح التي بلغت الحلقوم، ترجعونها إلى مقرّها في الجسد. إن كنتم غير محاسبين ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ .

فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم ، إما أن يكون من المقرّبين أو ممن دونهم من أصحاب اليمين وإما أن يكون من المكذبين بالحق ، الضالين عن الهدى ، الجاهلين بأمر الله. ولهذا قال تعالى : ﴿ فأمّا إن كان ﴾ أي المحتضَر ﴿ من المقربين ﴾ وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبّات ، وتركوا المحرّمات والمكروهات وبعض المباحات ﴿ فروح وريحان وجنة نعيم ﴾ أي فلهم روح وريحان ، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت ، كما جاء في حديث البراء ٣٤٠ [ان ملائكة الرحمة تقول أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيّب كنت تعمرينه، أخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان] والروح والريحان معناهما أي رحمة ورزق وفرح وسرور . ﴿ وجنة نعيم ﴾ فقد روى الإمام أحمد عن الإمام الشافعي عن الإمام مالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن كعب عن رسول الله ﷺ قال ٣٤١ [إنما نسمة المؤمن طائر يعلَق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه] . وهذا إسناد عظيم ومتن قويم . ومعنى يعلق : أي يأكل .

قال أبو العالية : لا يفارق أحد من المقرّبين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيقبض

روحه فيه . وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : ٣٤٢ [ان أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في رياض الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش ...] الحديث .

وقوله تعالى : ﴿ وأما إن كان من أصحاب اليمين ﴾ أي وأما إن كان المحتضَر من أصحاب اليمين ﴿ فسلام لك من أصحاب اليمين ﴾ أي تبشرهم الملائكة بذلك وهذا كقوله تعالى : ﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة إلاَّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعَدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون * نزلاً من غفور رحيم . ﴾ وقال البخاري : ﴿ فسلام لك ﴾ أي مسلّم لك أنك من أصحاب اليمين .

وقوله تعالى : ﴿ وأما إن كان من المكذّبين الضالّين فنزل من حميم وتصلية جحيم ﴾ أي وأما إن كان المحتضَر من المكذّبين بالحق الضالّين عن الهدى . ﴿ فنزل ﴾ أي فضيافة ﴿ من حميم ﴾ وهو المذاب يصهر به ما في بطونهم والجلود ﴿ وتصلية جحيم ﴾ أي وتقرير له في النار التي تغمره من جميع جهاته . ثم قال تعالى : ﴿ إن هذا لهو حق اليقين ﴾ أي لا مرية فيه ولا محيد لأحد عنه وهو الخبر اليقين . ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ روى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر الجهني قال : ٣٤٣ [لما نزلت على رسول الله ﷺ : ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ قال « اجعلوها في ركوعكم . ولما نزلت : ﴿ سبّح اسمَ ربّك الأعلى ﴾ قال رسول الله ﷺ اجعلوها في سجودكم] وكذا رواه ابو داود وابن ماجه .

وروى البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ٣٤٤ [كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم] ورواه بقيّة الجماعة إلا أبا داود .

آخر اختصار تفسير سورة الواقعة ولله الحمد والمنة وبه العصمة .



نزلت بعد سورة الزلزلة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ (١) لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ (٢) هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ (٣) ﴾

يخبر تعالى أنه يسبح له ما في التسموات وما في الأرض ، أي من الحيوانات والنباتات ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهنّ وإنْ من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنّه كان حليماً غفوراً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وهو العزيز ﴾ أي الذي خضع له كل شيء ﴿ الحكيم ﴾ في خلقه وأمره وشرعه ﴿ له ملك السموات والأرض يحيي ويميت ﴾ أي هو المالك المتصرف في خلقه حياةً وموتاً وعطاءً ومشيئةً ﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾ أي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . وقوله تعالى : ﴿ هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن ﴾ فقد روى مسلم في صحيحه عن سهيل قال: كان أبو صالح يأمرنا ٣٤٥ [إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول : « اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شرّ كلّ ذي شر أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت الأوّل فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء ،

وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنك الباطن فليس دونك شيء ، أقض عنا الدين وأغننا من الفقر »] وكان يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .

﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ (٤) لَّهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۞ (٥) يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۞ (٦) ﴾

يخبر تعالى عن خلقه السموات والأرض وما بينهما في سته أيام ، ثمّ أخبر تعالى باستوائه على العرش بعد خلقهن وقد تقدم الكلام على هذه الآية وأشباهها في سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته ههنا[1] وقوله تعالى: ﴿ يعلم ما يلج في الأرض[2] ﴾ من حب وقطر وما شابه ﴿ وما يخرج منها ﴾ من نبات وزرع وثمار كقوله تعالى ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البرّ والبحر وما تسقط من ورقة إلاّ يعلمها ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وما ينزل من السماء ﴾ أي من الأمطار والثلوج والبرد والأقدار والأحكام مع الملائكة الكرام وقوله تعالى ﴿ وما يعرج فيها ﴾ أي من الملائكة ، والأعمال كما جاء في الصحيح ٣٤٦ [يرفع إليه عمل الليل قبل النّهار وعمل النّهار قبلَ الليل] وقوله تعالى: ﴿ وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ أي رقيب عليكم شهيد على أعمالكم ـــبصفاتهـــ حيث كنتم وأين كنتم من بر أو بحر في الليل أو النهار في البيوت أو القفار الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه ، فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ، ويعلم سرّكم ونجواكم . كما قال

---

(١) عند الآية رقم /٥٤/ .

(٢) في الوقت الذي أخبر الله عن ذاته العلية أنه مستو على عرشه استواء يليق بجلاله كما فهمه السلف الصالح، يخبر أنه يعلم ما يلج في الأرض ... الآية أي ان ذاته في السماء فوق العرش وعلمه وسع كل شيء... لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. وعلى هذا يقتضي انه جل وعلا معهم بعلمه وسائر صفاته ، ولا يلزم من ذلك انه معهم بذاته فهذا كفر وضلال لأنه يقتضي الحلول ولكنه معهم بصفاته ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

تعالى: ﴿ ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه إلا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرّون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور ﴾ وقد ثبت في الصحيح ٣٤٧[أنّ رسول الله ﷺ قال لجبريل لما سأله عن الإحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فانه يراك »]
وكان الإمام أحمد رحمه الله تعالى ينشد هذين البيتين :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقلْ خلوتُ،ولكنْ قلْ علـيَّ رقيبُ
ولا تحسبنّ اللهَ يغفـلُ ساعـةً ولا أنّ ما تُخفي عليـهِ يغيـبُ

وقوله تعالى : ﴿ له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وأنّ لنا للآخرةَ والأولى ﴾ فجميع ما في السموات والأرض ملك له وإليه المرجع يوم القيامة فيحكم في خلقه بما يشاء، وهو العدل الذي لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة. بل كما قال تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلمُ نفسٌ شيئاً وإن كان مثقال حبّة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ .

وقولُه تعالى : ﴿ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ﴾ أي هو المتصرف في الخلق يقلّب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته ، كما يشاء من طول وقصر واعتدال ، وتقلّب الفصول الأربعة ، كل ذلك بحكمته وتقديره . ﴿ وهو عليم بذات الصدور ﴾ أي يعلم السرائر وإن دقّت وإن خفيت .

آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ (٧) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ (٨) هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَإِنَّ ٱللهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ (٩) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَلِلهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ ٱللهُ ٱلْحُسْنَىٰ

وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ (١٠) مَنْ ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۞ (١١)

أمر تبارك وتعالى بالإيمان به وبرسوله ﷺ على الوجه الأكمل ، والدوام والثبات على ذلك، وحث على الإنفاق مما جعلكم مستخلفين فيه، أي مما هو معكم على سبيل العارية ، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم فأرشد تعالى إلى استعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته ، فإن يفعلوا وإلاّ حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه . وقوله تعالى : ﴿ مما جعلكم مستخلَفين فيه ﴾ فيه إشارة إلى أنه سيكون مخلفاً عنك ، فلعل وارثك أن يطيع الله فيه ، فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك ، أو يعصي الله فتكون قد سعيت في معاونته على الأثم والعدوان. روى الأمام أحمد عن عبدالله بن الشخير قال ٣٤٨ [انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول : ألهاكم التكاثر ، يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلاّ ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت،أو تصدقت فأمضيت»] ورواه مسلم من حديث شعبة به وزاد ٣٤٩ [وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس »] .

وقوله تعالى : ﴿ فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ﴾ ترغيب في الإيمان والإنفاق في الطاعة،ثم قال تعالى : ﴿ وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم ﴾ أيْ وأيّ شيء يمنعكم من الإيمان والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به. وفي صحيح البخاري ٣٥٠ [ان رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه : « أي المؤمنين أعجب إليكم إيماناً » ؟ قالوا : الملائكة ، قال : « وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم » ؟ قالوا فالأنبياء قال : « وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم ؟ » قالوا : فنحن . قال : « وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم ؟ » ولكن أعجب المؤمنين إيماناً قوم يجيئون بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها »] [1] .

وقوله تعالى : ﴿ وقد أخذ ميثاقكم ﴾ يعني بذلك بيعة الرسول ﷺ وقوله تعالى : ﴿ هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ﴾ أي حججاً واضحات ودلائل باهرات ، وبراهين قاطعات. ﴿ ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾ أي من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان ﴿ وإن الله بكم لرؤوف رحيم ﴾ أي في إنزال الكتب ، وإرسال الرسل . ثم حثّهم على الإنفاق فقال جلّ وعلا ، ﴿ وما لكم ألاّ تنفقوا في سبيل الله ولله

(١) راجع سورة البقرة عند قوله تعالى : « الذين يؤمنون بالغيب » .

ميراث السموات والأرض ﴾ أي لا تخشوا فقراً فإن الذي عنده ميراث السموات والأرض سيخلف عليكم الذي تنفقونه . وقال جل وعلا : ﴿ لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ﴾ أي ان قبل الفتح كان الحال شديداً فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون ، وأمّا بعد الفتح فقد ظهر الإسلام ظهوراً عظيماً ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، ولهذا قال تعالى : ﴿ أولئك أعظم درجةً من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى ﴾ والجمهور : على أن المراد بالفتح فتح مكة وعن الشعبي وغيره أن المراد بالفتح ههنا : صلح الحديبية. وقد يُستدَلُّ لهذا القول بما روى الإمام أحمد عن أنس قال ٣٥١ [كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام ، فقال خالد لعبد الرحمن : تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها . فبلغنا أن ذلك ذكِر للنبي ﷺ فقال : « دعوا لي أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهباً ما بلغتم أعمالهم »] ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكّة ... وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : ٣٥٢ [لا تسبوا أصحابي والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه] وقوله تعالى : ﴿ وكلاً وعد الله الحسنى ﴾ يعني المنفقين قبل الفتح وبعده ، كلهم لهم ثواب على ما عملوا وان كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء. ولهذا قال سبحانه : ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ أي فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، ومن فعل ذلك بعد الفتح ، وما ذاك إلاّ لعلمه بقصد الأول وإخلاصه التام وإنفاقه في حال الجهد والقلة والضيق وفي الحديث : ٣٥٣ [سبق درهم مائة ألف] ولا شك عند أهل الإيمان أن الصدّيق أبا بكر رضي الله عنه ، له الحظ الأوفر من هذه الآية فإنه سيّد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء . فإنه أنفق ماله كلّه ابتغاء وجه الله عزّ وجلّ ، ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها . وقوله تعالى : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴾ وهو الإنفاق في سبيل الله بنيّةٍ خالصة ، وعزيمة صادقة دخل في عموم هذه الآية .

روى ابن أبي حاتم عن عبدالله بن مسعود قال ٣٥٤ [لما نزلت هذه الآية : ﴿ من ذا الذي يُقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ﴾ قال أبو الدحداح الأنصاري : يا رسول الله ، وان الله ليريد منا القرض ؟ قال : « نعم يا أبا الدحداح » قال : أرني يدك يا رسول الله قال فناوله يده قال فإني قد أقرضت ربي حائطي ، وله حائط فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها. قال: فجاء ابو الدحداح فناداها يا أم الدحداح . قالت : لبيك ، قال : أخرجي فقد أقرضته ربي عز وجل ـ وفي رواية ـ أنها قالت له : ربح بيعك يا أبا الدحداح

ونقلت منه متاعها وصبيانها وان رسول الله ﷺ قال : « كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح » وفي لفظ « رُب نخلة مدلاة عروقها در وياقوت لأبي الدحداح في الجنة»]

﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱنْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۞ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۞ (١٤) فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۞ (١٥) ﴾

يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين المتصدقين أنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة بحسب أعمالهم كما قال ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿ يسعى نورهم بين أيديهم ﴾ قال : على قدر أعمالهم يمرّون على الصراط ، منهم من نوره مثل الجبل ، ومنهم مَنْ نوره مثل النخلة ، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم ، وأدناهم نوراً من نوره في ابهامه يتّقد مرةً ويطفأ مرةً ، ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير .

وقوله تعالى : ﴿ وبأيمانهم ﴾ قال الضحاك أي وبأيمانهم كتبهم . كما قال تعالى : ﴿ فمن أوتي كتابه بيمينه ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ أي لكم البشارة بجنات تجري من تحتها الأنهار . ﴿ خالدين فيها ﴾ أي ماكثين فيها أبداً ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من

نوركم ﴾ وهذا إخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة في العرصات من الأهوال المزعجة والزلازل العظيمة والأمور الفظيعة ، وإنه لا ينجو يومئذ إلاّ من آمن بالله ورسوله وعمل بما أمر الله وترك ما زجر عنه . وعن ابن عباس: بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نوراً، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه . وكان النور دليلاً من الله إلى الجنّة فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتّبعوهم فأظلم الله على المنافقين فقالوا حينئذ : ﴿ انظرونا نقتبس من نوركم ﴾ فإنّا كنّا معكم في الدنيا قال المؤمنون ﴿ ارجعوا وراءكم ﴾ من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور. وروى ابو القاسم الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : ٣٥٥ «[إنّ الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم ستراً منه على عباده ، وأما عند الصراط فإن الله تعالى يعطي كل مؤمن نوراً ، وكل منافق نوراً ، فإذا استووا على الصراط سلب الله نورَ المنافقين والمنافقات فقال المنافقون انظرونا نقتبسْ من نوركم ، وقال المؤمنون ربّنا أتممْ لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحداً] .

وقوله تعالى : ﴿ فضرب بينهم بسورٍ له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ قال الحسن وقتادة : هو حائط بين الجنة والنار ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هو الذي قال الله تعالى : ﴿ وبينهما حجاب ﴾ وهكذا روي عن مجاهد رحمه الله وغير واحد وهو الصحيح. ﴿ باطنه فيه الرحمة ﴾ أي الجنة وما فيها ﴿ وظاهره من قِبَله العذاب ﴾ أي النار قاله قتاده وابن زيد وغيرهما: والمراد انه سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين ، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه ، فإذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة . ﴿ ينادونهم ألم نكن معكم ﴾ أي ينادي المنافقون المؤمنين أما كنّا معكم في الدار الدنيا،نشهدُ معكم الجمُعاتِ والجماعاتِ ، ونقفُ معكم بعرفات ، ونحضر معكم الغزوات ، ونؤدي معكم سائر الواجبات . ؟ ﴿ قالوا بلى ﴾ أي قال المؤمنون : بلى قد كنتم معنا ﴿ ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرّتكم الأماني ﴾ قال بعض السلف ، أي فتنتم أنفسكم باللذّات والمعاصي والشهوات ، وتربصتم أي أخرّتم التوبة من وقت إلى وقت وتربّصتم بالحق وأهله ﴿ وارتبتم ﴾ أي بالبعث بعد الموت ﴿ وغرّتكم الأماني ﴾ أي قلتم سيغفر لنا وقيل غرّتكم الدنيا ﴿ حتى جاء أمر الله ﴾ أي ما زلتم في هذا حتى جاءكم الموت ﴿ وغرّكم بالله الغرور ﴾ أي الشيطان .

ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين ، إنكم كنتم معنا أي بأبدان لا نيه لها ولا قلوب معها،وإنما كنتم في حيرة وشك ، فكنتم تراءون الناس،ولا تذكرون الله إلاّ قليلاً .

وهذا القول من المؤمنين لا ينافي قولهم الذي أخبر الله تعالى به عنهم حيث يقول : وهو أصدق القائلين : ﴿ كل نفسٍ بما كسبت رهينة إلاّ أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون * عن المجرمين * ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين * حتى أتانا اليقين ﴾ فهذا خرج منهم على وجه التقريع لهم والتوبيخ . ثم قال تعالى : ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ كما قال ههنا : ﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ﴾ أي لو جاء أحدكم اليوم بملءِ الأرض ذهباً ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ما قُبِلَ منه . وقوله تعالى : ﴿ مأواكم النار ﴾ أي هي مصيركم وقوله تعالى : ﴿ هي مولاكم ﴾ أي هي أولى بكم من كلّ منزل على كفركم وارتيابكم وبئس المصير .

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * (١٦) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * (١٧) ﴾

يقول تعالى : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ أي لما آن أن تلين قلوبهم عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له ، وتسمع له وتطيعه . قال ابن عباس : ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن فنزلت هذه الآية رواه ابن أبي حاتم ثم روى هو ومسلم عن ابن مسعود قال : ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلاّ أربع سنين كذا رواه مسلم في آخر الكتاب وأخرجه النسائي وابن ماجه والبزار عن ابن مسعود .

وقوله تعالى : ﴿ ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم ﴾ نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى ، لما تطاول عليهم الأمد بدّلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمناً قليلاً ونبذوه وراء ظهورهم واقبلوا على الآراء المختلفة ، وقلدوا الرجال في دين الله واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد ... ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ أي في الأعمال فقلوبهم فاسدة

وأعمالهم باطلة . كما قال تعالى : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكّروا به ﴾ ولهذا نهى الله المؤمنين ان يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية . وقوله تعالى : ﴿ إعلموا ان الله يحيي الأرض بعد موتها قد بيّنا لكم الآيات لعلّكم تعقلون ﴾ فيه إشارة إلى أن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها ويهدي الحيارى بعد ضلتها ، ويفرج الكروب بعد شدتها . فكما يحيي الأرض الميتة بالغيث الهتان ، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل ، ويولج إليها النور بعد أن كانت مقفلة ، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الضلال سبحانه فهو الحكيم العدل اللطيف الخبير .

﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ * (١٨) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ * (١٩) ﴾

يخبر تعالى عما يثيب به المصّدّقين والمصّدّقات بأموالهم على أهل الحاجة والفقر والمسكنة ﴿ وأقرضوا الله قرضاً حسناً ﴾ أي دفعوه بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله تعالى لا يريدون جزاءً ممن أعطوه ولا شكوراً . ولهذا قال سبحانه ﴿ يضاعف لهم ﴾ أي يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها ، ويزاد على ذلك إلى سبعمائة ضعف . وفوق ذلك ﴿ ولهم أجر كريم ﴾ أي ثواب جزيل حسن ومرجع صالح ومآب كريم . وقوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصدّيقون ﴾ وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صدّيقون عند ربهم ، هم ثلاثة أصناف : يعني المصّدّقين ، والصدّيقين ، والشهداء . كما قال تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين ﴾ ففرّق بين الصدّيقين والشهداء فدلّ على أنهما صنفان . ولا شك أن الصديقَ أعلى مقاماً من الشهيد ، كما رواه مالك بن أنس رحمه الله تعالى في كتابه الموطأ عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : [٣٥٦] « إنّ أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدريّ الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل

ما بينهم » قال : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم . قال « بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » اتفق البخاري ومسلم على إخراجه .

وقوله تعالى: ﴿ والشهداء عند ربهم ﴾ أي في جنات النعيم كما جاء في الصحيحَين :٣٥٧ [إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطلّع عليهم ربك اطلاعة فقال : ماذا تريدون ؟! فقالوا : نحب أن تردّنا إلى الدنيا فنقاتل فيك فنقتل كما قتلنا أول مرة فقال : إني قد قضيت أنهم اليها لا يرجعون] وقوله تعالى : ﴿ لهم أجرهم ونورهم ﴾ أي لهم عند الله عز وجل أجر جزيل ، ونور عظيم يسعى بين أيديهم وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الأعمال والله تعالى أعلم . ولما ذكر السعداء ومآلهم ، عطف بذكر الأشقياء وبيّن حالهم

﴿ ٱعْلَمُوا أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ ٱلْغُرُورِ ۞ (٢٠) سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۞ (٢١) ﴾

يقول تعالى موهناً أمر الحياة الدنيا ومحقّراً لها : ﴿ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ﴾ أي إنّما حاصل أمرها عند أهلها هو هذا... كما قال تعالى : ﴿ زُيّن للناس حبّ الشهوات ... ـ إلى قوله تعالى ـ حسن المآب ﴾ ثم مثّلَ الحياةَ الدنيا بنعمةٍ زائلة فقال عزَّ مِنْ قائلٍ : ﴿ كمثل غيث ﴾ وهو المطر يأتي بعد قنوط الناس كقوله تعالى : ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أعجب الكفار نباتُه ﴾ أي يُعجب الزراع نباته ، وكما يعجب الزراع ذلك ، كذلك تُعجبُ الحياة الدنيا الكفار؛ فإنهم أحرص شيء على الدنيا وأميل الناس إليها. ﴿ ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً ﴾ أي هكذا مثل الحياة الدنيا تكون أولاً شابّةً ثم تكتهل ، ثم تكون عجوزاً شوهاء. ولما كان هذا المثل ـ أي أن الدنيا مثلها كمثل الزرع الذي يكون

أخضر ثم يصفرّ ثم يكون حطاماً ـ دالاً على انقضاء الدنيا وزوالها لا محالة ، وان الآخرة آتية لا محالة حذر الله من أمر الدنيا ورغّب فيما فيها من الخير فقال جلّ جلالُه : ﴿ وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور ﴾ أي وليس في الآخرة إلاّ : إما عذاب شديد . وإمّا مغفرة من الله ورضوان . أما الحياة الدنيا فانها تغرّ من ركن إليها حتى يعتقد أن لا دار سواها . ولا معاد وراءها وهي في حقيقتها حقيرة قليلة بالنسبة إلى دار الآخرة . روى جرير عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :٣٥٨ [لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها] وهذا حديث ثابت في الصحيح . وروى الإمام أحمد عن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ :٣٥٩ [لَلْجنّة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك] انفرد بإخراجه البخاري في الرقاق . ففي هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان ولهذا حثّه تعالى على المبادرة إلى الخيرات وفعل الطاعات وترك المحرمات . فقال عزّ من قائل : ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربّكم وجنّة عرضها كعرض السماء والأرض ﴾ والمراد جنس السماء والأرض[1] وقوله تعالى : ﴿ اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ أي هذا الذي أهّلهم الله له من فضله ومنّه عليهم وإحسانه إليهم . ـ نسأله تعالى أن يوفقنا إلى ذلك . ويؤتينا من فضله ومنّه وإحسانه . سبحانه وتعالى . وجلت عظمته لا إله إلاّ هو ولا ربّ سواه ـ .

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝ (٢٣) ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝ (٢٤) ﴾

---

(١) يخيل إلى البعض أن الجنة في السموات أي ضمنها. فيستشكلون ويتشككون... فيقولون: اذا كانت الجنة عرضها عرض السموات والأرض فكيف تقع في السموات ثم ماذا يبقى من السموات ؟ فالجواب : ليست الجنة مكانها في السموات، أو في إحداها، بل هي مخلوقة مستقلة عن السموات ، إنما سعتها كسعة السموات والأرض معاً وهي فوق السموات ، وسقفها عرش الرحمن كما صحّ في السنّة فإذا فهم هذا ... يزول الاستشكال

يخبر تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ الخليقة فقال جل وعلا : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم ﴾ أي في الآفاق وفي نفوسكم ﴿ إلاّ في كتاب من قبل أن نبرأها ﴾ أي من قبل أن نبرأ البرية ونبرأ النسمة . قال قتادة : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ﴾ هي السنون يعني الجدب ﴿ ولا في أنفسكم ﴾ أي الأوجاع والأمراض قال بلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم ولا خلجان عرق إلاّ بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر . وهذه الآية الكريمة العظيمة ، من أدل دليل على القدريّة نفاة العلم السابق قبحهم الله . وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول ٣٦٠ [قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة . وزاد ابن وهب « وكان عرشه على الماء »] ورواه الترمذي وقال حسن صحيح. وقوله تعالى : ﴿ إنّ ذلك على الله يسير ﴾ أي ان علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابتها طبق ما سيكون في حينها سهل على الله عزّ وجل لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون . وقوله تعالى : ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ أي أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها ، وتقديرنا للكائنات قبل وجودها لتعلموا ان ما أصابكم لم يكن ليخطئكم ، وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم ، فلا تأسوا على ما فاتكم لأنه لو قدر شيء لكان . ﴿ ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ أي أعطاكم أي لا تفخروا على الناس بما أنعم به عليكم ، فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدّكم ، إنما هو عن قدر الله تعالى ورزقه لكم. فلا تتخذوا نعم الله أشراً وبطراً ، تفخرون بها على الناس . ولهذا قال تعالى : ﴿ والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ أي متكبر على الناس متعالٍ عليهم ، ولكن علينا أن نجعل الفرح شكراً ، والحزن صبراً . ثم قال تعالى : ﴿ الذين يبخلونَ ويأمرون الناس بالبخل ﴾ أي يبخلون بما يجب عليهم ويحضّون الناس عليه ﴿ ومن يتولّ ﴾ أي عن أمر الله وطاعته ﴿ فإن الله هو الغني الحميد ﴾ كما قال تعالى حاكياً عن موسى عليه السلام : ﴿ إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد ﴾ .

۞ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ

يقول تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات﴾ أي بالمعجزات . والحجج والدلائل القاطعة . ﴿ وأنزلنا معهم الكتاب ﴾ وهو النقل الصدق ﴿ والميزان ﴾ أي العدل وهو الحق الذي تشهد به العقول السليمة ﴿ ليقوم الناس بالقسط ﴾ أي بالحق والعدل . وهو اتباع الرسل فيما أمروا ونهوا. وهو الحق الذي ما بعده إلا الضلال. كما قال تعالى: ﴿ وتمّت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ﴾ أي صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي .

وقوله تعالى : ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ أي وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه . ولهذا قام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوّة ثلاث عشرة سنة توحى اليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين . وبيان وإيضاح للتوحيد . فلما قامت الحجة على من خالف . شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف . وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذّب به وعانده . ولهذا قال تعالى ﴿ فيه بأس شديد ﴾ يعني السلاح كالسيوف والحراب والسنان والنصال والدروع ونحوها . ﴿ ومنافع للناس﴾ أي في معايشهم كالسكة والفأس والقدوم والمنشار وآلات الحياكة والحراثة . والطبخ والخبز . وما لا قوام للناس بدونه وغير ذلك . وقوله تعالى: ﴿ وليعلمن الله من ينصره ورسله بالغيب ﴾ أي مَنْ نيتّه في حمل السلاح نصرةُ الله ورسوله ﴿ إنّ الله قوي عزيز ﴾ ينصر من ينصره من غير احتياجٍ منه إلى الناس . وإنّما شرع الجهاد ليبلوَ بعضكم ببعض .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ ٱلْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَاءَ رِضْوَانِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝ (٢٧) ﴾

يخبر تعالى أنه منذ أن بعث نوحاً عليه السلام وكذلك إبراهيم عليه السلام، لم ينزّل من السماء كتاباً ولا أرسل رسولاً . ولا أوحى إلى بشرٍ من بعدهما إلاّ من سلالتهما ، حتى كان آخر أنبياء بني اسرائيل عيسى بن مريم الذي بشر من بعده بمحمد صلوات الله وسلامه عليهما ، ولهذا قال تعالى: ﴿ ثم قفّينا على آثارهم برسلنا وقفّينا بعيسى بن مريم وآتيناه

الأنجيل ﴾ وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه : ﴿ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه ﴾ وهم الحواريّون ﴿ رأفةً ﴾ أي رقه وهي الخشية ﴿ ورحمة ﴾ بالخلق. وقوله تعالى: ﴿ ورهبانيّةً ابتدعوها ﴾ أي ابتدعها أمة النصارى ﴿ ما كتبناها عليهم ﴾ أي ما شرعناها وانّما هم التزموها من تلقاء أنفسهم ﴿ إلاّ ابتغاء رضوان الله ﴾ أي ما كتبنا عليهم ما ابتدعوه من الرهبانيّة أي ما شرعناه لهم إنّما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله ﴿ فما رعوها حقّ رعايتها ﴾ لأنهم ابتدعوا في الدين ما لم يأمر به الله، ولم يقوموا حتى بما ألزموا أنفسهم به مما زعموه قربةً إليه تعالى فإن الله لا يتقبَّل قربةً إليه إلاّ بما شرعه ، لا بما ابتدعه الناس .

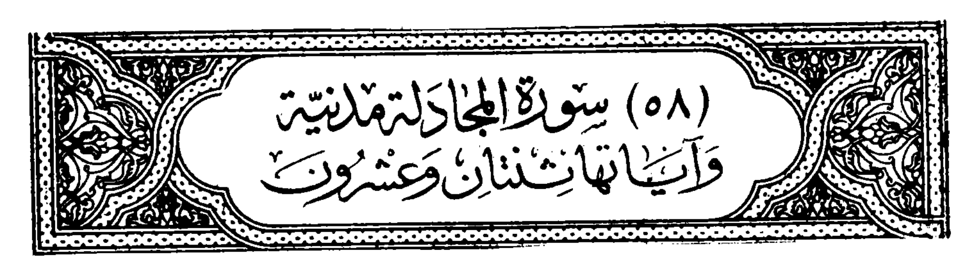
وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : ٣٦١ [يا ابن مسعود قلت : لبيك يا رسول الله . قال : « هل علمت أن بني اسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة لم ينجُ منها إلاّ ثلاثُ فرق ، قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسى بن مريم عليه السلام ، فدعت إلى دين الله ، ودين عيسى بن مريم فقاتلت الجبابرة فقتلت فصبرت ونجت . ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ، فقامت بين الملوك والجبابرة فدعوا إلى دين الله ودين عيسى بن مريم فقتلت وقطعت بالمناشير . وحرّقت بالنيران فصبرت ونجت . ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تطق القيام بالقسط . فلحقت بالجبال فتعبدت وترهَّبت . وهم الذين ذكر الله تعالى: ﴿ ورهبانيّة ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴾ »] .

وروى الحافظ أبو يعلى عن سهل بن أبي أمامة ٣٦٢ [إنه دخل وأبوه على أنس بن مالك في المدينة زمن عمر بن عبد العزيز وهو أمير ، وهو يصلي صلاة خفيفة وقعة كأنها صلاة مسافر أو قريباً منها فلما سلّم قال : يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة ، المكتوبة أم شيء تنفلته ؟ قال إنها المكتوبة وإنها صلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت إلاّ شيئاً سهوت عنه ، أن رسول الله ﷺ كان يقول« لا تشدّدوا على أنفسكم فيشدّد الله عليكم فإن قوماً شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانيّة ابتدعوها ما كتبناها عليهم » ثم غدوا من الغد فقالوا نركب فننظر ونعتبر قال : نعم فركبوا جميعاً فإذا هم بديار قفر قد باد أهلها وانقرضوا وفنوا ، خاوية على عروشها ، فقالوا : أتعرف هذه الديار ؟ قال : ما أعرفني بها وبأهلها هؤلاء أهل الديار أهلكهم البغي والحسد ، ان الحسد يطفىء نور الحسنات والبغي يصدق ذلك أو يكذبه ، والعين تزني والكفّ والقدم والجسد واللسان ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه .] روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ٣٦٣ [أن رجلاجاءه فقال: أوصني ،فقال: سألتَ عمّا سألتُ عنه رسول الله

ﷺ من قبلك « أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض »] تفرّد به أحمد والله تعالى أعلم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * (٢٨) لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * (٢٩) ﴾

قد تقدّم أنه ورد في الصحيح عن أبي موسى الأشعري أنَّ مؤمني أهل الكتاب يؤتون أجرهم مرّتين كما في الآية ٥٤ من سورة القصص [1] قال سعيد بن جبير : لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى هذه الآية في حق هذه الأمة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين ﴾ أي ضعفين ﴿ من رحمته ﴾ وزادهم ﴿ ويجعل لكم نوراً تمشون به ﴾ يعني هدى يتبصّر به من العمى والجهالة ﴿ ويغفر لكم ﴾ ففضلهم بالنور والمغفرة . رواه ابن جرير . وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتّقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفّر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ﴾ روى أحمد عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ :٣٦٤ [مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً فقال : من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ ألا فعملت اليهود ، ثم قال : من يعمل لي من صلاة الظهر إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟ ألا فعملت النصارى ، ثم قال : من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ ألا فأنتم الذين عملتم ، فغضبت النصارى واليهود وقالوا : نحن أكثر عملاً وأقل عطاءً قال : هل ظلمتكم من أجركم شيئاً ؟ قالوا : لا قال : فانما هو فضلي أوتيه من أشاء] ورواه البخاري . قال ابن جرير : ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله ﴾ أي ليتحققوا انهم لا يقدرون على رد ما أعطاه الله ولا إعطاء ما منع ﴿ وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ آخر اختصار تفسير سورة الحديد ولله الحمد والمنة وبه العصمة .



نزلت بعد سورة « المنافقون »

بسم الله الرحمن الرحيم



﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۞ (١) ﴾

روى الإمام أحمد عن عائشة قالت: ٣٦٥ [الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول . فأنزل الله عز وجل : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ﴾] إلى آخر الآية وهكذا رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقاً فقال... فذكره. وأخرجه النسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير من غير وجه عن الأعمش به وزوجها أوس بن الصامت وهي خولة بنت ثعلبة . وكان أوس امرأ به لمم وكان اذا أخذه لممه واشتد به يظاهر من امرأته .

روى ابن أبي حاتم في رواية له عن عائشة أنها قالت ٣٦٦ [تبارك الله الذي أوعى سمعه كل شيء ، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليّ بعضه ، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول يا رسول الله : أكل مالي وأفنى شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني اشكو إليك ، قالت فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ﴾] ..

﴿ ٱلَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا ٱللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۞ (٢) وَٱلَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ

يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ❁ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ❁ (٤)

روى الإمام أحمدعن خويلة بنت ثعلبة قالت ٣٦٧ [فيَّ والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة قالت : كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه ، قالت : فدخل علي يوماً فراجعته بشيء فغضب ، فقال : انتِ عليَّ كظهر أمّي . قالت ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ، ثم دخل عليّ فإذا هو يريدني عن نفسي قالت : قلت كلاّ ، والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إليّ ، وقد قلت ما قلت ، حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه قالت فواثبني فامتنعت منه فغلبتُه بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف ، فألقيته عني. قالت : ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثياباً ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله ﷺ فجلست بين يديه ، فذكرت له ما لقيت منه وجعلت اشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه ، قالت : فجعل رسول الله ﷺ يقول « يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه »

قالت : فوا الله ما برحتُ حتى نزل فيَّ قرآن ، فتغشّى رسول الله ﷺ ما كان يتغشّاه ثم سُرِّيَ عَنْهُ . فقال لي « يا خويلة قد أُنزل الله فيك وفي صاحبك قرآناً — ثم قرأ عليّ — ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إنّ الله سميع بصير — إلى قوله تعالى — وللكافرين عذاب أليم ﴾ قالت : فقال لي رسول الله ﷺ : « مُريه فليُعتق رقبةً » قالت : فقلت يا رسول الله ما عنده ما يعتق. قال : « فليصُمْ شهرَيْن متتابعين » قالت : فقلت والله إنّه لشيخ كبير ما به من صيام. قال : فليطعم ستّين مسكيناً وسقاً من تمر » قالت : فقلت والله يا رسول الله ما ذاك عنده ، قالت : فقال رسول الله ﷺ « فإنّا سنعينه بفرَقٍ من تمر » قالت : فقلت يا رسول الله وأنا سأعينه بفرَق آخر قال : « قد أصبتِ وأحسنتِ فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمّك خيراً » قالت : ففعلت] ورواه أبوَ داود في كتابه الطلاق من سننه وهذا هو الصحيح في سبب نزول هذه السورة. وقصة الذي ظاهر امرأته في شهر رمضان

فوقع عليها ليلاً ليس هو أوس بن الصامت بل هي واقعة جرت بعد قصة أوس بن الصامت وزوجته كما دل عليه سياق تلك وهذه .

وقال خصيف عن مجاهد عن ابن عباس : أول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت وامرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك . رواه ابن جرير .

فقوله تعالى : ﴿والذين يظاهرون منكم من نسائهم ﴾ أصل الظهار مشتق من الظّهر كانوا إذا ظاهر أحدهم من امرأته قال لها : أنت عليّ كظهر أمي ؛ ثم في الشرع كان الظهار في سائر الأعضاء قياساً على الظهر ، وكان الظهار عند الجاهلية طلاقاً ، فأرخص الله لهذه الأمة وجعل فيه كفّارة ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم ؛ هكذا قال غير واحد من السلف . وقوله تعالى : ﴿ ما هنّ أمهاتهم إنْ امهاتهم إلاّ اللائي ولدنهم ﴾ أي لا تصير المرأة بقول الرجل أنت علي كأمّي أو مثل أمي أو كظهر أمي وما أشبه ذلك ، لا تصير أمّه بذلك ، إنما أمه التي ولدته. ولهذا قال تعالى: ﴿ وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً ﴾ أي كلاماً فاحشاً باطلاً ﴿ وإن الله لعفوٌ غفور ﴾ أي عمّا كان منكم في حال الجاهلية ، وهكذا عما خرج من سبق اللسان ، ولم يقصد إليه المتكلم كما رواه ابو داود٣٦٨ [أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول لامرأته: يا أختي ، فقال « أختك هي؟ »] فهذا إنكار ولكن لم يحرمها عليه بمجرد ذلك لأنه لم يقصده ولو قصده لحرمت عليه ، لأنه لا فرق على الصحيح بين الأمّ وبين غيرها من سائر المحارم من أخت وعمة وخالة وما أشبه ذلك .

وقوله تعالى : ﴿ والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا ﴾ قيل العود إلى لفظ الظهار فيكرره وهذا باطل وقال أحمد بن حنبل : هو أن يعود إلى الجماع أو يعزم عليه فلا تحل له حتى يكفّر بهذه الكفارة وفي أحد قولَي مالك انه الجماع وكذلك عن سعيد بن جبير . ويرى الحسن البصري انه الغشيان في الفرج وكان لا يرى بأساً أن يغشي فيما دون الفرج قبل أن يكفّر. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿من قبل أن يتماسّا ﴾ والمس النكاح . وقوله تعالى : ﴿ فتحرير رقبة ﴾ أي فإعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتماسّا والرقبة هنا مطلقة ، وغير مقيدة بالإيمان بينما في كفارة القتل مقيدة بالإيمان ، والشافعي رحمه الله حمل ما أطلق ههنا على ما قيد هناك لاتحاد الموجب وهو عتق الرقبة واعتضد بقوله ﷺ٣٦٩ [« اعتقها فإنها مؤمنة »] [1] .

(١) قلت : فيما يبدو – والله أعلم – أن قول ابن كثير باطلاق الرقبة، بمعنى: تجزيء، كافرة كانت أو مؤمنة؛ أقرب إلى الصواب مما ذهب اليه الشافعي رحمه الله من حمل المطلق على المقيد بالإيمان . ولا سيما وإن ظاهر الآية يدل على الإطلاق في الظهار ، وعلى التقييد بالإيمان، في كفارة القتل ، فلا داعي للحرج .

وروى الحافظ أبو بكر البزار عن ابن عباس قال:٣٧٠ [أتى رسول الله ﷺ رجل فقال : إني ظاهرت من امرأتي ثم وقعت عليها قبل أن أكفر ، فقال رسول الله ﷺ « ألم يقل الله تعالى : ﴿ من قبل أن يتماسا ﴾ » فقال أعجبتني . قال : « أمسك حتى تكفر »] ثم قال البزار لا يروى عن ابن عباس بأحسن من هذا ، واسماعيل بن مسلم تُكلّم فيه وروَى عنه جماعة كثيرة من أهل العلم . وفيه من الفقه أنه لم يأمره إلاّ بكفّارة واحدة . وقوله تعالى : ﴿ ذلكم توعظون به ﴾ أي تزجرون به ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ أي خبير بما يصلحكم عليم بأحوالكم ، وقوله تعالى : ﴿ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعيْن من قبل أن يتماسّا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ﴾ أي على هذا الترتيب : رقبة أو صيام أو إطعام . كما ثبت ذلك أيضاً في الصحيحَين في قصة مجامع امرأته في رمضان .

﴿ ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ﴾ أي شرَعنْا هذا لهذا . وقوله تعالى : ﴿ وتلك حدود الله ﴾ أي محارمه فلا تنتهكوها . وقوله تعالى : ﴿ وللكافرين عذاب أليم ﴾ أي الذين لم يؤمنوا ولا التزموا بأحكام هذه الشريعة ، لا تعتقدوا أنهم ناجون من البلاء، كلا..ليس الأمر كما زعموا . بل لهم عذاب أليم أي في الدنيا والآخرة .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَادُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ۞ (٥) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ (٦) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ (٧)

يخبر تعالى عمن شاقّوا الله ورسوله وعاندوا شرعه ﴿كبتوا كما كبت الذين من قبلهم ﴾ أي أهينوا ولعنوا وأُخزوا ، كما فعل بمن أشبههم ممن قبلهم . ﴿ وقد أنزلنا آيات

بيّنات ﴾ أي واضحات لا يعاندها ولا يخالفها إلاّ كافر فاجر مكابر ﴿ وللكافرين عذاب مُهين ﴾ أي في مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع الله والأنقياد له والخضوع لديه .

ثم قال تعالى : ﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً ﴾ وذلك يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد . ﴿ فينبئهم بما عملوا ﴾ أي فيخبرهم بما صنعو من خير وشر ﴿ أحصاه الله ونسوه ﴾ أي ضبطه الله وحفظه عليهم ، وهم قد نسوا ما كانوا عملوا. ﴿ والله على كلّ شيء شهيد ﴾ أي لا يغيب ولا يخفى عليه شيء ولا ينسىَ . ثم قال تعالى مخبراً عن إحاطة علمه بخلقه ، واطلاعه عليهم وسماعه كلامهم ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا. فقال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة ﴾ أي من سر ثلاثة ﴿ إلاّ هو رابعهم ولا خمسة إلاّ هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلاّ هو معهم أينما كانوا ﴾ أي مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ورسله أيضاً مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له . كما قال تعالى : ﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرَّهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾ ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى ولا شك في إرادة ذلك . ولكن سمعه أيضاً مع علمه محيط بهم وبصره نافذ فيهم ، فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء ، ثم قال تعالى : ﴿ ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴾ قال الإمام أحمد : أفتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۞ (٨) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ (٩) إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ (١٠) ﴾

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد : ﴿ ألم ترَ إلى الذين نُهوا عن النجوى ثم يعودون لما نُهوا عنه ﴾ قال : اليهود ، وكذا قال مقاتل بن حيّان وزاد : ٣٧١ [كان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادعة ، وكانوا إذا مرّ بهم الرجلُ من أصحاب النبيّ ﷺ جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجَوْن بقتله أو بما يكره...فإذا رأى المؤمن ذلك،خشيهم فترك طريقه عليهم ، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا وعادوا إليها ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين نُهوا عن النجوى ثم يعودون لما نُهوا عنه » ﴾] .

وقوله تعالى : ﴿ ويتناجَوْن بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﴾ أي يتحدّثون فيما بينهم بالإثم وهو ما يختص بهم ﴿ والعدوان ﴾ وهو ما يتعلق بغيرهم ، ومنه معصية الرسول ومخالفته يصرّون عليها ويتواصَوْن بها . وقوله تعالى: ﴿ وإذا جاءوك حيّوك بما لم يحيّك به الله ﴾ روى ابن ابي حاتم عن عائشة قالت: ٣٧٢ [دخل على رسول الله ﷺ يهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقالت عائشة : وعليكم السام قالت : فقال رسول الله ﷺ « يا عائشة ان الله لا يحب الفحشَ ولا التفحش » قلت : ألا تسمعهم يقولون السام عليك ؟ فقال رسول الله ﷺ « أو ما سمعت أقول : وعليكم » ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ وإذا جاءوك حيّوك بما لم يحيّك به الله ﴾] وفي رواية في الصحيح ٣٧٣ [أنها قالت لهم : عليكم السام والذام واللعنة وأن رسول الله ﷺ قال : « إنه يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا »] وقوله تعالى : ﴿ ويقولون في أنفسهم لولا يعذّبنا الله بما نقول ﴾ أي يفعلون هذا ويقولون في أنفسهم لو كان هذا نبياً لعذبنا الله بما نقول له في الباطن لأن الله يعلم ما نسرّه . فقال الله تعالى : ﴿ حسبُهم جهنم ﴾ أي جهنّم كفايتهم في الدار الآخرة ﴿ يصلَوْنها فبئس المصير ﴾ ثم قال تعالى مؤدباً عبادَه المؤمنين أن لا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﴾ أي كما تتناجى به الجهلة من كفرة أهل الكتاب ومن مالأهم على ضلالهم من المنافقين ﴿ وتناجوا بالبرّ والتقوىَ واتقوا الله الذي إليه تحشرون ﴾ أي فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي قد أحصاها عليكم ، وسيجزيكم بها .

روى الإمام أحمد عن صفوان بن محرز قال: ٣٧٤ [كنت آخذاً بيد ابن عمر إذ عرض له رجل فقال : كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره **من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟أتعرف ذنب كذا ؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أن قد هلك قال فاني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها**

لك اليوم ثم يعطي كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنــة الله على الظالمين ، أخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة

ثم قال تعالى: ﴿ إنّما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً إلاّ بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ أي إنما النجوى وهي المسارّة حيث يتوهم مؤمن بها سوءً ﴿ من الشيطان ليحزن الذين آمنوا ﴾ أي من تسويل الشيطان للمتناجيَيْن ليسوء المؤمنين وليس ذلك بضارِّهم شيئاً إلاّ بإذن الله ومن أحسّ من ذلك شيئاً فليستعذ بالله وليتوكّل على الله فإنه لا يضرّه شيءٌ بإذن الله تعالى . روى الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ ٣٧٥ [إذا كنتم ثلاثةً فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه] أخرجاه من حديث الأعمش .

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي ٱلْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ ٱللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ ٱللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ (١١) ﴾

يقول تعالى مؤدّباً عباده المؤمنين ويأمرهم أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس ﴾ وقرىءَ في ﴿ المجلس ﴾ ﴿ فأفسحوا يفسحِ الله لكم ﴾ وذلك أن الجزاء من جنس العمل كما جاء في الحديث: ٣٧٦ [من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة] ، ولهذا أشباه كثيرة . ولهذا قال تعالى : ﴿ فافسحوا يفسح الله لكم ﴾ قال قتادة : نزلت هذه الآية في مجالس الذكر ، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله تعالى أن يفسحَ بعضهم لبعض . وقال مقاتل : بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: ٣٧٧ [رحم الله رجلاً يفسح لأخيه] روى الإمام أحمد والشافعي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : ٣٧٨ [لا يُقِمِ الرجلُ الرجلَ من مجلسه فيجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا] اخرجاه في الصحيحين .

وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال : فمنهم من رخص

في ذلك محتجاً بحديث ٣٧٩ «[قوموا إلى سيدكم فأنزلوه] [١] ومنع آخرون محتجين بحديث ٣٨٠ [من أحبَّ أنْ يتمثَّل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار] وقد جاء في السنن انه ٣٨١ [لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكان إذا جاء لا يقومون له لما يعلمون من كراهيته لذلك] وقد روي عن ابن عباس وغيره انهم قالوا في قوله تعالى : ﴿..إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم﴾ في مجالس الحرب . قالوا ومعنى قوله تعالى : ﴿ واذا قيل انشزوا فانشزوا ﴾ أيَ انهضوا للقتال . وقال قتادة إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أي إذا أمروا بالانصراف ان ينصرفوا كقوله تعالى : ﴿ واذا قيل لكم ارجعوا فارجعوا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ﴾ أي لا تعتقدوا أنه اذا فسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل أو إذا أمر بالخروج فخرج أن يكون ذلك نقصاً في حقه ، بل هو رفعة ورتبة عند الله والله تعالى لا يضيع ذلك له بل يجزيه في الدنيا والآخرة.فإن من تواضع لله رفع الله قدره ونشر ذكره ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ أي خبير بمن يستحق ذلك وبمن لا يستحقه .

---

(١) قلت : ليس لهم في هذا الحديث : [قوموا إلى سيدكم فأنزلوه] أية حجة البتة ، لأن أسباب ورود الحديث ما كانت من أجل أن يعظم قوم سعد سعداً بل لأن سعداً كان جريحاً من أثر نبل يوم الأحزاب أصيب به في أكحله ، وكان دعاه رسول الله ﷺ ليحكم في بني قريظة ، فلما أقبل على حماره ، ودنا سعد من خيمة رسول الله ﷺ قال عليه الصلاة والسلام : [قوموا إلى سيدكم فأنزلوه] أي ساعدوه على النزول من على حماره ، لما فيه من الجراح كما تقدم ... راجع تمام القصة في المجلد الثالث سورة الأحزاب الآية ٢٦ و٢٧ .

هذه خلاصة أسباب ورود الحديث ... ومن هنا يتضح الفارق الكبير بين معنى (القيام إلى القادم) وهو : المشي إليه لاستقباله أو لمساعدته ... وهذا هو المراد من قوله ﷺ [قوموا إلى سيدكم] وبين معنى (القيام للقادم) وهو الوقوف اجلالاً واعظاماً له ، فلا يجلسون في مجالسهم حتى يجلس ، أو يقفون على رأسه وهو جالس (كما يفعل الأعاجم بملوكهم) وكل ذلك نهي عنه ﷺ بقوله : [من أحب أن يتمثل الرجال له قياماً فليتبّوا مقعده من النار] أما الذين يحتجون بقوله ﷺ : [قوموا الى سيدكم فأنزلوه] فيسقطون منه ﴿ فأنزلوه ﴾ ليخفوا أسباب القيام إليه ، ثم لم يكتفوا بهذا الاسقاط !!! بل بدلوا [إلى سيدكم] بـ (لسيدكم) حتى يكون معنى القيام للقادم مراداً به الإجلال والتعظيم له ...!؟ وهذا هو التحريف والكذب عمداً على رسول الله ﷺ ذلك حتى يبقوا متعالين على الناس « بابراجهم العالية » و « اخراجهم الفضفاضة » ليتصيّدوا قلوب العامة والبسطاء بهذا الإجلال الفارغ ...!!! وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من أحب ان يتمثل الرجال له قياماً فليتبوأ مقعده من النار) وثبت ان الصحابة ما كانوا يقومون له صلى الله عليه وسلم لما يعلمون من كراهيته لذلك. فهلا برسول الله صلى الله عليه وسلم يقتدون ...؟ وبصحابته الكرام يتأسون !؟ اللهم اهدهم صراطك المستقيم وأصلح شأنهم و ارجعهم إلى أخلاقه صلى الله عليه وسلم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ (١٢) أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ (١٣) ﴾

يأمر تعالى عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله ﷺ أي يساره فيما بينه وبينه، أن يقدم بين يدي ذلك صدقة، تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام. ولهذا قال تعالى : ﴿ ذلك خير لكم وأطهر ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ فإن لم تجدوا ﴾ أي إلاّ من عجز عن ذلك لفقره ﴿ فإن الله غفور رحيم ﴾ فما أمر بها إلاّ من قدر عليها . ثم قال تعالى : ﴿ أأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات ﴾ أي أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول ﴿ فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون ﴾ فنسخ وجوب ذلك عنهم . وقد قيل انه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

روى ابن جرير عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : ٣٨٢[ما ترى ، دينار ؟ قال : لا يطيقون . قال نصف دينار قال : لا يطيقون . قال : ما ترى ؟ قال شعيرة فقال له النبي ﷺ انك لزهيد قال : فنزلت : ﴿ أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات ﴾ قال علي : فبي خفف الله عن هذه الأمة] وقال معمر عن قتادة : ﴿ اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ﴾ انها منسوخة ما كانت إلاّ ساعة من نهار ، وهكذا روى عبد الرزاق عن عليّ : ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت وما كانت إلاّ ساعة .



﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ (١٥) اتَّخَذُوا

أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ❁ (١٦) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ❁ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ❁ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ❁ (١٩)

ينكر الله تعالى على المنافقين موالاتهم للكفار في الباطن ، وهم في نفس الأمر لا معهم ولا مع المؤمنين . كما قال تعالى : ﴿ مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴾ وقال تعالى ههنا : ﴿ ألم تر إلى الذين تولّوا قوماً غضب الله عليهم ﴾ يعني اليهود الذين كان المنافقون يمالئونهم ويوالونهم في الباطن. ثم قال تعالى: ﴿ ما هم منكم ولا منهم ﴾ أي ليسوا في الحقيقة منكم أيها المؤمنون ، ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود . ثم قال تعالى : ﴿ ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ﴾ يعني وهم عالمون بأنهم كاذبون فيما حلفوا وهي اليمين الغموس ، ولا سيما في مثل حالهم اللعين عياذاً بالله منه ، فإنهم أي المنافقون كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، واذا جاءوا الرسول حلفوا له بالله أنهم مؤمنون ، وهم في ذلك يعلمون أنهم يكذبون فيما حلفوا به ، لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه ولهذا شهد الله بكذبهم في إيمانهم وشهادتهم لذلك .

ثم قال تعالى : ﴿ أعد الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ أي أرصد الله لهم العذاب الأليم على موالاتهم للكفار ونصحهم لهم ، ومعاداة المؤمنين وغشهم ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ اتخذوا أيمانهم جنّة فصدوا عن سبيل الله ﴾ أي أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر ، واتقوا بالأيمان الكاذبة ، فاغترّ بهم من لا يعرف حقيقة أمرهم فصدقهم ، فحصل بهذا صدٌّ عن سبيل الله لبعض الناس . ﴿ فلهم عذاب مهين ﴾ أي في مقابلة ما امتهنوا من الحلف باسم الله العظيم في الايمان الكاذبة الحائنة . ثم قال تعالى : ﴿ لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً ﴾ أي لن يدفع ذلك عنهم بأساً إذا جاءهم ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً ﴾ أي يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحداً ﴿ فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم

على شيء ﴾ أي يحلفون بالله عز وجل انهم كانوا على الهدى والاستقامة ، كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا ، لأن من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه ، ويعتقدون ان ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس فيُجرون عليهم الأحكامَ الظاهرة ، ولهذا قال : ﴿ ويحسبون أنهم على شيء ﴾ أي حلفهم ذلك لربهم عزّ وجلّ.

ثم قال تعالى منكراً عليهم حسبانهم : ﴿ ألا إنهم هم الكاذبون ﴾ فأكّد الخبر عنهم بالكذب. روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس ٣٨٣ [أن رسول الله ﷺ ، كان في ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظل قال : « انه سيأتيكم انسان ينظر بعيني شيطان فاذا أتاكم فلا تكلموه » فجاء رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فكلمه فقال : « علام تشتمني أنت وفلان وفلان » نفر دعاهم بأسمائهم قال فانطلق الرجل فدعاهم فحلفوا له واعتذروا إليه . قال فأنزل الله عز وجل ﴿ فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون ﴾] وهكذا رواه الإمام أحمد ورواه ابن جرير . وحال هؤلاء كما أخبر تعالى عن المشركين حيث يقول : ﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلاّ أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين أنظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ﴾ أي استحوذ على قلوبهم حتى أنساهم أن يذكروا الله تعالى وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه . ولهذا روى ابو داود عن أبي الدرداء قال : ٣٨٤ [سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيه الصلاة إلاّ قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة... » ثم قال تعالى: ﴿ ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَادُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ۝(٢٠) كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ (٢١) لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ (٢٢) ﴾

يخبر تعالى عن الكفار المعاندين المحادّين لله ورسوله، يعني الذين هم في حد ، والشرع في حد آخر ، أي مجانبون للحق مشاقوُّن له ﴿ أولئك في الأذلّين ﴾ أي في الأشقياء الأذلّين في الدنيا والآخرة ﴿ كتب الله لأغلبنَّ أنا ورسلي ﴾ أي قد حكم وكتب وقدر بأن النصرة لله ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة ، وإنّ العاقبة للمتقين ، وان النصر للمؤمنين . كما قال تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ أي لا يوادّون المحادّين ولو كانوا من الأقربين . كما قال تعالى : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلاَّ أن تتقوا منهم تقاةً ويحذّركم الله نفسه ﴾ الآية . وقال سعيد بن عبد العزيز انزلت هذه الآية إلى آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر ولهذا قال عمر : لو كان ابو عبيدة حياً لاستخلفته . ــ قلت ــ ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله ﷺ المسلمين في أسارى بدر فأشار الصدّيق بأن يفادوا ، فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين وهم بنو العم والعشيرة. ولعل الله ان يهديهم . وقال عمر : لا أرى ما رأى ، يا رسول الله هل تمكنني من فلان ــ قريب لعمر ــ فأقتله ،وتمكن علياً من عقيل وتمكن فلاناً من فلان ليعلم الله انه ليست في قلوبنا موادّةً للمشركين ... (القصة بكمالها) . وقوله تعالى : ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ أي من اتصف بأنه لا يوادّ من حادّ الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه فهذا ممن كتب في قلبه الإيمان وزينه في بصيرته . وقوله تعالى : ﴿ ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ وهنا سرّ بديع وهو أنه لما سخطوا على الأقارب والعشائر في الله تعالى،عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم ، والفوز العظيم ، والفضل العميم . وقوله تعالى : ﴿ أولئك حزب الله ﴾ أي عباده وأهل كرامته . وقوله تعالى : ﴿ ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ تنويه بفلاحهم في الدنيا والآخرة في مقابلة ما ذكر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان ﴿ ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ .

وقد قال ابن أبي حاتم عن الذيال بن عباد قال : كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري: إعلم أن الجاه جاهان جاه يجريه الله تعالى على أيدي أوليائه لأوليائه ، وانهم الخامل ذكرهم الخفية شخوصهم ، ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله ﷺ ٣٨٥ [ان الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا ، واذا حضروا لم يدعوا ، قلوبهم مصابيح

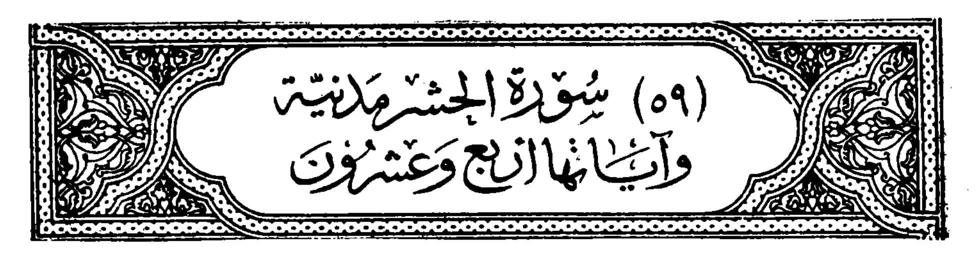
الهدى ، يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة] فهؤلاء أولياء الله تعالى الذين قال الله : ﴿ أولئك حزب اللهُ ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ وروى نعيم بن حماد عن الحسن قال : ٣٨٦ [قال رسول الله ﷺ اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يداً ولا نعمة فإني وجدت فيما أوحيته إلي : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾] [1] .

آخر اختصار تفسير سورة المجادلة ولله الحمد والمنة وبه العصمة وعليه التكلان

* * *

---

(١) مرسل والله أعلم .



نزلت بعد سورة البيّنة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ (١) هُوَ ٱلَّذِي أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ ٱللَّهِ فَأَتَاهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا يَا أُولِي ٱلْأَبْصَارِ ۞ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۞ (٣) ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۞ (٤) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَاسِقِينَ ۞ (٥)

يخبر تعالى ان جميع ما في السموات والأرض من شيء يسبح بحمده ويمجده ويقدسه ويصلّي له ويوحّده. كقوله تعالى: ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلاّ يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ وقولُه تعالى : ﴿ وهو العزيز ﴾ أي منيع الجناب ﴿ الحكيم ﴾ في قدره وشرعه . وقوله تعالى : ﴿ هو الذي أخرج الذين

كفروا من أهل الكتاب﴾ يعني يهود بني النضير . قاله ابن عباس وغيره ولنذكر ملخص غزوة بني النضير على وجه الاختصار وبالله وحده المستعان .

ذكر أصحاب المغازي والسير : وكان سبب ذلك أنه لما قتل أصحاب بئر معونة [١] من أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا سبعين وأفلت منهم عمرو بن أمية الضمري فلما كان في أثناء الطريق راجعاً إلى المدينة قتل رجلين من بني عامر وكان معهما عهد من رسول الله ﷺ وأمان لم يعلم به عمرو ، فلما رجع أخبر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « لقد قتلت رجلين لأودِّينَّهما » وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد فخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير ، ليستعينهم في دية ذينك الرجلين ، وكانت منازل بني النضير ظاهر المدينة على أميال منها شرقيها . فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين قالوا : نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : انكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه — ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم ، فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم فقال : أنا لذلك . فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ... ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم ، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة ثم تبعه أصحابه حتى انتهوا إليه فأخبرهم بما كانت يهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم فسار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل والتحريق فيها ، فنادوه ، ان يا محمد : قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض وتعيبه على من يصنعه فما بال قطع النخل وتحريقها .. ؟ وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبدالله بن أبي ابن سلول ، ووديعة ومالك بن أبي قوقل وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النضير ان اثبتوا وتمنعوا ، فإنَّا لن نُسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وان خرجتم خرجنا معكم . فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا فقذف في قلوبهم الرعْب ، فسألوا رسول الله ﷺ ان يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الأبل من أموالهم إلاّ الحلقة [٢] ففعلوا . فاحتملوا من أموالهم ما استقلّت

(١) قلت : أصحاب بئر معونة هم الذين أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل بكتاب منه فأرسلوا الكتاب مع أحدهم فقتل عامر الرجل واستعدى عليهم القبائل فقاتلوهم وأخذ كل من أصحاب الرسول سيفه وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم إلا عمرو بن أمية الضمري فحزن عليهم رسول الله أشد الحزن وقد تأثر المسلمون كذلك أشد الأثر لأخوانهم في الدين وعزاؤهم بهم بأن لهم الجنة .

(٢) الحلقة – وهي السلاح أي ما عدا أسلحتهم فليس لهم أن يأخذوها معهم .

به الإبل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن ايجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق بـــه فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام وخلّوا الأموال لرسول الله ﷺ فكانت لرسول الله خاصة يضعها حيث يشاء ؛ فقسّمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلاّ سهل بن حنيف وأبا دجانه – سماك بن خرشه – ذكرا فقراً ... فأعطاهما رسول الله ﷺ ، ولم يسلم من بني النضير إلاّ رجلان: يا مين بن عمرو بن كعب، عم عمرو بن جحاش، وابو سعد بن وهب. أسلما على أموالهما فأحرزاها وقيل أن يامين بن عمرو جعل لرجل جعلاً على أن يقتل عمرو بن جحاش – وهو المتآمر على حياة رسول الله ﷺ – فقتله . قاله محمد بن اسحق مختصراً .

قال ابن اسحق : ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها وهكذا روى يونس بن بكير عن ابن اسحق بنحو ما تقدم . فقوله تعالى : ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ يعني بني النضير ﴿من ديارهم لأول الحشر ﴾ أي إلى أرض الشام وقوله تعالى : ﴿ ما ظننتم ان يخرجوا ﴾ أي في مدّة حصاركم لهم وقصرها وكانت ستة أيام مع شدة حصونهم ومنعتها . ولهذا قال تعالى : ﴿ وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فآتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ﴾ أي جاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال . وقال تعالى : ﴿ وقذف في قلوبهم الرعب ﴾ أي الخوف والهلع والجزع ، وكيف لا وقد حاصرهم الذي نصر بالرعب مسيرة شهر ﷺ . وقوله تعالى : ﴿ يخربون بيوتهم بأيديهم وأيـــدي المؤمنين ﴾ وقد تقدم تفسير ابن اسحق لذلك ، وهو نقض ما استحسنوه من سقوفهم وأبوابهم وحملها على الإبل ﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ﴾ أي لعذبهم عذاباً آخر من القتل والسبي ونحو ذلك لأن الله قد كتب عليهم أنه سيعذبهم في الدنيا مع ما أعدّلهم في الدار الآخرة مـــن العذاب في نار جهنم. ولهذا قال تعالى : ﴿ ولهم في الآخرة عذاب النار ﴾ أي حتم لازم لا بدّ منه ﴿ ذلك بأنهم شاقّوا الله ورسوله ﴾ أي إنما فعل بهم ما فعل، لأنهم خالفوا الله ورسوله، وكذبوا بما أنزل الله على رسله المتقدمين في البشارة بمحمد ﷺ، وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم . ثم قال سبحانه : ﴿ ومن يشاقّ الله فإن الله شديد العقاب ﴾ .
وقوله تعالى : ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ﴾ اللينة : ألوان التمر سوى العجوة وذلك ان رسول الله ﷺ لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم ، وإرهاباً وإرعاباً لقلوبهم وكل ذلك بإذن الله تعالى ومشيئته ورضاه وفيه نكاية بالعدوّ وخزي لهم وارغام لأنوفهم .

قال مجاهد : نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل ، وقالوا إنما هي مغانم المسلمين فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه ، وتحليل من قطعه من الإثم ، وإنما قطعه وتركه بإذنه ، وما فعلوا ذلك من القطع والحرق إلا ليستنزلوهم من حصونهم وأمروا بقطع النخل فحاك في صدورهم فقال المسلمون : قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً فلنسألن رسول الله ﷺ هل لنا فيما قطعنا من أجر ؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ ما قطعتم من لينة ... ﴾ .

= ولقد تبارى شعراء المسلمين في وصف هذه الوقعة وما كان فيها من قطع وتحريق وقتل كعب بن الأشرف ، فقالوا قصائد عظيمة امثال حسان بن ثابت وكعب بن مالك وابن القيم العبسي وقيس بن بحر بن طريف تركنا ذكرها احتصاراً واكتفينا بالتنويه عنها فقط ومن رغب الاطلاع على هذه القصائد فليرجع إلى تفسير ابن كثير الأصل . =

﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ (٦) مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ (٧) ﴾

يقول تعالى مبيّناً ما الفيء وما صفته وما حكمه ؛ فالفيء كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب أي لم يقاتلوا الأعداء بالمبارزة والمصاولة بل نزل أولئك من الرعب ما ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول الله ﷺ كما حصل لبني النضير فأفاء الله أموالهم التي تركوها على رسوله ﷺ خاصة ، ولهذا تصرّف في فيء بني النضير كما يشاء ، فردّه على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآيات تعالى : ﴿ وما أفاء الله على رسوله منهم ﴾ أي من بني النضير ﴿ فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ﴾ يعني الإبل ﴿ ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ أي لا يغالب ولا يمانع بل هو القاهر لكل شيء .

ما بين المساويين من كلامي

ثم قال تعالى : ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ أي جميع البلدان التي تفتح هكذا فحكمها حكم أموال بني النضير. ولهذا قال تعالى : ﴿فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ إلى آخرها والتي بعدها فهذه مصارف أموال الفيء ووجوهه.

روى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : ٣٨٧ [كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيلٍ ولا ركابٍ فكانت لرسول الله ﷺ خالصةً ، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنته ، وقال مرة قوت سنته وما بقي جعله في الكراع والسلاح في سبيل الله عز وجل] هكذا أخرجه أحمد ههنا مختصراً ، وقد أخرجه الجماعة في كتبهم إلاّ ابن ماجه .

والمعلوم ان ما تركه رسول الله ﷺ بعد وفاته فهو صدقة لا يرثه أحد لقوله ﷺ ٣٨٨ [لا نورّث ما تركنا صدقة] ولهذا فقد منع ابو بكر الصديق فاطمة مما ترك رسول الله ﷺ مستنداً إلى هذا الحديث وكان ابو بكر على حق في ذلك فلما توفي ابو بكر رضي الله عنه وتولى من بعده الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء بعد زمن من خلافته العباس وعليّ ودخلا عليه فقال العباس : يا أمير المؤمنين ٣٨٩ [إقض بيني وبين هذا فأقبل عليهما عمر وقال : انشدكما بالله الذي باذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمان ان رسول الله ﷺ قال : « لا نورث ما تركناه صدقة » فقالا نعم ... ثم قال : فلما توفي رسول الله ﷺ قال ابو بكر : أنا وليّ رسول الله ﷺ فجئت أنت وهذا إلى أبي بكر تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها فقال ابو بكر رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ « لا نورث ما تركنا صدقة » والله يعلم أنه لصادق بار راشد تابع للحق فوليها أبو بكر . فلما توفي قلتُ أنا ولي رسول الله ﷺ وولي أبي بكر فوليتها ما شاء الله أن أليها ، فجئت انت وهذا وانتما جميع وأمركما واحد فسألتمانيها فقلت إن شئتما فانا أدفعها إليكما على أنّ عليكما عهد الله أن تلياها بالذي كان رسول الله ﷺ يليها ، فأخذتماها مني على ذلك ثم جئتماني لأقضي بينكما بغير ذلك ، والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة فإن عجزتما عنها فرداها إلي .] أخرجوه من حديث الزهري به وكان الذي سألاه : أي العباس وعلي : أموال بني النضير التي كانت خالصة لرسول الله ﷺ والله تعالى أعلم [1] . وقوله تعالى : ﴿كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾

---

(١) بعض حديث مما رواه أبو داود أثبتنا بعضه هنا اختصاراً وبغية الفائدة .

أي جعلنا هذه المصارف لمال الفيء كيلا يبقى مأكلة يتغلب عليها الأغنياء ويتصرّفون فيها بمحض الشهوات والآراء ولا يصرفون منه شيئاً إلى الفقراء .

وقوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ أي مهما أمركم به فافعلوه ، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه ، فانه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شرّ .

روى ابن أبي حاتم عن مسروق قال : ٣٩ [جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت : بلغني أنك تنهي عن الواشمة والواصلة ، أشيء وجدتَه في كتاب الله تعالى أو عن رسول الله ﷺ ؟ قال : بلى شيء وجدتُه في كتاب الله وعن رسول الله ﷺ . قالت : والله لقد تصفّحت ما بين دفتي المصحف فما وجدت فيه الذي تقول قال : فما وجدت فيه ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ؟ قالت : بلى قال : فاني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الواصلة والواشمة والنامصة قالت فلعلّه في بعض أهلك ، قال فادخلي فانظري فدخلت فنظرت ثم خرجت قالت : ما رأيت بأساً فقال لها : أما حفظت وصية العبد الصالح ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ [(١)] وقوله تعالى : ﴿ واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ أي اتقوه في امتثال أوامره وترك زواجره فإنه شديد العقاب لمن عصاه ، وخالف أمره وأباه ، وارتكب ما عنه زجره ونهاه .

﴿ لِلْفُقَرَاءِ ٱلْمُهَاجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ ۞ (٨) وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُوا ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ (٩) وَٱلَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۞ (١٠) ﴾

(١) هو قول شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه .

يبين تعالى حال الفقراء المستحقين لمال الفيء ، أنهم : ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ﴾ أي خرجوا من ديارهم مهاجرين إلى الله ورسوله ، وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه . ﴿ وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾ أي هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم ، وهؤلاء هم سادات المهاجرين . ثم قال تعالى مادحاً للأنصار مبيّناً فضلهم وشرفهم وكرمهم ، وعدم حسدهم وايثارهم مع الحاجة . فقال تعالى : ﴿ والذين تبوّأوا الدار والإيمان من قبلهم ﴾ أي سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم . قال عمر : وأوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم ، وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوّأوا الدار والإيمان من قبل ، أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم . رواه البخاري . وقوله تعالى: ﴿ يحبون من هاجر إليهم ﴾ أي من كرم وشرف نفوسهم ، يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم. قال الإمام أحمد عن أنس قال ٣٩١ [قال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساةً في قليل ولا أحسن بذلاً في كثير ، لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله ، قال : « لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم »] . ﴿ ولا يجدون في صدورهم حاجةً مما أُوتوا ﴾ أي ولا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة « وقوله تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ يعني حاجة أي يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدأون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك . روى البخاريّ عن أبي هريرة قال : ٣٩٢ [أتى رجل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أصابني الجهد ، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً . فقال النبي ﷺ « ألا رجل يضيف هذا الليلةَ رحمه الله » فقام رجل من الأنصار فقال أنا يا رسول الله ، فذهب إلى أهله فقال لامرأته : هذا ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئاً ، فقالت : والله ما عندي إلاّ قوتُ الصبية . قال : فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم ، وتعالي فاطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ، ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال « لقد عجب الله عز وجل – أو ضحك – من فلان وفلانة » وأُنزل الله تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾] وكذا رواه البخاريّ ومسلم والترمذي والنسائي عن فضل بن غزوان به نحوه وفي رواية لمسلم تسميةُ هذا الأنصاري بأبي طلحة رضي الله عنه . وقوله تعالى : ﴿ ومن يوقَ شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ أي من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح .

روى أحمد عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: ٣٩٣ [إياكم والظلم فإن الظلم

ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلّوا محارمهم] إنفرد باخراجه مسلم . وقوله تعالى : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربّنا إنك رؤوف رحيم ﴾ هؤلاء القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء : وهم المهاجرون ثم الأنصار والذين اتبعوهم بإحسان . كما قال في آية براءة ﴿ والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ فالتابعون لهم بإحسان هم المتّبعون لآثارهم الحسنة، وأوصافهم الجميلة ، الداعون لهم في السرّ والعلانية . ولهذا قال تعالى : « في هذه الآية الكريمة : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربّنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً ﴾ أي بغضاً وحسداً ﴿ للذين آمنوا ربّنا إنك رؤوف رحيم ﴾ وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة : أن الرافضي الذي يسب الصحابةَ ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتّصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم ﴿ ربّنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربّنا إنك رؤوف رحيم ﴾ .

قال ابن جرير عن مالك بن أوس بن الحدثان قال : قرأ عمر بن الخطاب : ﴿ إنّما الصدقات للفقراء والمساكين — حتى بلغ — عليم حكيم ﴾ ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرأ : ﴿ واعلموا انّ ما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى ﴾ الآية ثم قال : هذه لهؤلاء ، ثم قرأ : ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولـــذي القربى — حتى بلغ — للفقراء ... والذين تبوّأوا الدارَ والإيمانَ من قبلهم ... والذين جاءوا من بعدهم — إلى قوله تعالى — رؤوف رحيم ﴾ ثم قال : استوعبت هذه المسلمين عامة وليس أحد إلاّ وله فيها حق ثم قال : لئن عشت ليأتينّ الراعي وهو بسرو حمير نصيبه فيها لم يعرَقْ فيها جبينُه .

نصف الحزب

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَـــداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا

لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ۞ (١٢) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ ٱللهِ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۞ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ۞ (١٤) كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ (١٥) كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ ٱللهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ ۞ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذٰلِكَ جَزَاؤُا ٱلظَّالِمِينَ ۞ (١٧)

يخبر تعالى عن المنافقين كعبدِ الله بن أبيٍّ وأضرابه حين بعثوا إلى يهود بني النضير يعدونهم النصر من أنفسهم. فقال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجُن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنّكم ﴾ قال الله تعالى: ﴿ والله يشهد انهم لكاذبون ﴾ أي لكاذبون فيما وعدوهم به إمّا لأنهم قالوا لهم قولاً ، ومقصدهم ان لا يفوا لهم به. وإمّا لأنهم لا يقع منهم الذي قالوه ولهذا قال تعالى: ﴿ ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ﴾ أي لا يقاتلون معهم ﴿ ولئن نصروهم ﴾ أي قاتلوا معهم ﴿ ليولُنّ الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ وهذه بشارة مستقلة بنفسها . ثم قال تعالى : ﴿ لأنتم أشدُّ رهبة في صدورهم من الله ﴾ أي يخافونكم أكثر مما يخافون الله. كقوله تعالى: ﴿ اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ لا يقاتلونكم جميعاً إلاّ في قُرى محصنة أو من وراء جدُر ﴾ يعني أنهم من جبنهم وهلعِهم لا يقدرون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقابلة بل إمّا في حصون أو من وراء جدُرٍ محاصرين فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة ثم قال تعالى : ﴿ بأسهم بينهم شديد ﴾ أي عداوتهم فيما بينهم شديدة . كما قال تعالى : ﴿ ويُذيق بعضكم بأس بعض ﴾ ولهذا قال تعالى: ﴿ تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتّى ﴾ أي

تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف. ﴿ ذلك بإنهم قوم لا يعقلون ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ﴾ كمثل الذين من قبلهم يعني يهود بني قينقاع الذين كان رسول الله ﷺ قد أجلاهم قبل هذا . وقوله تعالى : ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر فلما كفر قال إني بريء منك ﴾ يعني مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالمنافقين الذين وعدوهم النصر فلما جدّ الجد تخلَّوْا عنهم وأسلموهم للمهلكة ، مثالهم في هذا كمثل الشيطان إذ سوّل للإنسان ـ والعياذ بالله ـ الكفر فإذا أجابه تبرأ منه. وقال : ﴿ إني أخاف الله رب العالمين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فكان عاقبتهما أنّهما في النار خالِدَين فيها ﴾ فكان عاقبة الآمر بالكفر والذي كفَر مصيرهما إلى نار جهنم خالِدَيْن فيها ﴿ وذلك جزاءُ الظالمين ﴾ أي جزاء كلّ ظالم .

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ۞ (١٩) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ ۞ (٢٠) ﴾

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ أمرٌ بتقواه وهو يشمل ما به أمر وترك ما عنه زجر. وقوله تعالى : ﴿ ولتنظرْ نفس ما قدمت لغد ﴾ أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبُوا ، وانظروا ماذا ادّخرتم لأنفسكم من الأعمال الصّالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربّكم. ﴿ واتقوا الله ﴾ تأكيد ثانٍ ﴿ إن الله خبير بما تعملون ﴾ أي اعلموا انه سبحانه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم ، لا تخفَى عليه منكم خافية ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير. وقوله تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾ أي لا تنسوا ذكر الله تعالى فينسيكم العملَ لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم ، فإن الجزاء من نوع العمل. ولهذا قال تعالى : ﴿ أولئك هم الفاسقون ﴾ أي الخارجون عن طاعة الله الهالكون يوم القيامة الخاسرون يوم معادِهم. كما قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ لا يستوي أصحابُ النار وأصحاب الجنة ﴾ أي لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في حكم الله تعالى يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا

السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾ وقال تعالى : ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تتذكرون ﴾ وكثيرة الآيات الدالات على ان الله تعالى يكرم الأبرار ويهين الفجار. ولهذا قال تعالى ها هنا : ﴿ أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ أي الناجون المسلّمون من عذاب الله عزّ وجلّ .

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝ (٢١) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝ (٢٢) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ (٢٣) هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ (٢٤) ﴾

يقول تعالى معظّماً لأمر القرآن ، ومبيناً علو قدره ، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب وتتصدّع عند سماعه ، لما فيه من الوعد الحق ، والوعيد الأكيد : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ﴾ أي اذا كان الجبل رغم قساوته وغلظته وصممه لو سمع وفهم هذا القرآن فتدبّر بما فيه لخشع وتصدّع من ثقله ومن خوف الله وخشيته . فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم آياته ؟ وكيف يليق بكم يا أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشيته تبارك وتعالى ... ؟ ولهذا قال جلت عظمته : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ وقد ذكر في الحديث المتواتر ٣٩٤ [ان رسول الله ﷺ لما عمل له المنبر ، وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد، فلما وضع المنبر أول ما وضع وجاء النبي ﷺ ليخطب فجاوز الجذع إلى نحو المنبر ، فعند ذلك حَنَّ الجذعُ وجعل يئنّ كما يئن الصبي الذي يسكت لما كان يُسمَع من الذكر

والوحي عنده] . ففي بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصري بعد إيراده : فأنتم أحقّ أن تشتاقوا إلى رسول الله ﷺ من الجذع . ثم قال تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إلّه إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ﴾ أخبر تعالى أنه هو الذي لا إلّه إلاّ هو فلا ربّ غيره ولا إلّه سواه وكل ما يعبد من دونه فباطل. وأنه عالم الغيب والشهادة أي يعلم الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنّا ، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء من جليل وحقير ، وصغير وكبير حتى الذرّ في الظلمات . وقوله تعالى : ﴿ هو الرحمن الرحيم ﴾ المراد أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات . فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما. كما قال تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إلّه إلاّ هو الملك ﴾ أي المالك لجميع الأشياء المتصرّف فيها بلا ممانعة. وقوله تعالى : ﴿ القدّوس ﴾ أي الذي تقدسه الملائكة الكرام ﴿ السلام ﴾ أي من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وافعاله : ﴿ المؤمن ﴾ قال ابن عباس : أي أمِنَ خلقه من ان يظلمَهم ﴿ المهيمن ﴾ كقوله تعالى : ﴿ والله على كل شيء شهيد ﴾ أي هو الشاهد على خلقه بمعنى رقيب عليهم . وقوله تعالى : ﴿ العزيز ﴾ أي الذي قد عز كلّ شيء فقهره وغلب الأشياء فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه. ولهذا قال تعالى: ﴿ الجبار المتكبّر ﴾ أي الذي لا يليق الجبروت إلاّ لجلاله ، ولا التكبّر إلاّ لعظمته . كما تقدّم في الصحيح ٣٩٥ [العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحداً منهما عذبته] الجبّار المصلح أمور خلقه المتصرّف فيهم بما فيه صلاحهم والمتكبّر يعني عن كل سوء. ثم قال تعالى : ﴿ سبحان الله عما يشركون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ هو الخالق البارئ المصور ﴾ الخلق : التقدير. والبرء : هو تنفيذ وابراز ما قدره وقرره إلى عالم الوجود. والمصور الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها ويختارها .كقوله تعالى : ﴿ في أي صورة ما شاء ركبكَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ له الأسماء الحسنى ﴾ قد تقدّم الكلام على ذلك في سورة الأعراف[1] ونذكر الحديث المروي في الصحيحين عن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ : ٣٩٦ [إن لله تعالى تسعةً وتسعين اسماً مائة إلاّ واحداً، من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر] ورواه ابن ماجه، والترمذي عن أبي هريرة أيضاً وزاد ٣٩٧ [هو الله الذي لا إلّه إلاّ هو الرحمن الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز ، الجبّار المتكبّر ، الخالق، البارئ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكَم ،

(١) راجع تفسير الآية رقم /١٨٠/ المجلد الثاني / من هذا المختصر .

العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبدىء ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحي ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدّم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالي ، المتعالي ، البر التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المعطي ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور .]

وقوله تعالى : ﴿ يسبح له ما في السموات والأرض ﴾ كقوله تعالى : ﴿ تسبّح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شيء إلاّ يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وهو العزيز ﴾ أي فلا يرام جنابه ﴿ الحكيم ﴾ في شرعه وقدره .

* * *

آخر اختصار تفسير سورة الحشر ولله الحمد والمنة وله الشكر والفضل ، وبه التوفيق وعليه التُكلان



نزلت بعد سورة الأحزاب

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * (١) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * (٣)

كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة قصَّةَ حاطب بن أبي بلتعة ، وذلك ان حاطباً هذا كان رجلاً من المهاجرين ، ومن أهل بدر أيضاً ، وكان له بمكة أولاد ومال ولم يكن من قريش أنفسهم ، بل كان حليفاً لعثمان ، فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة لما نقض أهلها العهد أمر المسلمين بالتجهيز لغزوهم وقال ٣٩٨ [اللهم عمِّ عليهم

خبرنا] فعمدحاطب هذا، فكتب كتاباً وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة، يعلمهم بما عزم عليه الرسول ﷺ من غزوهم، ليتّخذ بذلك عندهم يداً فأطلع الله تعالى على ذلك رسول الله ﷺ استجابةً لدعائه، فبعث عليه الصلاة والسلام في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها، وهذا بيّنٌ في هذا الحديث المتّفق على صحته. روى الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه قال: ٣٩٩ [بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبيرُ والمقدادُ فقال: إنطلقوا حتّى تأتوا روضة خاخ فإنّ بها ظعينةً معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تُعادي بنا خيلنا حتّى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة قلنا: أخرجي الكتابَ قالت: ما معي كتاب قلنا: لتُخرجِنَّ الكتابَ أو لتلقِين الثياب، قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها، فأخذنا الكتابَ فأتينا به رسولَ الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعه إلى أناس من المشركين بمكّة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ «يا حاطب ما هذا؟» قال: لا تعجل عليَّ إني كنتُ امرءاً ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهُم بمكّة، فأحببتُ إنْ فاتني ذلك من النَّسب فيهم أن اتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضا بالكفر، بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ «إنه صدقكم». فقال عمرُ دعني أضرب عنقَ هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ «إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله أطّلع إلى أهل بدر فقال: «إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»] وهكذا أخرجه الجماعة إلاّ ابن ماجه من غير وجهٍ وزاد البخاري في كتاب المغازي: فأنزل الله السورة: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتّخذوا عدوي وعدوّكم أولياءَ﴾ وفي لفظ البخاري ... فدَمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم. وجاء في رواية ابن أبي حاتم عن علي... فقال رسول الله ﷺ ٤٠٠ [صدق حاطبُ فلا تقولوا لحاطب إلا خيراً].

فقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخِذوا عدوي وعدوّكم أولياءَ تُلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾ يعني المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم، ونهى عن أن يتّخذوا أولياءَ وأصدقاء كما قال تعالى: ﴿ لا يتّخذ المؤمنون الكافرين أولياءَ من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلاّ أن تتقوا منهم تُقاةً ويحذركم الله نفسه ﴾ ولهذا قَبِلَ رسول الله ﷺ عذرَ حاطب لما ذكر أنه إنّما فعل ذلك مصانعةً لقريش لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد.

روى الإمام أحمد عن حذيفة يقول: ٤٠١ [ضرب رسول الله ﷺ أمثالاً واحداً وثلاثة

وخمسةً وسبعةً وتسعةً ، وإحدى عشر ، قال فضرب لنا منها مثلاً وترك سائرها قال : « إن قوماً كانوا أهل ضعف ومسكنة قاتلهم أهل تجبّرٍ وعداءٍ ، فأظهر الله أهلَ الضعف عليهم فعمدوا إلى عدوهم ، فاستعملوهم ، وسلطوهم فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه » .] وقوله تعالى: ﴿ يخرجون الرسول وإياكم ﴾ هذا مع ما قبله من التهييج على عداوتهم ، وعدمِ موالاتهم ، لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابَه من بين أظهرِهم كراهةً لما هم عليه من التوحيد وإخلاصِ العبادة لله وحده ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وما نقموا منهم إلاّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾ كقوله تعالى : ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حقّ إلاّ أن يقولوا ربنا الله ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي ﴾ أي إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياءَ ، إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي باغين لمرضاتي عنكم ، فلا توالوا أعدائي وأعداءَكم ، وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقاً عليكم وسخطاً لدينكم . وقوله تعالى : ﴿ تُسِرّون إليهم بالمودة ، وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ﴾ أي تفعلون ذلك ، وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر ﴿ ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل * إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ﴾ أي لو قدروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمقال والفعال ﴿ وودّوا لو تكفرون ﴾ أي يحرصون على ان لا تنالوا خيراً فهم عداوتهم لكم كامنة وظاهرة ، فكيف توالون مثل هؤلاء ؟ وهذا تهييج على عداوتهم أيضاً . وقوله تعالى : ﴿ لن تنفعكم أرحامُكم ولا أولادُكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير ﴾ أي قراباتكم لا تنفعكم عند الله إذا أراد بكم سوءً ، ونفعهم لا يصل إليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط الله ، ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر وضلّ عمله ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد ، ولو كان قريباً إلى نبي من الأنبياء . روى الإمام أحمد عن أنس: ٤٠٢ ان رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال في النار فلما قفّى دعاه فقال إن أبي وأباك في النار] رواه مسلم وأبو داود من حديث حماد بن سلمة .

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ

مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۞ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ (٥) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۞ (٦)

يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بعداوة الكافرين والتبرىء منهم: ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ﴾ أي أتباعه الذين آمنوا معه ﴿ إذ قالوا لقومهم إنّا بُرَآءُ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ﴾ أي بدينكم وطريقكم ﴿ وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً ﴾ يعني وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، ما دمتم على كفركم فنحن أبداً نتبرأ منكم ونبغضكم ﴿ حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ أي إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد. وقوله تعالى: ﴿ إلاّ قول إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك ﴾ أي لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسّون بها إلا في استغفار إبراهيم لأبيه، فإنه إنما كان عن موعدةٍ وعدها إيّاه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، وذلك إن بعض المؤمنين، كانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك، ويستغفرون لهم ويقولون إن ابراهيم كان يستغفر لأبيه. فأنزل الله عز وجل ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قُرْبىَ من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم * وما كان استغفارُ إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدةٍ وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرّأ منه إن إبراهيم لأوّاه حليم ﴾ ثم يخبر تعالى عن قول إبراهيم والذين معه حين فارقوا قومهم وتبرّأوا منهم فلجأوا إلى الله وتضرّعوا فقالوا ﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ﴾ أي سلّمنا أمورنا إليك وفوضناها إليك، وإليك مصيرنا في المعاد في الدار الآخرة ﴿ ربنا لا تجعلنا فتنةً للذين كفروا ﴾ أي لا تنصرهم علينا فيفتتنوا بذلك يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقٍ هم عليه، واختاره ابن جرير وعن ابن عباس: لا تسلطهم علينا فيفتنونا.

وقوله تعالى: ﴿ واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ أي واستر ذنوبنا عن غيرك، واعفُ عنها فيما بيننا وبينك ﴿ إنك أنت العزيز ﴾ الذي لا يضامُ من لاذ بجنابك

﴿ الحكيم ﴾ في أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرك ، ثم قال تعالى ﴿ لقد كان لكم فيهم أسوةٌ حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ وهذا تأكيد لما تقدم ، ومستثنى منه ما تقدم أيضاً لأن هذه الأسوة المثبتة ههنا،هي الأولى بعينها وقوله تعالى : ﴿ لمن كان يرجو الله اليوم الآخر ﴾ تهييج إلى ذلك لكل مؤمن بالله والمعاد ، وقوله تعالى : ﴿ ومن يتولَّ ﴾ أي من يعرض عما أمر الله به ﴿ فإن الله هو الغني الحميد ﴾ كقوله تعالى : ﴿ إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فان الله لغني حميد ﴾ قال ابن عباس الغني الذي قد كمل في غناه وهو الله ، هذه صفته لا تنبغي إلاَّ له ليس له كفء وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار والحميد المستحمد إلى خلقه أي هو المحمود في جميع أقواله وأفعاله لا إله غيره ولا رب سواه .



﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * (٧) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * (٩) ﴾

يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين : ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ﴾ أي محبة بعد البغضة ، ومودة بعد النفرة . ﴿ والله قدير ﴾ أي على الجمع بين الأشياء المتنافرة ، فيؤلف بين القلوب بعد العداوة فتصبح مجتمعة ، كما قال تعالى : ممتناً على الأنصار ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾ الآية... وكذا قال لهم النبي ﷺ ٤٠٣ [ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ، وكنتم متفرّقين فألفكم الله بي؟ »] وقوله تعالى : ﴿ والله غفورٌ رحيمٌ ﴾ أي يغفر للكافرين إذا تابوا منه إلى ربّهم واسلموا له .

وقوله تعالى : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ﴾ أي يعاونوا على إخراجكم أي لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لم

يقاتلوكم في الدين كالنساء والضعفة منهم ﴿ أن تبروهم ﴾ أي تحسنوا إليهم ﴿ وتقسطوا إليهم﴾أي تعدلوا﴿ ان الله يحب المقسطين ﴾ روى الإمام أحمد عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: ٤٠٤[قدمتْ أمّي وهي مشركة في عهدِ قريش إذ عاهدوا، فأتيت النبيّ ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أمّي قدمتْ وهي راغبة أفأصِلها ؟ قال: « نعم صِلي أمَّكِ ») أخرجاه .

وقوله تعالى: ﴿ إن الله يحب المقسطين ﴾ كما ورد في الحديث الصحيح: ٤٠٥ [المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش ، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما وُلُّوا][1]

وقوله تعالى : ﴿ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولّوهم ﴾ أي إنما ينهاكم عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة فقاتلوكم وأخرجوكم وعاونوا على إخراجكم ، ينهاكم الله عز وجل عن موالاتهم ويأمركم بمعاداتهم . ثم أكد الوعيد على موالاتهم فقال: ﴿ ومن يتولّهم فأولئك هم الظالمون ﴾ كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولّهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ .

يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَٱسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ (١٠) وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ۝ (١١)

(١) راجع الآية رقم /٩/ من سورة الحجرات رقم /٤٩/ .

تقدم في سورة الفتح ، ذكر صلح الحديبية الذي وقع بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش فكان فيه :٤٠٦ [...على أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ، وفي رواية : على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلاّ رددته الينا .] وهذا قول عروة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد والزهري ومقاتل بن حيان والسدي فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للسنّة . وهذا من أحسن أمثله ذلك ؛ وعلى طريقة بعض السلف ناسخة . فان الله عز وجل أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن ، فإن علموهن مؤمناتٍ فلا يرجعوهن إلى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن، وقد ذكرنا في المسند الكبير عن عبدالله بن أبي أحمد قال :٤٠٧ [هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، فخرج أخواها عمارة والوليد حتى قدما على رسول الله ﷺ ، فكلماه فيها أن يردّها إليهما ، فاستثنى الله من العهد بينه وبين المشركين في النساء خاصةً . فمنعهم أن يردّوهنّ إلى المشركين . وأنزل الله آية الامتحان .] قال ابن جرير عن أبي نصر الأسدي قال : سئل ابن عباس كيف كان أمتحان رسول الله ﷺ النساء ؟ قال : كان يمتحنهن :٤٠٨ [بالله ما خرجت من بغض زوج ، وبالله ما خرجت رغبةً عن أرض إلى أرض ، وبالله ما خرجت التماس دنيا ، وبالله ما خرجت إلاّ حبّاً لله ولرسوله ؟] .

وقوله تعالى : ﴿ فإن علِمتموهن مؤمناتٍ فلا ترجعوهن إلى الكفَار ﴾ فيه دلالة على أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقيناً . وقوله تعالًى : ﴿لا هنّ حل لهم ولا هم يحلون لهن﴾ هذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين ، وقد كان جائزاً في ابتداء الإسلام أن يتزوج المشركُ المؤمنةَ . ولهذا كان أمر أبي العاص بن الربيع زوج ابنةِ النبيّ ﷺ زينب رضي الله عنها ، وقد كانت مسلمةً وهو على دين قومه ، فلما وقع في الأسارى يوم بدر بعثت زينب في فدائه بقلادة لها كانت لأمها خديجة رضي الله عنها ، فلما رآها رسول الله ﷺ رقّ لها رقّة شديدة، وقال للمسلمين : ٤٠٩ [إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها فافعلوا] ففعلوا . فأطلقه رسول الله ﷺ على أن يبعث ابنته إليه ، فوفى له بذلك وصدَقه فيما وعدَه وبعثها إلى رسول الله ﷺ مع زيد بن حارثة رضي الله عنه ، فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر . وكانت سنة اثنتين إلى أن أسلم زوجها ابو العاص ابن الربيع سنة ثمان فردها عليه بالنكاح الأول ولم يحدِثْ لها صَداقاً. كما روى الإمام أحمد عن ابن عباس: ٤١٠ [أن رسول الله ﷺ رد ابنتهَ زينبَ على أبي العاص، وكانت هجرتها قبل إسلامه بست سنين على النكاح الأول ولم يحدث شهادة ولا صداقاً] وأما حديث عمر بن شعيب عن ابيه عن جده :٤١١ [ان رسول الله ﷺ رد ابنته زينب على أبي العاص بمهرٍ جديدٍ ونكاحٍ جديدٍ]

ضعفه الإمام أحمد وغير واحد والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ وآتوهم ما أنفقوا ﴾ يعني أزواج المهاجرات من المشركين ادفعوا اليهم الذي غرموه عليهن من الأصدقة وقوله تعالى : ﴿ ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن ﴾ يعني اذا اعطيتموهن أصدقتهن فانكحوهن أي تزوجوهن بشرطه من انقضاء العدة والولي وغيره وقوله تعالى : ﴿ ولا تمسكوا بعصم الكوافر ﴾ تحريم من الله عزّ وجل على عباده المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن . وفي الصحيح : ٤١٢[أن الرسول ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية ، جاءه نساء من المؤمنات فأنزل الله عز وجلّ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات — إلى قوله — ولا تمسكوا بعصم الكوافر ﴾ فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين ، تزوّج إحداهما معاويةُ بن أبي سفيان والأخرى صفوانُ بن أميّة] . وقوله تعالى : ﴿ واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ﴾ أي وطالبوا بما أنفقتم على أزواجكم اللاتي يذهبن إلى الكفار إن ذهبن ، وليطالبوا بما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين .

وقوله تعالى : ﴿ ذلكم حكم الله يحكم بينكم ﴾ أي في الصلح واستثناء النساء منه والأمر بهذا كلّه هو حكم الله يحكم به بين خلقه ﴿ والله عليم حكيم ﴾ أي عليم بما يصلح لعباده حكيم في ذلك ، ثم قال تعالى : ﴿ وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا ﴾ قال العوفي عن ابن عباس يعني إن لحقت امرأةُ رجلٍ من المهاجرين بالكفّار أمر له رسول الله ﷺ أن يعطىَ مثل ما أنفق من الغنيمة وهكذا قالَ مجاهد ﴿ فعاقبتم ﴾ أصبتم غنيمةً من قريش أو غيرهم ﴿ فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا ﴾ يعني مهر مثلها .

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ (١٢) ﴾

روى البخاريُّ عن عائشةَ : ٤١٣[أن رسول الله ﷺ كان يمتحِنُ من هاجر إليه من المؤمناتِ بهذه الآية : ﴿ يا أيها النبيُّ ... إلى قوله ... غفور رحيم ﴾ قالت عائشة فمن أقر

بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ « قد بايعتُكِ » كلاماً ولا والله ما مست يده يدَ امرأة في المبايعة قط ، ما بايعهن إلاّ بقوله « قد بايعتُكِ على ذلك] هذا لفظ البخاريّ. ومن بعض الحديث للإمام أحمد عن أميمة بنت رقيقة : ٤١٤ [...قلنا يا رسول الله ألا تصافحنا ؟ قال : إني لا أصافح النساءَ إنما قوْلي لامرأةٍ واحدة قَوْلي لمائة امرأة] هذا إسناد صحيح .

وروى الإمام أحمد عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال : ٤١٥ [جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله ﷺ تبايعه على الإسلام فقال : « أبايعكِ على أن لا تشركي بالله شيئاً ولا تسرقي ولا تزني ولا تقتلي ولدك ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ولا ولا تنوحي ولا تبرجي تبرج الجاهليةِ الأولىٰ »] وروى الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت قال : ٤١٦ [كنا عند رسول الله ﷺ في مجلس فقال «تبايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم – قرأ الآية التي أخذت على النساء اذا جاءك المؤمناتِ – فمن وفّى منكم فأجرُه على الله ومن أصابَ من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وان شاء عذبه »] أخرجاه في الصحيحين . وروى الإمام أحمد عن عائشة بنت قدامة بن مظعون قالت : ٤١٧ [أنا مع أمي رائطة بنت سفيان الخزاعية والنبي ﷺ يبايع النسوة ويقول : أبايعكن على أن لا تشركنَ بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنينَ ولا تقتلنَ أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينَهَ بين أيديكُن وأرجلِكن ولا تَعصيني في معروف – قلن : نعم – فيما استطعتنَّ فكُن يقلن وأقول معهن وأمي تقول لي اي بنيَّة نعم فكنت أقولُ كما يقلنَ .]

روى البخاري عن أم عطية قالتْ : ٤١٨ ..[ونهانا عن النياحة فقبضَتِ امرأة يدَها قالت أسعدتني فلانة فأريد أن أجزيَها ، فما قال لها رسول الله ﷺ شيئاً ، فانطلقت ورجعتْ فبايعَها »] ورواه مسلم .

وروى ابن أبي حاتم عن عائشة قالت : ٤١٩ [جاءت هندُ بنت عتبة إلى رسول الله ﷺ لتبايعه فنظر إلى يدها فقال : « اذهبي فغيري يدك » فذهبت فغيرتها بحناء ثم جاءت فقال : « أبايعُك على أن لا تُشركي بالله شيئاً » فبايعته وفي يدها سواران من ذهب فقالت : ما تقول في هذين السوارين ؟ فقال : « جمرتان من نار جهنم »] .(١)

فقوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك ﴾ أي من جاءك منهن يبايع على هذه الشروط فبايعها على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن أموال الناس الأجانب ،

(١) قلت : وهذا دليل لمن يقول بحل الذهب للنساء ما سوى الطوق والسوارَيـْن والخاتم . إضافة إلى أدلةٍ صحيحة أخرى .

فأما اذا كان الزوج مقصراً في نفقتها، فلها أن تأكل من ماله بالمعروف. ما جرت به عادة أمثالها وإن كان من غير علمه، عملاً بحديث هند بنت عتبة انها قالت: ٤٢٠ [يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بنيَّ، فهل عليَّ جناح إن أخذتُ من ماله بغير علمه؟ فقال رسول الله ﷺ: «خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك»] أخرجاه في الصحيحين.

وقوله تعالى: ﴿ولا يزنين﴾ كقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشةً وساء سبيلاً﴾ وقوله تعالى: ﴿ولا يقتلن أولادهن﴾ وهذا يشمل قتله بعد وجوده، كما كان أهلُ الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق، ويعم قتله وهو جنين كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء، تطرح نفسها لئلا تحبل إما لغرض فاسد أو ما أشبهه.

وقوله تعالى: ﴿ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾ قال ابن عباس يعني لا يُلحقن بأزواجهن غير أولادهم. وكذا قال مقاتل ويؤيد هذا الحديث الذي رواه ابو داود عن أبي هريرة: ٤٢١ [أنه سمع رسول الله ﷺ يقول حين نزلت آية الملاعنة: «أيـما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء، ولن يدخلها الله الجنة. وايـما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين»] وقوله تعالى: ﴿ولا يعصينك في معروف﴾ يعني فيما أمرتهن به من معروف ونهيتهن عنه من منكر، فلا يخمشن وجهاً، ولا ينشرن شعراً، ولا يشققن جيباً، ولا يدعين ويلاً.

وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ٤٢٢ [ليس منا من ضرب الخدود، وشقّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية.] وفي الصحيحين أيضاً عن أبي موسى: ٤٢٣ [أن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة والحالقة والشاقة].

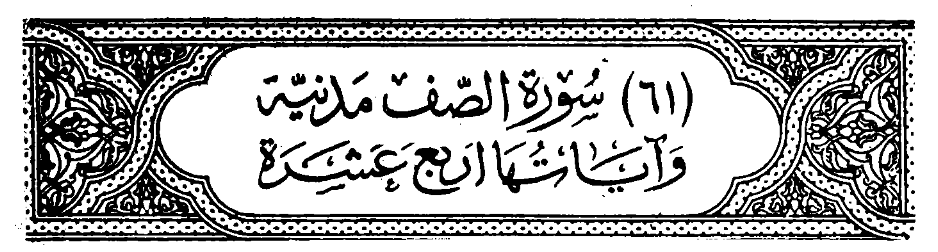
﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ ٱلْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْقُبُورِ ۝ (١٣)﴾

ينهى الله تعالى عن موالاة الكفار في آخر هذه السورة، كما نهى عنها في أولها. فقال تعالى: ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تتولّوا قوماً غضب الله عليهم﴾ يعني اليهود والنصارى

وسائر الكفار ممن غضب الله عليهم ولعنهم واستحقوا من الله الطرد والإبعاد ، فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاءَ وأخلاء، وقد يئسوا من الآخرة أي من ثواب الآخرة ونعيمها، في حكم الله عز وجل. وقوله تعالى: ﴿ كما يئس الكفار من أصحاب القبور ﴾ فيه قولان : أحدهما كما يئس الكفار الأحياء من قراباتهم الذين في القبور ان يجتمعوا بهم بعد ذلك لأنهم لا يعتقدون بعثاً ولا نشوراً فقد انقطع رجاؤهم منهم فيما يعتقدونه. والثاني معناه : كما يئس الكفار الذين هم في القبور من كل خير . وعن ابن مسعود : كما يئس الكافر إذا مات وعاين ثوابه واطلع عليه – فيما لو كان مؤمناً – .

* * *

آخر اختصار تفسير سورة الممتحنة ولله الحمد والمنـــة .



نزلت بعد سورة التغابن

روى الإمام أحمد عن عبدالله بن سلام قال: ٤٢٤ [تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله: أي الأعمال أحبُ إلى الله فلم يقم أحدٌ منّا، فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلاً فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة، يعني سورة الصف كلّها.]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ۞ (٤) ﴾

قد تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم﴾ غير مرة [1] بما أغنى عن إعادته. وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ إنكار على من يعد وعداً أو يقول قولاً لا يفي به. وثبت في الصحيحَين أن رسول الله ﷺ قال: ٤٢٥ [آية المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا اؤتُمن خان] ولهذا أكد الله تعالى بقوله جلّ وعز: ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ قال ابن عباس: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد

(١) راجع تفسير الآية الأولى من كل من سورتي الحشر والحديد المجلد /٤/

يقولون : لوددنا ان الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به ، فأخبر نبيه ﷺ ان أحب الأعمال إيمان به لا شك فيه ، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشقّ عليهم أمرهُ فقال الله سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لمَ تقولون ما لا تفعلون ﴾ .

وقوله تعالى ﴿ ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾ هذا إخبار منه تعالى بمحبة عباده المؤمنين الذين اذا صفّوا مواجهين لأعداء الله تعالى في حومة الوغى ، يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لتكون كلمة الله هي العليا ، ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان . يحب أن يكونوا كالبنيان ملتصق بعضه ببعض. روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :٤٢٦ [ثلاثة يضحك الله إليهم : الرجل يقوم من الليل، والقوم إذا صفوا للصلاة والقوم إذا صفوا للقتال] وقال قتادة: ﴿ كأنّهم بنيان مرصوص ﴾ ألم ترَ إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه ، فكذلك الله عزّ وجلّ لا يحبُّ أن يختلفَ أمره وأن الله صف المؤمنين في قتالهم ، وصفّهم في صلاتهم ، فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ ۝ (٥) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝ (٦) ﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران ﷺ انه قال لقومه : ﴿ لمَ تؤذونني وقد تعلمون أني رسولُ الله إليكم ﴾ أي لمَ تؤذونني وتعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة ، وهذا تسليةٌ لمحمد ﷺ فيما أصابه من كفّار قومه وغيرهم . وفيه حض للرسول على الصبر ، وللمؤمنين نهي عن إيذاء نبيهم مثل قوم موسى . وقوله تعالى : ﴿ فلمّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ أي فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به ، أزاغ الله قلوبهم

عن الهدى وأسكنها الشك والحيرةَ والخذلانَ. كما قال تعالى : ﴿ ونقلّب أفئدتهم وأبصارَهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ وقولُه تعالى : ﴿ وإذ قال عيسى ابنُ مريم يا بني إسرائيل إنّي رسولُ الله إليكم مصدّقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾ يعني أن التوراة قد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرتْ عنه ، وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد ، فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياءِ بني إسرائيل ، وقد أقام في ملأِ بني إسرائيل مبشراً بمحمدٍ ﷺ وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالةَ ولا نبوّةَ بعده . أحسن ما روى البخاري عن جبير بن مطعم قال : سمعت رسول الله ﷺ : ٤٢٧ [إن لي أسماء ... أنا محمد، أنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذي يُحشرُ الناس على قدمي وأنا العاقب] رواه مسلم .

قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتابٍ وحكمة ثم جاءكم رسولٌ مصدّق لما معكم ، لتؤمنن به ولتنصرنّه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررْنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ قال ابن عباس ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهدَ لئن بعث محمد وهو حيٌّ ليتّبعنَّهُ وأخذَ عليه أن يأخذَ على أمته لئن بعث محمد وهم أحياءُ ليتبعُنَّه وينصرنّه .

وقوله تعالى : ﴿ فلما جاءَهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾ قال ابن جرير : فلما جاءهم أحمد أي المبشّر به في الأعصار السالفة وهو محمد ﷺ أي لما ظهر أمره وجاء بالبيّنات قال الكفَرةُ والمخالفون : ﴿ هذا سحر مبين ﴾ .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى ٱلْإِسْلَامِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ۞ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ ۞ (٨) هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۞ (٩) ﴾

يقول تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام ﴾ أي لا أحد أظلم ممن يفتري الكذب على الله ويجعل له أنداداً وشركاء وهو يدعى إلى التوحيد

والإخلاص ، ولهذا قال تعالى : ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ يريدون ليطفئوا نورَ الله بأفواههم ﴾ أي يحاولون أن يردّوا الحق بالباطل ، ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يُطفىء شعاعَ الشمس بفيه ، وكما أن هذا مستحيلٌ فذلك مستحيلٌ. ولهذا قال تعالى : ﴿ والله متم نورِه ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهرَه على الدين كلِه ولو كره المشركون ﴾ ولقد تقدّم الكلام على هاتين الآيتين في سورة براءة بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة (١) .

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ ٱللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ * (١٣) ﴾

تقدم من حديث عبدالله بن سلام أن الصحابة رضي الله عنهم ارادوا أن يسألوا رسول الله ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ليفعلوه ، فأنزل الله تعالى هذه السورة ومن جملتها هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ﴾ ثم فسر هذه التجارة فقال تعالى : ﴿ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خيرٌ لكم إنْ كنتم تعلَمون ﴾ أي من تجارة الدنيا والكد لها ثم قال تعالى : ﴿ يغفرْ لكم ذنوبكم ﴾ أي إنْ نفذتم أوامره ويدخلكم جنّاتِه والدرجات العالياتِ . ولهذا قال تعالى : ﴿ ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبةً في جناتِ عدنٍ ذلك الفوز العظيم ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ وأخرى تحبونها ﴾ أيْ وأزيدكم زيادةً تحبّونها وهي : ﴿ نصرَ من الله وفتح قريب ﴾ أي إذا قاتلتم في سبيل دينِه يضمن نصركم.وقال تعالى : ﴿وفتح قريب ﴾ أي عاجلٌ ، وهكذا فمن أطاع الله ورسوله ونصر دينَه له النصر والفتح متّصلاً بنعيم الآخرة ﴿ وبشّرِ المؤمنينَ ﴾ .

(١) راجع الآية / ٣٢ / ورقم / ٣٣ / من سورة التوبة المجلد / ٢ /

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ۝ (١٤) ﴾

يأمر تعالى عباده المؤمنين ان يكونوا أنصارَ الله حالاً وقالاً ، ونفساً ومآلاً . وأن يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى عليه الصلاة والسلام حين قال لهم : ﴿ من أنصاري إلى الله ﴾ أي من يعينني على الدعوة إلى الله تعالى ؟ ﴿ قال الحواريون ﴾ وهم أتباعُ عيسى عليه السلام : ﴿ نحن أنصارُ الله ﴾ أي أنصارك على ما أُرسلتَ به. ولهذا بعثَهم دعاةً إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين واليونانيين . وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول في أيام الحج ٤٢٨] من رجل يؤويني حتى أبلغ رسالةَ ربي فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ رسالةَ ربي] حتى قيّض الله له الأوس والخزرجَ من أهل المدينة ، فبايعوه وآزروه ، وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم . فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وفوا بعهودهم ، ولهذا سمّاهم الله ورسوله الأنصار وصار ذلك علَماً عليهم رضي الله عنهم وأرضاهم . وقوله تعالى : ﴿ فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة ﴾ أي اهتدت طائفةٌ منهم بما جاء به ، وضلّت طائفةٌ فخرجت عن هديه ورمُوه وأمّه بالعظائم. وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى ما شاء الله ، وغلت فيه طائفة ممن اتّبعوه حتى رفعوه فوق ما رفعه الله، فافترقوا شيعاً وفرقاً : فمن قائل: أنه هو ابنُ الله، وقائل إنه ثالثُ ثلاثة : الأب ، والأبن ، وروح القدس ، ومن قائل أنه الله والعياذ بالله تعالى . ﴿ فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم ﴾ أي ناصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى ﴿ فأصبحوا ظاهرين ﴾ أي عليهم ، وذلك ببعثة محمد ﷺ .

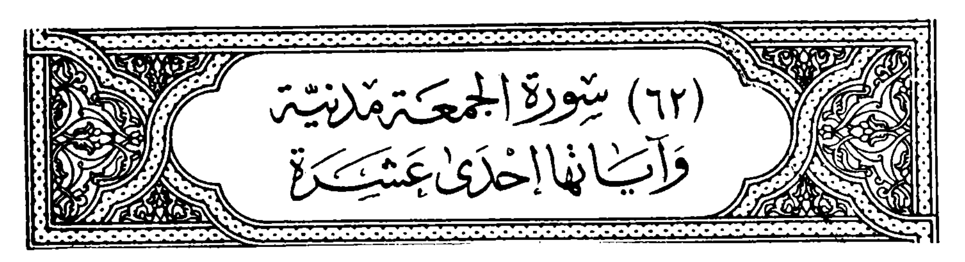
كما قال ابن جعفر بن جرير رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أراد الله عز وجل أن يرفع عيسى عليه السلام إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلاً من عين في البيت ورأسه يقطر ماءً فقال : إن منكم من يكفر بي إثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي . ثم قال : أيكم يلقي عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي ؟ قال فقام شاب من أحدثهم سناً فقال : أنا . فقال له : اجلس . ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا . فقال أجلس ، ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا . فقال :

نعم أُنت ذاك . قال فألقي عليه شبهُ عيسى ، ورُفع عيسى عليه السلام من روزنة البيت إلى السماء . وجاء الطلب من اليهود فأخذوا شبيهَه فقتلوه ، وصلبوه ، وكفر به بعضهم ، وتفرّقوا فيه ثلاثَ فِرقٍ . فقالت فرقة : كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء (اليعقوبية) . وقالت فِرقة : كان فينا ابنُ الله ما شاء الله ثم رفعه إليه ، وهؤلاء : (النسطورية) وقالت فِرقة كان فينا عبدالله ورسوله ما شاء الله ، ثم رفعه الله إليه ، وهؤلاء « المسلمون » فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً ﷺ ﴿ فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرتْ طائفةٌ ﴾ يعني الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسى عليه السلام والطائفة التي آمنت في زمن عيسى ﴿ فأيدنا الذين آمنوا على عدوّهم فأصبحوا ظاهرين ﴾ بإظهار محمدٍ ﷺ دينَهم على دين الكفار . ورواه النسائي .

فأمةُ محمدٍ ﷺ لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتيَ أمر الله وهم كذلك وحتى يقاتل آخرهم الدجالَ مع المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح . والله تعالى أعلم .

* * *

آخر اختصار تفسير سورة الصف ولله الحمد والمنّة وبه العصمة وعليه التُّكلان



نزلت بعد سورة الصف

عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم: ٤٢٩ [أن رسولَ الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجُمعة بسورة الجُمعة والمنافقين] رواه مسلم في صحيحه .

بسم الله الرحمن الرحيم

حزب ٥٦

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝ (١) هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ (٢) وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ (٣) ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝ (٤) ﴾

يخبر تعالى أنه يُسبِّح له ما في السموات وما في الأرض ، أي من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها ، كما قال تعالى : ﴿ وإنْ من شيءٍ إلاّ يسبح بحمدِهِ ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ الملكِ القدّوس ﴾ أي مالك السموات والأرض المتصرف فيهما بحكمه وهو المقدس ، أي المنزّه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال ﴿ العزيزِ الحكيم ﴾ تقدم تفسيرهما غير مرة. وقوله تعالى : ﴿ هو الذي بعثَ في الأميين رسولاً منهم ﴾ الأميّون هم العرب

وتخصيص الأميّين بالذكر لا ينفي من عداهم . ولكن المنّة عليهم أبلغُ وأكثرُ . كما قال تعالى : ﴿ وإنه لذكرٌ لك ولقومِك ﴾ وهو كذلك ذكرٌ لغيرهم يتذكرون به . وكقوله تعالى : ﴿ وأنذرْ عشيرتَك الأقربين ﴾ وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ إلى غير ذلك منَ الآيات الدالة على عموم بعثته . صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق ، أحمرهم وأسودهم وقد تقدم تفسير ذلك في سورة الأعراف بالآيات والأحاديث الصحيحة (١) . وهذه الآية هي مصداق إجابة دعوة إبراهيم عليه السلام : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك انتَ العزيزُ الحكيم ﴾ فبعثه الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة على حين فترة من الرسل وطموس من السبل ، وقد اشتدت الحاجةُ إليه ولهذا قال تعالى: ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين ﴾ وذلك أن العرب كانوا متمسكين بدين إبراهيم عليه السلام فبدّلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركاً وباليقين شكاً ، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله تعالى كما فعل أهلُ الكتاب الذين بدلوا كتبَهم وحرفوها وأولوها ، فبعث الله محمداً ﷺ بشرعٍ عظيم كامل شاملٍ يدعو الجميعَ إلى ما يقرّبهم الى الجنة وما يبعدهم عن النار .

وقوله تعالى : ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ﴾ روى الإمام ابو عبدالله البخاري رحمه الله تعالى عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : ٤٣٠ [كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجُمعة ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ﴾ قالوا : من هُمْ يا رسول الله ؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثاً ، وفينا سلمان الفارسي فوضع رسول الله ﷺ يدَه على سلمان الفارسي . ثم قال : لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال ــ أو رجل ــ من هؤلاء] ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير من طرق بالسند إلى أبي هريرة به ففي هذا دليل على أن هذه السورة مدنية وعلى عموم بعثته ﷺ إلى جميع الناس ولهذا كتب كتبَهُ إلى فارسَ والرومِ وغيرِهم من الأمم يدعوهم إلى الله عز وجل. وقال مجاهد وغيرُه في قوله تعالى : ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ﴾ قال هم الأعاجم وكل من صدّق النبي ﷺ من غيرِ العرب. وقوله تعالى: ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ أي ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره .

---

(١) راجع الآية /١٥٨/ من سورة الأعراف رقم /٧/ والمراد بالأحمر والأسود أي الناس جميعا عربهم وعجمهم إلى يوم القيامة .

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا ٱلتَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ ٱللهِ وَٱللهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ❁ (٥) قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ❁ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ❁ (٧) قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ ٱلْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ❁ (٨) ﴾

يقول تعالى ذامّاً لليهود الذين أُعطوا التوراة وحُمِّلُوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها، مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً. أي إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها فهو يحملها حملاً حسيًّا لا يدري ما عليه، وكذلك اليهود في حملهم التوراة التي أوتوها حفظوها لفظاً ولم يتفهموها ولا عملوا بمقتضاها، بل أوّلوها وحرّفوها وبدّلوها فهم أسوأ حالاً من الحمير، لأن الحمارَ لا فهم له، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها. ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ وقال تعالى هاهنا: ﴿ بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ٤٣١: [من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً والذي يقول له أنصت ليس له جمعة] ثم قال تعالى: ﴿ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياءُ لله من دون الناس فتمنّوا الموتَ إنْ كنتم صادقين ﴾ أي إن زعمتم أنّكم المهتدون دون محمد وأصحابه فادعوا بالموت على الضالّ من الفئتين إن كان زعمُكم صادقاً. ثم قال الله تعالى: ﴿ ولا يتمنّونه أبداً بما قدّمت أيديهم ﴾ أي بسبب ما يعملون من الكفر والظلم والفجور ﴿ والله عليم بالظالمين ﴾ وقد قدّمنا الكلام في سورة البقرة على هذه المباهلة لليهود [1] ومباهلة النصارى في آل عمران [2] ومباهلة المشركين في سورة مريم [3] روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال:

---

(١) راجع تفسير الآية رقم ٩٤و٩٥ من سورة البقرة المجلد الأول من هذا المختصر ص /٧٨و٧٩/. (٢) راجع الآية /٦١/ آل عمران المجلد /١/ ص /٢٧٨. (٣) راجع الآية ٧٥ من سورة مريم المجلد /٣/.

٤٣٢ [قال أبو جهل لعنه الله : إن رأيت محمداً عندَ الكعبة لآتينّه حتى أطأَ على عنقه.قال : فقال رسول الله ﷺ « لو فعل لأخذته الملائكة عياناً . ولو أن اليهود تمنَوا الموتَ لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهِلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً »] رواه البخاري والترمذي والنسائي .

وقوله تعالى : ﴿ قل إن الموتَ الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردُّون الى عـالم الغيب والشهادة فينبّئكم بما كنتم تعملون ﴾ كقوله تعالى في سورة النساء : ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروجٍ مشيَّدة ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِنْ يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنْتَشِرُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا مِنْ فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ (١٠) ﴾

إنما سميت الجمعةُ جمعةً لأنها مشتقّةٌ من الجمْعِ فإن أهل الاسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرةً بالمعابد الكبار . هو اليوم السادس الذي أكمل الله فيه جميع الخلائق ، وفيه خلق آدمُ ، وفيه أُدخل الجنّةَ ، وفيه أُخرِج منها ، وفيه تقومُ الساعةُ ، وفيه ساعةٌ لا يوافقها عبدٌ مؤمنٌ يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح .

وكان يقال له في اللغة العربية القديمة يوم العروبة ، وثبت أن الأمم قبلنا أُمروا بـه فضلّوا عنه . روىَ مسلم في صحيحِه : ٤٣٣ [أضل الله عن الجمعة من كان قبلَنا ، فكان لليهود يومُ السبت وكان للنصارى يومُ الأحد ، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعةِ فجعل الجمعةَ والسبتَ والأحد ، وكذلك هم تبعٌ لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا ، والأولون يوم القيامة المقضيُّ بينهَم قبلَ الخلائق] وأخرجه البخاريُّ كلاهُمـا عن أبي هريرةَ .

وقد أمرَ الله المؤمنين في هذا اليوم بالاجتماع لعبادته فقال جلَّ وعلا : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعَوْا إلى ذكر الله ﴾ أي اقصدوا واعمدوا ، واهتمُّوا في سيركم إليها . كقوله تعالى : ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ﴾

وأما المشي السريع فليس هو المقصود فانه منهيٌّ عنه لما أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ٤٣٤ [إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا ، فما أدركتم فصلّوا وما فاتكم فأتموا] فالمقصود المشيُ لا السريع فقد روى عبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٤٣٥ [إذا أقيمتِ الصلاة فلا تأتوها تسعَوْن ولكن ائْتوها تمشونَ ، وعليكم السكينةُ والوقارُ فما أدركتم فصلّوا وما فاتكم فأتِمّوا] ويستحب لمَن جاءَ الجمعةَ أنْ يغتسل قبل مجيئه إليها لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ، وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ ٤٣٦[إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل]

روى الإمام أحمد عن أوس بن أوس الثقفي قال : ٤٣٧ [سمعت رسول الله ﷺ يقول « من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكّر وابتكر ومشي ولم يركب ، ودنا من الإمام ، واستمع ولم يلغُ كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها »] وهذا الحديث له طرق وألفاظ ، وقد أخرجه أهل السنن الأربعة وحسنه الترمذي . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال : ٤٣٨[من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى [٢] فكأنما قرّب بدنةً ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرّب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرّب كبشاً أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرّب دجاجةً ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضةً ، فإذاً خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر] أخرجاه .

ويستحب لبس أحسن الثياب والتطيّب ، والتسوّك والإنصات للخطيب وعدم أذية أحد فإن فعل ما تقدّم وصلّى الجمعة كانت صلاتُه كفارةً لما بينَها وبين الجمعة الأُخرى وقوله تعالى: ﴿ إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيعَ ﴾ والمراد : النداء الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله ﷺ إذا خرج فجلس على المنبر فإنه كان حينئذٍ يؤذن بين يديه فهذا هو المراد وذلك النداء هو الذي يحرُم عنده الشراءُ والبيعُ إذا نوديَ به . أما النداءُ ... الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فإنما كان لكثرة الناس . وقد اتّفق العلماء رضي الله عنهم على تحريم البيع بعد النّداء الثاني . واختلفوا هل يصح إذا تعاطاه متعاطٍ أم لا ؟ على قولين وظاهر الآية عدم الصحّة كما هو مقرّرٌ في موضعه .

---

(١) قال البعض إنه يفيد الوجوب لا الاستحباب . (٢) أي إلى المسجد لصلاة الجمعة .

ويؤمَر بحضور الجمُعة الرجالُ الأحرارُ دون العبيد والنساء والصبيان ، ويعذر المسافر والمريض ، وقيم المريض ، وما أشبهَ ذلك من الأعذار كما هو مقرّر في كتبِ الفروع .

وقوله تعالى : ﴿ ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون ﴾ أي ترككم البيعَ وإقبالكم إلى ذكرِ الله وإلى الصلاة خيرٌ لكم في الدارين . وقوله تعالى : ﴿ فإذا قضيتِ الصلاةُ ﴾ أي فُرِغَ منها ﴿ فانتشِروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ (١) لمّا حجر عليهم في التصرّف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض،والابتغاء من فضل الله . وقوله تعالى : ﴿ واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ أي في حالِ بيعِكم وشرائِكم ، وأخذِكم وعطائِكم اذكروا الله ذِكراً كثيراً ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة ، ولهذا جاء في الحديث ٤٣٩ [من دخل سوقاً من الأسواق فقال : لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، له الملكُ وله الحمد وهو على كل شيء قدير كتَبَ الله له ألفَ ألف حسنةٍ ومحا عنه ألفَ ألف سيّئةٍ]

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝ (١١) ﴾

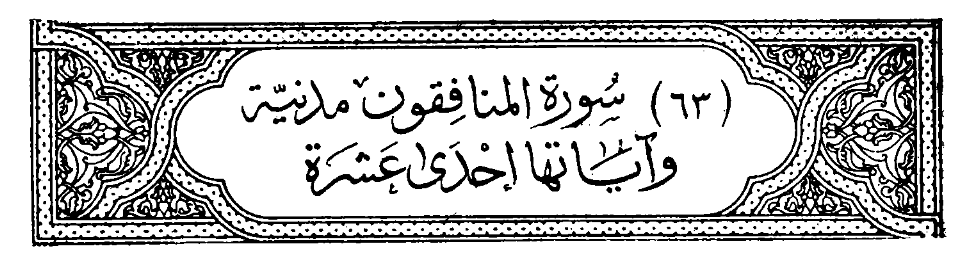
يعاتِب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة ، يوم الجمعة ، إلى التجارة التي قدمتِ المدينةَ يومئذ . فقال تعالى : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً ﴾ أي على المنبر تخطب . روى الإمام أحمد عن جابر قال : ٤٤٠ [قدمتْ عيرٌ مرةً المدينةَ ورسولُ الله ﷺ يخطب فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلاً فنزلت : ﴿ وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضوا إليها ﴾] أخرجاه . روى الحافظ أبو علي عن جابر ابن عبد الله قال : ٤٤١ [بينما النبيُّ ﷺ يخطب يومَ الجمعة قدمتْ عيرٌ الى المدينةفابتدرَها أصحابُ رسول الله ﷺ ، حتى لم يبقَ مع رسول الله ﷺ إلاّ اثنا عشرَ رجلاً ، فقال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي ناراً » ونزلت هذه الآية : ﴿ وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً ﴾ وقال : وكان في الاثني عشر الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما]

(١) وهذا دليل على عدم مشروعية أية صلاة مفروضة بعد الجمعة إلا صلاة العصر ولنا رسالة في الموضوع « حكم الشرعة في صلاة الظهر بعد الجمعة » .

وفي قوله تعالى : ﴿ وتركوك قائماً ﴾ دليلٌ على أن الإمامَ يخطب يوم الجمعة قائماً .

وقد روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال : ٤٤٢ [كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس] ولكن ههنا شيء ينبغي أن يعلم وهو : أن هذه القصَّة قد قيل إنها كانت لما كان رسول الله ﷺ يقدّم الصلاةَ يوم الجمعة على الخطبة ، كما رواه أبو داود في كتاب المراسيل عن ابن حيان: [كان رسول الله ﷺ يصلي يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين ...)وقوله تعالى : ﴿ قل ما عند الله ﴾ أي من الثواب في الآخرة : ﴿ خيرٌ من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ﴾ أي لمن توكل عليه وطلب الرزق في وقته .

آخر اختصار تفسير سورة الجمعة ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة



نزلت بعد سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۞ (١) ٱتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۞ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۞ (٤) ﴾

ربع الحزب

يخبر تعالى عن المنافقين أنهم يتفوّهون بالإسلام إذا جاءوا النبيَّ ﷺ ، فأما في الباطن فعلى الضدّ تماماً . ولذا قال سبحانه: ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ﴾ أي اذا واجهوك أظهروا لك ذلك وليسوا كذلك . ولهذا اعترض بجملة مخبرة انه لرسول الله فقال عز وجل : ﴿ والله يعلم إنك لرسوله ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ لأنهم لا يعتقدون بصحّة ما يقولون ، ولهذا كذّبهم الله تعالى . وقوله تبارك اسمه : ﴿ اتّخذوا أيمانهم جُنَّةً فصدّوا عن سبيل الله ﴾ أي اتقوا الناس بالأيْمان الكاذبة

ليُصدّقوا فيما يقولون فاغترّ بهم من لا يعرف حقيقتَهم واعتقدوا أنهم مسلمون، فربما اقتدى بهم فيما يفعلون، وصدّقهم فيما يقولون، فسبّبوا للإسلام والمسلمين ضرراً كبيراً. ولهذا قال تعالى: ﴿ فصدّوا عن سبيل الله إنّهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ وقولُه تعالى: ﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ أي إنّما قدّر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفر [1] واستبدالهم الضلالة بالهدى، فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون. أي فلا يصل إلى قلوبهم هدى،ولا يخلص إليها خير فلا تعي ولا تهتدي.

وقوله تعالى: ﴿ وإذا رأيتهم تعجبُك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لهم ﴾ أي أشكالهم حسنة وألسنتهم فصاحٌ، يُصغي السامع إلى أقوالهم لبلاغتها،ومع ذلك فهم في غاية الهلع والجبن. ولهذا قال تعالى: ﴿ يحسبون كلّ صيحةٍ عليهم ﴾ أي كلما وقع أمر يحسبون لجبنهم أنه نازلٌ بهم. كما قال تعالى: ﴿ أشحّة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد ﴾ ...

ولهذا قال تعالى: ﴿ هم العدوّ فاحذر هم قاتلهم الله أنّى يؤفكون ﴾ أي كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال. وقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ٤٤٣ [إن للمنافقين علامات يُعرَفون بها: تحيتُهم لعنة، وطعامهم نهبة، وغنيمتهم غلول، ولا يقربون المساجد إلا هجراً، ولا يأتون الصلاة إلاّ دبُرا، مستكبرين لا يألفون ولا يُؤلفون، خشبٌ بالليل، صخبٌ بالنهار]

۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۞ (٥) سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ ۞ (٦) هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ

(١) وهكذا ... فالجزاء من نوع العمل.

وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ❁ (٧) يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ❁ (٨)

يخبر تعالى عن المنافقين أنهم : ﴿ إذا قيل لهم تعالوا يستغفرْ لكم رسول الله لووْا رؤوسهم﴾ أي صدُّو وأعرضوا عما قيل لهم استكباراً عن ذلك واحتقاراً لِمَا قيلَ لهم. ولهذا قال تعالى : ﴿ ورأيتهم يصدّون وهم مستكبرون ﴾ ثم جازاهم على ذلك بقوله تعالى : ﴿سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ كما قال تعالى في سورة براءة ، وقد تقدم الكلام على ذلك وإيراد الأحاديث المرويّة هنالك (١) .

وقد ذَكر غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل في عبدالله بن أبي ابن سلول كما سنورده قريباً إنْ شاء الله تعالى ، وبه الثقة وعليه التُّكلان .

وقد قال محمد بن اسحق في السيرة : ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، يعني مرجعه من أحُد ، وكان عبدالله بن أبي ابن سلول ـ كما حدثني ابن شهاب الزهري ـ له مقام يقومُه كلُّ جمعة لا ينكر شرفاً له من نفسه ومن قومه ، وكان فيهم شريفاً إذا جلس النبيُّ ﷺ يومَ الجمعة وهو يخطب الناسَ قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم أكرمكم الله به ، وأعزكم به ، فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا . ثم يجلس حتى إذا صنع يومَ احُدٍ ما صنع ، يعني مرجعه بثلث الجيش ورجع الناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ... فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس ، أي عدو الله لست لذلك بأهل ، وقد صنعتَ ما صنعتَ ... فخرج يتخطّى رقاب الناس، وهو يقول : والله لكأنما قلت بُجْراً (٢) أإن قمتُ أشدد أمرَه ، فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا : ويلكَ مالك ؟ قال : قمتُ أشدد أمرَه فوثب عليَّ رجال من أصحابه يعنفونني ، قالوا ويلك إرجعْ يستغفرْ لك رسول الله ﷺ ... فقال : والله ما أبتغي أن

(١) راجع الآيات ٨٠ ـ ٨٤ من سورة التوبة المجلد الثاني من هذا المختصر .
(٢) بجراً : أي أمراً عظيماً عجيباً .

يستغفرَ لي . وقال قتادة والسدّي : أنزلت هذه الآية في عبدالله بن أُبَيْ وذلك أن غلاماً من قرابته انطلق إلى رسول الله ﷺ ، فحدثه بحديث عنه وأمر شديد ، فدعاه رسول الله ﷺ ، فإذا هو يحلف بالله ويتبرأ من ذلك . وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام فلاموه وعزلوه وأنزل الله فيه ما تسمعون وقيل لعدو الله : لو أتيتَ رسول الله ﷺ ، فجعل يلوي رأسه أي : لستُ فاعلاً .

روى الحافظ أبو بكر البيهقي عن جابر بن عبدالله يقول ٤٤٤ [كنّا مع رسول الله ﷺ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري : يا للأنصار ! وقال المهاجري : يا للمهاجرين ! فقال رسول الله ﷺ : « ما بال دعوى الجاهلية ؟ دعوها فإنها منتنة »]

وقال عبدالله بن أُبَيْ بن سلول : وقد فعلوها ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجَنّ الأعزُّ منها الأذلَّ ؛ قال جابر : وكان الأنصار بالمدينة أكثرَ من المهاجرين حين قدم رسول الله ﷺ ، ثم كثر المهاجرون بعد ذلك ، فقال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق ؛ فقال النبيُّ ﷺ « دعهُ لا يتحدث الناس ان محمداً يقتل أصحابه »] ورواه أحمد والبخاري ومسلم به نحوه .

روى الإمام أحمد عن زيد بن أرقم قال : ٤٤٥ [كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقال عبدالله بن أبي : لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنّ الأعزُّ منها الأذلَّ قال : فأتيت النبي ﷺ فأخبرته ، قال : فحلف عبدالله بن أُبَيْ انه لم يكن شيء من ذلك ، قال : فلامني قومي فقالوا : ما أردت إلى هذا ؟ قال فانطلقت فنمت كئيباً حزيناً قال : فأرسل إليَّ نبي الله ﷺ فقال : « إن الله قد أنزل عذرك وصدقك » قال فنزلتْ هذه الآية ﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضّوا — حتى بلغ — لئن رجعنا الى المدينة ليُخرِجنّ الأعزُّ منها الأذلّ ﴾ » ورواه البخاريُّ عند هذه الآية ورواه الترمذيّ والنسائي عندها أيضاً .

وقال محمد بن اسحق بن يسار : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ٤٤٦[ان عبدالله بنَ عبد الله بنَ أُبي لما بلغه ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبدالله بنُ أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلاً فمرني به فأنا أحمِل إليكَ رأسَه — فوالله لقد علمتِ الخزرجُ ما كان لها من رجلٍ أبر بوالده مني ، إني أخشى أن تأمرَ به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر الى قاتل عبدالله بن أبي يمشي في

الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار فقال رسول الله ﷺ: « بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا »]

وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما: ٤٤٧[أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبدالله بن عبد الله هذا على باب المدينة ، واستل سيفه فجعل الناس يمرّون عليه فلما جاء أبوه عبدالله بنُ أبي قال له ابنهُ : وراءك ! فقال : مالك ويلك ؟ فقال : والله لا تجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فإنه العزيز وأنت الذليل ، فلما جاءَ رسول الله ﷺ وكان إنما يسير [١] ساقة فشكا إليه عبدُالله بنُ أُبَيّ ابنَهُ فقال ابنُه عبدالله : والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له فأذن له رسول الله ﷺ فقال : أما إذا أذن لك رسول الله ﷺ فَجزِ الآنَ] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۞ (٩) وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ (١١) ﴾

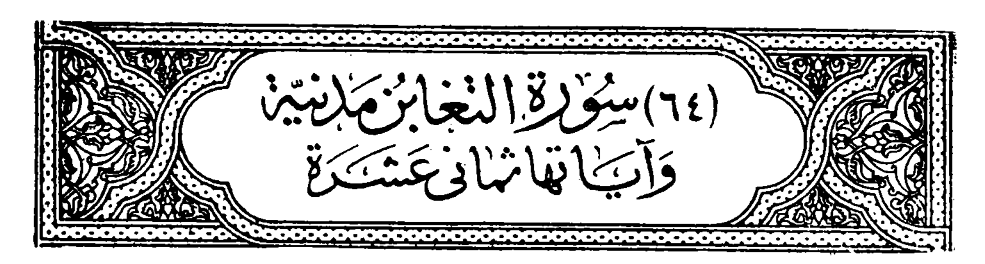
يأمر تعالى عباده المؤمنين بكثرة ذكره ، وينهاهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك ومن لم يراعِ هذا الأمر والنهي فإنه من الذين سيخسرون أنفسهم يوم القيامة ثم حثّهم على الإنفاقَ في طاعته. فقال جل ثناؤه : ﴿ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدَكم الموتُ فيقول رب لولا أخّرتني إلى أجل قريب فأصّدّق وأكن من الصالحين ﴾ فكل مفرّط يندم عند الاحتضار ، ويسأل طول المدة ولو شيئاً يسيراً ليستدرك ما فاته وهيهات... وأما الكفار... فكما قال تعالى: ﴿ وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربّنا أخّرنا إلى أجل قريب نجبْ دعوتَك ونتبعْ الرسلَ أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ﴾ وقال تعالى : ﴿ حتى إذا جاء أحدَهم الموتُ قال رب أرجعون

(١) ساقة الجيش: مؤخرته .

لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت كلاّ إنها كلمةٌ هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ .

وقولُه تعالى : ﴿ ولن يؤخِرَ الله نفساً إذا جاء أجلُها والله خبير بما تعملون ﴾ اي لا يُنظرُ أحد بعد حلول أجله ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾ أي هو أعلم وأخبر بمن يكون صادقاً في قوله وسؤاله التأجيل، ممن لو رُدّ لعاد إلى شرٍ ممّا كان عليه .

آخر اختصار تفسير سورة (المنافقون) ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة



نزلت بعد سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ (١) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ (٢) خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۞ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۞ (٤) ﴾

هذه السورة هي آخر المسبحات وقد تقدم الكلام على تسبيح المخلوقات لبارئها ومالكها،ولهذا قال تعالى : ﴿ له الملك وله الحمد ﴾ اي هو المتصرف في خلقه المحمود على جميع ما يخلق ويقدر . وقوله تعالى : ﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾ أي ما أراد يكن بلا ممانع ولا مدافع وما لم يشأ لم يكن . وقوله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾ أي هو الخالق لكم على هذه الصفة ، وأراد منكم ذلك فلا بد من وجود مؤمن وكافر وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال [١] وهو شهيد على أعمال

(١) أي من فرق بين الهدى والضلال بدلالة الشارع الحكيم، واختار أحدهما بعد تفكير وتعقل وتمييز بينهما ، فيكون مسؤولاً عما اختاره لنفسه ديناً، خيراً كان أو شراً « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى .

عباده وسيجزيهم بها أتم الجزاء. ولهذا قال : ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ ثم قال تعالى: ﴿خلق السموات والأرض بالحق ﴾ أي بالعدل والحكمة ﴿ وصوّركم فأحسن صوركم ﴾ أي أحسن أشكالكم. كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم الذي خلقك فسوّاك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وإليه المصير ﴾ أي المرجع والمآب ، ثم أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات فقال تعالى : ﴿ يعلم مافي السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور ﴾

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۞ (٦) ﴾

يخبر تعالى عن الأمم الماضين وما حلّ بهم من العذاب والنّكال في مخالفة الــرسل والتكذيب بالحق. فقال تعالى: ﴿ ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل ﴾ أي خبرهم ومــا كان من أمرهم ﴿ فذاقوا وبال أمرهم ﴾ أي وخيم تكذيبهم ورديء أفعالهم وهو مــا حل بهم في الدنيا من العقوبة ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ أي في الدار الآخرة مضاف إلى هذا الدنيوي . ثم علل ذلك فقال تعالى : ﴿ ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات ﴾ أي بالحجج والدلائل والبراهين ﴿ فقالوا أبشر يهدوننا ﴾ أي استبعدوا ان تكون الرسالة في البشر وأن يكون هداهم على يدي بشر مثلهم ﴿ فكفروا وتولوا ﴾ أي كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل ﴿ واستغنى الله ﴾ أي عنهم ﴿ والله غني حميد ﴾

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۞ (٧) فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ (٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ

صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ❁ (٩) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ❁ (١٠)

يخبر تعالى عن الكفار والمشركين والملحدين يزعمون أنهم لا يبعثون ﴿ قل بلى وربي لتبعثنَّ ثم لتنبؤنَّ بما عملتم ﴾ أي لتُخبَرنَّ بجميع أعمالكم صغيرها وكبيرها ﴿ وذلك على الله يسير ﴾ أي يسير عليه بعثكم ومجازاتكم. وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله ﷺ أن يقسم بربه عز وجل على وقوع المعاد فالأولى في سورة يونس ٥٣ / ١٠ / والثانية في سورة سبأ / ٣ / ٣٤ . والثالثة هي هذه ﴿ زعم الذين كفروا ﴾ ...

ثم قال تعالى : ﴿ فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا ﴾ يعني القرآن ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ أي فلا تخفى عليه من أعمالكم خافية . وقوله تعالى : ﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ﴾ وهو يوم القيامة ، سمي بذلك لأنه يُجمع فيه الأولون والآخرون في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر. كما قال تعالى : ﴿ قل ان الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ﴾

وقوله تعالى : ﴿ ذلك يوم التغابن ﴾ قال ابن عباس : هو اسم من أسماء يوم القيامة . وذلك أن أهل الجنّة يغبِنون أهل النار ، وقد فسر بقوله تعالى : ﴿ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفّر عنه سيئآته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ﴾ وقد تقدم تفسير مثل هذه غير مرة .

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلا بِإِذْنِ ٱللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِٱللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَٱللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ❁ (١١) وَأَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ ❁ (١٢) ٱللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ❁ (١٣)

يخبر تعالى أنه ﴿ ما أصاب من مصيبة إلاّ بإذن الله ﴾ أي بأمره وعن قدره ومشيئته تعالى في سورة الحديد ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلاّ في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم ﴾ أي من أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب ، واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه . وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقيناً صادقاً ، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيراً منه. وفي الحديث المتفق عليه : ٤٤٨ [عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاءً إلاّ كان خيراً له ، ان أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له،وإن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له،وليس ذلك لأحد إلاّ للمؤمن] وقوله تعالى : ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ أمر بطاعة الله ورسوله فيما شرع أمراً ونهياً ثم قال تعالى : ﴿ فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ أي إن نكلتم عن العمل فإنما عليه ما حمل من البلاغ ، وعليكم ما حملتم من السمع والطاعة . ثم قال تعالى : ﴿ الله لا إله إلاّ هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ فقد اخبر تعالى أنه الأحد الصمد الذي لا آله غيره وطلب توحيد الألوهية له، أي وحدوه في إلهيته واخلصوها لديه وتوكّلوا عليه . كما قال تعالى : ﴿ رب المشرق والمغرب لا آله إلاّ هو فاتخذه وكيلاً ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ (١٥) فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ (١٦) إِن تُقْرِضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۞ (١٧) عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ (١٨) ﴾

يخبر تعالى عن الأزواج والأولاد أن منهم من هو عدو الزوج والولد بمعنى أنه يلتهي به عن العمل الصالح . كقوله تعالى:﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾ ولهذا قال تعالى ههنا : ﴿ فاحذروهم ﴾

أي على دينكم وقال مجاهد : ﴿ إن من ازواجكم وأولادكم عدواً لكم ﴾ قال يحمل الرجل على قطيعة الرحم، أو معصية ربّه، فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه. وقال ابن أبي حاتم عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الآية قال: فهؤلاء رجال أسلموا من مكة فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم ، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوهم فأنزل الله تعالى: ﴿ وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم ﴾ وكذا رواه الترمذي وقال حسن صحيح رواه ابن جرير ، والطبراني .

وقوله تعالى : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجرٌ عظيم ﴾ أي إنما الأموال والأولاد فتنة أي اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقه ليعلمَ من يطيعه ممن يعصيه ﴿ والله عنده ﴾ أي يوم القيامة ﴿ أجر عظيم ﴾ وروى الإمام أحمد عن أبي بريدة قال : ٤٤٩ [كان رسول الله ﷺ يخطبُ فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما ، عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال « صدَق الله ورسوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما »] .

روى الطبراني عن أبي مالك الأشعري ان رسول الله ﷺ قال : ٤٥٠ [ليس عدوك الذي إن قتلته كان فوزاً لك، وإنْ قتلك دخلتَ الجنةَ، ولكن الذي لعله عدوٌ لك ولدك الذي خرج من صلبك ، ثم أعدى عدو لك مالك الذي ملكتْ يمينُك] وقوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ أي جهدكم وطاقتكم كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ٤٥١ [إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه] قال سعيد بن جبير وأبو العالية وزيد بن أسلم وقتادة والربيع والسدي ومقاتل بن حيان ، ان هذه الآية : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ ناسخة للآية التي في سورة آل عمران : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ لما نزلت هذه الآية اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم فأنزل الله تعالى تخفيفاً على المسلمين : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ فنسخت الآية الأولى . وقوله تعالى : ﴿ واسمعوا وأطيعوا ﴾ أي كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله ولا تحيدوا عنه يمنةً ولا يسرة ، ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا تتخلّفوا عما به أمرتم ولا ترتكبوا ما عنه زجرتم . وقوله تعالى : ﴿ وأنفقوا خيراً لأنفسكم ﴾ أي وابذلوا مما رزقكم الله على الأقارب الفقراء والمحتاجين ، وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن الله إليكم

يكن خيراً لكم في الدارَين ، وان لم تفعلوا يكن لكم شراً فيهما . وقوله تعالى : ﴿ ومن يوقَ شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ تقدّم تفسيره في سورة الحشر ، وذكر الأحاديث الواردة في معنى هذه الآية بما أغنى عن إعادته ههنا [١] ولله الحمد والمنة . وقوله تعالى : ﴿ إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم ﴾ أي مهما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ، ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاؤه ، ونزل ذلك منزلة القرض له كما ثبت في الصحيحين : ٤٥٢ [ان الله تعالى يقول : من يقرض غير ظلوم ولا عديم] ولهذا قال سبحانه ﴿ يضاعفه لكم ﴾ أي أضعافاً كثيرة ﴿ ويغفر لكم ﴾ أي ويكفر عنكم السيئآت ولهذا قال تعالى : ﴿ والله شكور ﴾ أي يجزي على القليل بالكثير ﴿ حليم ﴾ أي يصفح ويتجاوز عن الذنوب والسيئآت ﴿ عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ﴾ تقدّم تفسيره غير مـــــرة .

آخر اختصـــار تفسير سورة التغابن ولله الحمد والمنة وبه العصمة والتوفيق

---

(١) راجع الآية رقم /٩/ من سورة الحشر رقم ٥٩ من هذا المجلد .



نزلت بعد سورة الانسان

بسم الله الرحمن الرحيم



﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۞ (١) ﴾

خوطب النبي ﷺ تشريفاً وتكريماً ثم خوطبت الأمة تبعاً. فقال تعالى : ﴿ يا أيها النبيُّ إذا طلقتم النساءَ فطلقوهن لعِدّتهن ﴾ روى ابن أبي حاتم عن أنس قـال : ٤٥٣ [طلّق رسول الله ﷺ حفصةَ، فأتت أهلها، فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيّها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعِدّتهن ﴾ فقيل له راجعها فإنها صوّامة قوّامة وهي، من أزواجك ونسائك في الجنّة .] وقال البخاري عن سالم ٤٥٤ [إن عبدالله بن عمر أخبره أنه طلق امرأةً له وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله ﷺ فتغيظ ... ثم قال : ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهرُ، ثم تحيض فتطهر فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسها، فتلك العِدة التي أمر بها رسول الله ﷺ الله عزّ وجل] وقد رواه مسلم ولفظه ٤٥٥ [فتلك العِدة التي أمر الله أن يطلّق لها النساء] ورواه أصحاب الكتب والمسانيد من طرق متعدّدة وألفاظ كثيرة ، وأحسن لفظ يورد هنا ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي الزبير أنه سمع عبد الرحمن بنَ أيمن مولي عَزّة يسأل ابنَ عمر وابو الزبير يسمع : ٤٥٦ [كيف ترى في الرجل طلق امرأته حائضاً ؟ فقال :

طلق ابنُ عمر امرأته حائضاً على عهد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « ليراجعها – فردّها وقال – إذا طهرت فليطلقْ أو يُمسكْ » قال ابن عمر : وقرأ النبيّ ﷺ : ﴿ يا أيّها النبي إذا طلقتم النساء فطلّقوهُن لعدّتهن ﴾] وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاس في قوله تعالى : ﴿ فطلّقوهن لعِدّتهنّ ﴾ : لا يطلّقها وهي حائض،ولا في طهر قد جامعها فيه ، ولكن يتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقةً . وقال عكرمة : العِدّة الطهر والقرء الحيضة أن يطلّقها حبلى مستبيناً حملها ، ولا يطلقها وقد طاف عليها ولا يدري حبلى هي أم لا. ومن ههنا أخذ الفقهاءُ احكام الطلاق وقسموه إلى طلاق سنّة، وطلاق بدعة.فطلاق السنّة : أنْ يطلقها طاهرةً من غير جماع ، أو حاملاً قد استبان حَملها . وطلاق البدعة : هو أن يطلقها في حال الحيض،أو في طهرٍ قد جامعها فيه،ولا يدري أحملت أم لا . وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة : وهو طلاق الصغيرة، والآيسة وغير المدخول بها ومن شاء تفصيل ذلك فليراجع كتب الفروع .

وقوله تعالى : ﴿ وأحصوا العِدةَ ﴾ أي احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها لئلا تطولَ العدةُ على المرأة فتمنع من الزواج . ﴿ واتقوا الله ربكم ﴾ أي في إحصاء العِدة ، وقوله تعالى : ﴿ لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن ﴾ أي في مدة العدة لها حق السكنى على الزوج ما دامت معتدّة منه، فليس للرجل أن يخرجها ولا يجوز لها أيضاً الخروج لأنها معتقلةٌ لحقّ الزوج أيضاً . وقوله تعالى : ﴿ إلا أن يأتينَ بفاحشة مبيّنةٍ ﴾ أي لا يخرجن من بيوتهن إلاّ أن ترتكبَ المرأة فاحشةً مبينة، فتخرج من المنزل. والفاحشة المبينة تشمل الزنا كما قاله ابن مسعود وابن عباس وجماعة من التابعين. وتشمل ما إذا نشزت المرأة، أو بذّتْ على أهل الرجل وآذتهم في الكلام والفعال . كما قال أُبيٌّ بنُ كعب وابنُ عباس وعكرمةُ وغيرُهم . وقوله تعالى : ﴿ وتلك حدودُ الله ﴾ أي شرائعه ومحارمه ﴿ ومن يتعدَّ حدودَ الله ﴾ أي يخرج عنها ولا يأتمر بها ﴿ فقد ظلم نفسَه ﴾ أي بفعل ذلك . وقوله تعالى : ﴿ لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾ أي إنما أبقينا المطلقة في منزل الزوج مدةَ العِدة لعله يندم على طلاقها ويخلق الله تعالى في قلبه رجعتها، فيكون ذلك أيسر وأسهل. ومن هاهنا ذهب من ذهب من السلف ومن تابعهم، كالإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى إلى أنه لا تجب السكنى للمبتوتة أي – المطلقة ثلاثاً فلا تحلّ له حتى تنكِحَ زوجاً غيرَه – واعتمَدوا أيضاً على حديث فاطمة بنت قيس الفِهريّة ، فقد روى الامام أحمد عن عامر قال : ٤٥٧ [قدِمتُ المدينة فأتيت فاطمةَ بنتَ قيس فحدثتني أن زوجها طلقها على عهد رسول الله ﷺ ، فبعثه رسول الله ﷺ في سريّة قالت: فقال لي أخوه : أخرجي

من الدار فقلت: إن لي نفقةً وسكنى حتى يحل الأجل، قال : لا. قالت: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : ان فلاناً طلقني وان أخاه أخرجني ومنعني السكنى والنفقة . فقال له « مالَكَ ولابنة قيسٍ ؟ » قال : يا رسول الله إن أخي طلقها ثلاثاً جميعاً قالت : فقال رسول الله ﷺ « أنظري يا بنتَ آل قيس إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها مـــا كانت له عليها رَجعة، فإذا لم يكن له عليها رجعةٌ فلا نفقةَ ولا سكنى. أخرجي فانزلي على فلانة » ثم قال « إنه يتحدث إليها وانزلي على ابنِ ام مكتوم فإنه أعمى لا يراك] ... وذكر تمام الحديث .

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۞ (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ۞ (٣) ﴾

يقول تعالى : فاذا بلغت المعتدات أجلهن أي شارفن على انقضاء العدة وقارين ذلك ، ولكن لم تفرغ العدة بالكلية ، فحينئذٍ اما أن يعزم الزوج على إمساكها وهو رجعتها الى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده ﴿ بمعروف ﴾ أي محسناً إليها في صحبتها وإما أن يعزمَ على مفارقتها بمعروف، أي من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف، بل يطلقها على وجه جميل ، وسبيل حسن .

وقوله تعالى : ﴿ وأشهدوا ذوي عدلٍ منكم ﴾ أي على الرجعة إذا عزمتم عليها ، روى أبو داود وابنُ ماجه عن عمران بن حصين أنه سئل عن الرجل يطلق المرأة ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها ، فقال : طلقت لغير سنة ورجعت لغير سنّة أشهدْ على طلاقها وعلى رَجعتها ولا تعُد . وقال ابن جريج كان عطاء يقول : ﴿ واشهدوا ذوي عدل ﴾ قال لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاع إلاّ شاهدا عدل [1] كما قال الله

(١) قلت: لقد فهم «البعض ...؟!» وزعموا أنه لا يقع طلاق البتة إذا لم يشهد على الطلاق شاهدا عدل !! ويجوز – في نظرهم – متابعة الحياة الزوجية بما فيها حلُّ الوطء ...!!! كما لو لم يقع أي شيء! ويعتمدون في فهمهم وحكمهم على قول عطاء ... هذا ولما كنا نخالفناهم في هذا الفهم، قلنا: ان الطلاق يقع بمجرد التلفظ به – مع مراعاة الشروط الشرعية – وإننا ندلل على ما ذهبنا إليه بالأدلة التالية : =

عز وجل إلا أن يكون من عذر . وقوله تعالى : ﴿ ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ ومن ههنا ذهب الشافعي في أحد قوليه إلى وجوب الإشهاد في الرجعة، كما يجب عنده في ابتداء النكاح [1] ومن قال بهذا ... يقول : إن الرجعة لا تصح إلا بالقول

= ١ – إن قول عطاء « لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجعة إلا شاهدا عدل » قول نوافقه عليه في النكاح والرجعة لا في الطلاق. إذ إنعدم الجواز الذي ارتآه، لا يفيد عدم الوقوع. بل يفيد أنه –في نظره– حرام وهو مخالف للشرع ... ولكن لا ينفي وقوع الطلاق... وذلك: كطلاق الحائض مثلا... فإنه وإن كان بدعياً، لكنه يقع... فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم، غضب لما طلق ابن عمر امرأته في الحيض وأمره أن يراجعها، وأن تعتد ثلاثة قروء، ثم إذا بدا له أن يفارقها فليفعل... إنما حسبها عليه طلقة، ولو كانت في الحيض، كما هو معلوم... إذاً: فقول عطاء (لا يجوز...) لا يعني عدم وقوع الطلاق بل يعني ارتكاب الحرام فقط كما هو الحال في قصة ابن عمر رضي الله عنهما . ومما يجدر ذكره أن النبي لم يأمر ابن عمر بالإشهاد على الطلاق ، ولا أمر أحداً غيره بذلك .

٢ – اذا كان عطاء... يرى ارتكاب الحرام في الطلاق بغير إشهاد... حتى وعلى فرض أنه يرى عدم وقوع الطلاق.. فعطاء ليس حجةً في حكمه هذا ... لا سيما وإن أكثر علماء السلف والخلف يخالفونه. واذا كان يرى بعضهم استحباب الإشهاد، فلكيلا يقع التجاحد من أحد الطرفين .. وهذا بشأن الإشهاد على الطلاق فقط .

٣ – لعلهم يقولون : إن حكمَ عطاء فهم من القرآن ونحن فهمنا من القرآن كما فهم عطاء وليس عطاء حجتنا المجردة . فنجيبهم مستعينين بالله تعالى : نحن لم نتهم عطاء رحمه الله تعالى بأنه بنى حكمه على مجرد الرأي الشخصي، فنحن معكم بأنه فهم هذا من القرآن، ولكنه رجل اجتهد فأخطأ..فله أجر واحد. ولكن هل معنى ذلك، أن القول كما قال عطاء ... ؟ الجواب: كلا ... واذا رجعنا إلى الآية الكريمة نرى ان الله تعالى أمر بالعِدة فور الطلاق ... « يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدّتهن وأحصوا العدة » إذاً فلولا وقوع الطلاق ما وجبت العدة. ثم قال في الآية الثانية : « فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوي عدل منكم ...» أي فإذا انتهت العدة أو شارفت... فهناك أمران: إما أن يتفقا على الرجعة، أو يتفقا على المفارقة. فإن اتفقا على أحداهما، فليُشهدا على هذا الاتفاق، أي على الرجعة أو على المفارقة، ذوي عدل من المؤمنين . وقوله تعالى: « فإذا بلغن أجلهن » فهذا نص صريح بأن المرأة اعتدت وكادت أن تبلغ نهاية العدة . هنا نسأل .. لماذا اعتدت هذه المرأة ... ؟ أليس لأنه وقع عليها طلاق من زوجها...؟ ولولا وقوع هذا الطلاق ما كان من حاجة إلى العدة، إذ لا عدة بلا طلاق أو وفاة. إذاً فالطلاق وقع بدليل وجوب العدة وتنفيذها. فهل نفهم من الآية أن الإشهاد على الطلاق، أم على الرجعة أو المفارقة؟ لأن ذكر الإشهاد صريح بوروده بعد العِدة وبعد ذكر الإمساك أو المفارقة فدل أنه على الإمساك أو على المفارقة. لا على الطلاق. وهذا هو المراد.. كي لا يقع التجاحد من أحد الطرفين. هذا هو فهم السلف والخلف كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ورضي عنه. قال رحمه الله في فتاواه :(... وقد ظن بعض الناس أن الإشهاد هو على الطلاق وظن أن الطلاق الذي لا يشهد عليه لا يقع وهذا خلاف إجماع السلف وخلاف الكتاب والسنة ولم يقل أحد من العلماء المشهورين به فان الطلاق أذِنَ فيه أولاً ولم يأمرْ فيه بالإشهاد ، وانما أمر بالإشهاد حين قال تعالى : « فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف » والمراد منها بالمفارقة تخلية سبيلها اذا قضت العدة وهذا ليس بطلاق ولا رجعة ولا نكاح. والاشهاد في هذا باتفاق المسلمين ...) والله الموفق للصواب وهو أعلم به .

(١) ولكن لم يوجبه في الطلاق ...

ليقع الأشهاد عليها . وقوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ أي ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه ، يجعل له من أمره مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب أي من جهة لا تخطر بباله .

روى ابن أبي حاتم عن عمران بن حصين قال رسول الله ﷺ ٤٥٨ [من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله إليها] وقوله تعالى : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ روى الامام أحمد ، عن عنس الصنعاني عن عبدالله بن عباس أنه حدثه : أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يوماً ، فقال له رسول الله ﷺ : « ٤٥٩ [يا غلام إني معلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك ، إلا بشيء قد كتبه الله لك. ولو اجتمعوا على أن يضروك ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام ، وجفت الصحف.] وقوله تعالى: ﴿ إن الله بالغ أمره ﴾ أي منفذ قضاياه وأحكامه في خلقه بما يريده ويشاؤه. ﴿ قد جعل الله لكل شيء قدرا ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ .

﴿ وَٱللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَاتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۞ (٤) ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۞ (٥) ﴾

يقول تعالى مبيّنا لعدة الآيسة – وهي التي انقطع عنها المحيض لكبرها – أنها ثلاثة أشهر .. عوضاً عن الثلاثة قروء في حق من تحيض ، كما دلت على ذلك آية البقرة ، وكذا الصغار اللائي لم يبلغن سن المحيض ، إن عدتهن كعدة الآيسة ثلاثة أشهر. ولهذا قال تعالى ﴿ واللائي لم يحضن ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إن ارتبتم ﴾ أي إن رأين دماً وشككتم في كونه حيضاً أو استحاضة وارتبتم فيه ﴿ فعدتهن ثلاثة أشهر ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وأولات الأحمال أجلهن ان يضعن حملهن ﴾ يقول تعالى : ومن كانت حاملاً فعدتها بوضع حملها ولو كان بعد الطلاق أو الموت بفواق ناقة في قول

جمهور العلماء من السلف والخلف. كما هو نص هذه الآية الكريمة وكما وردت به السنّة النبويـــة .

روى الإمام أحمد عن المسوّر بن مخرمة ٤٦٠ [أن سبيعة الأسلمية توفي عنها زوجها وهي حامل فلم تمكث إلاّ ليالي حتى وضعت فلما تعلّت من نفاسها خطبتْ ، فاستأذنت رسولَ الله ﷺ في النكاح فأذن لها أن تنكح فنكحتْ] . ورواه البخاريّ ومسلمٌ في صحيحَيهما وأبو داود والنسائيّ وابن ماجه من طرقٍ عنها – أي عن سبيعة – كما قال مسلم بن الحجاج عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة ٤٦١ [أن أباه كتب إلى عمر بن عبدالله بن الأرقم الزهري يأمره أن يدخل على سبيعة بنت الحارث الأسلمية ، فيسألها عن حديثها وعما قال لها رسول الله ﷺ حين استفتته ، فكتب عمر بن عبدالله يخبره أن سبيعة أخبرتْه أنها كانت تحت سعد بن خولة ، وكان ممن شهد بدراً فتوفي عنها في حَجة الوداع وهي حامل، فلم تنشبْ أن وضعتْ حَملها بعد وفاته، فلما تعلّت من نفاسها تجمّلت للخطاب... فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك فقال لها : مالي أراك متجمّلة ؟ لعلّك ترجين النكاح إنك والله ما أنت بناكح حتى تمرّ عليك أربعةُ أشهر وعشر . قالت سبيعة : فلما قال لي ذلك جمعت عليّ ثيابي حين أمسيت ، فأتيت رسول الله ﷺ ، فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللتُ حين وضعتُ حملي وأمرني بالتزويج إن بدا لي] هذا لفظ مسلم ورواه البخاريّ مختصراً . وأما الاعتداد بأبعد الأجلين الوارد في سورة البقرة وهو الأربعة أشهر والعشر فهذا قبل أن تنزل هذه الآية بعدة الحوامل ..

وقوله تعالى : ﴿ ومن يتّقِ الله يجعلْ له من أمره يسرا ﴾ أي يسهل له أمره ، وييسره عليه ، ويجعل له فرجاً قريباً ومخرجاً عاجلاً . ثم قال تعالى: ﴿ ذلك أمر الله أنزله إليكم ﴾ أي حكمه وشرعه أنزله إليكم بواسطة رسول الله ﷺ ﴿ ومن يتّقِ الله يكفّرْ عنه سيئاته ويعظمْ له أجراً ﴾ أي يذهب عنه المحذور ويجزل له الثواب على العمل اليسير.

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ

وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴿٧﴾

يأمر تعالى عباده إذا طلّق أحدهم المرأة أن يُسكنها في منزل حتى تنقضي عدتُها. فقال عزّ من قائل: ﴿ أسكنوهن من حيث سكنتم ﴾ أي عندكم ﴿ من وجدكم ﴾ أي من سَعتكم ﴿ ولا تضاروهن لتضيّقوا عليهن ﴾ قال ابو الضحى: أي يطلقها حتى إذا بقي يومان راجعها. وقوله تعالى: ﴿ وإن كن أولات حَمل فأنفقوا عليهن حتّى يضعن حَملهن ﴾ قال كثير من العلماء منهم ابن عباس وطائفة من السلف وجماعات من الخلف: هذه هي البائن إن كانت حاملاً أو حائلاً، وقال آخرون: بل السياق كله في الرجعيات، وإنّما نص على الإنفاق على الحامل وإن كانت رجعية، لأن الحملَ تطول مدته غالباً فاحتيج الى النص على وجوب الإنفاق إلى الوضع، لئلاّ يُتوهّم أنه إنما تجب النفقة بمقدار مدة العـدة.

وقوله تعالى: ﴿ فإن أرضعن لكم ﴾ أي إذا وضعن حملهن وهن طوالق فقد بُنّ بانقضاء عدتهن، ولها حينئذٍ أن ترضع الولد ولها أن تمتنع منه. ولكن بعد أن تغذيه باللبأ وهو باكورة اللبن، الذي لا قوام للمولود غالباً إلاّ به. فإن أُرضعت استحقت أجـر مثلها، ولها أن تعاقد أباه أو وليّه على ما يتفقان عليه من أجرة. ولهذا قال تعالى: ﴿ فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وأتمروا بينكم بمعروف ﴾ أي من غير إضرار ولا مضارّة. وقوله تعالى: ﴿ وإن تعاسرتم فسترضع لـه أخرى ﴾ فإن اختلفتم على أجرة الرضاع من حيث القلّة أو الكثرة والأم أولى بإرضاع ولدها إذا رضيت بما استؤجرت به الأجنبية.

وقوله تعالى: ﴿ لينفق ذوسَعة من سَعته ﴾ أي الوالد على مولوده أو وليه بحسب قدرته ﴿ ومن قُدِرَ عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلاّ ما آتاها ﴾ كقولـه تعالى: ﴿ لا يكلفُ الله نفساً إلاّ وسعها ﴾ أي بقدر ما تستطيع. وقوله تعالى: ﴿ سيجعل

الله بعد عسر يسراً ﴾ وعدٌ منه تعالى ووعده حق لا يخلفه. وهذه كقوله تعالى: ﴿ فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً ﴾ .

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال : ٤٦٢ [دخل رجل على أهله فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرية ، فلما رأت امرأته قامت الى الرحى فوضعتها ، وإلى التنور فسجرته ثم قالت : اللهم ارزقنا ، فنظرت ، فإذا الجفنة قد امتلأت قال وذهبت الى التنور فوجدته ممتلئاً ، قال فرجع الزوج فقال : أصبتم بعدي شيئاً ؟ قالت امرأته : نعم من ربنا ، فأمَّ إلى الرحى ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ « أما إنه لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة »] .

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً ۞ (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً ۞ (٩) أَعَدَّ ٱللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا ٱللهَ يَا أُولِي ٱلْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ ٱللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً ۞ (١٠) رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ ٱللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ ٱللهُ لَهُ رِزْقاً ۞ (١١) ﴾

يتوعّد الله تعالى من يخالف أمره ويكذب رسله ويسلك غير ما شرعه ، ومخبراً عما حلَّ بالأمم السالفة بسبب ذلك فقال تعالى : ﴿ وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله ﴾ أي تمرّدت على اتّباع أمر الله تعالى ومتابعة رسله ﷺ ﴿ فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكرا ﴾ أي منكراً فظيعاً ﴿ فذاقت وبال أمرها ﴾ بعد مخالفتها وندموا حيث لا ينفع الندم ﴿ وكان عاقبة أمرها خسراً أعدّ الله لهم عذاباً شديداً ﴾ أي في الدار الآخرة مع ما حلّ بهم من العذاب في الدنيا ثم قال تعالى بعدما قص من خبر هؤلاء ﴿ فاتّقوا الله يا أولي الألباب ﴾ أي الأفهام المستقيمة لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولي الألباب

﴿ الذين آمنوا ﴾ أي صدقوا بالله ورسله . ﴿ قد أنزل الله إليكم ذكرا ﴾ يعني القرآن

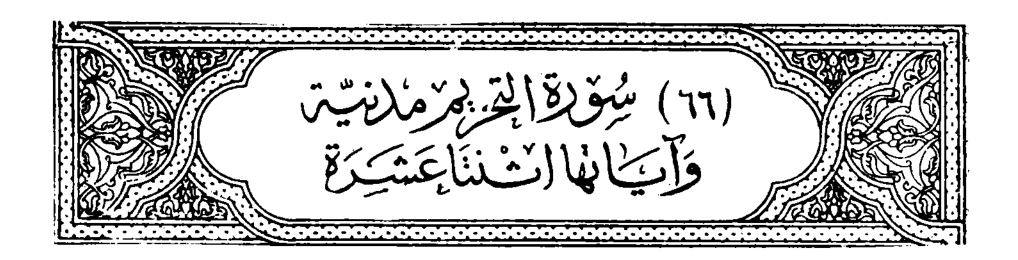
وقوله تعالى : ﴿ رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبيّنات ﴾ اي الرسول ترجمة عن الذكر أي تفسيراً له . ولهذا قال تعالى : ﴿ رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبينات ﴾ أي حال واضحة ﴿ ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ﴾ كقوله تعالى تعالى ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ﴾ أي من ظلمات الكفر والجهل . الى نور الايمان والعلم . وقد سمّى الله تعالى الوحي الذي أنزله نوراً ، لما يحصل به من الهدى . كما سمّاه روحاً ، لما يحصل به من حياة القلوب . وقوله تعالى : ﴿ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً ﴾ قد تقدم تفسير مثل هذا أكثر من مرّة بما أغنى عن إعادته ولله الحمد والمنة .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (١٢)

يقول تعالى مخبراً عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ، ليكون ذلك باعثاً على تعظيم ما شرع من الدين القويم ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ﴾ كقوله تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾ أي سبعاً أيضاً مثلهن كما ثبت في الصحيحين : ٤٦٣ [من ظلم قيد شبر من الأرض طوّقه الله من سبع أرضين] ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة وأغرق في النزاع وخالف القرآن والحديث بلا مستند ، وفي الحديث الآخر ٤٦٤ [ما السموات السبع ومن فيهن وما بينهن والأرضون السبع[1] وما فيهن وما بينهن في الكرسي

إلاّ كحلقة ملقاة بأرض فلاة]

آخر اختصار تفسير سورة الطلاق ولله الحمد والمنة .



نزلت بعد سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم



﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ (١) قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۞ (٣) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلٰئِكَةُ بَعْدَ ذٰلِكَ ظَهِيرٌ ۞ (٤) عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً ۞ (٥) ﴾

اختلف المفسرون في سبب نزول صدر هذه السورة فقيل نزلت في شأن مارية أم إبراهيم أمة رسول الله ﷺ التي كان قد حرّمها . فنزل قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي لم

تحرّم ما أحلّ الله لك تبتغي مرضات أزواجك ﴾ الآية . روى النسائي عن أنس : ٤٦٥ [أن رسول الله ﷺ كانت له أمةٌ يطأُها فلم تزل به عائشةُ وحفصةُ حتى حرّمها فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها النبيُّ لم تحرم ما أحل الله لكَ ﴾ الى آخر الآية] .

روى ابن جرير عن ابن عباس قال : ٤٦٦ [قلت لعمر بن الخطاب : مَن المرأتان ؟ قال عائشة وحفصة . وكان بدء الحديث في شأن أم ابراهيم القبطية أصابها النبيُّ ﷺ في بيت حفصة في نوبتها ، فوجدت حفصة فقالت : يا نبي الله : لقد جئت إلي شيئاً ما جئت إلى أحدٍ من أزواجك في يومي وفي دوري وعلى فراشي ؟! قال : « ألا ترضين أحرمها فلا أقربها» قالت بلى فحرمها وقال لها : « لا تذكري ذلك لأحد »[1] فذكرتْه لعائشة فأظهره الله عليه فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاتَ أزواجك ﴾ الآيات كلها. فبلغنا أن رسول الله ﷺ كفّر عن يمينه وأصاب جاريته] . قال زيد بن أسلم : القول : أنتِ عليَّ حرام : لغو .

روى الهيثم بن كعب عن عمر٣٦٧ [قال النبي ﷺ لحفصة : « لا تخبري أحداً وإن أم إبراهيم علي حرام » فقالت : أتحرّمُ ما أحلّ الله لك ؟ قال : « فوالله لا أقربها » قال فلم يقربها حتى أخبرت عائشةَ ، قال : فأنزل الله تعالى﴿ قد فرض الله لكم تحلّة أيمانكم ﴾ وهذا إسناد صحيح ولم يخرّجه أحدٌ من الكتب الستة وقد اختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج . روى ابن جرير عن سعيد بن جبير : أن ابن عباس كان يقول في الحرام يمين تكفّرها ، وقال ابن عباس:٤٦٨ [﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ يعني أن رسول الله ﷺ حرّم جاريته فقال الله تعالى : ﴿ يا أيها النبي لم تحرمُ ما أحلّ الله لك ــ إلى قوله ــ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ﴾ فكفّر يمينه فصيّر الحرام يميناً] ورواه البخاري ومسلمٌ والنسائي .

وقد ذهب بعض الفقهاء إلى وجوب الكفارة على من حرم جاريته أو زوجتَه أو أي شيء من المباحات أكلاً أو شرباً أو ملبساً وهو مذهب الإمام أحمد وطائفة . وذهب الشافعي إلى أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية ، إذا حرّم عينيهما أو أطلق التحريم فيهما في قول ، فأما إن نوى بالتحريم طلاق زوجته أو عتقَ الأمة نفذ فيهما .

والصحيح : ان ذلك كله كان في تحريمه العسل ، كما روى البخاري عند هذه الآية عن عائشة قالت : ٤٦٩ [كان النبي ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث

(١) أي لا تذكري لأحد أني حرمتها .

عندها ، فتواطأتُ أنا وحفصة على أيّتنا دخل عليها فلتقل له : أكلت مغافير إني أجد منك ريح مغافير قال : « لا ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعودَ له وقد حلفت لا تخبري بذلك أحداً ﴿ تبتغي مرضات أزواجك ﴾] والمغافير شبيه بالصمغ يكون في الرمث فيه حلاوة . أغفر الرِمْثُ إذا ظهر فيه . وأحدها مغفور . ويقال مغافير . وهكذا قال الجوهري . والرِمث بالكسر مرعى من مراعي الإبل وهو من الحمض .

ويقال إنهما واقعتان «١» ولا بُعدَ في ذلك، إلاّ أن كونهما سبباً لنزول هذه الآية فيه نظر ... وعلى كلٍّ فإن عائشةَ وحفصةَ هما المتظاهرتان ومما يدلُّ على ذلك : ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس قال : ... قلت يا أمير المؤمنين ـ يعني عمر ـ مَن المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى: ﴿ إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما ﴾ فقال عمر : واعجباً لك يا ابن عباس ! قال الزهري كره والله ما سأله عنه ، ولم يكتمْه قال : هي عائشة وحفصة .

وقوله تعالى : ﴿ وإذْ أسرَّ النبيُّ إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرّف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا. قال نبأني العليم الخبير ﴾ أي لما قال ﷺ : « ولن أعودَ له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحداً » [٢] قال ذلك لحفصة ولكنها أخبرت بذلك عائشة وهكذا رواه البخاريُّ في كتاب الطلاق .

وقوله تعالى : ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾ أي عائشة وحفصة رضي الله عنهما أي إن تتوبا إلى الله تعالى مما تظاهرتما به على رسول الله ﷺ ، فقد صغت قلوبكما الى الحق . روى مسلمٌ عن عمر بن الخطاب قال : ٤٧٠ [لما اعتزل نبيُّ الله ﷺ نساءه دخلتُ المسجدَ فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه ، وذلك قبل أن يُؤمَرَ بالحجاب فقلت لأَعلمَنّ ذلك اليوم . فذكر الحديث في دخوله على عائشة وحفصة ووعظه إيّاهما إلى أن قال فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ على أُسكفة المشربة فناديت فقلت : يا رباح استأذن على رسول الله ﷺ ـ إلى أن قال ـ فقلت : يا رسول الله ما يشق عليك من أمر النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكال وأناوابو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت ـ وأحمد الله ـ بكلام إلا

(١) أي قصة مارية والعسل وأظنهما واقعتين اثنتين .
(٢) شرب العسل أو تحريم مارية .

رجوت أن يكون الله يصدّق قولي . فنزلت هذه الآية : ﴿ ... عسى ربّه إن طلقكن أن يبدّ له أزواجاً خيراً منكن ﴾ ﴿ وإن تظاهرا عليه فإن الله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ فقلت : أطلقتهن ؟ قال : « لا » فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي : لم يطلق نساءه ، ونزلت هذه الآية : ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطون منهم ﴾ فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر]

روى ابن أبي حاتم عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب : بلغني شيء كان بين أمّهات المؤمنين وبين النبي ﷺ فاستقريتهن أقول : لتكفّن عن رسول الله ﷺ أو ليبدلنّه الله أزواجاً خيراً منكن ، حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين فقالت : يا عمر أما في رسول الله ﷺ ما يعظُ نساءه حتى تعظَهنَّ . فأمسكتُ. فأنزل الله عز وجل : ﴿ عسى ربُّه إنْ طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيِّبات وأبكاراً ﴾ وهذه المرأة التي رأته عما كان فيه من وعظ النساء هي أم سلمة كما ثبت ذلك في صحيح البخاري . وقد تبين ممّا أوردناه تفسير هذه الآيات الكريمة .

ومعنى قوله : ﴿ مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات ﴾ ظاهر ... وقوله تعالى: ﴿ سائحات ﴾ قاله جماعة من الصحابة والتابعين وغيرهم . وتقدم فيه حديث مرفوع عند قوله تعالى : ﴿ السائحون ﴾ في سورة براءة ولفظه : سياحة هذه الأمة الصيام » وقوله تعالى : ﴿ ثيِّبات وابكاراً ﴾ أي منهن ثيِّبات ومنهن أبكاراً ليكون ذلك أشهى إلى النفس . وقيل ان الله سيزوّجه آسية ومريم في الجنة . والله أعلم .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ (٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ❁ (٨)

يقول تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ﴾ أي تأمر نفسك وأهلك من زوجةٍ وولد وإخوان وقرابة وإماء وعبيد بطاعة الله. وتنهي نفسك وجميعَ من تعول، عن معصية الله تعالى. وتعلمهم وتؤدبهم، وأن تقومَ عليهم بأمر الله، وتأمرهم به وتساعدهم عليه. فإذا رأيت لله معصيةً، قذعتهم وزجرتهم عنها. وهذا حق على كلّ مسلم أن يعلمَ من هم تحت إمرته وما فرض الله عليهم وما نهاهم الله عنه. وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود عن سبرة قال : قال رسول الله ﷺ : ٤٧١ [مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين فإذا بلغ عشر سنين فأضربوه عليها] وهذا لفظ أبي داود وقال الترمذي : هذا حديث حسن . قال الفقهاء : وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمريناً له على العبادات لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة، ومجانبة المعصية وترك المنكر، والله الموفق. وقوله تعالى : ﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾ أي حطبها من الجنة والناس ﴿ والحجارة ﴾ قيل الأصنام وقال ابن مسعود وغيره : حجارة من كبريت زاد مجاهد : أنتن من الجيفة . رواه ابن أبي حاتم .

وقوله تعالى : ﴿ عليها ملائكة غلاظ شداد ﴾ أي غلاظ الطباع ، نزع الله من قلوبهم الرحمة بالكافرين. ﴿ شداد ﴾ أي تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج، سود وجوههم ، كالحة أنيابهم، ليس في قلب واحد منهم، مثقال ذرة من الرحمة بالكفّار .

وقوله تعالى : ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ أي لا يتأخرون عن أمر الله طرفة عين وهم قادرون على ذلك ما بهم عجز عنه وهؤلاء الزبانية – عياذاً بالله منهم– وقوله تعالى: ﴿ يا أيُّها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ أي يقال للكفرة يوم القيامة لا تعتذروا اليوم فإنه لا يقبل منكم إنَّما تجزون اليوم بأعمالكم . ثم قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نصوحاً ﴾ أي توبةً صادقة جازمة ، تمحو ما قبلها من السيئآت ، وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفّه عما كان يتعاطاه من الدناآت .

روى ابن أبي حاتم عن زر بن حبيش قال: ٤٧٢ [... فقلت لأُبَيْ بن كعب : فما التوبة النصوح ؟ فقال سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال . « هو الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك منه عند الحاضر ثم لا تعود إليه أبداً »] وهل من شرط

التوبة النصوح ، الاستمرار على ذلك إلى الممات . كما تقدم في الحديث ثم لا يعود فيه أبداً . أو يكفي العزم على أن لايعود بحيث لو وقع منه ثانية لا يضر تكفيرَ ما تقدم، وللأول ان يحتج بما ثبت في الصحيح: ٤٧٣ [من أحسن في الإسلام لم يؤآخذ بما عمل في الجاهلية ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر]

وقوله تعالى : ﴿ عسى ربكم أن يكفّر عنكم سيئآتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ وعسى من الله موجبة. ﴿ يوم لا يخزي الله النبيّ والذين آمنوا معه ﴾ أي ولا يخزيهم يعني يوم القيامة ﴿ نورهم يسعى بين أيديهم ﴾ كما تقدم في سورة الحديد [1] ﴿ يقولون ربّنا أتممْ لنا نورَنا واغفر لنا إنك على كلّ شيء قدير ﴾ هذا يقوله المؤمنون يوم القيامة حين يرون نورَ المنافقين قد طفىء .

روى الإمام أحمد عن رجل من بني كنانة قال : صليتُ خلف رسول الله ﷺ عام الفتح فسمعته يقول : ٤٧٤ [اللهم لا تخزني يوم القيامة] روى محمد بن نصر المروزي عن أبي ذر وأبي الدرداء قالا ٤٧٥ [... وقال رجل وكيف تعرف أمتك من بين الأمم ؟ قال: «غر محجّلون من آثار الطهور، ولا يكون أحد من الأمم كذلك غيرهم، وأعرفهم يؤْتَوْن كتبهم بأيمانهم ، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود ، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم »] [2] ضعيف .

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَاهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَافِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * (٩) ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ * (١٠) ﴾

يأمر تعالى رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين ، هؤلاء بالسلاح والقتال ، وهؤلاء بإقامة الحدود عليهم ﴿ واغلظ عليهم ﴾ أي في الدنيا ﴿ ومأواهم جهنم وبئس

---

(١) الآية رقم /١٩/ . (٢) هذا الحديث فيه ابن لهيعة وهو ضعيف .

المصير ﴾ أي في الآخرة ثم قال تعالى: ﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا ﴾ أي في مخالطتهم ومعاشرتهم للمسلمين ليس لهم أية جدوى، فلا ينفعهم ذلك عند الله تعالى إن لم يكن الإيمان حاصلاً في قلوبهم. ثم ذكر المثل فقال : ﴿ امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحَيْن ﴾ أي نبيين رسولَيْن عندهما في صحبتهما ليلاً ونهاراً يؤاكلانهما ، ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط ﴿ فخانتاهما ﴾ أي في الإيمان لم يوافقاهما على الإيمان ولا صدّقاهما في الرسالة ، فلم يجدِ ذلك كلّه شيئاً ولا دفع عنهما محذوراً ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً ﴾ أي لكفرهما ﴿ وقيل ﴾ للمرأتين ﴿ ادخلا النارَ مع الداخلين ﴾ وليس المراد بقوله تعالى : ﴿ فخانتاهما ﴾ في فاحشة بل في الدين **فإن نساء الأنبيـــاء مَعْصُوماتٌ عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء** .كمـــا قدّمنا في سورة النور .[1]

قال سفيان الثوري عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن قرم : سمعت ابنَ عباس (رض) يقول في هذه الآية ﴿ فخانتاهما ﴾ قال : ما زنتا ؛ أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون ، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدلّ قومَها على أضيافه ؛ وقال العوفي عن ابن عباس : كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما ، فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح فإذا آمن مع نوح أحدٌ أخبرت الجبابرة من قوم نوح به،وأما امرأة لُوط ﷺ فكانتْ إذا أضاف لوط أحداً أخبرت به أهلَ المدينة ...!! وقال الضحاك عن ابن عباس : **ما بغتِ امرأةُ نبيٍّ قط**[2]، إنما كانت خيانتاهما في الدين . وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم .

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ۞ (١١) وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَانِتِينَ ۞ (١٢) ﴾

وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم

(١) وقد ألفنا في هذا الموضوع كتاباً أسميناه : «نوال المنى ، في إثبات عصمة نساء الأنبياء من الزنى» .
(٢) له حكم المرفوع وروي مرفوعاً أيضاً من وجه آخر .

كما قال تعالى : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلاّ أن تتقوا منهم تقاةً ﴾ قال قتادة : كان فرعون أعتى أهل الأرض وأكفرهم ، فوالله ما ضر امرأتَه كفرُ زوجها حين أطاعت ربها ، ليعلموا أن الله تعالى حكم عدلٌ لا يؤآخذ أحداً إلاّ بذنبه. وقال ابن جرير عن سلمان قال : كانت امرأة فرعون تعذّب في الشمس ، فإذا انصرف عنها أظلّتها الملائكة بأجنحتها ، وكانت ترى بيتَها في الجنة .

ثم قال ابن جرير عن أبي بزّة قال : كانت امرأة فرعون تسأله من غلب ؟ فيقال : غلب رب موسى وهارون.فتقول : آمنت برب موسى وهارون ، فأرسل إليها فرعون فقال : انظروا أعظم صخرةٍ تجدونها،فإن مضت على قولها فألقوها عليها،وإن رجعت عن قولها فهي امرأتي . فلمّا أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتها في الجنة ، فمضت على قولها ، وانتُزِعت روحها وألقيتِ الصخرة على جسد ليس فيه روح . فقولها : ﴿ رب ابنِ لي عندك بيتاً في الجنّة ﴾ قالت العلماء : اختارت الجار قبل الدار.وقد ورد شيء من ذلك في حديث مرفوع .

﴿ ونجّني من فرعون وعمله ﴾ أي خلّصني منه فإني أبرأ إليك من عمله ﴿ ونجّني من القوم الظالمين ﴾ أي الذين ظلموا أنفسهم بالكفر برب السموات والأرض ومن فيهن وما بينهما وإلّه كلّ شيء ومعبوده . سبحانه وتعالى لا إلّه غيره، ولا رب سواه. وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها (وأرضاها) .

وكذلك امرأة خازن فرعون كانت مؤمنة أيضاً ، فشعرت بها ابنة فرعون فشكتها إلى أبيها. فأمر بتعذيبها لعلّها تكفر بالله وتتخذ فرعون رباً لها،فأبت وقالت : ربي وربك ورب كل شيء الله وإياه أعبد. فهددها بذبح ولديها في فيها ...! ! فقالت : اقض ما أنت قاضٍ فذبحهما الواحد بعد الآخر في فيها ! ! ! وكان كل ولد تناديها روحه : « إصبري يا أمّه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا وسمعت امرأةُ فرعون كلامَ روحَيْ ابنيها الأكبر والأصغر، فازدادتْ إيماناً وفاضت روح امرأة خازن فرعون، وأحسّ فرعون بإيمان زوجته فأمر بقتلها على الشكل الذي ذكرناه آنفاً رحم الله امرأة فرعون وامرأة خازنه ورضي عنهما وأرضاهما .

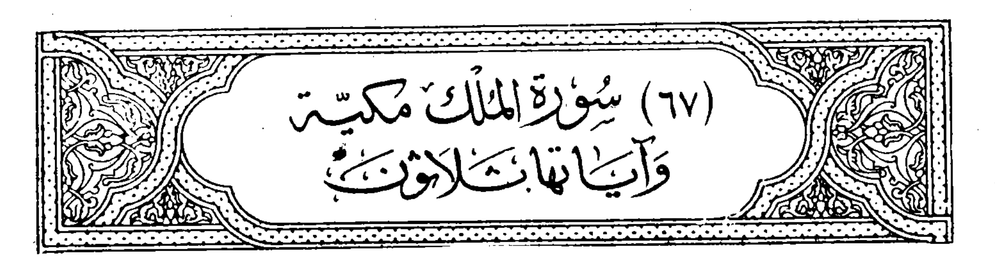
وقوله تعالى : ﴿ ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها ﴾ أي حفظته وصانته والإحصان هو العفاف والحرية ﴿ فنفخنا فيه من روحنا ﴾ أي بواسطة الملك وهو جبريل

فإن الله تعالى بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي ، وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه في جيب درعها ، فنزلت النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليه السلام ولهذا قال تعالى : ﴿ فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربّها وكتبه ﴾ أي بقدره وشرعه ﴿ وكانت من القانتين ﴾

روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال : ٤٧٦ [خطّ رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط وقال : « أتدرون ما هذا ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . فقال رسول الله ﷺ : « أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون »] .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة بسنده إلى أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ : ٤٧٧ [كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام] وقد ذكرنا طرق هذه الأحاديث وألفاظها والكلام عليها في قصة عيسى بن مريم عليهما السلام في كتابنا « البداية والنهاية » ولله الحمد والمنة ، وذكرنا ما ورد من الحديث من أنها تكون هي وآسية بنت مزاحم من أزواجه عليه السلام في الجنّة عند قوله تعالى : ﴿ ثيّبات وأبكاراً ﴾

آخر اختصار تفسير سورة التحريم ولله الحمد والمنة وبه العصمة
والتوفيق وعليه التُّكلان



نزلت بعد سورة الطور

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ (١) ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۞ (٢) ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ۞ (٣) ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ ۞ (٤) وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۞ (٥) ﴾

روى الإمام أحمد بسنده إلى أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :٤٧٨ [إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غفر له : ﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾] ورواه أهل السنن الأربعة وقال الترمذي هذا حديث حسن . وروى الطبراني والحافظ الضياء المقدسي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : ٤٧٩ [سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة : ﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾].

وروى الترمذي عن جابر : ٤٨٠[ان رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ: ﴿ ألم . التنزيل ، وتبارك الذي بيده الملك ﴾] . **وإن يدَه صفة له ، لا هي نعمته ولا قدرته ، إنما هي يدُه حقيقةً بلا كيف لا تشبه أيدي المخلوقين في شيء ... يتصرف في ملكه بما يشاء**

* * *

يمجّد الله تعالى نفسه ويخبر أنه بيده الملك.. وهو المتصرف في جميع مخلوقاته بما يشاء، لا معقّب لحكمه ولا يسأل عما يفعل، لقهره وحكمته وعدله. ولهذا قال تعالى ﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ الذي خلق الموت والحياة ﴾ واستدل بهذه الآية من قال : ان الموت أمر وجودي لأنه مخلوق ، ومعنى الآية : أنه أوجد الخلائق من العدم ليبلوهم أي يختبرهم أيهم أحسن عملاً . كما قال تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ﴾ فسمَّى الحال الأول وهو العدم، موتاً. وسمَّى هذه النشأة، حياة.ولهذا قال تعالى : ﴿ ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً ﴾ أي خير عملاً ، ولم يقل أكثر عملاً . ثم قال تعالى ﴿ وهو العزيز الغفور ﴾ أي هو العزيز العظيم المنيع الجناب وهو مع ذلك غفور لمن تاب إليه وأناب بعدما عصاه وخالف أمره . ثم قال تعالى : ﴿ الذي خلق سبع سموات طباقاً ﴾ أي طبقة بعد طبقة وهل هنَّ متواصلات بمعنى أنهنَّ علويات بعضهن على بعض ، أو متفاصلات بينهن خلاء ... فيه قولان وأصحهما الثاني كما دلّ على ذلك حديث الإسراء. وقوله تعالى: ﴿ ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ﴾ أي ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة ولا نقص ولا عيب ولا خلل . ولهذا قال تعالى : ﴿ فارجع البصر هل ترى من فطور ﴾ أي انظر إلى السماء فتأمّلها هل ترى فيها عيباً أو نقصاً أو خللاً أو شقوقاً . وقوله تعالى : ﴿ ثم ارجع البصر كرّتين ﴾ أي مرتين ﴿ ينقلبْ إليك البصر خاسئاً ﴾ أي أنك لو كررت البصر ومهما كررت لانقلب اليك أي لرجع إليك البصر ﴿ خاسئاً ﴾ عن أن يرى عيباً أو خللاً ﴿ وهو حسير ﴾ أي كليل قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرار ولا يرى نقصاً ، ولمّا نفى عنها في خلقها النقص ، بيّنَ كمالها وزينتها . فقال : ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثوابت . وقوله تعالى : ﴿ وجعلناها رجوماً للشياطين ﴾ عاد الضمير في قوله : ﴿ وجعلناها ﴾ على جنس المصابيح لا على عينها لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء بل بشهب من دونها وقد تكون مستمدةً منها ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ وأعتدنا لهم عذاب السعير ﴾ أي جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا

واعتدنا لهم عذاب السعير في الأخرى . قال قتادة: إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها الله زينةً للسماء، ورجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها. فمن تأوّل فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه ، وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به. رواه ابن جرير. وابن أبي حاتم .

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۞ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ ۞ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۞ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۞ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ ۞ (١٠) فَٱعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ ۞ (١١) ﴾

يقول تعالى : ﴿ و ﴾ اعتدنا ﴿ للذين كفروا بربّهم عذاب جهنم وبئس المصير ﴾ أي بئس المآل والمنقلب ﴿ إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً ﴾ يعني صياحاً ﴿ وهي تفور ﴾ تغلي بهم وقوله تعالى : ﴿ تكاد تميّزُ من الغيظ ﴾ أي يكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها عليهم . ﴿ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذّبنا وقلنا ما نزّل الله من شيء إن أنتم إلاّ في ضلال كبير ﴾ يذكر تعالى عدله في خلقه وانه لا يعذّب أحداً إلاّ بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه. كما قال تعالى : ﴿ وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولاً ﴾ وهكذا عادوا على أنفسهم بالملامة وندموا حيث لا تنفعهم الندامة فقالوا : ﴿ لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في اصحاب السعير ﴾ روى الإمام أحمد بسنده إلى من سمعه من رسول الله ﷺ :٤٨١ [لا يد خل أحد النار إلا وهو يعلم أنَّ النار أولى به من الجنة] ﴿ فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير ﴾

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۞ (١٢) وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

ٱلصُّدُورِ ۝(١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝ (١٤) هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۝ (١٥)

يخبر تعالى عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس فينكفّ عن المعاصي ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحدٌ إلاّ الله تعالى بأنه له مغفرة وأجر كبير أي تكفَّرُ عنه ذنوبه ويجازى بالثواب الجزيل كما ثبت في الصحيحَين : ٤٨٢ [«سبعة يظلّهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلاّ ظله»] فذكر منهم رجلاً دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال « إني أخاف الله ورجلاً تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » ثم قال تعالى منبهاً على أنه مطّلع على الضمائر والسرائر ﴿ وأسِرُّوا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ﴾ أي بما يخطر في القلوب ﴿ ألا يعلم من خلق ﴾ أي ألا يعلم الخالقُ؟﴿ وهو اللطيف الخبير ﴾ ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخيره لهم الأرض وتذليله إياها لهم بأن جعلها قارّة ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال وأنبع فيها من العيون ، وسلك فيها من السبل، وهيأ فيها المنافع ومواضع الزروع والثمار. فقال تعالى : ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها ﴾ أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها وارتياد انواع المكاسب واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئاً إلاّ أن ييسره الله لكم. ولهذا قال تعالى : ﴿ وكلوا من رزقه ﴾ فالسعي في السبب لا ينافي التوكل . وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ٤٨٣ [لو أنكم تتوكلون على الله حقّ توكّله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً وتروح بطاناً] رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن هبيرة وقال الترمذي : حسن صحيح . فأثبت لها رواحاً وغدُوّاً لطلب الرزق مع توكلها على الله عزّ وجل وهو المسخّر المسيّر المسبّب ﴿ وإليه النشور ﴾ أي المرجع يوم القيامة .

ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝ (١٦) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا

فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۞ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۞ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ۞ (١٩)

ومن لطفه تعالى ورحمته بخلقه انه يحلم ويصفح ويؤجل، مع أنه قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم به وعبادتهم معه غيره. فقال : ﴿ أأمنتم من في السماء[1] ان يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ﴾ أي تذهب وتجيء وتضطرب ﴿ أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً ﴾ أي ريحاً فيها حصباء تدفعكم. كما قال تعالى: ﴿ أفأمنتم ان يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لا تجدوا لكم وكيلاً ﴾ وهكذا توعّدهم هنا بقوله : ﴿ فستعلمون كيف نذير ﴾ أي كيف يكون إنذاري. ثم قال : ﴿ ولقد كذب الذين من قبلهم ﴾ أي من الأمم السالفة ﴿ فكيف كان نكير ﴾ أي فكيف كان إنكاري عليهم وعقابي لهم . ثم قال تعالى : ﴿ أولم يروا إلى الطير فوقهم صافّات ويقبضن ﴾ أي تارةً يصفقن اجنحتهن في الهواء وتارةً تجمع جناحاً وتنشر آخر ﴿ ما يمسكهنّ ﴾ أي في الجو ﴿ إلاّ الرحمن ﴾ أي بما سخّر لهنّ من الهواء من رحمته ولطفه ﴿ انه بكل شيء بصير ﴾ أي بما يصلح كل شيء من مخلوقاته . وهذه كقوله تعالى: ﴿ ألم يروا إلى الطير مسخراتٍ في جو السماء ما يمسكهن إلاّ الله . إن في ذلك لآياتٍ لقوم يؤمنون ﴾ .

---

(١) قلت : وهذه الآية من جملة الآيات الدالات على أن ذات الله في السماء؛ ولا يلزم من قوله «أأمنتم من في السماء ...» ان يكون الله داخل السماء... تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً. فالله أكبر من السموات ومن كل شيء. وليس معنى الآية أن السماء تحتويه سبحانه وتعالى لأن «في» ليست الظرفية... إنما هي تفيد العلو. أي بمعنى (على) ومثل هذا وارد في القرآن كقوله تعالى على لسان فرعون : « لأصلبنكم في جذوع النخل » أي في أعالي جذوع النخل لا في داخلها. وعقيدة علو ذات الله، هي عقيدة السلف الصالح بخلاف عقيدة الخلف التي تقول ان الله في كل مكان خسيساً كان أم نفيساً ، أو ان الله ليس فوقاً ولا تحتاً ولا يميناً ولا شمالاً ولا أماماً ولا خلفاً ولا هو داخل العالم ولا خارجه . وهذه صفات المعدوم والعياذ بالله تعالى من الكفر والضلال. فما أهدى عقيدة السلف الصالح ! كيف لا والسلف الصالح هم محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام والقرون الخيرة التي شهد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيرية. فنحن نؤمن يقيناً أن ذات الله في السماء أي فوق السماء ، وفوق العرش وفوق الكرسي ، بلا تكييف . ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل ولا تجسيم . إنها فوقية حقيقية تليق بجلاله وعظمته . وهو مع خلقه جميعاً في صفاته العلى أينما كانوا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك .

﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ❁ (٢٠) أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ❁ (٢١) أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ❁ (٢٢) قُلْ هُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ❁ (٢٣) قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ❁ (٢٤) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ❁ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ❁ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ❁ (٢٧) ﴾

يقول تعالى للمشركين الذين عبدوا معه غيره يبتغون عندهم نصراً ورزقاً ، منكراً عليهم فيما اعتقدوه ، ومخبراً لهم انه لا يحصل لهم ما أمّلوه ؛ فقال تعالى : ﴿ أمّن هذا الذي هو جندٌ لكم ينصركم من دون الرحمن ﴾ أي ليس لكم من دونه من وليّ ولا واقٍ ولا ناصر لكم غيره . ولهذا قال تعالى : ﴿ إن الكافرون إلاّ في غرور ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ أمّن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه ﴾ أي من هـــذا الذي إذا قطع الله عنكم رزقه ، يرزقكم بعده ؟ أي لا أحد يعطي ويمنع ، ويخلق ويرزق وينصر إلاّ الله عز وجل وحده لا شريك له ، أي وهم يعلمون ذلك،ومع هذا يعبدون غيره . ولهذا قال تعالى : ﴿ بل لجوّا ﴾ أي استمروا في طغيانهم وإفكهم وضلالهم ﴿ في عتوٍّ ونفور ﴾ أي في معاندتهم ، ونفور على أدبارهم عن الحق لا يسمعون ولا يتبعون. ثم قال تعالى : ﴿ أفمن يمشي مكبّاً على وجهه أهدى أمّن يمشي سويّاً على صراط مستقيم ﴾ أي على طريقٍ واضح مستقيم في الدنيا والآخرة . فالمؤمن يمشي يوم القيامة سويّاً على صراطٍ مستقيم مفضٍ به إلى الجنة ، واما الكافر يحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم .

روى الإمام أحمد رحمه الله بسنده إلى أنس بن مالك قال: ٤٨٤ [يا رسول الله كيف

يحشر الناس على وجوههم؟ فقال : « أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادراً أن يمشيهم على وجوههم »] وهذا الحديث مخرّج في الصحيحين . وقوله تعالى : ﴿ هو الذي أنشأكم ﴾ أي ابتدأ خلقكم من العدم ﴿ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾ أي العقول والإدراك ﴿ قليلاً ما تشكرون ﴾ أي قلّما تستعملونها في طاعته، وامتثاله أوامره وترك زواجره. ﴿ قل هو الذي ذرأكم في الأرض ﴾ أي بثّكم ونشركم مع اختلاف ألسنتكم وصوركم . ﴿ وإليه تحشرون ﴾ أي يجمعكم كما فرّقكم . ويقول الكفار : ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ أي متى يقع يوم الحشر ﴿ قل إنما العلم عند الله ﴾ أي لا يعلم وقته إلا الله إنما أمرني أن أخبركم بحتميّة وقوعه ﴿ وإنما أنا نذير مبين ﴾ أي إنما عليّ البلاغ وقد أدّيته إليكم . وقال تعالى : ﴿ فلما رأوه زلفةً سيئت وجوه الذين كفروا ﴾ أي لمّا شاهد الكفار يوم القيامة ووقع ما كذبوا به ساءهم ذلك وقد جاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال ولا حساب. ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ ولهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ : ﴿ هذا الذي كنتم به تدّعون ﴾ أي تستعجلون .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ ٱلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ (٢٨) قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞ (٢٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ۞ (٣٠) ﴾

يقول تعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله ، الجاحدين لنعمه. ﴿ أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم ﴾ أي سواء عذبنا الله أو رحمنا فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم ؛ فخلّصوا أنفسكم بالتوبة إلى الله والرجوع إلى دينه، فلا ينفعكم تمنّي العذاب لنا . ثم قال تعالى : ﴿ قل هو الرحمن آمنّا به وعليه توكلنا ﴾ أي توكّلنا على الرحمن في كل أمورنا. ولهذا قال تعالى : ﴿ فستعلمون من هو في ضلال مبين ﴾ أي منّا ومنكم ولمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة .

ثم قال تعالى إظهاراً لرحمته ﴿ قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً ﴾ أي غائراً في الأرض ﴿ فمن يأتيكم بماء معين ﴾ أي نابع سائح جار على وجه الأرض،أي لا يقدر على ذلك إلا الله عزّ وجلّ من فضله وكرمه .

آخر سورة الملك والحمد لله وله المنّة وبه العصمة ، وعليه التّكلان



إلاَّ من الآية ١٧ ـ ٢٢ ومن الآية ٤٨ ـ ٥٠ فمدنية نزلت بعد سورة العلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۞ (١) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۞ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ ۞ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۞ (٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۞ (٥) بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ۞ (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۞ (٧)

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة (١) وان قوله تعالى : ﴿ ن ﴾ كقوله : ﴿ ص ، ق ﴾ ونحو ذلك من الحروف المقطعة في أوائل السور . وقيل المراد بقوله ﴿ ن ﴾ حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط وهو حامل للأرضين السبع !!! ؟ وقيل هو الدواة وأيد هذا التفسير ابن عباس وقتادة والحسن (٢) ﴿ والقلم ﴾ الظاهر انه جنس القلم الذي يكتب به . كقوله ﴿ اقرأ بسم ربك الذي خلق ـ إلى قوله ـ اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ فهو قسم منه تعالى وتنبيه لخلقه على

---

(١) راجع أول تفسير سورة البقرة ـ المجلد الأول ـ الصفحة : ٢١ ، ٢٢ .

(٢) (ن) أصحُّ تفسير لها «الله اعلم بمراده». والنون في اللغة : الحوت . وهو ايضاً : الدواة . فان كان ولا بد فتفسير النون بالدواة أقرب مناسبة للقلم . وإلاَّ فما مناسبة الحوت مع القلم ! وعلى كل فالله أعلم بمراده .

ما أنعم عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم. ولهذا قال ﴿ وما يسطرون ﴾ وقيل القلم الذي هو أول الخلق لقوله ﷺ ٤٨٥ [أول ما خلق الله القلم ...] وقوله : ﴿ وما يسطرون ﴾ قال ابن عباس وغيره يعني وما يكتبون أو ما يعلمون . وقال السدي : ﴿ وما يسطرون ﴾ يعني الملائكة وما تكتب من أعمال العباد. والأصحّ أي يكتبون . وقوله تعالى : ﴿ ما أنت بنعمة ربّك بمجنون ﴾ أي لست ولله الحمد بمجنون كما يقوله الجهلة من قومك ، المكذّبون بما جئتهم به من الهدىَ والحقّ المبين ، فنسبوك إلى الجنون. ﴿ وأن لك لأجراً غير ممنون ﴾ أي بل إنّ لك الأجر العظيم والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد، على إبلاغك رسالة ربّك إلى الخلق، وصبرك على أذاهم . ومعنى غير ممنون أي غير مقطوع. كقوله ﴿ عطاء غير مجذوذ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وإنّك لعلى خُلُقٍ عظيم ﴾ روى مَعْمَرْ عن قتادة : ٤٨٦ [سئلت عائشة عن خُلُق رسول الله ﷺ قالت : كان خلقه القرآن] كما هو في القرآن . وعن رجل من بني سواد قال : ٤٨٧ [سألت عائشة فقلت : اخبريني يا أم المؤمنين عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : أما تقرأ القرآن ﴿ وإنك لعلىَ خُلُق عظيم ﴾ قال: قلت حدثيني عن ذاك قالت : صنعتُ له طعاماً . وصنعتْ له حفصة طعاماً ، فقلت لجاريّتي إذهي فإن جاءت هي بالطعام فوضعته قبلُ فاطرحي الطعام. قالت فجاءت بالطعام قالت فألقت الجارية: فوقعت القصعة فانكسرت ، وكان نَطَعَ [(1)] قالت فجمعه رسول الله ﷺ وقال : « أقتصوا — أو اقتصي شكّ أسود — ظرفاً مكان ظرفك » قالت فما قال شيئاً .] ومعنى قول عائشة : كان خلقه القرآن ... أي انه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجيةً له. وخلقاً تطبّعه. فمهما أمره القرآن فعلَه. ومهما نهاه عنه تركَه. هذا مع ما جبله الله عليه من الخُلُق العظيم من الحياءِ والكرم. والشجاعة والصفْح والحِلم. وكل خُلُق جميل. كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال : ٤٨٨ [خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي: أف قط . ولا قال لشيء فعلتُه لمَ فعلتَه؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلتَه؟ وكان ﷺ أحسن الناس خُلُقاً ولا مسَسْت خزّاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألينَ من كفّ رسول الله ﷺ ، ولا شَمَمْتُ مِسكاً ولا عُطراً كان أطيبَ من عَرَقِ رسول الله ﷺ] وروى أحمد عن عائشة قالت : ٤٨٩ [ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط ، ولا ضرب امرأة ولا ضرب بيده شيئاً قط . إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا خُيِّر بين شيئين قط إلا كان أحبُّهما إليه أيسرُهما. حتى يكون إثماً فإذا كان إثماً كان أبعدَ الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه ، إلا أن تنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله عز وجل]

(١) نطع : شبع .

والأحاديث في هذا كثيرة . ولأبي عيسى الترمذي في هذا كتاب الشمائل . وقوله تعالى : ﴿ فستبصر ويبصرون بأيّكم المفتون ﴾ أي فستعلم يا محمّدو سيعلم مخالفوك ومكذّبوك مَن المفتون الضالّ منكم ومنهم. وهذا كقوله تعالى: ﴿ سيعلمون غداً من الكذاب الأشر﴾ وكقوله تعالى : ﴿ وإنّا أو إياكم لعلىٰ هُدىً أو في ضلال مبين ﴾ ومعنى المفتون ظاهر أي الذي قد افتتن عن الحقّ وضلّ عنه . وإنّما دخلت الباء في قوله ﴿ بأيكم ﴾ لتدلّ على تضمين الفعل في قوله ﴿ فستبصر ويبصرون ﴾ وتقديره فستخبرَ ويخبَرون بأيكم المفتون والله أعلم . ثم قال: ﴿ إنّ ربّك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ أي هو يعلم تعالى أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي، ويعلم الحزب الضالّ عن الحقّ .

﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ❁ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ❁(٩) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ❁ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ❁ (١١) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ❁ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ❁ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ❁ (١٤) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ❁ (١٥) سَنَسِمُهُ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ❁ (١٦) ﴾

يقول تعالى: كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلُق العظيم. ﴿ فلا تطع المكذّبين. ودُّوا لو تدهن فيدهنون ﴾ قال ابن عباس: لو ترخص لهم فيرخصون ثم قال تعالى : ﴿ ولا تطعْ كلّ حلاّف مهين ﴾ وذلك إنّ الكاذب لضعفه ومهانته إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترىء بها على أسماء الله تعالى واستعمالها في كل وقت في غير محلّها . قال الحسن : كل حلاّفٍ ، مكابرٍ مهين ضعيف . وقوله تعالى : ﴿ همّازٍ ﴾ أي مغتاب ﴿ مشاءٍ بنميم ﴾ يعني الذي يمشي بين الناس تحريشاً وفساداً، ومشياً بالنميمة وهي الحالقة، وعن ابن عباس قال: ٤٩٠ [مر رسول الله ﷺ بقبرَين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، أما أحدُهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»] متفق عليه وروى الإمام أحمد بسنده إلى حذيفة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ٤٩١ [لا يدخل الجنة قتّات] رواه الجماعة إلاّ ابنُ ماجه ومعنى القتات النمام . وعن أحمد عن حذيفة مرفوعاً ٤٩٢ [لا يدخل الجنّة نمّام] وقوله تعالى: ﴿ منّاع للخير معتد أثيم ﴾ أي يمنع ما عليه وما لديه من الخير ﴿ معتدٍ ﴾ في تناول ما أحل الله له يتجاوز فيها الحدّ المشروع ﴿ أثيم ﴾

أي يتناول المحرّمات . وقوله تعالى: ﴿ عتلٍّ بعد ذلك زنيم ﴾ اما العتلّ فهو الفظ الغليظ الصحيح الجموع المنوع . وروى الإمام أحمد عن حارثة بن وهب قال قال رسول الله ﷺ : ٤٩٣ [ألا انبئكم بأهل الجنة، كلّ ضعيف متضعّف لو أقسم على الله لأبرّه ، ألا أنبئكم بأهل النار كل عتلّ جواظ مستكبر] وقال وكيع كـل جواظ جعظري مستكبر أخرجاه في الصحيحَيْن وبقية الجماعة إلا أبا داود . والزنيم في لغة العرب : هو الدعي في القوم ومنه قول حسان بن ثابت يذم بعض كفار قريش :

« وأنت زنيم نيط في آل هـاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد»

وعن عكرمة قال : يعرف المؤمن من الكافر مثل الشاة الزنماء. والزنماء من الشياه: التي في عنقها هنتان معلقتان في حلقها . قال البخاري: رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة ومعنى هذا أنه كان مشهوراً بالسوء كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها . وقوله تعالى : ﴿ أن كان ذا مالٍ وبنين . إذا تتلى عليه آياتُنا قال أساطيرُ الأوّلين ﴾ يقول تعالى: هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين كفر بآيات الله عزّ وجل وأعرض عنها، وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين . كقوله تعالى: ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا * وجعلت له مالاً ممدوداً * وبنين شهوداً ﴾ — إلى قوله تعالى — ﴿ فقال إن هذا إلاّ سحر يؤثر * إن هذا إلاّ قول البشر * سأصليه سقر ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ قال ابن جرير : سنبين أمره بياناً واضحاً حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم كما لا تخفى عليهم السمة على الخراطيم . وعن ابن عباس : أي يقاتل يوم بدر فيخطم بالسيف في القتال وقال آخرون يعني سنسمه سمة أهل النار . ولا مانع من اجتماع الجميع في الدنيا والآخرة . وعن عبدالله بن عمر من بعض حديث له مرفوعاً ٤٩٤ [... ومن مات همازاً لمازاً ملقّباً للناس كان علامته يوم القيامة أن يسمه الله على الخرطوم من كلا الشفتين] .

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ❁ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ ❁ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ❁ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ❁ (٢٠) فَتَنَادَوْا

مُصْبِحِينَ ۞ (٢١) أَنِ ٱغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ۞ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ۞ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۞ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ۞ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ۞ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۞ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۞ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۞ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ۞ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ۞ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ۞ (٣٢) كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۞ (٣٣)

هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدي اليهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعمة الجسيمة، وهو بعثه محمد ﷺ إليهم. فقابلوه بالتكذيب، والرد والمحاربة. ولهذا قال تعالى: ﴿ إنّا بلوناهم ﴾ أي اختبرناهم ﴿ كما بلونا أصحاب الجنة ﴾ وهي البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه ﴿ إذ أقسموا ليصرمُنّها مصبحين ﴾ أي حلفوا فيما بينهم ليجذنَّ ثمرها لئلا يعلم بهم فقير، ليتوفّر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء ﴿ ولا يستثنون ﴾ أي فيما حلفوا به، ولهذا حنثهم الله في أيمانهم. فقال تعالى: ﴿ فطاف عليها طائف من ربّك وهم نائمون ﴾ أي أصابتها آفة سماوية ﴿ فأصبحت كالصريم ﴾ أي كالهشيم. وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ٤٩٥ [إياكم والمعاصي إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقاً قد كان هُيّىء له] ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ فطاف عليها طائف من ربّك وهم نائمون فأصبحت كالصريم ﴾ فحرموا خير جنّتهم بذنبهم.

﴿ فتنادوا مصبحين ﴾ أي نادى بعضهم بعضاً ليقطعوا ثمرهم ﴿ أنِ اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين ﴾ أي تريدون القطع. قال مجاهد: كان حرثهم عنباً ﴿ فانطلقوا وهم يتخافتون ﴾ أي بحيث لا يُسمع كلامهم، وفسّر الله ما كان يتخافتون به فقال تعالى: ﴿ أن لا يدخلنّها اليوم عليكم مسكين ﴾ أي لا تمكنوا اليوم فقيراً يدخلها عليكم. قال الله تعالى: ﴿ وغدوا على حرد ﴾ أي على قوّة وشدة وجد وغيظ. ﴿ قادرين ﴾

أي عليها فيما يزعمون ويرومون ﴿ فلما رأوها قالوا إنّا لضالون ﴾ أي وصلوها وجدوا أنها استحالت مدلهمّة سوداء لا يُنتفعُ بشيء منها وأدركوا خطأهم . ولهذا قالوا : ﴿ إنا لضالون ﴾ أي تهنا عن طريقها ثم تيقنوا أنها هي .. فقالوا : ﴿ بل نحن محرومون ﴾ لا حظّ لنا فيها ولا نصيب ﴿ قال أوسطهم ﴾ أي أعدلهم وخيرهم ﴿ ألم أقل لكم لولا تسبحون ﴾ أي تقولون : إن شاء الله ، وقيل : هلاّ تسبّحون الله وتشكرونه على ما أنعم عليكم ﴿ قالوا سبحان ربنا إنّا كنّا ظالمين ﴾ أي ندموا حيث لا ينفع الندم ولهذا قالوا : ﴿ إنّا كنا ظالمين . فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ﴾ أي يلوم بعضهم بعضاً على ما فرطوا من جانب الفقراء واعترفوا بخطيئتهم ﴿ قالوا يا ويلنا إنا كنّا طاغين ﴾ أي معتدين باغين فأصابنا ما أصابنا .

﴿ عسى ربنا أن يبدلنَا خيراً منها إنّا إلى ربنا راغبون ﴾ قيل احتسبوا ثوابها في الآخرة وذكر بعض السلف إن هؤلاء من أهل اليمن من قرية اسمها (ضروان) على ستة أميال من صنعاء . وقيل كانوا من أهل الحبشة . فلما عزموا على فعلهم ومنع الفقراء عنها ، عوقبوا بنقيض قصدهم فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية : رأس المال والربح والصدقة ، فلم يبق لهم شيء قال الله تعالى ﴿ كذلك العذاب ﴾ أي هكذا عذاب من خالف امر الله وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه، ومنع حق المسكين والفقير وذوي الحاجات، وبدل نعمة الله كفراً . ﴿ ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ أي عذاب الآخرة أشق وقد ورد عن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ : ٣٩٦ [نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل]

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۞ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۞ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۞ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۞ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ۞ (٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ۞ (٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ۞ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ۞ (٤١) ﴾

(١) قلت : وفي تفسير الجلالين : « أي راغبون ليقبل توبتنا ويرد علينا خيراً من جنتنا . وروي أنهم أبدلوا خيراً منها » .

لما ذكر تعالى أهل الجنة الدنيوية التي أفناها الله بما خالفوا أمره ، ناسب أن يبيّن أن لمن اتقاه وأطاعه جنات النعيم في الآخرة ، لا تبيد ولا تفرغ ، ولا ينقص نعيمها. ثم قال تعالى : ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ﴾ أي أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء ... ؟ كلا .. ولهذا قال : ﴿ ما لكم كيف تحكمون ﴾ أي كيف تظنون ذلك ؟

ثم قال تعالى : ﴿ أم لكم كتاب فيه تدرسون إنّ لكم فيه لما تخيرّون ﴾ أي أفبأيديكم كتاب منزل من السماء يتضمن حكم ما تدّعونه ؟ ﴿ أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة ؟ إن لكم لما تحكمون ﴾ أي أمعكم عهود منا ومواثيق مؤكدة، وسيحصل لكم ما تريدون وتشتهون . ﴿ سلهم أيّهم بذلك زعيم ﴾ أي من هو الكفيل بهذا ؟ ﴿ أم لهم شركاء ﴾ أي من الأصنام والأنداد ﴿ فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين ﴾ .

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۞ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ۞ (٤٣) فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۞ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ۞ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ۞ (٤٦) أَمْ عِنْدَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۞ (٤٧) ﴾

لما ذكر تعالى ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم ، بيّن متى ذلك كائن وواقع فقال تعالى : ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾ يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام . وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ٤٩٧ [يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً.] ورواه غيره من طرق وقوله تعالى : ﴿ خاشعةً أبصارهم ترهقهم ذلة ﴾ أي في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه. ولما دعوا إلى السجود في الدنيا، فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم، كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة . إذا تجلى الرب عز وجل فيسجد له المؤمنون ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد ، كما كانوا في الدنيا . بخلاف ما عليه

المؤمنون . ثم قال تعالى : ﴿ فذرني ومن يكذب بهذا الحديث ﴾ يعني القرآن . وهذا تهديد شديد . أي دعني وإياه أنا أعلم به منه كيف استدرجه وأمده في غيه ، وأنظره ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر . ولهذا قال سبحانه : ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾ أي وهم لا يشعرون. بل يعتقدون أن ذلك كرامة من الله. وهو في حقيقة الأمر إهانة. كما قال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾ ولهذا قال ها هنا ﴿ وأملي لهم إن كيدي متين ﴾ أي وأؤخرهم وأمدهم وذلك من كيدي ومكري بهم . ولهذا قال تعالى : ﴿ إن كيدي متين ﴾ أي عظيم لمن خالف أمري وكذب رسلي واجترأ على معصيتي . وفي الصحيحين : عن رسول الله ﷺ أنه قال : ٤٩٨ [إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته] ثم قرأ ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون ؟ أم عندهم الغيب فهم يكتبون ﴾ أي إنك يا محمد تدعوهم إلى الله عز وجل بلا أجر تأخذه منهم . بل ترجو ثواب ذلك عند الله تعالى وهم يكذبون بما جئتهم به ، بمجرد الجهل والكفر والعناد .

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ۞ (٤٨) لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ۞ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ ۞ (٥٠) وَإِنْ يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ۞ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۞ (٥٢) ﴾

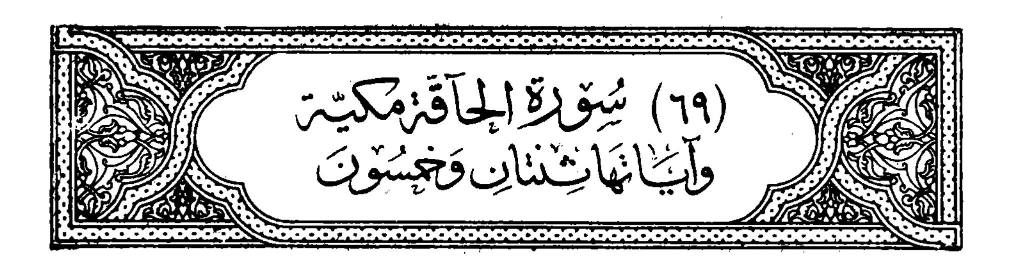
يقول تعالى : ﴿ فاصبر ﴾ يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم ، فإن الله سيحكم لك عليهم،ويجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة ﴿ ولا تكن كصاحب الحوت ﴾ يعني ذا النون وهو يونس بن متى عليه الصلاة والسلام ، حين ذهب مغاضباً على قومه ، فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر ، والتقام الحوت له ، وشرود الحوت به في البحار ، وظلمات غمرات اليم ، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير الذي لا يرد ما أنفذه من التقدير ، حينئذ نادى في الظلمات : ﴿ أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ قال الله تعالى : ﴿ فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴾ وقال تعالى :

﴿ فلولا أنه كان من المسبّحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾ وقال ههنا : ﴿ إذ نادى وهو مكظوم ﴾ أي هو مغموم مكروب ، وفي الحديث ٤٩٩ [إنه لما قال ﴿ لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين ﴾ خرجت الكلمة تحنّ حول العرش فقالت الملائكة : يا ربّ هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبةٍ فقال تبارك وتعالى : أما تعرفون هذا ؟ قالوا : لا. قال : هذا يونس ، قالوا يا ربّ عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة ؟ قال نعم . قالوا : أفلا ترحم ما كان يعمله في الرخاء فتنجيه من البلاء . فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء] ولهذا قال تعالى : ﴿ فاجتباه ربه فجعله من الصالحين ﴾ وروى أحمد عن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ : ٥٠٠ [لا ينبغي لأحد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى] ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري وفي الصحيحَين من حديث أبي هريرة . وقوله تعالى : ﴿ وإنْ يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم ﴾ أي يحسدونك لبغضهم إيّاك لولا وقايته لك وحمايته إيّاك منهم. وفي هذه الآية : دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حقٌ بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك الأخبار والأحاديث المروية من طرق كثيرة .

روى ابو داود في سننه عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : ٥٠١ [لا رقيــة إلاّ من عين أو حُمَة أو دم لا يرقأ] . روى ابن ماجه عن بريدة بن الحصيب قال : قال رسول الله ﷺ : ٥٠٢ [لا رُقية إلاّ من عين أو حُمَــة] وقد أخرجه مسلــم في صحيحه . عن حابس التميمي أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول ٥٠٣ [لا شيء في الهام ، والعين حقّ ، وأصدق الطيرةِ الفألُ] ورواه الترمذي وقال غريب . وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : ٥٠٤ [العين حقّ ، ولو كان شيء سابق القدَر لسبقت العين وإذا استُغْسلْتُم فاغسلوا] . وعن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يُعوِّذُ الحسنَ والحسينَ يقول : ٥٠٥ [أعيذكما بكلمات الله التامّة ، من كل شيطانٍ وهامّة ، ومن كـــل عين لامّة . ويقول : هكذا كان إبراهيم ﷺ يعوذ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام] .

وقوله تعالى : ﴿ ويقولون إنّه لمجنون ﴾ أي يزدرونه بأعينهم ـ لعنهم الله ـ ويؤذونه بألسنتهم ويقولون انه لمجنون ، أي لمجيئه بالقرآن قال الله تعالى : ﴿ وما هو إلاّ ذكر للعالمين ﴾ .

آخر اختصار تفسير سورة القلم والحمد لله وله المنّة وبه العصمة



نزلت بعد سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم



الْحَاقَّةُ ❁ (١) مَا الْحَاقَّةُ ❁ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ❁ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ❁ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ❁ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ❁ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ❁ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ❁ (٨) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ❁ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ❁ (١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ❁ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ❁ (١٢)

الحاقة من أسماء يوم القيامة لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد. ولهذا عظّم الله أمرها فقال ﴿ وما أدراك ما الحاقّة ﴾ ثم ذكر تعالى إهلاكه الأمم المكذبين بها . فقال تعالى: ﴿ فأمّا ثمود فأهلكوا بالطاغية ﴾ وهي الصيحة التي أسكتتهم ، والزلزلة التي أسكنتهم . ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر ﴾ أي باردة ﴿ عاتية ﴾ شديدة الهبوب حتى نقبت افئدتهم بغير رحمة ﴿ سخّرها عليهم ﴾ أي سلطها عليهم ﴿ سبع ليال وثمانية أيام

حسوماً ﴾ أي كوامل متتابعات مشائيم عليهم. كقوله تعالى ﴿ في أيام نحسات ﴾ ويقال إنها التي تسميها الناس « الأعجاز » في آخر الشتاء . وكأنهم اخذوا ذلك من قوله تعالى : ﴿ فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴾ قال ابن عباس ﴿ خاوية ﴾ خربة أي جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتاً على أم رأسه ، فينشدخ رأسه وتبقى جثته هامدة كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان . وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ قال ٥٠٦ [نُصِرتُ بالصبا وأهلكت عادُ بالدبور] ﴿ فهل ترَى لهم من باقية ؟ ﴾ أي هل تحَس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينتسب إليهم، بل بادوا عن آخرهم، ولم يجعل الله لهم خلفاً . ثم قال تعالى : ﴿ وجاء فرعون ومن قبله ﴾ أي ومن قبله من الأمم المشبهين له . وقوله تعالى : ﴿ والمؤتفكات ﴾ وهم الأمم المكذبون بالرسل ﴿ بالخاطئة ﴾ وهي التكذيب بما أنزل الله وقال مجاهد بالخطايا : ولهذا قال تعالى : ﴿ فعصوا رسولِ ربهم ﴾ وهذا جنس . أي كلٌّ كذب رسول الله إليهم .كما قال تعالى : ﴿ إنْ كلٌ كذَّب الرسل فحقَّ وعيد ﴾ ومن كذّب برسول فقد كذّب بالجميع. كما قال تعالى : ﴿ كذّبت قوم نوحٍ المرسلين ﴾ ﴿ كذّبت عادٌ المرسلين ﴾ ﴿ كذبت ثمود المرسلين ﴾ وإنما جاء إلى كل أمةٍ رسول واحد. ولهذا قال : ﴿ فعصَوْا رسولَ ربهم فأخذهم أخذةً رابية ﴾ أي عظيمة شديدة أليمة . ثم قال تعالى : ﴿ إنّا لما طغى الماء ﴾ أي زاد على الحد بإذن الله بسبب دعوة نوح عليه السلام على قومه حين كذبوه وخالفوه فعبدوا غير الله، فاستجاب الله له وعمَّ أهل الأرض بالطوفان، إلاّ من كان مع نوح في السفينة. فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته. ﴿ حملناكم في الجارية ﴾ وهي السفينة الجارية على وجه الماء ﴿ لنجعلها لكم تذكرة ﴾ أي وأبقينا لكم من جنسها . ما تركبون على تيار الماء في البحار .

﴿ وتعيها أذنٌ واعيةٌ ﴾ أي وتفهم هذه النعمة وتذكرها أُذُنٌ حافظةٌ سامعةٌ عقلت عن الله فانتفعتْ بما سمعتْ من كتاب الله .

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۞ (١٣) وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۞ (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۞ (١٥) وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۞ (١٦) وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ۞ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۞ (١٨) ﴾

يخبر تعالى عن أهوال يوم القيامة ، وأول ذلك نفخة الفزع . ثم يعقبها نفخة الصعق، حين يصعق من في السموات ومن في الأرض إلاّ من شاء الله . ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور وهي هذه النفخة ، وقد أكّد ها هنا بانها واحدة لأن أمر الله لا يخالفُ ولا يمانَعُ ولا يحتاجُ إلى تكرارٍ ولا تأكيدٍ . وقال الربيع هي النفخة الأخيرة والظاهر ما قلناه ولهذا قال ها هنا ﴿ وحملتِ الأرض والجبال فدكّتا دكة واحدةً ﴾ أي فمدّت مدَّ الأديم وتبدلت الأرض غيرَ الأرض ﴿ فيومئذ وقعت الواقعة ﴾ أي قامت القيامة ﴿ وانشقت السماء فهي يومئذٍ واهية ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وفتحت السماء فكانت أبواباً ﴾ .

﴿ والملَك على ارجائها ﴾ الملك اسم جنس أي الملائكة على أرجاء السماء أي أطرافها وقوله تعالى : ﴿ ويحمل عرشَ ربّك فوقهم يومئذٍ ثمانيةٌ ﴾ ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العظيم أو العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيـامة لفصل القضاء، والله أعلم. وروى ابنُ أبي حاتم بسنده إلى جابر قال: قال رسول الله ﷺ ٥٠٧ أُذِنَ لي أن أحدثكم عن ملَك من حملة العرش بُعدُ ما بين شحمة أذنه وعنقه مخفق الطير سبعمأة عام] وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات وقد رواه أبو داود في كتاب السنَّة من سننه . وعن العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه، في ذكر حمَلةِ العرش أنّهم ثمانيةُ أو عالٍ . وعن سعيد بن جبيرٍ أنها ثمانيةُ صفوف من الملائكة وكذا عن ابن عباس . وقوله تعالى : ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ أي تعرضون على عالم السر والنجوى الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم، بل هو عالمٌ بالظواهر والسرائر والضمائر. ولهذا قال تعالى : ﴿ لا تخفى منكم خافيةٌ ﴾ .

قال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه : (حاسبوا أنفسَكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزَنوا ، فإنه أخفُّ عليكم في الحساب غداً أن تحاسِبوا أنفسَكم اليوم وتزّينوا للعرض الأكبر ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾) . وروى الإمام أحمد بسنده إلى أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ ٥٠٨ [يعرض الناس يوم القيامـــة ثلاث عرضات ، فأما عرضتان فجدال ومعاذير ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله] .

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * (٢٤) ﴾

يخبر تعالى عن سعادة من يؤتى كتابه يوم القيامة بيمينه وفرحه بذلك ، وانه من شدة فرحه يقول لمن لقيه ﴿ هاؤمُ اقرأوا كتابيه ﴾ أي خذوا اقرأوا كتابيه لأنه يعلم أنّ فيه خيراً وحسناتٍ محضةً ، لأنه ممَّن بدل الله سيئآتِه حسنات ومعنى هاؤم ، أي هاكم .

وفي الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ٥٠٩ [يدني الله العبدَ يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها حتى اذا رأى أنه قد هلك قال الله تعالى: إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه . وأما الكافرُ والمنافق فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربّهم ألا لعنة الله على الظالمين] وقوله تعالى : ﴿ إني ظننتُ أني ملاقٍ حسابيه ﴾ أي قد كنت موقناً في الدنيا أن هذا كائن لا محالة. كما قال تعالى : ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ فهو في عيشةٍ راضية ﴾ أي مرضية ﴿ في جنةٍ عاليةٍ ﴾ أي رفيعة قصورُها ، حسانٌ حورُها ، نعيمةٌ دورُها ، دائمٌ حبورُها .

وعن أبي حاتم بسنده إلى أبي أمامة قال سأل رجل رسول الله ﷺ ٥١٠ [هل يتزاور أهل الجنّة؟ قال : نعم إنّه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى ، فيحيّونهم ويسلمون عليهم ، ولا يستطيع أهلُ الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلين تقصر بهم أعمالهم.] وقد ثبت في الصحيح ٥١١ [أن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض] وقوله تعالى : ﴿ قطوفها دانية ﴾ قال البراء بن عازب : (أي قريبة يتناولها أُحدُهم وهو نائمٌ على سريره وكذا قال غير واحد .

وروى الضياءُ بسنده إلى سلمان عن رسول الله ﷺ قال ٥١٢ [يعطى المؤمن جوازاً على الصراط : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان ادخلوه جنةً عاليةً قطوفُها دانية .] وقوله تعالى : ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ أي يقال لهم ذلك تفضلاً عليهم وامتناناً وإنعاماً وإحساناً.وإلاّ فقد ثبت في الصحيح : عن

رسول الله ﷺ انه قال : ٥١٣ [اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحداً منكم لن يدخله عملُه الجنّة » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلاّ ان يتغمدني الله برحمةٍ منه وفضل »] .

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۞ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۞ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۞ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۞ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ۞ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ ۞ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۞ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۞ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۞ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۞ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ۞ (٣٧) ﴾

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا اعطي أحدُهم كتابَه في العرصات بشماله ، فحينئذٍ يندم غايةَ الندم ﴿ فيقول يا ليتني لم أوتَ كتابيه . ولم أدرِ ما حسابيَه . يا ليتَها كانت القاضيةَ ﴾ قال الضحاك أي موتة لا حياة بعدها ﴿ ما أغنَى عني ماليَه . هلك عني سلطانيه ﴾ أي لم يدفعْ عني لا مالي ولا جاهي العذاب عذاب الله وبأسه بل خلص الأمر إليَّ وحدي فلا معينَ ولا مجير. فعندها يقول الله عز وجل : ﴿ خذوه فغلُّوه . ثم الجحيم صلّوه ﴾ أي يأمر الزبانيةَ أن تأخذَه عنفاً من المحشر فتغلَّه، أي تضع الأغلال في عنقه ثم تورده إلى جهنم فتغمره فيها . وقوله تعالى : ﴿ ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذِراعاً فاسلكوه ﴾ قال كعب الأحبار : كل حلقة منها قدر حديد الدنيا. قال ابن عباس ﴿ فاسلكوه ﴾ تدخل في أسته ثم تخرج من فيه، ثم ينظمون كما ينظم الجراد في العود حين يُشوَى . وقوله تعالى : ﴿ إنه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين ﴾ أي لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ولا ينفع خلقَه ، ويؤدي حقَهم ، فإن لله على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وللعباد بعضهم على بعضهم حق الإحسان، والمعاونة على البر والتقوى . ولهذا

أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة . وقُبض النبي ﷺ وهو يقول : ٥١٤ [الصلاة، وما ملكت أيمانكم] وقوله تعالى : ﴿ فليس له اليوم ها هنا حميم ولا طعام إلا من غسلين . لا يأكله إلاّ الخاطئون ﴾ أي ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله تعالى لا حميم وهو القريب ، ولا شفيع يطاع ، ولا طعام له ههنا إلاّ من غسلين وهو صديد أهل النار .

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۞ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۞ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ۞ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ۞ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۞ (٤٣) ﴾

يقول تعالى مقسماً لخلقه بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كماله في أسمائه وصفاته ، وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم : إن القرآن كلامُه ووحيُه وتنزيله على عبدهِ ورسولهِ الذي اصطفاه لتبليغِ الرسالةِ وأداءِ الأمانة . فقال تعالى : ﴿ فلا أقسم بما تُبصرون وما لا تبصرون ۞ إنه لقول رسولٍ كريم ﴾ يعني محمداً ﷺ أضافه إليه على معنى التبليغ ، لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسلْ . ﴿ وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكَّرون ﴾ .

روى الإمام أحمد بسنده إلى عمرَ بن الخطاب قال (خرجت أتعرَّضُ رسول الله ﷺ قبل أن أُسلِمَ فوجدتُه قد سبقَني إلى المسجد فقمت خلفَه فاستفتَح سورة الحاقّة فجعلت أعجَب من تأليف القرآن قال : فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش ، قال فقرأ : ﴿ انه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعِر قليلاً ما تؤمنون ﴾ قال فقلت كاهن قال : فقرأ : ﴿ ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون . تنزيل من رب العالمين . ولو تقوَّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ إلى آخر السورة قال فوقع الإسلام في قلبي كل موقع) فهذه من جملة الأسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كما أوردنا كيفية إسلامه في سيرته المفردة . ولله الحمد والمنة .

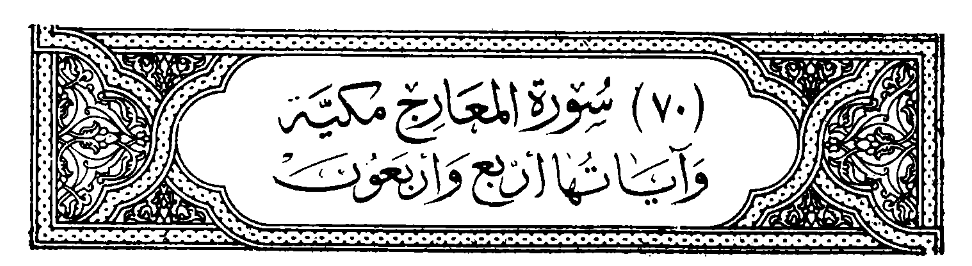
* * *

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ۝ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ ۝ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝ (٥١) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝ (٥٢) ﴾

يقول تعالى : ﴿ ولو تقوّل علينا ﴾ أي محمد ﷺ لو كان كما يزعمون مفترياً علينا فزاد في الرسالة أو أنقص منها ، أو قال شيئاً من عنده فنسبه إلينا وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة . ولهذا قال تعالى : ﴿ لأخذنا منه باليمين ﴾ لانتقمنا منه باليمين لأنها أشد في البطش ﴿ ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ وهو نياط القلب أي العِرْق المعلق فيه القلب وقوله تعالى : ﴿ فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين ﴾ أي فما يستطيع أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه ، والمعنى : بل هو صادق بار راشد لأن الله عز وجل مقرر له ما يبلغه عنه ومؤيد له بالمعجزات الباهرات .

ثم قال تعالى : ﴿ وانه لتذكرة للمتقين ﴾ يعني القرآن كما قال تعالى : ﴿ قل هو للذين آمنوا هُدَى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرٌ وهو عليهم عمي ﴾ ثم قال ﴿ وإنا لنعلم أن منكم مكذّبين ﴾ أي مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن ثم قال تعالى : ﴿ وإنّه لحسرة على الكافرين ﴾ أي ان القرآن والإيمان به لحسرة في نفس الأمر على الكافرين ﴿ وإنّه لحق اليقين ﴾ أي انه الخبر الصدق الحق الذي لا شك فيه ثم قال : ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ أي الذي أنزل هذا القرآن العظيم .

آخر اختصار تفسير سورة الحاقة والحمد لله وله المنة



نزلت بعد سورة الحاقّة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۞ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۞ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۞ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۞ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۞ (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۞ (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۞ (٧) ﴾

﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ تقديره استعجل سائل بعذاب واقع .كقوله تعالى ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ﴾ أي عذابه واقع لا محالة وهو سؤآل الكفار عن عذاب الله وهو واقع بهم. وقوله تعالى : ﴿ واقع للكافرين ﴾ أي مرصد معدٌّ للكافرين ﴿ ليس له دافع ﴾ أي لا دافع له إذا أراد الله كونه.ولهذا قال تعالى : ﴿ من الله ذى المعارج ﴾ أي العلو والدرجات،وقال مجاهد : معارج السماء ، وقوله تعالى : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ قال قتادة : تعرج تصعد ﴿ والروح ﴾ يحتمل ان يكون المراد به جبريل ويكون من باب عطف الخاص على العام .

وقوله تعالى : ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ قيل انها المسافة ما بين سابع سماء إلى سابع أرض ، فقد روى ابن ابي حاتم عن ابن عباس انه قال : منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات خمسين الف عام وقيل أن المراد

بذلك يوم القيامة . وذلك مروي عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ قال هو يوم القيامة ، واسناده صحيح .

وقد وردت أحاديث في معنى ذلك ومنها :

ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ٥١٥ [من كانت له إبل لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها قلنا يا رسول الله ما نجدتها ورسلها؟ قلنا : يا رسول الله ما نجدتها ورسلها ؟ قال « في عسرها ويسرها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر ، فتطؤه بأخفافها فإذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله ..] ثم ذكر البقر والغنم إذا لم يعطَ حقها تطأه كلُّ ذات ظلف .

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٥١٦ [ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدّون . ثم يُرى سبيله إما إلى الجنة واما إلى النار .. ــ وذكر بقية الحديث في الغنم والإبل كما تقدم ــ . وفيه: «الخيل لثلاثة لرجل أجر ، ولرجل ستر وعلى رجل وزر » إلى آخره ...»]

ورواه مسلم في صحيحه بتمامه منفرداً دون البخاريّ من حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة . والغرض من إيراده ههنا قوله ﷺ : « حتى يحكمَ الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » . أي تأييداً لمن قال : آنه يوم القيامة .

وقوله تعالى : ﴿ فاصبر صبراً جميلاً ﴾ أي اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك ، واستعجالهم العذاب استبعاداً لوقوعه. كقوله ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ﴾ ولهذا قال : ﴿ إنهم يرونه بعيداً ﴾ أي وقوع العذاب ، وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع بمعنى مستحيل الوقوع ﴿ ونراه قريباً ﴾ أي يعتقده المؤمنون قريباً وإن كان أمده لا يعلمه إلاّ الله ، إنّما هو قريب واقع لا محالة .

۞ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۞ (٨) وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۞ (٩) وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً ۞ (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمَئِذٍ بِبَنِيهِ ۞ (١١) وَصَاحِبَتِهِ

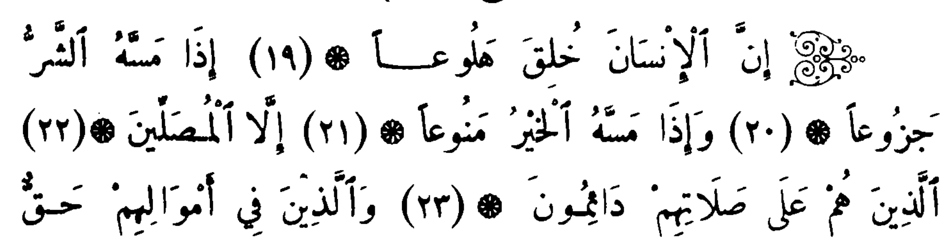
وَأَخِيهِ ۞ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُئْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ ۞ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ۞ (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۞ (١٦) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۞ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ۞ (١٨)

يقول تعالى العذاب واقع بالكافرين : ﴿ يوم تكون السماء كالمهل ﴾ أي ككدر الزيت . ﴿ وتكون الجبال كالعهن ﴾ أي كالصوف المنفوش . وقوله تعالى : ﴿ ولا يسأل حميم حميماً يبصّرونهم ﴾ أي لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوإ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره ، ويفر بعضهم من بعض. كقوله تعالى : ﴿ يوم يفر المرءُ من أخيه . وأمّه وأبيه . وصاحبته وبنيه . لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه . وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه . ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه كلا ... ﴾ أي لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض وملئها ذهباً أو من ولده وماله يود إذا رأى أهوال القيامة أن يفتدي نفسه ولا يقبل منه .

﴿ وفصيلته ﴾ قبيلته وعشيرته وقوله تعالى ﴿ كلا إنها لظَى ﴾ شدة حر النار ﴿ نزّاعة للشوَى ﴾ أي تنزع جلدة الرأس وما دون العظم من اللحم وأطراف اليدين والرجليْن ومكارم الوجه وتبري اللحم والجلد عن العظم . اللهمَّ نعوذ بمعافاتك من عقوبتك

وقوله تعالى : ﴿ تدعو من أدبر وتولىَّ . وجمع فأوعىَ ﴾ أي تدعو النارُ من عمل لها في الدنيا يوم القيامة بلسانٍ طلقٍ ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطيرُ الحب وذلك إنهم كما قال تعالى كانوا ممّن أدبر وتولىَّ أي كذب بقلبه وترك العمل بجوارحه ﴿ وجمع فأوعىَ ﴾ أي جمع المالَ وربط عليه ومنع حق الله منه في الزكاة والصدقات وقد ورَد الحديث ٥١٧ [ولا توعي فيوعي الله عليك] وكان عبد الله بن عكيم لا يربط له كيساً ويقول : سمعت الله يقول : ﴿ وجمع فأوعى ﴾ .





إِنَّ ٱلْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ۞ (١٩) إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعاً ۞ (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعاً ۞ (٢١) إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۞ (٢٢) ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۞ (٢٣) وَٱلَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ

مَعْلُومٌ ۝ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝ (٢٥) وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ (٢٦) وَٱلَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۝ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝ (٢٨) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ (٢٩) إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ (٣٠) فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝ (٣١) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ (٣٢) وَٱلَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ۝ (٣٣) وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ (٣٤) أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ۝ (٣٥)

يخبر تعالى عن الإنسان وما هو مجبولٌ عليه من الأخلاق الدنيئة ﴿ إن الإنسان خلق هلوعاً ﴾ ثم فسره بقوله ﴿ اذا مسّه الشر جزوعاً ﴾ أنْ ينخلعَ قلبُه من شدة الرعب وأيسَ من الخير. ﴿ وإذا مسّه الخيرُ منوعاً ﴾ إذا غني بخلَ ومنعَ حق الله الذي لعباده . وروى أحمد عن أبي هريرة يقول:قال رسول الله ﷺ : ٥١٨ [شر ما في رجلٍ شح هالعٌ وجبن خالع] ورواه أبو داود ثم قال تعالى : ﴿ إلا المصلّين الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾ أي الذين يحافظون على أوقاتها وواجباتها والسكون والخشوع فيها ومنه الماء الدائم الساكن الراكد . وهذا يدل على وجوب الطمأنينة في الصلاة فالذي لا يطمئن في ركوعه وسجوده – واعتداله وجلوسه – فليس بدائم على صلاته .

وقوله تعالى : ﴿ والذين في أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم ﴾ أي في أموالهم نصيبٌ مقررٌ لذوي الحاجات . ﴿ والذين يصدقون بيوم الدين ﴾ أي يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب . ولهذا قال تعالى : ﴿ والذين هم من عذاب ربِّهم مشفقون ﴾ أي خائفون وجلون ﴿ ان عذاب ربهم غير مأمون ﴾ أي لا يأمنه إلاّ الذين نفذوا أمر الله . وقوله تعالى : ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ﴾ أي يكفونها عن الحرام ﴿ إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ﴾ أي من الإماء ﴿ فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾ وقد تقدم تفسير

هذا في أول سورة ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ أي اذا أتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يغدروا. وهذه صفات المؤمنين وضدّها صفات المنافقين . كما ورد في الحديث الصحيح ٥١٩ [آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان] . وفي رواية ٥٢٠ [إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر] وقوله تعالى : ﴿ والذين هم بشهاداتهم قائمون ﴾ أي محافظون عليها لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتمونها ﴿ ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ والذين هم على صلاتهم يحافظون ﴾ أي على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها ، فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها ﴿ أولئك في جنّات مكرَمون ﴾ بأنواع الملاذ والمسار .

﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ * (٣٦) عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ * (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِىءٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ * (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ * (٣٩) فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَارِقِ وَٱلْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ * (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * (٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ * (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ * (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ * (٤٤) ﴾

ينكر الله على الكفار الذين تفرقوا عن رسول الله ﷺ فِرقاً فِرقاً مع انهم كانوا في زمانه وشاهدوه وما أيّدَهُ اللهُ بالمعجزات الباهرات . فيقول الله : ﴿ فما للذين كفروا قبلَك مهطعين ﴾ أي نافرين منك منطلقين بسرعة ﴿ عن اليمين وعن الشمال عزين ﴾ معرضين متفرقين يميناً وشمالاً يقولون : ما قال هذا الرجل ... ؟ وعن جابر بن سمرة

(١) من الآية : ١ — ١٠

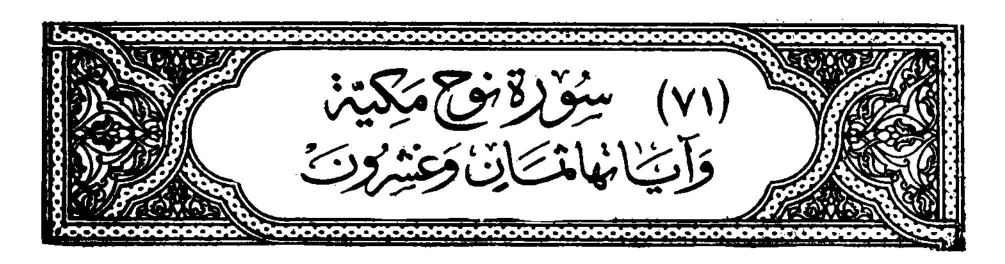
٥٢١ [أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم حِلَقٌ فقال : « مالي أراكـــم عزين »] ــ أي متفرّقين حِلَقاً حِلَقاً ــ رواه أحمد ومسلم وأبو داود وغيرهم

وقوله تعالى : ﴿ أيطمعُ كلُّ امرىءٍ منهم ان يُدخَلَ جنةَ نعيم . كلا ﴾ أي أيطمع هؤلاء ، والحالة هذه من فِرارهم عن رسول الله ﷺ ، ونفارهم عن الحق أن يدخلوا جنات النعيم...؟! كلاّ بل مأواهم جهنم. ثم قال تعالى مقرراً وقوعَ المعاد والعذاب بهم الذي انكروه واستبعدوا وجوده ، مستدلاً عليهم بالبداءة التي الإعادة أهون منها ، وهم معترفون بها. فقال تعالى: ﴿إنّا خلقناهم مما يعلمون﴾ أي من المني الضعيف. كما قال تعالى ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ ثم قال : ﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب ﴾ أي بخالق السمواتِ والأرض والنجوم التي تبدو من مشارقها وتغيب عن مغاربها وتقرير الكلام أن البعث والنشورَ والحسابَ كلٌّ ذلك واقعٌ لا محالةَ ولا يمنعه إنكارُكم ولهذا أتى : بـ(لا) في ابتداء القسم ليدل على ان المقسم عليه نفي أي: لا... ليس الأمر كما تزعمون : ﴿ أقسم ... ﴾ [1] وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله الله تعالى ما هو أبلغُ من إقامة القيامة. ولهذا قال: ﴿لَخَلْقُ السموات والأرض أكبرُ من خلق الناس ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون ﴾ . وقـــال تعالى : ﴿ أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلقَ مثلَهم ؟ بلى وهو الخلاق العليم . إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كُنْ فيكون ﴾ . وقال ههنا : ﴿ فلا أقسمُ برب المشارق والمغارب إنّا لقادرون على أن نبدّل خيراً منهم ﴾ أي يومَ القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه ﴿ وما نحن بمسبوقين ﴾ أي بعاجزين. كما قال تعالى: ﴿ أيحسب الإنسان أن لن نجمعَ عظامَه ؟ بلى قادرين على ان نُسوّيَ بنانَه ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ فذرهم ﴾ أي يا محمد ﴿ يخوضوا ويلعبوا ﴾ أي دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم ﴿ حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ﴾ أي فسيعلمون نتائج ذلك ويذوقون الوبال ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نُصُبٍ يوفضون ﴾ أي يقومون من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب، ينهضون سراعاً كأنهم إلى أصنامهم يسرعون أي كأنهم في إسراعهم الى الموقف كما كانـــوا في في الدنيا يهرولون إلى أصنامهم يبتدرون أيهم يستلمه أول . وهذا مروي عن مجاهد وغيره . وقوله تعالى : ﴿ خاشعةٌ أبصارُهم ﴾ أي خاضعةٌ ﴿ترهقهم ذِلّةٌ ﴾ في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة ﴿ ذلك اليوم الذي كانوا يوعَدون ﴾ .

آخر سورة المعارج والحمد لله وله المنة والفضل

---

(١) قلت : أي نفي مزاعمهم القائلة بأن لا بعث ولا حشر ولا حساب بقوله: لا ... ثم أقسم. وكل ما جاء من الأقسام مسبوقاً بـ «لا» فهو نفي لمزاعم الكفار .... ثم يقسم ...



نزلتْ بعد سورة النحل

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إنا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ (٤) ﴾

يخبر تعالى عن نوح عليه السلام أنه أرسله إلى قومه ، آمراً له أن ينذرهم بأس الله قبلَ حلوله بهم ؛ فإن تابوا وأنابوا رفع عنهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ان أنذرْ قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم . قال يا قوم إني لكم نذير مبين ﴾ أي بيّن النذارة ظاهرٌ واضح ﴿ أن اعبُدوا الله واتقوه ﴾ أي اتركوا محارمَه ﴿ وأطيعونِ ﴾ فيما آمركم وأنهاكم ﴿ يغفرْ لكم من ذنوبكم ﴾ أي إذا فعلتم ما آمرُكم به وصدقتم رسالتي التي أرسلت بها اليكم، غفرَ لكم ذنوبكم . ﴿ ويؤخركم إلى أجلٍ مسمى ﴾ أي يمد في أعماركم [1] ويدرأ عنكم العذاب ، وقوله تعالى : ﴿ إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ﴾ أي

(١) قلت : إن هذا الامتداد لن يزيد على الذي قدره الله في ام الكتاب انما يجعل الله العمر في راحة وهناءة فقوله : « إلى أجل مسمى » يعني المسمى في ام الكتاب .

بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة الذي لا رادّ له ولا مانع لأن الله هو العظيم قاهر كلّ شيء ، والعزيزُ الذي تدين له المخلوقات .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً ❁ (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِيَ إِلَّا فِرَاراً ❁ (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَٱسْتَكْبَرُوا ٱسْتِكْبَاراً ❁ (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً ❁ (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً ❁ (٩) فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ❁ (١٠) يُرْسِلِ ٱلسَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ❁ (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً ❁ (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً ❁ (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ❁ (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً ❁ (١٥) وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجاً ❁ (١٦) وَٱللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتاً ❁ (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً ❁ (١٨) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطاً ❁ (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً ❁ (٢٠) ﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح ﷺ أنه اشتكى إلى ربه عز وجل ما لقي من قومه وما صبرَ عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة إلاّ خمسين عاما ، وما بيّن لقومه ووضّح لهم ، ودعاهم إلى الرشد والسبيل الأقوم فقال : ﴿ رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً ﴾ أي لم أترك دعاءهم في ليل أو نهار، امتثالاً لأمرك وابتغاءً لطاعتك. ﴿ فلم يزدهم دعائي إلا فراراً ﴾ أي كلّما دعوتهم ليقتربوا من الحق فرّوا منه. ﴿ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ﴾ أي سدوا آذانهم لئلا يسمعوا ما أدعوهم إليه . كما أخبر تعالى : عن كفار قريش : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلّكم تغلبون ﴾ « واستغشوا ثيابهم » أي غطوا رؤوسهم

بها لئلا يسمعوا ما يقول ﴿ وأصرّوا ﴾ أي استمروا على شركهم ﴿ واستكبروا استكبارا ﴾ أي استنكفوا عن الانقياد للحق ﴿ ثم إني دعوتهم جهارا ﴾ أي جهرة ﴿ ثم إني أعلنت لهم ﴾ أي بصوت عالٍ ﴿ وأسررت لهم إسرارا ﴾ أي فيما بينهم وبيني فنوعت عليهم الدعوةَ لتكون أنجحَ فيهم .

﴿ فقلتُ استغفروا ربّكم انه كان غفاراً ﴾ أي توبوا من الشرك ووحّدوه تعالى؛ فمن تاب تاب الله عليه مهما عظمتْ آثامُه. ﴿ يرسلِ السماءَ عليكم مِدْراراً ﴾ أي متواصلة الأمطار ولهذا تستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء [1] وهكذا روي عن أمير المؤمنين عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه أنه صعد المنبر ليستسقي فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات في الاستغفار ومنها هذه الآية ﴿ فقلت استغفروا ربّكم إنه كان غفّاراً يرسلِ السماء عليكم مِدراراً ﴾ ثم قال : لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر . وقوله تعالى : ﴿ ويمدِدْكم بأموال وبنينَ ويجعلْ لكم جناتٍ ويجعلْ لكم أنهاراً ﴾ هذا وقام الترغيب إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه مدّكم بالمال والبنين وأنبت لكم الزرع ، وأدرَّ لكم الضرع ، ورزقكم الأنهار والجنات. ثم عدل إلى الترهيب فقال : ﴿ ما لكم لاترجون لله وقاراً ﴾ أي عظمةً ولا تخافون نِقمةً ﴿ وقد خلقكم أطواراً ﴾ أي تطوّر بكم في خَلقكم من نطفة إلى علقة ، إلى مضغة . وقوله تعالى : ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً ﴾ أي واحدة فوق واحدة ﴿ وجعل القمر فيهنَّ نوراً وجعل الشمس سراجاً ﴾ أي فاوت بينهما في الاستنارة فجعل كلاً منهما على حدة ، فعُرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها ، وقدر القمر منازل وبروجاً وفاوت نوره فتارة يزداد حتى يتناهى ثم يشرع في النقص حتى يستسرَّ ليدل على مضي الشهور والأعوام .كما قال تعالى : ﴿ ... والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ وقوله تعالى : ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتاً . ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً ﴾ أي هو الذي خلقكم منها ثم يعيدكم فيها حين موتكم ثم يخرجكم حين البعث والنشور . كما بدأكم أول مرة . ﴿ والله جعل لكم الأرض بساطاً ﴾ أي بسطها ومهّدها وقرّرها وثبّتها بالجبال الراسيات ﴿ لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً ﴾ أي خلقها لكم لتستقرّوا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها . وكل هذا مما ينبههم

---

(١) قلت : بعد التوبة إلى الله من قبل الناس جميعاً ، والندم على ما فرّطوا من الذنوب ومن هذا دعاء العباس يوم استسقى للناس بعهد عمر فقال : (اللهم إننا نعلم أنّك لا تنزل عقاباً إلاّ بذنب ولا ترفعه إلاّ بتوبة وها قد تبنا إليك) .

به نوح عليه السلام على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والأرض ونعمه عليهم فهو الذي يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد، لأنه لا نِدّ له ولا كُفْءَ ولا صاحبة ولا ولد ولا وزير أو مشير، بل هو العليّ الكبير سبحانه وتعالى.

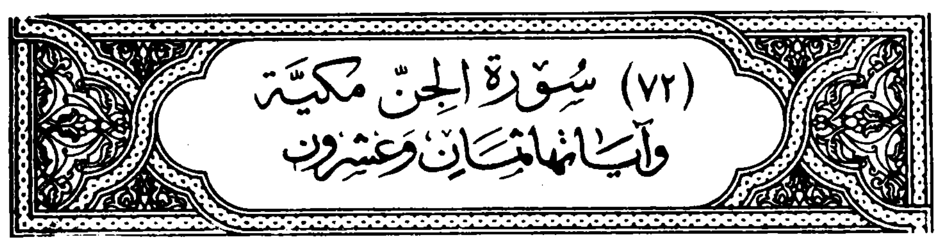
﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً ۞ (٢١) وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً ۞ (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ۞ (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالاً ۞ (٢٤) ﴾

يخبر تعالى عن نوح عليه السلام أنه أنهى إليه، وهو العليم الذي لا يعزب عنه شيءٌ، إنه مع البيان المتقدّم ذكره والدعوة المتنوعة ترغيباً وترهيباً، عصوه وكذّبوه، واتبعوا الذين غفلوا عن أمر الله ومُتّعوا بمال وولد، وما ذلك إلا استدراجٌ وإنظارٌ لا إكرام. ولهذا قال: ﴿ واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلاّ خسارا ﴾. وقوله تعالى: ﴿ ومكروا مكراً كبّاراً ﴾ أي باتباعهم لأولئك، لأنهم سوّلوا لهم أنهم على الحق والهدى. كما يقولون لهم يوم القيامة ﴿ بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا ﴾ ولذا قال ههنا ﴿ ومكروا مكراً كبّاراً. وقالوا لا تذرُنّ آلهتكم ولا تذرن وَدّاً ولا سوُاعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾ وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله. روى البخاري بسنده عن ابن عباس: ٥٢٢ [صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ: أما ودّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي كلاع. وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسمّوها بأسمائهم ففعلوا ... فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت]. وقوله تعالى: ﴿ وقد أضلوا كثيراً ﴾ يعني الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقاً كثيراً، فإنه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العربِ والعجم وسائر صنوف بني آدم، وقد قال الخليـــل ﷺ في دعائه: ﴿ واجنبني وبنيّ ان نعبد الأصنام، ربِ انهن أضْلَلْنَ كثيراً من الناس ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ولا تزدِ الظالمين إلاّ ضلالا ﴾ دعاءٌ منه على قومه لتمرّدهم وكفرهم وعنادهم كما دعا موسى

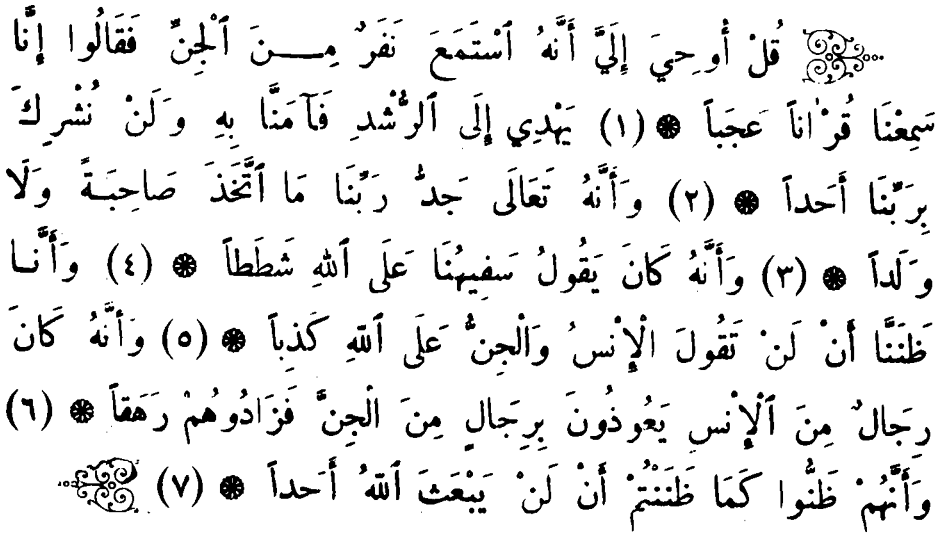
على فرعون وملئه في قوله ﴿ ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴾ وقد استجاب الله لكل من النبيّين في قومه واغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به

﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنصَاراً ● (٢٥) وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ● (٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً ● (٢٧) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً ● (٢٨) ﴾

يقول تعالى : ﴿ مما خطيآتهم أغرقوا ﴾ أي من إصرارهم على الكفر ومخالفة رسولهم ﴿ أغرقوا فأدخلوا ناراً ﴾ أي نقلوا من تيار البحار إلى حرارة النار ﴿ فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً ﴾ أي لم يكن لهم مجير من عذاب الله . كقوله تعالى : ﴿ لا عاصم اليوم من أمر الله إلاّ من رحم ﴾ أي رحمه الله ﴿ وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً ﴾ أي لا تترك على وجه الأرض ، منهم أحداً ، ولا دياراً يسكن داراً . فاستجاب الله له فأهلك من على وجه الأرض حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه . وقال : ﴿ سآوي إلى جبل يعصمني من الماء ، قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلاّ من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴾ ونجّى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح عليه السلام وهم الذين أمره الله بحملهم معه . وقوله تعالى : ﴿ إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ﴾ أي إنك إن أبقيت منهم أحداً أضلّوا عبادك بعدهم ﴿ ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفارا ﴾ أي فاجراً في الأعمال ، كافر القلب ، وذلك لخبرته بهم . ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلاّ خمسين عاما . ثم قال : ﴿ ربِّ اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمناً ﴾ أي لكل من دخل بيته مؤمناً روى الامام أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ٥٢٣ [لا تصحب إلاّ مؤمناً ولا يأكل طعامك إلاّ تقيّ] ورواه أبو داود والترمذي . وقوله تعالى : ﴿ وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلاّ تباراً ﴾ هذا دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات وذلك يعم الأحياء منهم والأموات . أما الظالمون فلا تزدهم إلاّ خساراً في الدنيا والآخرة . آخر اختصار تفسير سورة نوح والحمد لله.



نزلت بعد الأعراف



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۞ (١) يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۞ (٢) وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۞ (٣) وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۞ (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۞ (٥) وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۞ (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۞ (٧) ﴾



يقول تعالى آمراً رسول الله ﷺ أن يخبر قومه أنّ الجن استمعوا القرآن ، فآمنوا به وصدّقوه وانقادوا له ، فقال تعالى : ﴿ قل أوحي إليّ انه استمع نفر من الجن فقالوا إنّا سمعنا قرآناً عجباً . يهدي إلى الرشد ، أي إلى السداد والنجاح ﴿ فآمنّا به ولن نشرك بربنا أحدا ﴾ وهذا المقام شبيه بقوله تعالى : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ﴾ وقد قدمنا الأحاديث الواردة في ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا [1] .

(١) المجلد الرابع سورة الأحقاف تفسير الآية / ٢٩ / .

وقوله تعالى : ﴿ وأنه تعالى جد ربنا ﴾ عن ابن عباس : (جد الله : آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه) قوله تعالى : ﴿ ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً ﴾ أي تعالى عن اتخاذ الصاحبة والأولاد ، أي قالت الجن : تنزّه الربُّ جلَّ جلاله حين أسلموا وآمنوا بالقرآن من اتخاذ الصاحبة والولد . ثم قالوا : ﴿ وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً ﴾ سفيهنا : يعنون إبليسَ. وشططاً: أي ظلماً كبيراً وباطلاً وزوراً . ولهذا قالوا: ﴿ وأنّا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا ﴾ أي ما حسبنا أن الانس والجن يتمالؤون على الكذب على الله تعالى في نسبة الصاحبة والولد إليه ، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنّا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك . وقوله تعالى : ﴿ وأنّه كان رجال من الإنس يعوذون برجالٍ من الجنّ فزادوهم رهقاً ﴾ أي كنّا نرى أنّ لنا فضلاً على الإنس. لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا وادياً أو مكاناً موحشاً من البراري وغيرها ، كما كانت عادة العرب في جاهليتها ، يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان . أن يصيبهم بشيء يسوءهم . ولما رأتِ الجن أنّ الإنس يخافون منهم . فازدادوا جرأةً عليهم. وزادوهم أذىً وخوفاً .

وقوله تعالى : ﴿ وأنّهم ظنّوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً ﴾ أي لن يبعث الله بعد هذه المدّة رسولاً .

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً ۝ (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً ۝ (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً ۝ (١٠) ﴾

يخبر تعالى عن الجن حين بعث رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن . وكان من حفظه له أن السماء ملئتْ حرساً شديداً وحفظتْ من سائر أرجائها وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلاّ يسترقوا شيئاً من القرآن . فيلقوه على ألسنة الكهنة فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدري من الصادق . وهذا من لطف الله تعالى بخلقه ، ورحمته بعباده وحفظه لكتابه العزيز . ولهذا قال الجن : ﴿ وأنّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا. وانا كنا نقعد منها مقاعدَ للسمع فمن يستمعِ الآن يجدْ له شهاباً رصداً ﴾ أي من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهاباً يمحقه ويهلكه ﴿ وأنّا

لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا ﴾ أي لا ندري أشرٌّ أريد بأهل الأرض أم رشد ، وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل والخير أضافوه إلى الله عز وجل .

وقد ورد في الصحيح ٥٢٤ [والشر ليس إليك] وقد كانت الكواكب يُرمى بها قبل ذلك ، ولكن ليس بكثير بل في الأحيان بعد الأحيان كما في حديث العباس : ٥٢٥ [بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ رمى بنجم فاستنار فقال « ما كنتم تقولون في هذا ؟ » فقلنا : كنا نقول : يولد عظيم ، يموت عظيم . فقال: « ليس كذلك، ولكن الله اذا قضى الأمر في السماء ...] وذكر تمام الحديث وهذا هو السبب الذي حمل الجنّ على تطلّب السبب في ذلك فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها فوجدوا رسول الله ﷺ يقرأ بأصحابه في الصلاة ، فعرفوا أن هذا الذي حفظت من أجله السماء فآمن من آمن منهم وتمرد في طغيانه من بقي كما تقدم حديث ابن عباس في ذلك عند قوله في سورة الأحقاف ﴿ وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ﴾ . وقد فزعت الشياطين في ليلة تكاثر فيها رمي الشهب فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم،فقال.ائتوني من كلّ أرضٍ بقبضةٍ من تراب أشمها فأتوه فشم،فقال : صاحبكم بمكة فبعث سبعةَ نفر من جن نصيبين فقدموا مكّة فوجدوا نبيّ الله ﷺ قائماً يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن ، فدنوا منه حرصاً على القرآن ثم أسلموا فأنزل الله تعالى أمرهم على رسول الله ﷺ (من كتاب السيرة) .

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً ۞ (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً ۞ (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقاً ۞ (١٣) وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً ۞ (١٤) وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَكَانُوا

لِجَهَنَّمَ حَطَباً ❁ (١٥) وَأَنْ لَوِ ٱسْتَقَامُوا عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً ❁ (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً ❁ (١٧)

يخبر تعالى عن الجن أنهم قالوا ﴿ وأنّا منّا الصالحون ومنّا دون ذلك كنا طرائق قدداً ﴾ متفرقة وقوله تعالى : ﴿ وأنّا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا ﴾ اي نعلم قدرة الله حاكمة علينا لا نستطيع ولا غيرنا أن يعجزه ﴿ وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به ﴾ يفخرون بذلك وإنّه لفخرٌ وشرفٌ وصفةٌ حسنةٌ . وقولهم : ﴿ فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً ﴾ أي لا يخاف ان ينقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته . كما قال تعالى : ﴿ فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾ ﴿ وانّا منّا المسلمون ومنّا القاسطون ﴾ أي منّا المسلم ومنا الجائر عن الحق بخلاف المقسط فإنه العادل ﴿ فمن أسلم فأولئك تحرَّوا رشداً ﴾ أي طلبوا لأنفسهم النجاة ﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ﴾ أي وقود تسعر بهم .

وقوله تعالى : ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً لنفتنهم فيه ﴾ أي لو سلكوا طريق الإسلام واستقاموا ﴿ لأسقيناهم ماءً غدقاً ﴾ اي لوسعنا عليهم رزقهم

كقوله تعالى : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ وعلى هذا يكون معنى قوله ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ أي لنختبرهم كما قال مالك عن زيد بن اسلم : لنبتليهم من يستمر على الهداية ممن يرتد إلى الغواية . وقوله تعالى :

﴿ ومن يُعرضْ عن ذكر ربّه يسلكه عذاباً صَعَداً ﴾ أي عذاباً مشقاً شديداً موجعاً مؤلماً لا راحة معه .

وَأَنَّ ٱلْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ ٱللَّهِ أَحَداً ❁ (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً ❁ (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً ❁ (٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً ❁ (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ

أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً ۞ (٢٢) إِلَّا بَلَاغاً مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ۞ (٢٣) حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً وَأَقَلُّ عَدَداً ۞ (٢٤)

يأمر الله عباده أن يوحّدوه في محال عبادته ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به . كما قال قتادة في قوله تعالى ﴿ وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ قال كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله؛ فأمر الله نبيَّه ﷺ أن يوحّدوه وحده. وعن عكرمة : نزلت في المساجد كلّها . وقال سعيد بن جبير نزلت في أعضاء السجود أي هي لله فلا تسجدوا بها لغيره وفي الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ ٥٢٦ [أمرتُ أن أسجدَ على سبعة أعظم على الجبهة – أشار بيده إلى أنفه – واليدين والركبتين وأطراف القدمين .]

وقوله تعالى : ﴿ وأنه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا ﴾ قال قتادة في تفسير هذه الآية : تلبدت الانس والجن على هذا الأمر ليطفئوه ، فأبى الله إلاّ أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه وقيل في ذلك ولكن هذا هو الأظهر لقوله بعده : ﴿ قل إنما أدعو ربّي ولا أشرك به أحداً ﴾ أي قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليبطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عدوانه ﴿ إنما أدعو ربي ﴾ أي إنما أعبد ربي وحده لا شريك له. واستجير به وأتوكّل عليه. ﴿ ولا أشرك به أحداً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ﴾ أي إنما أنا بشر مثلكم يوحىَ إلي، وعبد من عباد الله ليس لي من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم . بل المرجع في ذلك كله إلى الله عزّ وجل . وأنه لا يجيرني من الله أحد لو عصيته فإنه لا يقدر على انقاذي من عذابه ﴿ ولن أجد من دونه ملتحداً ﴾ أي لا نصير ولا ملجأ وفي رواية لاوليّ ولا موئل .

وقوله تعالى : ﴿ إلاّ بلاغاً من الله ورسالاته ﴾ أي لا يجيرني منه ويخلصني إلا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها علي . وقوله تعالى : ﴿ ومن يعصِ الله ورسوله فإنّ له نار جهنم خالدين فيها أبداً ﴾ أي أنا أبلغكم رسالة الله فمن يعص بعد ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم ، خالدين فيها أبداً أي لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها .

وقوله تعالى : ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصراً وأقل عدداً﴾ أي حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والانس ما يوعدون يوم القيامة ، فسيعلمون يومئذ مَن أضعف ناصراً وأقل عددا ، هم أم المؤمنون الموحدون لله تعالى اي بل المشركون لا ناصرَ لهم بالكلية وهم أقل عدداً من جنود الله عز وجل .

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً ❁ (٢٥) عَالِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً ❁ (٢٦) إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ❁ (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً ❁ (٢٨)﴾

أمر الله رسوله ﷺ أن يبلغ الناس أنه لاعلم له بوقت الساعة ولا يدري أقريب وقتها أم بعيد ﴿قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً﴾ أي مدةً طويلةً . وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذي يتداوله كثير من الجهلة من انه عليه الصلاة والسلام قال : (لا يؤلِّف تحت الأرض) كذب لا أصل له [1] ولم نره في شيء من الكتب ، ولما سأله جبريل عليه السلام – فيما سأله – :... يا محمد فأخبرني عن الساعة؟ قال ٥٢٧[... ما المسؤول عنها بأعلم من السائل]

وقوله تعالى : ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . إلاّ من ارتضى من رسول﴾ هذه كقوله تعالى : ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلاّ بما شاء﴾ وهكذا قال ها هنا انه يعلم الغيب والشهادة وأنه لا يَطلع أحد من خلقه على شيء من علمه إلا مما أطلعه تعالى عليه ولهذا قال : ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . إلاّ من ارتضى من رسول﴾ وهذا يعم الرسول الملكيّ والبشريّ ثم قال : ﴿فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ أي يخصه بمزيد معقباتٍ من الملائكة يحفظونه من أمر الله ويساوقونه على ما معه من وحي

(١) قلت : كأن هذا الحديث المكذوب كان في عهد المفسر الشيخ ابن كثير وقد اخترعه الكذابون أعداء الإسلام حتى يوهموا الجهلة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم متى يوم القيامة ! ! ! ولما مضت الألف ولم تقم الساعة.. اخترع الكذابون حديثاً آخر «ألف ولا تؤلفان» يعني سوف تقوم الساعة قبل الألفين ولكن لا ندري إذا انتهت الألفان ولم تقم الساعة ... هل سيأتي كذاب آخر ! ! ! ويقول : ثن ولا تثلثان ... ؟ ! ! !» إن الله وحده عنده علم الساعة . لا شريك له .

الله ، ولهذا قال : ﴿ ليعلم أن قد أبلغوا رسالاتِ ربّهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً ﴾ وقد اختلف المفسرون في الضمير الذي في قوله ﴿ ليعلم ﴾ إلى من يعود ؟ قيل انه عائد إلى النبي ﷺ بمعنى ليعلم نبيّ الله ان الرسل قد بلغت عن الله وأن الملائكة حفظتها ودفعت عنها وقيل : عن ابن عباس قال : هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي ﷺ من الشيطان حتى يتبيّن الذين أرسل اليهم وذلك حين يقول ليعلم أهل الشرك أن قدأبلغوا رسالات ربهم .

ويحتمل ان يكون الضمير عائداً إلى الله عز وجل وهو قول حكاه ابن الجوزي في «زاد المسير» ، ويكون المعنى في ذلك أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من اداء رسالاته ويحفظ ما ينزله إليهم من الوحي ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ويكون ذلك كقوله تعالى : ﴿ وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمنّ المنافقين ﴾ ولا شك أن الله يعلم الاشياء قبل وقوعها ﴿ وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً ﴾

آخر اختصار تفسير سورة الجن ولله الحمد والمنة



إلا الآيات ١٠ و ١١ و ٢٠ فمدنية نزلت بعد سورة القلم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۞ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۞ (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ۞ (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۞ (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً ۞ (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً ۞ (٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ۞ (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ۞ (٩) ﴾

يأمر تعالى رسوله ﷺ ان يترك التزمّل ، وينهضَ إلى القيام لربّه عز وجل فكان عليه الصلاة والسلام ممتثلاً أمره تعالى ، وبيّن له ها هنا مقدار ما يقوم به فقال تعالى : ﴿ يا أيها المزمّل﴾ويا أيها النائم المزمّل﴿ قم الليل إلا قليلاً نصفه أوانقص منه قليلاأو زد عليه ﴾ أي أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة . أو نقصان قليل لا حرج عليك في ذلك . ﴿ ورتّل القرآن ترتيلاً ﴾ اي اقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبّره [١]

---

(١) قلت : هكذا هو مراد الله تعالى من قراءة القرآن ، إن كان ذلك في الصلاة أو خارجها ، فلا يكون إلاّ على تمهل . ولكننا نرى في زماننا هذا من يقرأ القرآن بسرعة غريبة وبشكل لا يضبط لفظه فضلا عن تدبر معناه من الإمام والمؤتم ، فلا يحصل المستمع على التحقق من الغرض من مراد الله وأمره بالترتيل . وبدهي ألاّ يحصل الفهم ؛ فإذا لم يحصل الفهم ، لا يمكن العمل به ، وإذا فقدالعمل يحصل الزيغ والتشتت في الآراء =

وكذلك كان يقرأ صلوات الله عليه وسلامه .

وفي صحيح البخاري عن أنس : **٥٢٨** [انه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال : كانت مدّاً ثم قرأ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ يمد : ﴿ بسم الله ﴾ ويمد ﴿ الرحمن ﴾ ويمد ﴿ الرحيم ﴾ . وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت : **٥٢٩** [كان يقطّع قراءته آية آية .﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . الحمدلله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين.﴾ رواه أحمد وأبو داود والترمذي .

وفي الحديث : **٥٣٠** [زينوا القرآن بأصواتكم] و **٥٣١** [ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن .] و **٥٣٢** [لقد أوتي هذا ... مزماراً من مزامير آل داود] يعني أبا موسى الأشعري . وقوله تعالى : ﴿ إنّا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ﴾ أي ثقيل وقت نزوله من عظمته ، كما قال زيد بن ثابت رضي الله عنه : **٥٣٣** [أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي فكادت ترضُّ فخذي .]

وفي صحيح البخاريّ عن عائشة رضي الله عنها **٥٣٤** [إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ : كيف يأتيكَ الوحيُ ؟ فقال : « أحياناً يأتي في مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليَّ فيفصم عني وقد وعيتُ عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل ليَ الملكُ رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول » قالت عائشة:ولقد رأيته ينزل عليه الوحي ﷺ في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصّد عرَقاً] هذا لفظه وقوله تعالى : ﴿ إنّ ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلا ﴾ يُقالُ نَشَأَ إذا قام من الليل ؛ والغرض ان ناشئة الليل هي ساعاته وأوقاته وكل ساعة منها تسمّى ناشئة ، وهي الآنات . والمقصود : ان قيام الليل هو أشد مواطأةً بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة ولهذا قال تعالى : ﴿ هي أشد وطأً وأقوم قيلاً ﴾ أي أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار ، لأنه وقت انتشار الناس .

وقوله تعالى : ﴿ إن لك في النهار سبحاً طويلاً ﴾ فراغاً وبغية ومتقلباً وهذا حين كانت

= وهذا ما يعانيه المسلمون اليوم حكاماً وشعوباً. حتى وصل الأمر بأئمة المساجد – إلاّ من رحم ربك – أن يتباهوا بالإسراع في القرآن والصلاة ، وخاصة في صلاة التراويح !! فإذا قال أحد الأئمة مثلا : أنا أنهي الثلاث والعشرين ركعة – زعموا – بثلث ساعة ... قال الآخر : بل أنا أنهيها بربع ساعة ... !!؟ كأنها عملية مناقصة !! هذا فضلا عن التكسّب أي بالقرآن وتوجيهه وجهة ما أنزله الله من أجلها ، وذلك رغبة بالمال ... ؟!! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **٥٣٥** [... اقرأوه قبل أن يقرأه أقوام يقيمونه كما يقوم السهم يتعجل أجره ولا يتأجله].وما نزل القرآن إلاّ لتنفذ أحكامه ، وتقوم عليه دولة الإسلام .

صلاة الليل فريضة ً ثم انّ الله تبارك وتعالى منّ على عباده فخففها ووضعها . والدليل ما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن سعيد بن هشام (ملخصاً) :

أنه استأذن على عائشة ٥٣٦ [رضي الله عنها ومعه حكيم بن مفلح فقالت : حكيم - وعرفتْه - قال : نعم . قالت : من هذا الذي معك قال : سعيد بن هشام . قالت من هشام ؟ قال ابن عامر . قال : فترحّمت عليه وقالت : نعمَ المرء كان عامراً قلت : يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلقُ رسول الله ﷺ قالت : ألستَ تقرأ القرآن ؟ قلت بلى . قالت : فإن خـُلـُقَ رسول الله ﷺ كان القرآن . فهمَمْتُ أن أقومَ ثم بدا لي قيامُ رسول الله ﷺ . قلتُ:يا أم المؤمنين : أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ قالت : ألست تقرأ هذه السورة : ﴿ يا أيها المزمل ﴾ قلت : بلى . قالت : فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام رسول الله واصحابه حولاً ،حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهراً ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعاً من بعد فريضة ...

(وفي هذا الحديث قولهـا) .... ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن في ليلة حتى أصبح ، ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان . فأتيت ابن عباس فحدثته بحديثها فقال : صدقت أما لو كنت أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهني مشافهة ً] . رواه بطوله وتمامه الإمام أحمد وقد أخرجه مسلم في صحيحه عن قتادة . وقال علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ قم الليل إلاّ قليلاً نصفـه أو انقص منه قليلاً ﴾ فشق ذلك على المؤمنين ثم خفّفَ الله تعالى عنهم ورحِمهم فأنزل بعد هذا : ﴿ علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله - إلى قوله - فاقرأوا ما تيسر منه ﴾ وسع الله تعالى وله الحمد ولم يضيّق .

وقوله تعالى : ﴿ واذكر اسم ربّك وتبتّل إليه تبتيلاً ﴾ أي أكثر من ذكره وانقطع إليه ، وتفرغ لعبادته اذا فرغت من أشغالك وما تحتاج إليه من أمور الدنيا كما قال تعالى : ﴿ فإذا فرغت فانصب ﴾ أي إذا فرغت من أشغالك فانصب في طاعته لتكون فارغَ البال ﴿ وتبتّل إليه تبتيلاً ﴾ وقال ابن عباس : أي اخلص له العبادة. وقال ابن جرير يقال للعابد متبتّل .

وقوله تعالى : ﴿ ربّ المشرق والمغرب لا إلَه إلاّ هو فاتخذه وكيلاً ﴾ أي هو المالك

المتصرف في المشارق والمغارب الذي لا إله إلاّ هو وكما أفردته بالعبادة فأفرده بالتوكل فاتخذه وكيلاً . كما قال تعالى : ﴿ فاعبده وتوكّل عليه ﴾ [١]

﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً ۝ (١٠) وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ۝ (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً ۝ (١٢) وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً ۝ (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلاً ۝ (١٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ۝ (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً ۝ (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيباً ۝ (١٧) ٱلسَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً ۝ (١٨) ﴾

يأمر تعالى رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذّبه من سفهاء قومه، وان يهجرهم هجراً جميلاً وهو الذي لا عتاب معه. ثم قال له متهدّداً لكفّار قومه، ومتوعّداً ، وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء . ﴿ وذرني والمكذّبين أولي النعمة ﴾ أي دعني والمكذّبين المترفين أصحاب الأموال ، فإنّهم على الطاعة أقدر من غيرهم ، وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم. ﴿ ومهلهم قليلاً ﴾ أي رويداً. كما قال تعالى: ﴿ نمتّعهم قليلاً ثم نضطرُّهم إلى عذاب غليظ ﴾ ولهذا قال ها هنا ﴿ إنّ لدينا أنكالاً ﴾ وهي القيود قاله ابن عباس وغيره . ﴿ وجحيماً ﴾ وهي السعير المضطرمة ﴿ وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً ﴾ وطعاماً ذا غصّة أي ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج. ﴿ وعذاباً أليما . يوم ترجف الأرض والجبال ﴾ أي تزلزل . ﴿ وكانت الجبال كثيباً مهيلاً ﴾ أي تصير ككثبان الرمل بعدما كانت حجارةً صمّاء ثم أنها تنسف نسفاً فلا يبقى منها شيء إلاّ ذهب حتى تصير الأرض قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً أي وادياً ولا أمتاً اي رابية ، ومعناه لا شيء ينخفض ولا يرتفع . ثم قال تعالى مخاطباً لكفار قريش والمراد سائر الناس ﴿ إنا أرسلنا

---

(١) قلت : وهذا دليل على أن التوكل عليه عبادة له سبحانه ومن توكل على غيره فقد عبد من عليه توكل .

إليكم رسولاً شاهداً عليكم ﴾ أي بأعمالكم ﴿ كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً . فعصى فرعونُ الرسولَ فأخذناه أخذاً وبيلا ﴾ أي شديداً ويحذرهم تكذيب هذا الرسول كيلا يصيبهم ما أصاب فرعون من النكال كما قال تعالى : ﴿ فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ﴾ وأنتم أولى بالهلاك والدمار ان كذبتم رسولكم ، لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى ابن عمران عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى : ﴿ فكيف تتّقون إنْ كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً ﴾ أي كيف يحصل لكم أمان من يوم الفزع العظيم إن كفرتم؟ ومعنى قوله : ﴿ يوماً يجعل الولدان شيباً ﴾ أي من شدّة أهواله وزلازله وهو يوم القيامة . وقوله تعالى : ﴿ السماء منفطرٌ به ﴾ أي كان وعد هذا اليوم مفعولاً اي واقعاً لا محالة وكائناً لا محيد عنه .

ربع الحزب

﴿ إنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ۝ (١٩) إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ (٢٠) ﴾

يقول تعالى : ﴿ إن هذه ﴾ اي السورة ﴿ تذكرةٌ ﴾ أي يتذكّر بها أولو الألباب . ولهذا قال : ﴿ فمن شاء اتخذ إلى ربّه سبيلاً ﴾ أي ممن شاء الله تعالى هدايته كما قيّد في : السورة الأخرى : ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً ﴾ ثم قال : ﴿ إنّ ربّك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ﴾ أي تارة هكذا وتارةً هكذا من غير قصد منكم ولكن لا تقدرون على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل لأنه يشق عليكم ولذلك قال : ﴿ والله يقدّر الليل والنهار ﴾ أي تارةً

يعتدلان تارةً يزيدان وينقصان . ﴿ علم أنْ لن تحصوه ﴾ أي الفرض الذي أوجبه عليكم ﴿ فاقرأوا ما تيسّر من القرآن ﴾ أي من غير تحديد بوقت ولكن قوموا من الليل بما تيسّر وعبّر عن الصلاة بالقراءة. كما قال في سورة «سبحان» ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ أي بقراءتك ﴿ ولا تخافت بها ﴾ وقد استدل الأحناف من قوله : ﴿ فاقرأوا ما تيسر من القرآن ﴾ على عدم وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة فتجزي إن قرأ بها أو بغيرها ، واعتضدوا أيضاً بحديث المسيء صلاته الذي في الصحيحين : ٥٣٧ [ثم اقرأ ما تيسّر معك من القرآن] وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت وهو في الصحيحين ٥٣٨ [أيضاً وهو : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) [1] قوله تعالى : ﴿ علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون تقاتلون في سبيل الله ﴾ أي أي علم أن سيكون في هذه الأمة ذوو أعذار ، من مرض وسفر ، وشغل في الجهاد . وان هذه الآية من دلائل النبوّة لأنها من باب الإخبار بالمغيبات المستقبلة . لأن الآية مكيّة، ولم يكن قد شرع القتال بعدُ .

وقوله تعالى: ﴿ فاقرأوا ما تيسر منه ﴾ أي قوموا بما تيسر عليكم منه . وقد جاء في الحديث ٥٣٩ [ان رسول الله ﷺ سئل عن رجل نام حتى أصبح فقال : « ذاك رجل بال الشيطان في أذنه » فقيل نام عن المكتوبة ،وقيل نام عن قيام الليل. وفي السنن: ٥٤٠ [أوتروا يا أهل القرآن] وحديث آخر : ٥٤١ [من لم يوتر فليس منّا] وقوله تعالى : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ أي أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم وآتوا الزكاة المفروضة . وقد قال ابن عباس وغيره من السلف : أن هذه الآية نسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولاً من قيام الليل وقد ثبت في الصحيحَين : ٥٤٢ [أن رسول الله ﷺ قال لذلك الرجل : « خمس صلوات في اليوم والليلة » قال علي غيرها ؟ قال: لا ... إلاّ أن تطوّع] .

وقوله تعالى : ﴿ وأقرضوا الله قرضاً حسناً ﴾ يعني من الصدقات فإن الله يجازي على ذلك احسن الجزاء . وقوله تعالى : ﴿ وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً ﴾ أي جميع ما تقدّمونه بين أيديكم فهو لكم حاصل ، وهو خير مما أبقيتموة لأنفسكم في الدنيا . وعن الحارث بن سويد قال: قال عبدالله قال رسول الله ﷺ

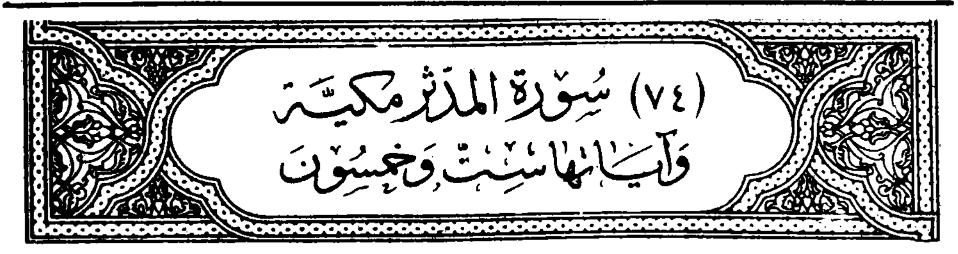
---

(١) راجع المجلد الأول عند تفسير سورة الفاتحة – الصفحة ٨ – ٩ و ١٩ ففيه تفصيل ذلك .

٥٤٣ [« أيّكم ما له أحب إليه من مال وارثه ؟ » قالوا يا رسول الله ما منّا من أحد إلاّ ماله أحب إليه من مال وارثه : قال : « إعلموا ما تقولون » قالوا : ما نعلم إلاّ ذلك يا رسول الله قال : « إنّما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر »] ورواه البخاريّ والنسائيّ .

ثم قال تعالى : ﴿ واستغفروا الله ان الله غفور رحيم . ﴾ أي أكثروا من ذكره واستغفاره في أموركم كلها فإنه غفور رحيم لمن استغفره .

آخر اختصار تفسير سورة المزمل والحمد لله



نزلت بعد سورة المزمّل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ❁ (١) قُمْ فَأَنذِرْ ❁ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ❁ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ❁ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ❁ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ❁ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ❁ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ❁ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ❁ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ❁ (١٠) ﴾

ثبت في صحيح البخاري عن جابر انه كان يقول : (أول شيء نزل من القرآن : ﴿ يا أيها المدثر ﴾) إنما خالفه الجمهور وقالوا : بل : ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ على أن جابراً رضي الله عنه إنما قال قوله ذلك اعتماداً على حديث سمعه من رسول الله ﷺ يقول فيه :٥٤٤ [جاورت بحراء فلمّا قضيت جواري هبطت فنوديت ، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً ونظرت خلفي فلم أر شيئاً ، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً فأتيت خديجة فقلت دثروني وصبّوا علي ماءً بارداً – قال – فدثروني وصبّوا علي ماءً بارداً ثم قال – فنزلت : ﴿ يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبرّ ﴾] رواه البخاري. وقد رواه مسلم من طريق عقيل ... إلى جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه : ٥٤٥ [... فبينا أنا أمشي اذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قِبَلَ

السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجئثتُ منه حتى هويت إلى الأرض ، فجئت إلى أهلي فقلت زملوني زملوني ، فزملوني فأنزل » ﴿يا أيها المدثر . قم فأنذر – إلى – فاهجر .. ﴾]

وهذا يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا ... لقوله : « فاذا الملك الذي كان بحراء » وهو جبريل حين أتاه بقوله ﴿ اقرأ بسم ربك الذي خلق – إلى – ما لم يعلم ﴾ ووجه الجمع : أن أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة كما روى الإمام أحمد عن جابر ابن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ٥٤٦ [ثم فتر الوحي عني فترة فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قبلَ السماء فإذا الملك الذي جاءني قاعد على كرسيّ بين السماء والأرض فجئثتُ منه فرقاً حتى هويت على الأرض فجئت أهلي فقلت لهم : زملوني زملوني ... فزملوني ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر ، وثيابك فطهر . والرجز فاهجر ﴾ ثم حمي الوحي وتتابع] أخرجاه من حديث الزهري به ﴿ قم فأنذر ﴾ . أي انذر الناس وبهذا حصل الإرسال [١] كما حصل بالأول النبوة [٢] ﴿ وربك فكبر ﴾ أي عظم . وقوله تعالى : ﴿ وثيابك فطهر ﴾ وقيل من الذنوب والمعاصي ، وقيل المقصود طهارة القلب ، وقيل اغسل ثيابك بالماء فقد كان المشركون لا يتطهرون فأمره الله ان يتطهر وأن يطهر ثيابه ، وهذا القول اختاره ابن جرير وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب فإن العرب تطلق « الثياب » على القلب ﴿ والرجز فاهجر ﴾ أي اترك المعصية وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبُّسُه بشيء من ذلك كقوله تعالى: ﴿ يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ أي لا تعطي العطية تلتمس أكثر منها قاله ابن عباس وناس من التابعين . وقوله تعالى : ﴿ ولربك فاصبر ﴾ أي اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عز وجل وقوله تعالى : ﴿ فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ﴾ ﴿ الناقور ﴾ الصور قال مجاهد كهيئة القرن لحديث ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ ٥٤٧ [كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن ، وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ ...] وقوله تعالى : ﴿ فذلك يومئذ يوم عسير ﴾ أي شديد على الكافرين ﴿ على الكافرين غير يسير ﴾ أي غير سهل عليهم كما قال تعالى : ﴿ يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ ويروى عن زرارة بن أوفى قاضي البصرة انه صلى بهم

(١) أي بسورة « المدثر » .
(٢) أي بسورة « إقرأ » .

الصبح فقرأ هذه السورة فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿ فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذٍ يوم عسير على الكافرين غير يسير ﴾ شهق شهقةً ثم خرَّ ميتاً رحمه الله.

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ۞ (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً ۞ (١٢) وَبَنِينَ شُهُوداً ۞ (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً ۞ (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۞ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً ۞ (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً ۞ (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۞(١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞(١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ ۞ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۞ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۞ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۞ (٢٤) إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۞ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۞ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ۞ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۞ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ۞ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۞ (٣٠) ﴾

يقول تعالى متوعداً للوليد بن المغيرة المخزومي أحد رؤساء قريش لعنه الله. وقد روى ابن عباس قال: دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن، فلما أخبره خرج على قريش فقال: يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة، فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذْي من الجنون. وان قوله لمن كلام الله. فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا: والله لئن صبأ الوليد لتصبو قريش. فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال: أنا والله أكفيكم شأنه. فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد: ألم ترَ إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة؟ فقال: ألستُ أكثرهم مالاً وولداً؟ فقال أبو جهل يتحدثون أنك انما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه. فقال الوليد: أقد تحدَّث به عشيرتي! فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ولا عمر ولا ابن أبي كبشة، وما قوله إلاّ سحر يؤثر فأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا – إلى قوله – لا تبقي ولا تذر – وقال قتادة زعموا أنه قال: والله لقد نظرت فيما قال الرجل، فإذا هو ليس بشعر، وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وانه ليعلو وما يُعلَى عليه، وما أشك أنه سحر...!! فأنزل الله ﴿ قتل كيف قدر ﴾ فيقول تعالى متوعداً لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه

بنعم الدنيا فكفر بأنعم الله وبدّلها كفراً، وقابلها بالجحد بآيات الله والافتراء عليها، وجعلها من قول البشر . وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال: ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا ﴾ أي خرج من بطن أمه وحيدا ، وحده لا مال له ولا ولد ثم رزقه الله تعالى رزقاً عظيماً فقال : ﴿ وجعلت له مالاً ممدوداً ﴾ أي واسعاً كثيراً قيل مائة ألف دينار وقيل أرضاً يستغلها ، وجعل له ﴿ بنين شهوداً ﴾ أي حضوراً عنده لا يسافرون بالتجارات بل مواليهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم ، وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ويتملّى بهم . وكانوا فيما ذكره السُّدّي وأبو مالك وعاصم بن عمر وقتادة ثلاثة عشر... وهذا أبلغ في النعمة ﴿ ومهدت له تمهيداً ﴾ أي مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك. ﴿ ثم يطمع أن أزيد كلاّ إنه كان لآياتنا عنيدا ﴾ أي معانداً وهو الكفر بعد العلم . قال الله تعالى : ﴿ سأرهقه صعودا ﴾ روى الإمام أحمد بسنده إلى أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال: ٥٤٨ [ويل : وادٍ في جهنم يهوي به الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره والصعود : جبل من نار يتصعّد فيه الكافر سبعين خريفاً ثم يهوي به كذلك فيه أبدا .] وقوله تعالى : ﴿ إنه فكر وقدّر ﴾ أي تروّى ﴿ فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر ﴾ دعاءٌ عليه ﴿ ثم نظر ﴾ أي أعاد النظرة والتروّي ﴿ ثم عبس ﴾ أي قبض بين عينيه وقطب ﴿ وبسر ﴾ أي كلح وكره . وقوله ﴿ ثم أدبر واستكبر ﴾ أي صرف عن الحقّ ورجع القهقرَى مستكبراً عن الانقياد للقرآن . ﴿ فقال إنْ هذا إلاَّ سحر يؤثر ﴾ أي هذا سحرٌ ينقله محمّد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم . ولهذا قال: ﴿ إنْ هذا إلاَّ قول البشر ﴾ أي ليس بكلام الله . قال تعالى : ﴿ سأصليه سقر ﴾ أي سأغمره فيها. وقال تعالى : ﴿ وما أدراك ما سقر ﴾ تهويل لأمرها . ثم فسّر ذلك بقوله: ﴿ لا تُبقي ولا تذَر ﴾ تأكل أجسادهم جميعاً ثم تبدّل غير ذلك على شكل لا يموتون ولا يحيون . وقوله تعالى : ﴿ لوّاحة للبشر ﴾ أي للجلد فتدعه اسود من الليل. وقوله تعالى: ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ أي من مقدّمي الزبانية عظيم خَلْقُهم غليظ خُلُقُهم .

۞ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلٰئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَاناً وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ

ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَٱلْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلاً كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيراً لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى : ﴿ وما جعلنا أصحاب النار ﴾ أي خزنتها ﴿ إلاّ ملائكة ﴾ أي زبانية غلاظاً شداداً ، رداً على مشركي قريش حين ذكر عدد الخزنة فقال أبو جهل : يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لواحدٍ منهم فتغلبونهم. فقال الله تعالى: ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلاّ ملائكة ﴾ أي شديدي الخَلق لا يغالَبون ولا يقاومون .

وقوله تعالى: ﴿ وما جعلنا عدتهم إلاّ فتنة للذين كفروا ﴾ أي إنّما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر إختباراً منا للناس. ﴿ ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ﴾ أي يعلمون أن هذا الرسول حق . فإنّه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله . وقوله تعالى ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيماناً ﴾ أي إلى إيمانهم بما يشهدون من صدق أخبار نبيّهم محمّد ﷺ . ﴿ ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقولَ الذين في قلوبهم مرض ﴾ أي من المنافقين ﴿ والكافرون ماذا أراد الله بهــذا مثلاً ﴾ أي يقولون ما الحكمة من ذكر هذا ههنا؟ قال الله تعالى : ﴿ كذلك يضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ أي من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان في قلوب أقوام ويتزلزل عند آخرين، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة . وقوله تعالى: ﴿ وما يعلم جنود ربّك إلاّ هو ﴾ أي ما يعلم عددهم وكثرتهم إلاّ هو تعالى لئلا يتوهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط . كما قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين، ومن شايعهم من الملتين الذين سمعوا هذه الآية، فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة، التي اخترعوها وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها، فأفهموا صدر هذه الآية، وقد كفروا بآخرها وهو قوله ﴿ وما يعلم جنود ربّك إلا هو ﴾ وقد ثبت في الصحيحَين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة: ٥٤٩ [... فإذا

هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم] روى الحافظ أبو القاسم الطبراني بسنده إلى جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ ٥٥٠ [ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلاّ وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع فاذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلاّ انّا لم نشركْ بك شيئاً] وقوله تعالى: ﴿ وما هي إلا ذكرى للبشر ﴾ قال مجاهد وغير واحد ﴿ وما هي ﴾ أي النار التي وصفت ﴿ إلا ذكرى للبشر ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ كلاّ والقمر والليل إذا أدبر ﴾ أي ولىّ ﴿ والصبح اذا أسفر ﴾ أي أشرق ﴿ إنها لإحدى الكبر ﴾ أي العظائم يعني النار . قاله ابن عباس وغير واحد من السلف ﴿ نذيراً للبشر . لمن شاء منكم أن يتقدّم أو يتأخر ﴾ أي لمن شاء أن يقبلَ النذارة ويهتدي للحق أو يتأخر عنها ويولّي ويردّها .

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى مخبراً أن ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ أي معتقلة بعملها يوم القيامة قاله ابن عباس وغيره ﴿ إلاّ أصحاب اليمين ﴾ فإنهم ﴿ في جنات يتساءلون عن المجرمين ﴾

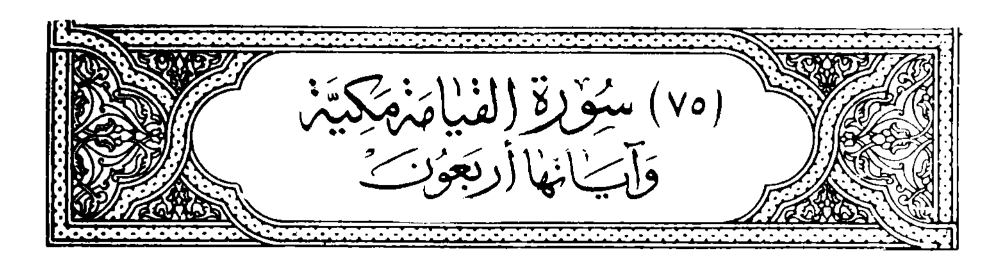
أي يسألون عن المجرمين وهم في غرفات الجنان، وأولئك في الدركات قائلين لهم: ﴿ ما سلككم في سقر . قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين ﴾ أي ما عبدنا ربنا ولا أحسنّا إلى خلقه من جنسنا ﴿ وكنا نخوض مع الخائضين ﴾ أي نتكلم فيما لا نعلم . وقال قتادة: كلما غوى غاوٍ غوينا معه. ﴿ وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين ﴾ يعني الموت. كقوله تعالى : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ وقال رسول الله ﷺ: ٥٥١ [أما هو – يعني عثمان بن مظعون – فقد جاءه اليقين من ربه][1] قال الله تعالى : ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ أي من كان متصفاً بمثل هذه الصفات، فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة الشافعين . لأن الشفاعة انما تنجح إذا كان المحل قابلاً، فأما من وافى الله كافراً يوم القيامة، فان له النار لا محالة خالداً فيها . ثم قال تعالى : ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين ﴾؟ أي فما لهؤلاء الكفرة الذين قِبَلَك عما تدعوهم إليه وتذكّرهم به معرضين. ﴿ كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة ﴾ أي كأنهم في نفارهم عن الحق، واعراضهم عنه، حمر من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد . وقوله تعالى : ﴿ كلاّ إنه تذكرة ﴾ أي حقاً أن القرآن تذكرة ﴿ فمن شاء ذكره وما يذكرون إلاّ أن يشاء الله ﴾ كقوله : ﴿ وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله ﴾ وقوله تعالى : ﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ أي هو أهل أن يخاف منه، وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأناب . قاله قتادة .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ٥٥٢ [قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ وقال : قال ربكم أنا أهل أن أُتّقَى فلا يُجعَلُ معي إلٰهٌ فمن اتقى ان يجعل معي إلهاً كان أهلاً أن أغفر له] رواه أحمد وغيره .

آخر اختصار تفسير سورة المدثّر ولله الحمد

---

(١) قلت : وقوله تعالى : (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أي استقم على عبادته كما شرع حتى ينتهي الأجل ويأتيك اليقين أي الموت . وقوله تعالى حكاية عن الكافرين : (وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين) أي كان الكفار يكذبون بالمعاد والبعث وظلوا كذلك حتى أتاهم اليقين أي الموت : وقوله صلى الله عليه وسلم « أما هو – يعني عثمان بن مظعون لما توفي – فقد جاءه اليقين من ربه ، أي جاءه الموت ، كل ما تقدم عن الله والرسول في معنى « اليقين » انه الموت . ولكن ما يزال بين المسلمين – من فرق الأثنتين والسبعين – من يقول : اليقين: هو المعرفة ... وهي معرفة الإنسان نفسه أنه هو الله، فتسقط عنه التكاليف لأنه عرف الحقيقة واتضحت له بأنه هو الله ، فمن يعبد ؟ ! وهل أحد يعبد نفسه ؟ ! وهكذا دخل الشيطان على هؤلاء فأخرجهم عن الإسلام . وإذا سألت من هؤلاء؟ أقول: هم أهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود اللهم ردهم إلى الحق ، أو عاملهم بما يستحقون .



نزلت بعد سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم



لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾

قد تقدم غير مرة أن المقسم عليه اذا كان منتفياً جاز الإتيان بـ﴿لا﴾ قبل القسم لتأكيد النفي . والمقسم عليه ها هنا ... هو إثبات المعاد والرد على ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بعث الأجساد. ولهذا قال ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوّامة ﴾ فأقسم الله تعالى بيوم القيامة وبالنفس اللوامة خلافاً لمن قال أنه تعالى أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة . أما يوم القيامة فمعروف ... وأما النفس اللوامة ، لقد اختلف

المفسرون فيها ... فمن قائل : أن المؤمن ياوم نفسه ، وأن الكافر يمضي في الذنوب قُدُماً ما يعاتب نفسه ! وقال آخرون معاني متقاربة والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر [1] وتندم على ما فات قاله ابن جرير .

وقوله تعالى : ﴿ أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ﴾ أي يوم القيامة أيظن أنّا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة ... ﴿ بلى قادرين على أن نسوي بنانه ﴾ أي أيظن الإنسان أنّا لا نجمع عظامه ؟ بل سنجمعها وقادرين على أن نسوي بنانه أي قدرتنا صالحة لجمعها. وقوله تعالى : ﴿ بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ﴾ أي هو الكافر يكذّب بيوم الحساب قاله ابن عباس . ولهذا قال بعده ﴿ يسأل أيّان يوم القيامة ﴾ أي متى القيامة؟ وإنما سؤاله استبعادٌ لوقوعه وتكذيب لوجوده. كما قال تعالى: ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ۞ قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ﴾ وقال تعالى ها هنا : ﴿ فاذا برق البصر ﴾ أي حارَ فينظرون من الفزع هكذا وهكذا لا يستقرُّ لهم بصرٌ على شيء من شدة الرعب والأهوال يومَ القيامة . وقوله تعالى : ﴿ وخسف القمر ﴾ أي ذهب ضوؤه ﴿ وجُمع الشمس والقمر ﴾ قال مجاهد : كوّرا وقوله تعالى : ﴿ يقول الإنسان يومئذ أين المفر ﴾ أي يحاول الفرار قائلاً : ﴿ أين المفرّ ﴾ أي هل من ملجأ أو موئل ... ؟ قال الله تعالى : ﴿ كلا لا وزر إلى ربّك يومئذ المستقر ﴾ أي لا نجاة ولا معتصم. ولذا قال : ﴿ إلى ربك يومئذ المستقر ﴾ أي المرجع والمصير . ثم قال تعالى : ﴿ ينبّأ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخّر ﴾ أي يخبر بجميع أعماله من أولها إلى آخرها . كقوله تعالى : ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ﴾ وقوله ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ﴾ أي هو شهيد على نفسه عالم بفعله ولو اعتذر وأنكر كما قال تعالى : ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ وقوله : ﴿ ولو ألقى معاذيره ﴾ أي حجته وقال مجاهد: ولو جادل عنها فهو بصير عليها وهذا هو الصحيح، ولكن ﴿ لا ينفع الظالمين معذرتهم ﴾ .

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۞ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۞ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۞ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۞ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۞ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ۞ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۞ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۞ (٢٣)

---

(١) قلت : قوله تلوم صاحبها على الخير والشر ... أي تلوم صاحبها لمَ لم يستزدْ من فعل الخير ، وتلوم على الشر الذي فعله : ... لمَ فعله ...؟ وتأمره بالندامة على ما فرط ، وبالاستغفار والتوبة النصوح .

وَوُجوهٌ يَوْمَئذٍ بَاسِرَةٌ ❁ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ❁ (٢٥)

هذا تعليمُ الله عز وجل لرسوله ﷺ في كيفية تلقِّيه الوحي من الملَك ، فإنه كان يبادره إلى أخذه ويسابق الملَك في قراءته فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملَك بالوحي أن يستمع له ، وتكفَّل الله أن يجمعَه في صدره ، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه . فالحالة الأولى: جمعه في صدره . والثانية : تلاوته . والثالثة : تفسيره وإيضاح معناه . ولهذا قال: ﴿ لا تحرّك به لسانك لتعجل به ﴾ أي بالقرآن . كما قال تعالى : ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضَى إليك وحيُه وقل رب زدني علماً ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ إن علينا جمعَه ﴾ أي في صدرك ﴿ وقرآنه ﴾ أي أن تقرأه ﴿ فإذا قرأناه ﴾ أي إذا تلاه عليك الملَك عن الله تعالى ﴿ فاتبع قرآنه ﴾ أي فاستمع له، ثم اقرأه كما أقرأك. ﴿ ثم إن علينا بيانَه ﴾ أي بعد حفظه وتلاوته، نبيِّنه لك ونوضحه، ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا .

وقوله تعالى : ﴿ كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ﴾ أي إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزل الله هو: لهوهم عن الآخرة وحبّهم للدنيا. ثم قال تعالى : ﴿ وجوهٌ يومئذ ناضرة ﴾ أي مشرقة مسرورة ﴿ إلى ربها ناظرة ﴾ أي تراه عياناً . كما رواه البخاريّ رحمه الله في صحيحِه : ٥٥٣ [إنكم سترون ربَّكم عيّاناً] وقد تواترت الأحاديث عند أئمة الحديث بما لا يمكن دفعها ولا منعها ؛ لحديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في الصحيحين : ٥٥٤ [أن ناساً قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : هل تضارّون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب ؟ قالوا لا قال : إنكم ترون ربكم كذلك] . وهناك أحاديث أخرى في الصحيحين وغيرهما ... ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان . ولكن ذكرنا ذلك في مواضع متفرقة من هذا التفسير وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف الأمة ، ومن تأوّل النظر إلى الله تعالى بغير ما ذكر رسول الله ﷺ . وفسَّره في حديثه الصادق فقد أبعد النجعة : وإن التأويلات من قوله تعالى : ﴿ كلاّ إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ قال الشافعي رحمه الله تعالى : ما حجب الفجّار إلاّ وقد علم أن الأبرار يرونه عزّ وجلّ وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بما دلَّ عليه سياق الآية الكريمة. وهي قوله تعالى : ﴿ إلى ربها ناظرة ﴾ أي تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق .

وقوله تعالى : ﴿ ووجوه يومئذ باسرة . تظن أن يفعل بها فاقرة ﴾ هذه وجوه الفجّار تكون يوم القيامة باسرة أي كالحة عابسة . ﴿ تظن ﴾ أي تستيقن ﴿ أن يفعل بها فاقرة ﴾ أي تستيقن أنها هالكة . وهذا المقام كقوله تعالى : ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ .

﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۞ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۞ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۞ (٢٨) وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِالسَّاقِ ۞ (٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۞ (٣٠) فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۞ (٣١) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۞ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ۞ (٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۞ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۞ (٣٥) أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۞ (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ۞ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۞ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ ٱلْمَوْتَىٰ ۞ (٤٠) ﴾

يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الأهوال ـ ثبتنا الله هنالك بالقول الثابت ـ فقال تعالى : ﴿ كلا إذا بلغت التراقيَ ﴾ أي إذا انتزعت الروح من الجسد وبلغت التراقي والتراقي جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق ﴿ وقيل من راق ﴾ أي من طبيب شافٍ ومن راقٍ يرقي ﴿ والتفت الساق بالساق ﴾ هما الساقان اذا التفتا في الكفن . وقوله تعالى : ﴿ إلى ربّك يومئذٍ المساق ﴾ أي المرجع والمآب. وذلك أن الروح ترفع إلى السموات، فيقول الله عز وجل: ٥٥٥ [ردّوا عبدي إلى الأرض فإني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى] . كما ورد في حديث البراء الطويل .

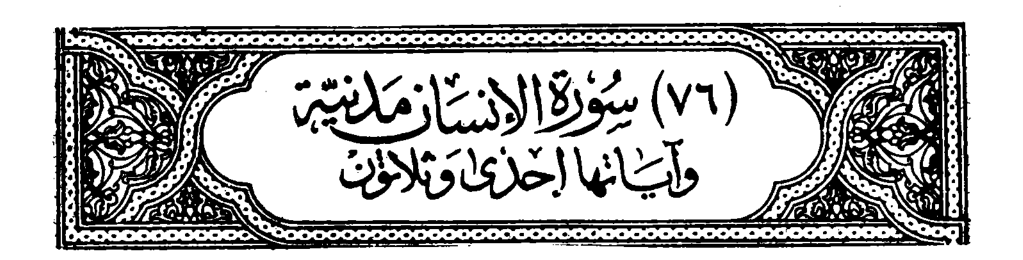
وقوله جل وعلا ﴿ فلا صدّقَ ولا صلّى . ولكن كذّب وتولى ﴾ . هو إخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذباً للحق بقلبه ، متولّياً عن العمل بقالبه ، فلا خير فيه باطناً ولا ظاهراً . ﴿ ثم ذهب إلى أهله يتمطّى ﴾ أي جذلان اشراً بطراً

كسلاناً ، لا همة له ولا عمل ، كما قال تعالى : ﴿ وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ﴾ ويتمطى أي يختال ويتبختر . وقوله تعالى : : ﴿ أولى لك فأولى . ثم أولى لك فأولى ﴾ . وعيد على أثر وعيد من الله تعالى للكافر المتبختر في مشيه . كقوله تعالى : ﴿ كلوا وتمتّعوا قليلا انكم مجرمون ﴾ ـ.

روى ابن أبي حاتم عن موسى بن أبي عائشة قال : سألت سعيد بن جبير قلت : ﴿ أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى ﴾ قال : ٥٥٦ [قاله النبي ﷺ لأبي جهل ثم أنزله الله عز وجل]. ورواه النسائي وقوله تعالى : ﴿ أيحسب الانسان أن يترك سُدَى ﴾ أي لا يترك في هذه الدنيا هملاً لا يؤمر ولا يُنهَى ، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث بل هو مأمور منهي في الدنيا ، محشور إلى الله في الدار الآخرة ، والمقصود هنا اثبات المعاد ، والردّ على من أنكرَهُ من أهل الزيغ والجهل والعناد. ولهذا قال تعالى مستدلاً على الإعادة بالبداءة... فقال تعالى : ﴿ ألم يك نطفةً من منيٍّ يُمنَى ﴾ أي أما كان الانسان نطفةً ضعيفةً من ماءٍ مهين يُمنَى : يراق من الأصلاب ويصب في الأرحام . ﴿ ثم كان علقةً فخلق فسوَّى ﴾ أي فصار علقةً ثم مضغة ثم شكّل ونفخ فيه الروح ، فصار خلقاً آخر سويّاً سليم الأعضاء ، ذكراً أو أنثى بإذن الله وتقديره. ولهذا قال تعالى : ﴿ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيِ الموتى ﴾ . أي أما هذا الذي أنشأ الخلق السويّ من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه . ولا شك أن تناول القدرة للإعادة بطريق الأولى بالنسبة إلى البداءة .

وروى ابن أبي حاتم بسنده إلى أحد الصحابة أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن فإذا قرأ : ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ قال ٥٥٧ [سبحانك اللهم فَبَلَى ، فسئل عن ذلك فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك] ورواه أبو داود بنحوه ولم يسمّ الصحابي ولا يضر ذلك . وروى أبو داود عن أبي هريرة يقول قال رسول الله ﷺ : ٥٥٨ [من قرأ منكم « بالتين والزيتون » فانتهى إلى آخرها : ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ فليقل : بلى وإنّا على ذلك من الشاهدين . ومن قرأ : ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ فانتهى إلى قوله : ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ فليقل : بلى . ومن قرأ « المرسلات » فبلغ ﴿ فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾ . فليقل : آمنا بالله] ورواه أحمد والترمذي . آخر اختصار تفسير سورة القيامة. والحمد لله وله المنة.



نزلت بعد سورة الرّحمٰن

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ۞ (١) إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ۞ (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ۞ (٣) ﴾

روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ :٥٥٩ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿ الم تنزيل ﴾ السجدة و ﴿ هل أتىٰ على الإنسان ﴾ .

ويخبر تعالى عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئاً يذكر لحقارته وضعفه. فقال تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا ﴾ ثم بيَّن ذلك فقال جل جلاله : ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ﴾ هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة . وقوله تعالى : ﴿ نبتليه ﴾ أي نختبره ﴿ فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾ أي جعلنا له سمعاً وبصراً يساعدانه على طاعة الله أو معصيته وقوله تعالى : ﴿ إنا هديناه السبيل ﴾ أي بيّناه ووضّحناه كقوله تعالى : ﴿ وهديناه النجدَيْن ﴾ أي بيّنا طريق الخير وطريق الشر . ومن رواية جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ٥٦٠ [كل مولود يولد على الفطرة حتّى يعرب عنه لسانه إمّا شاكراً وإما كفوراً] . وروى

الامام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ٥٦١ [ما من خارج يخرج إلاّ ببابه رايتان : راية بيد ملك وراية بيد شيطان فإن خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته . وان خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته] .

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً ۞ (٤) إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ۞ (٥) عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ۞ (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ۞ (٧) وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ۞ (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً ۞ (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً ۞ (١٠) فَوَقَاهُمُ ٱللهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً ۞ (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ۞ (١٢) ﴾

يخبر تعالى عما أرصد للكافرين من السلاسل والأغلال والسعير في جهنم ، ولما ذكر ما أعدّه لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده : ﴿ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ﴾ ومعلوم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة قال الحسن: برد الكافور في طيب الزنجبيل ولهذا قال: ﴿ عيناً يشرب بها عباد الله يفجّرونها تفجيرا ﴾ أي هذا المزيج هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله ويَرْوَوْنَ بها . ولهذا ضمّن يشرب معنى يروى حتى عداه بالباء ونصب عيناً على التمييز . وقوله تعالى : ﴿ يفجّرونها تفجيراً ﴾ أي يتصرفون فيها حيث شاءوا وأين شاءوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم .

وقوله تعالى : ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا ﴾ أي يتعبدون الله بالطاعات الواجبات بأصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر قال عليه الصلاة والسلام ٥٦٢ [من نذر أن يطيع الله فليطِعْه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه] رواه

البخاري من حديث مالك ويتركون المحرمات خيفةً من سوء الحساب يوم المعاد ذي الشرّ المنتشر العام على الناس إلاّ من رحم الله . وقوله تعالى: ﴿ ويطعمون الطعام على حبّه ﴾ أي ويطعمون الطعام في حال محبتهم له وشهوتهم. كقوله تعالى : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا ممّا تحبون ﴾ وفي الصحيح :٥٦٣ [أفضل الصدقة أن تصدّق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر] أي في حال محبّتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه . ولهذا قال : ﴿ ويُطعِمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيرا ﴾ أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانهما [١] وصفتهما : والأسير هو اسم مشترك للأسير المسلم والمشرِك. وهكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة . وقد وصّىَ رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث حتّى أنّه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول ٥٦٤ [الصلاة وما ملكت أيمانكم] ﴿ إنّما نُطعِمكم لوجه الله ﴾ أي رجاء ثواب الله ورضاه ﴿ لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾ أي لا نطلب منكم مجازاةً تكافئوننا بها ولا أن تشكرونا عند الناس ﴿ إنّا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريرا ﴾ أي إنّما نفعل هذا لعلّ الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطرير . قال ابن عباس : عبوساً ضيّقا قمطريرا طويلاً وقال ابن جرير وذلك أشدّ الأيام وأطولها في البلاء والشدة . قال تعالى : ﴿ فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ولقّاهم نَضرة وسرورا ﴾ أي آمنهم بما خافوا منه ﴿ ولقاهم نضرةً وسروراً ﴾ نضرة في وجوههم وسروراً في قلوبهم وذلك ان القلب اذا سُرَّ استنار الوجه. وقوله تعالى : ﴿ وجزاهم بما صبروا ﴾ أي بسبب صبرهم أعطاهم ونوّلهم وبوأهم جنةً وحريرا، أي منزلاً رحباً وعيشاً رغداً ولباساً حسناً. وقد قرئت هذه الآية على أبي سليمان الداراني قال : إنما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا .

﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً ۝ (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ۝(١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝ (١٥) قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ۝(١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ۝ (١٧) عَيْناً فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ۝ (١٨) وَيَطُوفُ



(١) وذلك في المجلد الأول . سورة البقرة في الآية ١٧٧ الصفحة ١٣٦ .

عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُوراً ۞ (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ۞ (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً ۞ (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً ۞ (٢٢)

يخبر تعالى عن أهل الجنّة وما آتاهم من الفضل العميم فقال تعالى: ﴿ متكئين فيها على الأرائك ﴾ الاتكاء: التمرفق. والأرائك هي السرر تحت الحجال. وقوله تعالى: ﴿ لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا ﴾ أي لا حر مزعج ولا برد مؤلم، بل هي مزاج واحد دائم سرمديّ لا يبغون عنها حِولا. ﴿ ودانيةً عليهم ظلالها ﴾ أي قريبة إليهم أغصانها. ﴿ وذللت قطوفها تذليلا ﴾ أي متى تعاطاه، دنا القطف إليه. كقوله تعالى: ﴿ وجنى الجنتين دان ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب ﴾ أي يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام وهي من فضة وأكواب الشراب قوارير من فضة أي بياض الفضة في صفاء الزجاج يُرى ما في باطنها من ظاهرها وهذا مما لا نظير له في الدنيا، وعن ابن عباس: ليس في الجنة شيء إلاّ وقد أُعطيتم في الدنيا شبهه إلاّ قوارير من فضة. رواه ابن ابي حاتم. وقوله تعالى: ﴿ قدّروها تقديراً ﴾ أي على قدر ريّهم أي لا تزيد عن ري صاحبها ولا تنقص. وقوله تعالى: ﴿ ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً ﴾ فتارة يخرج لهم الشراب بالكافور البارد وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر أي للأبرار أما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفاً وقوله تعالى: ﴿ عيناً فيها تسمى سلسبيلاً ﴾ سمّيت بذلك لسلاسة سيلها وحدّة جريها وسلاستها في الحلق. وقوله تعالى: ﴿ ويطوف عليهم ولدان مخلّدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا ﴾ أي يطوف عليهم من ولدان الجنة للخدمة ﴿ مخلدون ﴾ اي على حالة واحدة، ولا يتغيرون عنها ولا تزيد أعمارهم وقوله تعالى: ﴿ اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً ﴾ أي اذا رأيتهم منتشرين في قضاء حوائج السادة وحسنهم في وجوههم وصباحتهم كأنهم اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن. وقوله جل جلاله: ﴿ وإذا رأيت ﴾ أي وإذا رأيت يا محمد ﴿ ثمّ ﴾ أيّ هناك في الجنة

ونعيمها وما فيها من السرور ﴿ رأيت نعيماً وملكاً كبيرا ﴾ أي مملكة لله هناك عظيمةً وسلطاناً باهراً . وثبت في الصحيح ٥٦٥[أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنّة دخولاً إليها إن لك مِثل الدنيا وعشرةَ أمثالها] .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : ٥٦٦[إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفَيْ سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه] .

وقوله جل جلاله ﴿ عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق ﴾ أي لباس أهل الجنّة فيها الحرير ومنه سندس وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم ،والأستبرق منه ما فيه بريق ولمعان، وهو مما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس. ﴿ وحُلّوا أساور من فضّة ﴾ وهذه صفة الأبرار ، وأما المقرّبون . فكما قال تعالى : ﴿ يحلّوْن فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴾ ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحليّ قال بعده ﴿ وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً ﴾ أي طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة . وقوله تعالى : ﴿ إنّ هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً ﴾ أي يقال لهم ذلك تكريماً لهم وإحساناً إليهم .كما قال تعالى﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾وقوله تعالى﴿ وكان سعيكم مشكورا ﴾أي جزاكم الله تعالى على القليل بالكثير .

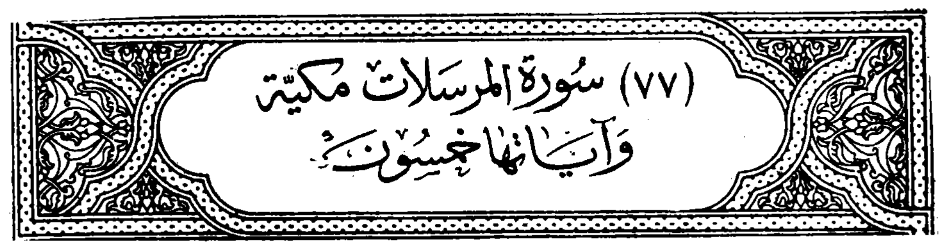
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلاً ۞ (٢٣) فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِماً أَوْ كَفُوراً ۞ (٢٤) وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۞ (٢٥) وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ۞ (٢٦) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً ۞ (٢٧) نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً ۞ (٢٨) إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ۞ (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ۞ (٣٠) يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ۞ (٣١) ﴾

يمتنُّ الله سبحانه على رسوله ﷺ بما أنزله عليه من القرآن العظيم تنزيلاً ﴿ فاصبر لحكم ربّك ﴾ أي فاصبر على قضائه وقدره، وإنه سيدبرك بحسن تدبيره. ﴿ ولا تطعْ منهم آثماً أو كفورا ﴾ أي لا تطع من أرادوا صدّك عمّا أنزل إليك، بل بلّغ ما أنزل إليك من ربك وتوكّل على الله فإنه يعصمك من النّاس الفاجرين في أعمالهم، والكافرين في قلوبهم ﴿ واذكر اسمَ ربّك بكرةً وأصيلا ﴾ أي أوّل النهار وآخره ﴿ ومن الليل فاسجد لــه وسبّحه ليلاً طويلا ﴾ كقوله تعالى ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ إنّ هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً ﴾ أي هؤلاء الكفار يحبّون الدنيا وبهرجها ويذرون الآخرة. ثم قال تعالى : ﴿ نحن خلقناهم وشددْنا أسرهم ﴾ قال ابن عباس أي خلقهم ﴿ وإذا شئنا بدّلنا أمثالهم تبديلاً ﴾ أي أتينا بقوم آخرين غيرهم . ثم قال تعالى : ﴿ إن هذه تذكرة ﴾ يعني هذه السورة تذكرة ﴿ فمن شاء اتّخذ إلى ربّه سبيلاً ﴾ أي من شاء اهتدى بالقرآن ﴿ وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله ﴾ أي لا يستطيع أحدٌ أن يهديَ نفسه ﴿ إلاّ أن يشاء الله إنّ الله كان عليماً حكيماً ﴾ أي عليمٌ بمن يستحق الهداية فييسّرها له، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى وله الحجة البالغة[1]. ولهذا قال الله تعالى : ﴿إن الله كان عليما حكيماً ﴾ ثم قال تعالى ﴿ يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليماً ﴾ أي يهدي من يشاء ويضل من يشاء فمن يهده فلا مضل له يضلل فلا هادي له .

آخر اختصار تفسير سورة الانسان ولله الحمد والمنة .

---

(١) قلت : ان الذي يستحق من الله الهداية، هو من سعى لها وأخلص النية، حتى يعلم الحق. فمثل هذا مستحق لهداية الله، أما من غوى وأمعن في غوايته، ولم يفتش عن الحق حتى يلقاه، فيجازيه الله بصرفه عن الهدى جزاءً وفاقاً كقوله تعالى : « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى» وكقوله تعالى «ولما زاغوا أزاغ الله قلوبهم». ولله الحجة البالغة ولا يظلم ربك أحداً.



إلاَّ الآية ٤٨ فمدنية نزلت بعد سورة الهُمَزَة

روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ٥٦٧ [بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ في غارٍ بمنى إذ نزلت عليه ﴿ والمرسلات﴾ فإنّه ليتلوها وإني لأتلقاها من فيه وان فاه لرطبٌ بها . إذْ وثبت علينا حيّةٌ فقال النبيُّ ﷺ « أُقتلوها » فابتدرناها فذهبت فقال النبي ﷺ « وُقيتْ شرَّكم كما وقيتم شرها] وأخرجه مسلم .

وعن ابن عباس ٥٦٨ [أن أم الفضل سمعته يقرأ ﴿ والمرسلاتِ عُرفاً ﴾ فقالت يا بُنيَّ أذكرتني بقراءتك هذه السورة إنها لآخر ما سمعتُ من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب] أخرجاه

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَاتِ عُرْفاً ۝ (١) فَٱلْعَاصِفَاتِ عَصْفاً ۝ (٢) وَٱلنَّاشِرَاتِ نَشْراً ۝ (٣) فَٱلْفَارِقَاتِ فَرْقاً ۝ (٤) فَٱلْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً ۝ (٥) عُذْراً أَوْ نُذْراً ۝ (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝ (٧) فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝ (٨) وَإِذَا ٱلسَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝ (٩) وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝ (١٠) وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝ (١٢) لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ (١٥)

قد اختلف المفسّرون من الصحابة والتّابعين وغيرهم ... فمن قال : ﴿ والمرسلات عُرفـاً [١] ﴾ هي الملائكة . ومن قال : ان المرسلات ، والعاصفات ، والناشرات هي الرياح أما الفارقات والملقيات فلم يجرِ اختلاف في أنها الملائكة ، ومن قال أنها جميعاً هي الملائكة . والأظهر أن المرسلات هي الرياح كما قال تعالى : ﴿ وارسلنا الرياح لواقح ﴾ وهكذا العاصفات هي الرياح وكذا الناشرات هي الرياح التي تنشر السحاب ، كما يشاء الله[٢] . وقوله تعالى : ﴿ فالفارقات فرقاً . فالملقيات ذِكراً عذراً أو نذراً ﴾ يعني الملائكة ولا خلاف هٰهنا فإنها تنزل بأمر الله على الرسل تفرّق بين الحق والباطل وتلقى الى الرسل وحياً فيه إعذار الى الخلق وإنذار لهم من عقابِ الله ان خافوا أمره .

وقوله تعالى : ﴿ إنّ ما توعدون لواقع ﴾ هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام أي ما وُعدتم به من قيام الساعة والبعث والحساب والجزاء والعقاب ، واقع لا محالة . ثم قـال : ﴿ فإذا النجوم طمست ﴾ أي ذهب ضوؤها كقوله تعالى : ﴿ وإذا الكواكب انتثرت ﴾ أي انشقت ووهت أطرافها ﴿ وإذا السماء فرجت ﴾ أي انفطرت ﴿ وإذا الجبال نسفت ﴾ أي ذهب بها فلا عين ولا أثر ﴿ وإذا الرسل أقّتت ﴾ أي جمعت كقوله ﴿ يوم يجمع الله الرسل ﴾ وقوله ﴿ لأي يوم آجلت . ليوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل . ويل يومئذ للمكذبين ﴾ يقول تعالى لأي يومٍ أجّلت الرسل وأرجىء أمرها حتى تقوم الساعة . كقوله تعالى : ﴿ فلا تحسبنّ الله مخلف وعدِه رسله ﴾ وقوله تعالى ﴿ ويل يومئذٍ للمكذبين ﴾ أي ويل لهم من عذاب الله غداً .

أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ۞ (١٧) كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۞ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۞ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۞ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ (٢١)

---

(١) أي ترسل بالمعروف .

(٢) قلت : هذا ما رجحه الحافظ ابن كثير رحمه الله ، ولكن أراني مع من ذهب إلى أنها جميعاً الملائكة من وجوه ١ – هذه الصفات الواردة هي إلى صفات الملائكة أقرب ٢ – لا مناسبة بين الريح والملائكة في موضوع القسم . ٣ – ليس هناك من فارق يفصل الصفات الثلاث الأولى عن الصفتين الأخيرتين ، ليعلم أنهما لموصوفَين . ٤ – توالي فاآت التعقيب يدل على ان الموصوف شيء واحد . وإنّ كلّ صفة موضحة لما قبلها إلى أن تأتي الصفتان المتفق عليهما أنّهما الملائكة . ٥ – ان أكثر المرجحين على أنها الملائكة حتى ان الذين قالوا انها الريح ... منهم من توقف وتردد بين القولين ... والله تعالى أعلم ، وهو الموفق للصواب .

إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ۞ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ۞ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۞ (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ۞ (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ۞ (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞ (٢٨)

يقول تعالى: ﴿ألم نهلك الأوّلين﴾ يعني من المكذّبين للرسل ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾ أي ممن أشبههم. ولهذا قال تعالى: ﴿كذلك نفعل بالمجرمين. ويل يومئذ للمكذبين﴾ ثم قال تعالى ممتناً على خلقه ومحتجاً على الإعادة بالبداءة: ﴿ألم نخلقكم من ماءٍ مهين﴾ أي ضعيف حقير بالنسبة إلى قدرة الباري عزّ وجل ﴿فجعلناه في قرار مكين﴾ يعني جمعناه في الرحم وهو قرار الماء من الرجل والمرأة، والرحم معدٌّ لذلك، حافظ لما أودع فيه من الماء. وقوله تعالى: ﴿إلى قدرٍ معلوم﴾ إلى مدّة معيّنة من ستةِ أشهر[1] أو تسعة أشهر. ولهذا قال تعالى: ﴿فقدّرنا فنعمَ القادرون. ويلٌ يومئذٍ للمكذبين﴾

ثم قال تعالى: ﴿ألم نجعل الأرضَ كفاتا. أحياءً وأمواتا﴾ كفاتاً. قال الشعبي بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم ﴿وجعلنا فيها رواسي شامخاتٍ﴾ يعني الجبال، ﴿وأسقيناكم ماءً فراتاً﴾ أي ماء عذباً زلالاً ﴿ويلٌ يومئذ للمكذّبين﴾ أي لمن يستمر بعد هذا البيان على تكذيبه وكفره.

انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۞ (٢٩) انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۞ (٣٠) لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ۞ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۞ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ۞ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞ (٣٤) هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۞ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۞ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞ (٣٧) هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ۞ (٣٨) فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۞ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞ (٤٠)

---

(١) راجع سورة لقمان الآية /١٤/ والأحقاف الآية /١٥/

يخبر تعالى عن الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنّة والنار ، انهم يقال لهم يوم القيامة ﴿ إنطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون . انطلقوا إلى ظلٍّ ذي ثلاثِ شعب ﴾ يعني لهب النار إذا ارتفع يكون له من شدته ثلاث شعب ﴿ لا ظليل ولا يغني من اللهب ﴾ أي ظلّ الدخان لا ظليل هو في نفسه ، ولا يقيهم حر اللهب . وقوله تعالى : ﴿ إنها ترمى بشررٍ كالقصر ﴾ أي يتطاير الشرر من لهبها كالقصر ﴿ كأنّه جمالةٌ صفر ﴾ أي كالإبل السود ﴿ ويلٌ يومئذٍ للمكذبين ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ هذا يوم لا ينطقون ﴾ أي لا يتكلمون ﴿ ولا يؤذَن لهم فيعتذرون ﴾ أي لا يقدرون على الكلام ولا يؤذَن لهم فيه ليعتذروا ، بل قد قامتْ عليهم الحجّة فهم لا ينطقون . وعرصات يوم القيامة حالات ، والرب تعالى يخبر عن هذه الحالات ، ليدل على شدة الأهوال والزلازل يومئذٍ . ولهذا يقول بعد كلّ فصل من هذا الكلام ﴿ ويل يومئذٍ للمكذبين ﴾

وقوله تعالى : ﴿ هذا يوم الفصل جمعناكم والأوّلين . فإن كان لكم كيدٌ فكيدون ﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، أي إن قدرتم على أن تتخلّصوا من قبضتي وتنجوا من حكمي فافعلوا ، فإنكم لا تقدرون على ذلك . كما قال تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلاّ بسلطان ﴾ وفي الحديث ٥٦٩ [يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضرّوني]

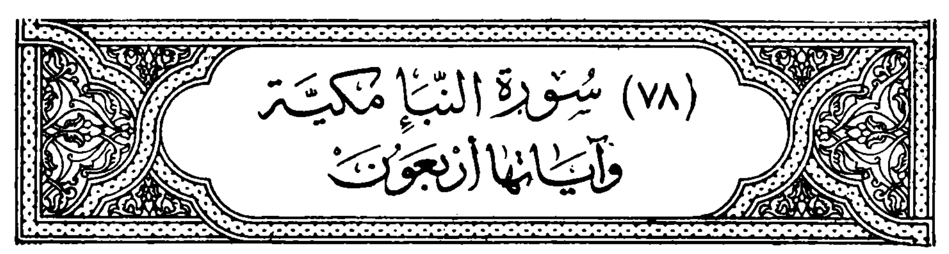
﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ۝ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ (٤٢) كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ (٤٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ (٤٥) كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ۝ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ۝ (٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۝ (٥٠) ﴾

يخبر تعالى عن عباده المتقين الذين عبدوه بإداءِ الواجبات ، وترك المحرمــات ، إنّهم يكونون يومَ القيامة في جنّاتٍ وعيون . ﴿ وفواكه مما يشتهون ﴾ أي من سائر أنواع الثمار ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ﴾ أي يقال لهم ذلك على سبيل الإحســان إليهم . ثم قال تعالى : ﴿ إنّا كذلك نجزي المحسنين﴾ أي هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل ﴿ ويل يومئذ للمكـذّبين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ كلوا وتمتعوا قليلاً إنّكم مجرمون ﴾ خطاب للمكذّبين بيوم الدين وأمرَهم أمر تهديد ووعيد . أي تمتّعوا مدّة قليلة ثم تساقون إلى نار جهنم ﴿ ويلٌ يومئذٍ للمكذبين ﴾ كما قال تعالى : ﴿ نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ﴾ أي اذا أمروا بالصلاة امتنعوا واستكبروا ولهذا قال تعالى : ﴿ ويل يومئذٍ للمكذبين ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ فبأيّ حديثٍ بعده يـؤمنون ﴾ كقوله ﴿ فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ﴾ ؟ أي إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأيّ كلامٍ يؤمنون به .

روى ابن أبي حاتم بسنده إلى أبي هريرة ٥٧٠ [انه اذا قرأ والمرسلات عرفاً – فقرأ – ﴿ فبأي حديث بعده يـؤمنون ﴾ فليقل : آمنت بالله وبما أنزل] .

آخر اختصار تفسير سورة المرسلات ولله الحمد والمنة .

وبه العصمةُ ، وعليه التـُّكـلان .



نزلت بعد سورة المعارج

بسم الله الرحمن الرحيم




عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۞ (١) عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۞ (٢) ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۞ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۞ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۞ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَاداً ۞ (٦) وَٱلْجِبَالَ أَوْتَاداً ۞ (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً ۞ (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً ۞ (٩) وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاساً ۞ (١٠) وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشاً ۞ (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً ۞ (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً ۞ (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً ۞ (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتاً ۞ (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً ۞ (١٦)

ينكر تعالى على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة، وهو النبأ العظيم ﴿ الذي هم فيه مختلفون ﴾ أي الناس فيه على قولين: مؤمن به وكافر. ثم قال متوعداً لمنكري القيامة: ﴿كلاّ سيعلمون﴾ ﴿ثم كلاّ سيعلمون﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد. ثم شرع تبارك وتعالى يبيّن قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة، والأمور العجيبة. الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره. فقال: ﴿ ألم نجعل الأرض مهادا ﴾ أي ممهدة للخلائق، ذلولاً لهم، قارّة ساكنة. ﴿ والجبال أوتادا ﴾ أي جعل لها أوتاداً أرساها بها حتى سكنت، ولم تضطرب بمن عليها. ثم قال تعالى: ﴿ وخلقناكم أزواجاً ﴾ يعني ذكراً وأنثى يتمتع كل منهما بالآخر، ويحصل التناسل بذلك. كقوله: ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم

أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وجعلنا نومكم سباتا ﴾ أي قطعاً للحركة لتحصل الراحة ، من كثرة الترداد والسعي في المعايش ﴿ وجعلنا الليلَ لباساً ﴾ أي سكناً.وقوله تعالى : ﴿ وجعلنا النهار معاشا ﴾ أي جعلناه مشرقاً مضيئاً، ليتصرّف الناس في معاشهم جيئة وذهابا. ﴿ وبنينا فوقكم سبعاً شدادا ﴾ يعني السموات السبع في اتساعها وارتفاعها وإحكامها وتزيينها . بالكواكب والسيارات ولهذا قال تعالى : ﴿ وجعلنا سراجاً وهاجاً ﴾ يعني الشمس المنيره على جميع العالم . وقوله تعالى : ﴿ وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً ﴾ اي من السحاب التي تتحلب بالمطر ولم تمطر بعد ، كما يقال : إمرأة معصر ، إذ دنا حيضها ولم تحض،وقيل الرياح. والأظهر ان المراد بالمعصرات السحاب. كما قال تعالى: ﴿ الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودْق يخرج من خلاله ﴾ أي من بينه . وقوله تعالى ﴿ ماءً ثجّاجاً ﴾ اي منصباً متتابعاً كثيراً . ومنه قوله ﷺ : ٥٧١ [أفضل الحج : العجّ والثجّ] يعني صبّ دماء البُدن. وقوله تعالى: ﴿ لنخرج به حبّاً ونباتاً وجنّات ألفافاً ﴾ أي لنخرج بهذا الماء الكثير الطيّب النافع المبارك ، ﴿ حباً ﴾ يدخر للأناسي والأنعام ﴿ ونباتاً ﴾ أي خضراً يؤكل رطباً ﴿ وجنات ﴾ حدائق من ثمرات متنوّعة ، وألوان مختلفة ، وطعوم وروائح متفاوتة . ﴿ وألفافاً ﴾ أيّ مجتمعة .

﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً ● (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً ● (١٨) وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً ● (١٩) وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً ● (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً ● (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآباً ● (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً ● (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً ● (٢٤) إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً ● (٢٥) جَزَاءً وِفَاقاً ● (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً ● (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً ● (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً ● (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً ● (٣٠) ﴾

يخبر تعالى عن يوم الفصل وهو يوم القيامة أنه مؤقت بأجل معدود لا يزداد عليه ولا ينقص منه ولا يعلم وقته على التعيين: إلاّ الله عز وجل. كما قال تعالى : ﴿ وما نؤخره إلاّ

لأجل معدود ﴿ يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً ﴾ قال مجاهد : زُمُراً زُمُراً . قال ابن جرير : يعني تأتي كل أمةٍ مع رسولها ﴿ وفُتِحت السماء فكانت أبواباً ﴾ أي طرقاً ومسالك لنزول الملائكة ﴿ وسيرت الجبال فكانت سرابا ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرَّ السحاب ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ وقال ههنا ﴿ فكانت سرابا ﴾ أي يخيل إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء. وبعد هذا تذهب بالكلية، فلا عين ولا أثر. كما قال تعالى: ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إن جهنم كانت مرصادا ﴾ أي مرصدة معدَّة ﴿ للطاغين ﴾ وهم المردة العصاة، المخالفون للرسل. ﴿ مآبا ﴾ أي مرجعاً ونزلا . وقال سفيان الثوري عليها ثلاث قناطر .

وقوله تعالى : ﴿ لا بثين فيها أحقابا ﴾ أي ماكثين فيها أحقاباً .هي جمع حقب اي مدة من الزمن ، وقد اختلفوا في مقداره؛ قال علي بن أبي طالب لهلال الهجري: ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزل؟ قال: نجده ثمانين سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كلّ شهر ثلاثون يوماً ، كل يوم ألف سنة . وروى ابن ابي حاتم عن ابي أمامة عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ لا بثين فيها أحقابا ﴾ قال : فالحقب شهر والشهر ثلاثون يوماً والسنة اثنا عشر شهراً والسنة ثلاثمأة وستون يوماً كل يوم منها ألف سنة مما تعدون فالحقب ثلاثون الف الف سنة ، وهذا حديث منكر جداً ... والقاسم هو والراوي عنه وهو جعفر ابن الزبير كلاهما متروك . والصحيح أنها لا انقضاء لها كما قال قتادة والربيع بن أنس فهي أحقاب ليس لها عدة إلا الخلود في النار [١] .

وقوله تعالى : ﴿ لا يذوقون فيها برداً ولا شرابا ﴾ أي لا يجدون في جهنم برداً لقلوبهم ولا شراباً طيباً يتغذون به . ولهذا قال تعالى : ﴿ إلا حميماً وغساقاً ﴾ فأما الحميم فهو الحارّ الذي بلغ منتهى حره وحموه ، والغسّاق : هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم ، وجروحهم فهو بارد لا يستطاع من برده ولا يواجه من نتنه . وقد

(١) قلت : إن ذكر الأحقاب هنا ... ليست معنية الذات والعدد ، إنما هي كناية عن الخلود أبداً في النار للطاغين الكافرين،الذين كذّبوا بآيات الله وبيوم الحساب فهذه صفات الكافرين الخالدين في جهنم . وإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، بل عذاب أبدي لا ينتهي ولا ينقضي . «كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب» .

قدمنا الكلام على الغساق في سورة ﴿ صٓ ﴾ بما أغنى عن إعادته أجارنا الله من ذلك بمنّه وكرمه [١].

وقوله تعالى : ﴿ جزاءً وفاقاً ﴾ أي هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة، وفق أعمالهم الفاسدة، التي كانوا يعملونها في الدنيا . ثم قال تعالى : ﴿ إنهم كانوا لا يرجون حسابا ﴾ أي لم يكونوا يعتقدون أن ثمَّ داراً يجازون فيها ويحاسبون ﴿ وكذبوا بآياتنا كذّابا ﴾ أي وكانوا ، يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه، التي أنزلها على رسله صلى الله على نبينا وعليهم وسلّم، فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة. وقوله : ﴿ كِذاباً ﴾ أي تكذيباً .

وقوله تعالى : ﴿ وكل شيء أحصيناه كتابا ﴾ أي وقد علمنا أعمال العباد كلهم ، وكتبناها عليهم وسنجزيهم على ذلك بما يستحقون . وقوله تعالى : ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلاّ عذابا ﴾ أي هم في المزيد من العذاب أبداً .

﴿ إنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً ۞ (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً ۞ (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً ۞ (٣٣) وَكَأْساً دِهَاقاً ۞ (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا كِذَّاباً ۞ (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً ۞ (٣٦) ﴾

يقول تعالى : مخبراً عن السعداء، وما أعدَّ لهم سبحانه من الكرامة والنعيم المقيم . فقال تعالى : ﴿ إن للمتّقين مفازاً ﴾ قال ابن عباس : متنزّها لأنه قال بعده : ﴿ حدائق ﴾ أي البساتين ﴿ وأعناباً . وكواعب أترابا ﴾ أي وحوراً كواعب أي نواهد لم يتدلّين لأنهن أبكارٌ عرب أتراب أي في سن واحد . وقوله تعالى : ﴿ وكأساً دهاقا ﴾ أي مترعة متتابعة ﴿ لا يسمعون فيها لغواً ولا كِذّاباً ﴾ كقوله تعالى : ﴿ لا لغو فيها ولا تأثيم ﴾ أي ليس فيها كلام لاغ عارٍ عن الفائدة ، ولا اثم كذب بل هي دار السلام وكل ما فيها سالمٌ من النقص . وقوله : ﴿ جزاءً من ربّك عطاءً حساباً ﴾ أي هذا الذي ذكرناه جازاهم الله به، وأعطاهم بفضله ومنّه وإحسانه ورحمته ﴿ عطاءً حساباً ﴾ أي كافياً ومنه حسبي الله أي : الله كافيَّ .

---

(١) قلت : الغساق الذي تقدم ذكره في سورة « ص » لا يخرج معناه عما ورد هنا إجمالا أي : لا يستطاع برده ولا يواجه نتنه .

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ❁ (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ❁ (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا ❁ (٣٩) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ❁ (٤٠)﴾

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وأنه رب السموات والأرض وما فيهما وما بينهما وأنه الرحمن الذي شملتْ رحمته كل شيء . وقوله تعالى: ﴿لا يملكون منه خطابا﴾ أي لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلاّ بإذنه . كقوله تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه﴾ وكقوله تعالى : ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون﴾ اختلف المفسرون في المراد بالروح ههنا ، ما هو ؟ على أقوال : (أحدها) انهم أرواح بني آدم . (الثاني) هم بنو آدم (الثالث) خلق ليسوا بني آدم إنّما هم على صورتهم (الرابع) انه جبريل عليه السلام (الخامس) أنه القرآن .

وقوله تعالى : ﴿إلاّ من أذن له الرحمن﴾ وثبت في الصحيح انه: ٥٧٢ [ولا يتكلم يومئذ إلاّ الرسل] وقوله تعالى : ﴿وقال صوابا﴾ اي قال حقاً وقوله تعالى : ﴿ذلك اليوم الحق﴾ أي الكائن لا محالة ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربّه مآبا﴾ اي مرجعاً وطريقاً . وقوله تعالى ﴿إنا أنذرناكم عذاباً قريباً﴾ يعني يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريباً.
﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ أي يعرض عليه جميع أعماله خيرها وشرها كقوله تعالى ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾

﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت تُرابا﴾ وردت بعض آثار عن أبي هريرة ،وعبدالله ابن عمرو وغيرهما : ان ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات حتى انه يقتصّ للشاة الجمّاء من القرناء وإذا فرغ قال لها : كوني ترابا ، فتصير تراباً ، فيتمنّى الكافر عند ذلك أن يكون تراباً ويقول : ﴿يا ليتني كنت ترابا﴾ وقد ورد هذا المعنى في حديث الصور المشهور . والله أعلم .

(١) قلت : واني أرجح القول الرابع أي انه جبريل عليه السلام فإن من أسمائه الروح لا سيما وذكره مع الملائكة يقوي الترجيح الذي اعتمدناه والله تعالى أعلم .


(٧٩) سورة النازعات مكية وآياتها ست وأربعون

نزلت بعد سورة النبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلنَّازِعَاتِ غَرْقاً ۞ (١) وَٱلنَّاشِطَاتِ نَشْطاً ۞ (٢) وَٱلسَّابِحَاتِ سَبْحاً ۞ (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً ۞ (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أمراً ۞ (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۞ (٦) تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۞ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۞ (٨) أَبصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۞ (٩) يَقُولُونَ ءإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۞ (١٠) ءإِذَا كُنَّا عِظَاماً نَخِرَةً ۞ (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۞ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۞ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۞ (١٤) ﴾

﴿ والنازعات غرقاً ﴾ الملائكة حين تنزع أرواح الكفّار من بني آدم تغرق في النار ﴿ والناشطات نشطاً ﴾ حين تنزع أرواح المؤمنين برفق كأنّما حلتها من نشاط ﴿ والسابحات[1] سبحاً ﴾ ﴿ فالسابقات سبقاً[2] ﴾ ﴿ فالمدبرات أمراً ﴾ هي الملائكة تدبّر الأمر بإذن الله من السماء إلى الأرض . وقوله تعالى : ﴿ يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ﴾ وقال ابن عباس : هما النفختان الأولى والثانية وعن مجاهد. أما الأولى وهي قوله جل وعلا ﴿ يوم ترجف الراجفة ﴾ والثانية وهي الرادفة فهي كقوله تعالى ﴿ وحملت الأرض والجبال فدكتا

(١) قال في الجلالين : تسبح من السماء بأمر الله أي تنزل . (٢) أي انها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة .

دكة واحدة ﴾ وروى الترمذي وابن ابي حاتم ٥٧٣ [كان رسول الله ﷺ اذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه] .

وقوله تعالى : ﴿ قلوب يومئذ واجفة ﴾ اي خائفة ﴿ أبصارها خاشعة ﴾ أي أبصار أصحابها ذليلة حقيرة مما عاينت من الأهوال . وقوله تعالى: ﴿ أئنا لمردودون في الحافرة ﴾ يعني مشركي قريش ومن قال بقولهم ، في إنكار المعاد بعد تمزّق أجسادهم وتفتت عظامهم في القبور . ﴿ قالوا تلك إذاً كرة خاسرة ﴾ أي قالت قريش لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرنّ. قال الله تعالى : ﴿ فإنما هي زجرة واحدة. فإذا هم بالساهرة ﴾ اي فإنما هو أمر الله تعالى يأمر إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث ، فإذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الرب عز وجل ينظرون. وقال تعالى: ﴿ وما أمرنا إلاّ واحدة كلمح بالبصر ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فإذا هم بالساهرة ﴾ قيل بالساهرة اقوال مختلفة والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى كما قال مجاهد : كانوا بأسفلها فأخرجوا الى أعلاها .

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۞ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ (١٦) إِذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۞ (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۞ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۞(١٩) فَأَرَاهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۞ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۞ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۞ (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۞ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۞(٢٤) فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰ ۞ (٢٥) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۞ (٢٦) ﴾

قوله تعالى : ﴿ هل أتاك حديث موسى ﴾ أي هل سمعت بخبره ﴿ اذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى ﴾ وهو اسم الوادي على الصحيح كما تقدم في سورة طه ﴿ اذهب الى فرعون إنه طغى ﴾ أي تجبر وتمرد وعتا ﴿ فقل هل لك إلى أن تزكى ﴾ أي هل لك ان تجيب الى مسلك تزكى به، أي تسلم وتطيع .﴿ وأهديك الى ربك ﴾ أي أدلُّك إلى عبادته ﴿ فتخشى ﴾ أي فيصير قلبك خاشعاً بعدما كان قاسياً بعيداً عن الخير.﴿ فأراه الآية الكبرى ﴾ أي وأظهر له موسى مع هذه الدعوة حجةً قوية ودليلاً واضحاً على صدق ما جاء به من عند الله .

﴿ فكذب وعصى ﴾ اي كفر قلبه فلم ينفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره ، والعلم بالحق لا يلزم الايمان به ، لأن المعرفة علم القلب والإيمان عمله وهو الانقياد للحق والخضوع له .

وقوله تعالى : ﴿ ثم أدبر يسعى ﴾ أي في مقابلة الحق بالباطل من جمع السحرة ، ليقابلوا ما جاء به موسى عليه الصلاة والسلام من المعجزات الباهرات . ﴿ فحشر فنادى ﴾ أي في قومه ﴿ فقال أنا ربكم الأعلى ﴾ وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله : ﴿ ما علمت لكم من آله غيري ﴾ بأربعين سنة قال الله تعالى : ﴿ فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ﴾ أي انتقم منه بأن أغرقه في الدنيا وله في الآخرة عذاب عظيم ﴿ ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ﴾ أي لمن يتعظ وينزجر .

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ ٱلسَّمَاءُ بَنَاهَا ۞ (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ۞ (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۞ (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ۞ (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۞ (٣١) وَٱلْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۞ (٣٢) مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ۞ (٣٣) ﴾

يحتج الله على منكري البعث في اعادة الخلق بعد بدئه ﴿ أأنتم ﴾ أيها الناس ﴿ أشد خلقاً أم السماء ﴾ يعني: بل السماء أشد خلقاً منكم وقوله ﴿ بناها ﴾ فسره بقوله: ﴿ رفع سمكها فسوّاها ﴾ أي جعلها عالية البناء بعيدة الفناء ، مستوية الأرجاء مكلّلة بالكواكب في الليلة الظلماء وقوله تعالى : ﴿ واغطش ليلها وأخرج ضحاها ﴾ أي جعل ليلها مظلماً ونهارها مضيئاً ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ فسّره بقوله ﴿ أخرج منها ماءها ومرعاها ﴾

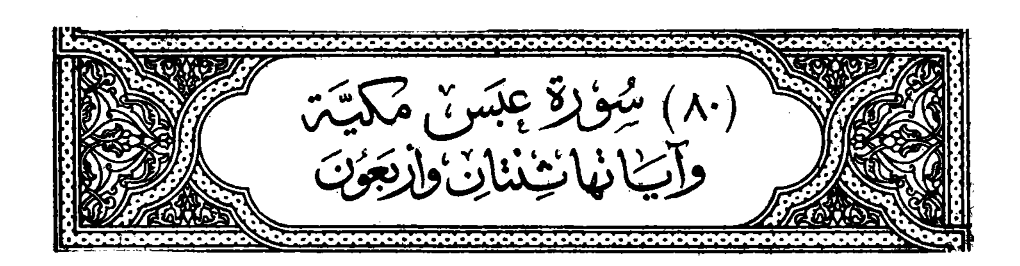
وقد تقدم في سورة ﴿ حم ﴾ السجدة أن الأرض خلقت قبل السماء ولكن إنمّا دحيت بعد خلق السماء بمعنى انه أخرج ما كان فيها بالقوة الى الفعل وقوله تعالى : ﴿ والجبال أرساها ﴾ أي أثبتها في أماكنها وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : ٥٧٤ [لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت] وقوله تعالى : ﴿ متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ أي دحا الأرض فأنبع عيونها وأظهر مكنونها وأجرى أنهارها وأنبت زرعها واثمارها وثبت جبالها لتستقر بأهلها ، كل ذلك متاعاً لخلقه ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ، ويركبونها مدة احتياجهم إليها في هذه الدار ، الى ان ينتهي الأمر وينقضي الأجل .

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ۞ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۞ (٣٥) وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۞ (٣٦) فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ (٣٧) وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ (٣٨) فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ۞ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ (٤٠) فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ۞ (٤١) يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۞ (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۞ (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۞ (٤٤) إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۞ (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۞ (٤٦) ﴾

يقول تعالى : ﴿ فإذا جاءت الطامّة الكبرى ﴾ أي يوم القيامة ﴿ يوم يتذكر الإنسان ما سعىَ ﴾ أي حينئذٍ يتذكر ابنُ آدم جميع عمله خيرِه وشرّه ﴿ وبرزت الجحيم لمن يرى ﴾ أي أظهرت للناظرين فرآها الناس عياناً ﴿ فأما من طغى ﴾ أي تمرّد وعتا ﴿ وآثر الحياة الدنيا ﴾ أيْ قدّمها على أمرِ دينه وأُخراه ﴿ فإن الجحيم هي المأوىَ ﴾ أي فإنّ مصيره إلى الجحيم وإنّ مطعمه الزقّوم ومَشربه من الحميم ﴿ وأما من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى ﴾ أيْ خاف القيام بين يدَيه عز وجل ونهى نفسَه عن هواها وردّها إلى طاعة مولاها ﴿ فإن الجنة هي المأوى ﴾ أي منقلبه ومصيره . ثم قال تعالى : ﴿ يسألونك عن الساعة أيّان مرساها فيم أنت من ذكراها . إلى ربّك منتهاها ﴾ . أي ليس علمها إليك ، ولا إلى أحد بل مردُّها إلى الله عزّ وجلّ . كما يقول الله تعالى ﴿ ولا تأتيكم إلاّ بغتةً ﴾ وقوله ﴿ إلى ربّك منتهاها ﴾ كقوله تعالى : ﴿ قل إنّما علمها عند الله ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إنّما أنت منذرٌ من يخشاها ﴾ أي إنّما بعثتك لتنذرَ الناس وتحذّرَهم من بأسِ الله وعذابهِ فمن خشي اللهَ اتّبعك فأفلح . والخسار على من كذبك وخالفك . وقوله تعالىَ : ﴿ كأنهم يوم يرَونْها لم يلبثوا إلاّ عشيّةً أو ضحاها ﴾ إذا قاموا من قبورهم الى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا حتى كأنها عندهم كانت عشيةً من يوم أو ضُحى من يوم.

آخر اختصار تفسير سورة النازعات ولله الحمد والمنّة . وبه العصمة وعليه التّكلان .



نزلت بعد سورة النجم

بسم الله الرحمن الرحيم

عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾

ذكر غير واحد من المفسرين ٥٧٥ [ان رسول الله ﷺ كان يوماً يخاطب بعض عظماء قريش . ففي رواية عن أنس رضي الله عنه أنه « أبيُّ بن خلف » وفي رواية أخرى لابن عباس أنهم عتبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وكان يتصدّى لهم كثيراً ، ويحرص عليهم أن يؤمنوا ؛ فأقبل إليه رجل أعمى ، يقال له : عبد الله بن أم مكتوم . فجعل عبدالله يستقرىء النبي ﷺ آيةً من القرآن وقال : يا رسول الله علمني مما علمك الله فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعبس في وجهه وتولّى وكره كلامه ، وأقبل على الآخرين فلمّا قضَى رسول الله ﷺ نجواه وأخذ ينقلب الى أهله أمسك الله بعض بصره

وخفق برأسه ثم أنزل الله تعالى : ﴿ عبسَ وتولى . أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعلّه يزكّى. أو يذكر فتنفعه الذكرى ﴾ . على أن رسول الله ﷺ ، ودّلو أن كف ساعته تلك ليتمكّن من مخاطبة أولئك الرجال ، طمعاً ورغبةً في هدايتهم. وقوله تعالى: ﴿ عبَسَ وتولّى أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعلّه يزّكّى﴾ أي يحصل له زكاة وطهارة في نفسه ﴿ أو يذكّر فتنفعه الذكرى ﴾ أي يحصل له اتعاظ وازدجارٌ عن المحارم ﴿ أما من استغنى فأنت له تَصدّى﴾ أي أما الغني المستكبر عن دعوتك فأنت تتعرض له لعله يهتدي ؟ ﴿ وما عليك الاّ يزّكّى﴾ أي ما أنت بمطالَب به اذا لم يحصل له زكاة ﴿ وأما من جاءك يسعى وهو يخشى ﴾ أي يقصدك ويؤمُّك ليهتدي بما تقول له . ﴿ فأنت عنه تلهّى ﴾ أي تتشاغل؟ ومن ههنا أمر الله تعالى رسوله ﷺ بعد ذلك أن لا يخص بالإنذار أحداً ، بل يساوي فيه بين الجميع ، ثم الله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ؛ فكان النبي ﷺ بعد ذلك يكرمه. وابن ام مكتوم هذا كان أحد مؤذّني رسول الله ﷺ وكان يقول عليه الصلاة والسلام :
٥٧٦ [إن بلالاً يؤذّن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم] والمشهور أن اسمَه عبدُالله ويقال عمرو والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ كلاّ إنها تذكرة ﴾ أي هذه السورة ، أو الوصية بالمساواة بين الناس ، في ابلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم . وقوله تعالى :

﴿ في صحف مكرّمة . مرفوعة مطهّرة ﴾ أي هذه السورة أو العظة وكلاهما متلازم بل جميع القرآن في صحف مكرمة أي معظّمة موقرة ﴿ مرفوعة ﴾ أي عالية القدر ، ﴿ مطهرة ﴾ أي من الدنس والزيادة والنقص . وقوله تعالى : ﴿ بأيدي سفره ﴾ اي الملائكة يعني سفرة بين الله تعالى وبين خلقه وقوله تعالى : ﴿ كرام بررة ﴾ اي خلقهم كريم وأفعالهم بارّة طاهرة ، ومن ههنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله واقواله على السداد والرشـــاد .

وروى أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ [الذي يقرأ القرآن وهو ما هرٌ به مع السفرة الكرام البررة. والذي يقرأه وهو عليه شاق له أجران] أخرجه الجماعة من طريق قتادة .

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۞ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۞ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۞ (١٩) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ

يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾

يذم الله من أنكر البعثَ والنشورَ من بني آدم ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ أي لعن الإنسان وهذا لجنس الإنسان المكذب، لكثرة تكذيبه بلا مستند، بل بمجرد الاستبعاد والجهل. ﴿ ما أكفره ﴾ أي ما أشدَّ كفره ! ثم بيَّن تعالى له كيف خلقه من الشيء الحقير وأنه قادر على إعادته كما بدأه. فقال تعالى: ﴿ من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ﴾ أي قدرَّ أجله ورزقه وعمله وشقيٌّ أو سعيد ﴿ ثم السبيل يسّره ﴾ أي يسر عليه خروجه من بطن أمه وقال مجاهد : هذه كقوله تعالى : ﴿ إنّا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ أي بيّناه له وأوضحناه وسهلنا عليه علمه . وكذا قال الحسن وابن زيد وهذا هو الأرجح والله أعلم . وقوله تعالى : ﴿ ثم أماته فأقبره ﴾ أي أنه بعد خلقه له أماته فأقبره . وقوله تعالى : ﴿ ثم إذا شاء أنشره ﴾ أي بعثه بعد موته ومنه يقال البعث والنشور. ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ ﴿ وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً ﴾ . وروى ابن أبي حاتم بسنده إلى أبي سعيد عن النبي ﷺ قال :٥٧٧ [يأكل الترابُ كلَّ شيء من الإنسان إلاَّ عجْبَ ذنبه] وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من رواية الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ولفظه : ٥٧٨ [كل ابن آدم يبلى إلاَّ عجب الذنب منه خلق وفيه يركب] .

وقوله تعالى : ﴿كلاَّ لمّا يقض ما أمره ﴾ أي لا يفعله الآن حتى تنقضيَ المدة ويفرغَ القدر من بني آدم ممن كتب الله أن سيوجد منهم ويخرج الى الدنيا ، وقد أمر به تعالى كوناً وقدراً فإذا تناهى ذلك عند الله أنشر الخلائق وأعادهم كما بدأهم .

وقوله تعالى : ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه ﴾ فيه امتنان وفيه استدلال بإحياء النبات

من الأرض الهامدة على احياء الأجسام بعد ما كانت عظاماً بالية وتراباً متفرقاً ﴿ أنّا صببنا الماء صبّاً ﴾ أي أنزلناه من السماء على الأرض ﴿ ثم شققنا الأرض شقاً ﴾ أي أسكناه فيها فدخل في تخومها، ويتخلل في أجزاء الحب المودع فيها فنبت وارتفع، وظهر على وجه الأرض. ﴿ فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً ﴾ فالحب كل ما يذكر من الحبوب ، والعنب معروف ، والقضب هو الفصفصة[1] التي تأكلها الدواب رطبةً. ويقال لها القت ايضاً . وقال الحسن البصري : القضب العلف ﴿ وزيتوناً ﴾ وهو معروف وهو أدْم وزيته أدم ويستصبح به ويدهن به ﴿ ونخلاً ﴾ يؤكل بلحاً وبسراً ورطباً وتمراً ونيئاً ومطبوخاً ويعتصر منه ربٌّ وخل . ﴿ وحدائق غلباً ﴾ أي بساتين وشجر ملتف ومجتمع يستظل به ﴿ وفاكهة وأبّاً ﴾ أما الفاكهة فكل ما يتفكه به من الثمار. والأب: ما أنبتت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس . وقوله تعالى : ﴿ متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ أي عيشةً لكم ولأنعامكم في هذه الدار الى يوم القيامة .

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ * (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ *(٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ * (٤٢) ﴾

قال ابن عباس : الصاخّة اسم من اسماء يوم القيامة ، عظمه الله وحذرَه عبادَه . وقال البغوي الصاخّة يعني صيحة يوم القيامة ﴿ يوم يفرُّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ﴾ أي يراهم ويفرُّ منهم ، ويبتعد عنهم لأن الهول عظيمٌ، والخطب جليلٌ. وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم ان يشفع عند الله في الخلائق يقول: نفسي نفسي لا أسألك اليوم إلاّ نفسي. حتى أن عيسى بنَ مريم عليه السلام يقول : لا أسأله اليوم إلاّ نفسي لا أسأله مريم التي ولدتني . وقوله تعالى : ﴿ لكل امرىءٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيه ﴾ أي هو في شغل شاغل عن غيره . وروى ابن أبي حاتم بسنده الى ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ . ٥٧٩ [تحشَرون حفاةً عراةً مشاةً غُرْلاً

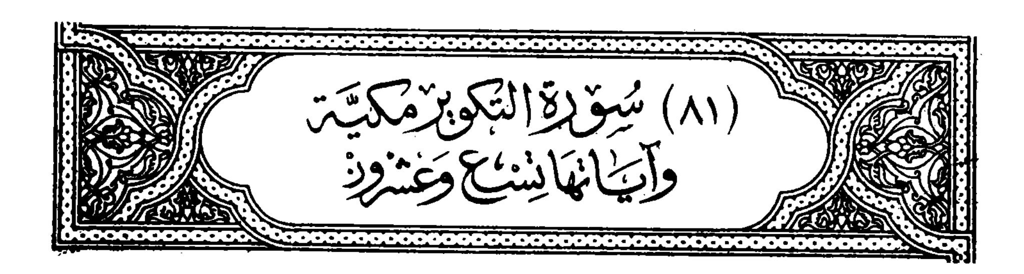
(١) لعلها التي نسميها اليوم (الفصّة) بالعاميّة

قال : فقالت زوجته يا رسول الله ننظر أو يرى بعضنا عورة بعض ؟ قال : لكل امرءٍ منهم يومئذ شأن يغنيه أو قال ما أشغله عن النظر] .

وقوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ﴾ اي يكون للناس هنالك فريقين وجوهٌ مسفرةٌ أي مستنيرة ﴿ ضاحكة مستبشرة ﴾ أي مسرورة فرحة من السرور في قلوبهم ، قد ظهر البِشر على وجوههم وهؤلاء هم أهلُ الجنّة.﴿ ووجوهٌ يومئذٍ عليها غَبَرَة . ترهقها قَتَرة ﴾ أي يعلوها ويغشاها قترة أي سواد .

وروى ابن ابي حاتم عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال:قال رسول الله ﷺ ٥٨٠ [يلجِم الكافرَ العرقُ ثم تقع الغبرَةُ على وجوههم] قال فهو قوله تعالى : ﴿ ووجوهٌ يومئذ عليها غبرَة ﴾] وقوله تعالى : ﴿ أولئك هم الكفرةُ الفجرة ﴾ أي الكفرة قلوبهم ، الفجرة في أعمالهم . كما قال تعالى : ﴿ ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفّاراً ﴾ .

آخر اختصار تفسير سورة « عبس » ولله الحمد والمنّة
وبه العصمة وله الفضل وعليه التّكلان



نزلت بعد سورة المسد

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۞ (١) وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۞ (٢) وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۞ (٣) وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۞ (٤) وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۞ (٥) وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۞ (٦) وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۞ (٧) وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۞ (٨) بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۞ (٩) وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۞ (١٠) وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۞ (١١) وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۞ (١٢) وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۞ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۞ (١٤)

روى الإمام أحمد عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ ٥٨١ [من سره أن ينظر الى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ ﴿إذا الشمس كوّرت﴾ و ﴿إذا السماء انفطرت﴾ و ﴿إذا السماء إنشقّت﴾] ورواه الترمذي .

قوله تعالى : ﴿إذا الشمس كوّرت﴾ التكوُّر يرجع الشيء بعضه الى بعض ، ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب ؛ فمعنى قوله : ﴿كوّرت﴾ جمع بعضها الى بعض ثم لفت فرمي بها واذا فعل بها ذلك ذهب ضوءُها .

روى البخاري عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ ٥٨٢ [الشمس والقمر يكوران يوم القيامة] وقوله تعالى: ﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾ أي انتثرت كما قال تعالى : ﴿ وإذا الكواكب انتثرت ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وإذا الجبال سيرت ﴾ أي زالت عن أماكنهـا ونسفت، فتركت الأرض قاعاً صفصفاً وقوله: ﴿ واذا العشار عطلت ﴾ أي أهملها أهلها واشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها ، بعد ما كانوا أرغب شيء فيها، بما أهمّهم من الأمر العظيم المفظع الهائل، وهو أمر يوم القيامة . والعشار هي الإبل ولا يعرف عن الأئمة سواه والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ أي جمعت . كما قال تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحَيْه إلاّ أممٌ أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربّهم يحشرون ﴾ قال ابن عباس : (يحشر كلُّ شيء حتّى الذباب) .

وقوله تعالى : ﴿ وإذا البحار سجرت ﴾ أي أوقدت [١] . روى ابن جرير بسنده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لرجل من اليهود أين جهنم قال البحر فقال ما أراه إلاّ صادقاً. ﴿والبحر المسجور﴾. وقال ابن عباس وغير واحد، يرسل الله عليها الرياح الدبور فتُسعِرُها وتصيرُ ناراً تأجج وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله تعالى : ﴿ والبحر المسجور ﴾ [٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وإذا النفوس زوِّجتْ ﴾ عن مجاهد : أن الأمثال من الناس جمع بينهم واختاره ابن جرير وهو الصحيح وعن ابن عباس أن الأرواح تزوَّج الأجساد [٣] فذلك قول الله تعالى : ﴿ وإذا النفوس زوّجت ﴾ وكذا قال ابو العالية ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير والشعبي . وقال الحسن البصري : أي زوّجت بالأبدان .

وقوله تعالى : ﴿ وإذا الموؤودة سئلت . بأي ذنبٍ قُتلت ﴾ الموءودة هي التي كان أهلُ الجاهلية يدسّونها في التراب حيّة كراهية البنات. فيوم القيامة تسأل الموءودة عن أي ذنب قتلت؟ ليكون ذلك تهديداً لقاتلها فإنه إذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذاً ؟ وعن ابن عباس ﴿ سئلت ﴾ أي طالبت بدمها .

وروى عبد الرزاق بسنده الى عمر بن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ وإذا الموءودة

---

(١) و(٢) قلت : راجع سورة الطور (٥٢) آية (٦) وإن البحر قد خلق الله فيه مادة مشتعلة هي « البوتاس ». وستشتعل بأمر الله متى شاء . (٣) قلت : أرجح ما ذهب اليه ابن عباس من أن الأرواح تُزَوَّجُ الأجساد .

سئلت ﴾ قال : ٥٨٣ [جاء قيس بن عاصم الى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : وأدتُ ثمان بنات لي في الجاهلية قال : «أعتق عن كل واحدة منهن رقبة» قال : يا رسول الله : إني صاحب إبل قال : «فأهد إن شئت عن كل واحدة بدنة»!]

وقوله تعالى : ﴿ وإذا السماء كُشطت ﴾ قال الضحاك تنكشط فتذهب وقوله تعالى : ﴿ وإذا الجحيم سعّرت ﴾ قال السدي : أحميت وقوله تعالى : ﴿ وإذا الجنة أزلفت ﴾ أي قُرِّبت إلى أهلها ، وقوله تعالى : ﴿ علمت نفس ما أحضرت ﴾ هذا هو الجواب أي اذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها. كما قال تعالى ﴿ يوم تجد كلُّ نفس ما عملت من خير محضَراً وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾ وكما قال أيضاً ﴿ ينبَّأ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخّر ﴾ وروى ابن أبي حاتم بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : لما نزلت ﴿ اذا الشمس كوّرتْ ﴾ قال عمر لما بلغ : ﴿ علمت نفس ما أحضرت ﴾ قال لهذا أجري الحديث .

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۝ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ۝ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ۝ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۝ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۝ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ (٢٩) ﴾

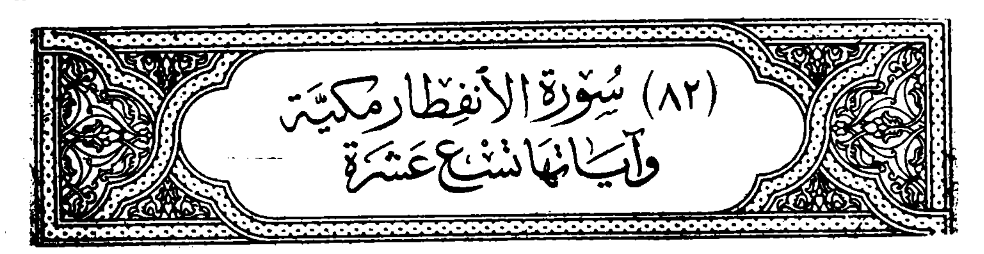
روي عن علي رضي الله عنه : ﴿ فلا أقسم بالخنّس الجوار الكنّس ﴾ هي النجوم تخنس بالنهار وتكنس بالليل . ﴿ والليل إذا عسعسَ ﴾ أي إذا اشتد ظلامه والمراد : إذا أقبل كأنه أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل، وبالفجر وضيائه إذا أشرقَ. كما قال تعالى : ﴿ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى ﴾ ﴿ والصبح إذا تنفّس ﴾ أي إذا طلع وأضاء وأقبل . وقوله تعالى : ﴿ إنه لقولُ رسولٍ كريم ﴾ يعني إنّ هذا القرآن لتبليغُ رسولٍ كريم

أي ملك شريف وهو : جبريل عليه الصلاة والسلام . ﴿ ذي قوة ﴾ كقوله تعالى: ﴿ علّمه شديد القوى ، ذومرة ﴾ أي شديد الخلق شديد البطش والفعل ﴿ عند ذي العرش مكين ﴾ أي له مكانة عند الله عز وجل ، ومنزلة رفيعة ﴿ مطاعٍ ثَمَّ ﴾ أي في السموات وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى وليس هو من أفناد الملائكة ، بل هو من السادة والأشراف ، معتنى به ، انتخب لهذه الرسالة العظيمة . وقوله تعالى : ﴿ أمين ﴾ صفة لجبريل بالأمانة ، وهذا عظيم جداً أن الرب عزَّ وجل يزكّي عبدَه ورسوله الملكي جبريل كما زكّى عبدَه ورسوله البشري محمداً ﷺ بقوله تعالى : ﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾ يعني محمداً ﷺ وقوله تعالى : ﴿ ولقد رآه بالأفق المبين ﴾ يعني ولقد رأى محمّدٌ جبريلَ الذي يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل،على الصورة الملكيّة الّتي خلقه الله عليها له ستمأة جناح.﴿ بالأفق المبين ﴾ وهي الرؤية الأولى المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلّى ﴾ والظاهر والله أعلم أن هذه السورة نزلت قبل الإسراء لأنه لم يذكر فيها إلاّ هذه الرؤية الأولى ؛ أما الثانية فهي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ﴾ فتلك إنما ذكرت في سورة النجم وقد نزلت بعد سورة الإسراء . وقوله تعالى : ﴿ وما هو على الغيب بضنين ﴾ قرىء ضنين وقرىء ظنين وكلاهما متواتر . فعلى قراءة ظنين : أي وما محمد على ما أنزله الله إليه بمتَّهم . وعلى قراءة ضنين : أي ماضنٍّ بالقرآن على الناس بل نشره وبلغه وبذله للناس جميعاً .

وقوله تعالى : ﴿ وما هو بقول شيطان رجيم ﴾ اي وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم أي لا يقدر على حمله ولا يريده ولا ينبغي له . كما قال تعالى: ﴿ وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون ﴾

وقوله تعالى : ﴿ فأين تذهبون ﴾ ؟ اي فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن، مع ظهوره ووضوحه،وبيان كونه حقاً من عند الله تعالى . وقوله تعالى : ﴿ إنْ هو إلاّ ذكر للعالمين ﴾ أي هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتّعظون.﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم ﴾ أي من أراد الهداية، فعليه بهذا القرآن، ولا هداية فيما سواه.﴿ وما تشاؤون إلاّ أن يشاء الله رب العالمين ﴾ أي ليست المشيئةُ موكولةً لكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضلَّ ... بل ذلك كله تابع لمشيئته تعالى رب العالمين .

آخر اختصار تفسير سورة التكوير ولله الحمدوالمنة، وبه العصمة وعليه التُّكْلان .



(٨٢) سورة الانفطار مكية وآياتها تسع عشرة

نزلت بعد سورة النازعات

بسم الله الرحمن الرحيم



إِذَا ٱلسَّمَاءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا ٱلْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾

روى النسائي عن جابر قال : قام معاذ فصلى العشاء الآخرة فطوّل فقال النبي ﷺ ٤٨٢ [أفتّانٌ أنت يا معاذ ؟ أين كنت عن سبح اسم ربك الأعلى ، والضحى ، وإذا السماء انفطرت] . وأصل الحديث مخرج في الصحيحين ولكن ذكر إذا السماء انفطرت في افراد النسائي .

يقول تعالى : ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ أي انشقت ﴿ وإذا الكواكب انتثرت ﴾ أي تساقطت ﴿ وإذا البحار فجِّرت ﴾ أي تفجرت وذهب ماؤها ﴿ وإذا القبور بعثرت ﴾ أي تحرّكت وخرج من فيها ﴿ علمتْ نفس ما قدمت وأخرت ﴾ أي إذا وقعت كل هذه الأمور المتقدِّمة حصل العلم عند النفس ما عملته من خير أو شرٍ .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم ﴾ أي ما غرك بربّك الكريم حتى أقدمت على معصيته كما جاء في الحديث: ٥٨٥ [يقول الله تعالى يوم القيامة : يا ابن ادم ما غرّكَ بي ؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين] .

وروى ابن أبي حاتم بسنده إلى يحيى البكاء سمعت ابنَ عمر يقول وقرأ هذه الآية : ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾ قال ابن عمر : غرّه والله جهلُه . وروي عن ابن عباس وغيره : ما غر ابنَ آدم غيرَ هذا العدو الشيطان . وقال أبو بكر الورّاق : لو قال لي : ما غرّكَ بربك الكريم لقلت: غرّني كرم الكريم. وقال مثل هذا القول بعض أهل الإشارة ... ؟؟ !!! إنما قال بربك الكريم دون سائر اسمائه وصفاته كأنه لقنه الجواب (١) . وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بطائل لأنه إنما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابلَ الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور . لاسيما وان هذه الآية نزلت في الأسود بن شريق ضرب النبي ﷺ ولم يعاقبْ في الحالة الراهنة فأنزل الله تعالى ﴿ ما غرك بربك الكريم ﴾

وقوله تعالى : ﴿ الذي خلقك فسوّاك فعدلك ﴾ أي ما غرك بالربِّ الكريم الذي جعلك سوياً مستقيماً معتدل القامة منتصبها في أحسن الهيئآت والأشكال .

روى الإمام أحمد بسنده إلى بشر بن جحاش القرشي : ٥٨٦ [أن رسول الله ﷺ بصق يوماً بكفِّه فوضع عليها أصبعه ثم قال : قال الله عز وجل : يا ابن آدم أنّى تُعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ...؟ حتى إذا سوّيتُك وعدلتُك مشيتَ بين بُردَيْن ، وللأرض منك وئيد ، فجمعتَ ومنعتَ حتى إذا بلغتِ التراقيَ قلتَ : أتصدق وأنّى أوان الصدقة؟] وكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة .

(١) قلت : قوله : (أهل الإشارة ...) أي هم : أهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ... وهم الذين لم يبتلَ الإسلام ببلاءٍ ... بمثل ما ابتلي بهم !!! فتأمل يا أخي المسلم قوله : « غرني كرم الكريم » وقولهم : « كأنه لقنه الجواب » إن مثل هذه الأقوال ... لا يوسوس بها في النفوس ، إلا الشيطان ، تحريضاً منه على المعصية تذرعاً بعفو الكريم ... فمثل هذا التفكير ... يدفع العبد إلى اللامبالاة بالمعصية أملا بالعفو ! بينما كرم الله الظاهر في نعمه العظمى التي لا تعد ولا تحصى ، والتي يعيشها الانسان ، ويتلمسها في كل لحظة ، كان يجب أن يقابل هذا الكرم ، بالإقلاع عن المعصية ، لا التمادي فيها حتى يلقي الله عليها ... أمِن طمعك بكرمه تعالى أن تقابل هذه النعم بالكفر بدل الشكر ... !!!؟. كان عليك أن تعالج نفسك قائلا : ليس من الإنصاف ان أقابل النعمة بالمعصية والكرم بالجحود ، ولو لقيت هذا الكرم من مخلوق لخجلت أن اقابل الإحسان بالإساءة ، فكيف باحسان الرب سبحانه ... ؟ !!! فالإحسان والكرم والإنعام بواعث على التوبة والإقلاع عن الذنب .. لا التمادي فيه ، أملا بكرم الكريم !!! هذا هو المراد من قوله تعالى : ما غرك بربك الكريم ، لا كما أوحاه الشيطان إلى حزبه ، خزاه الله وحزبه ووقانا الله شرورهم ، وشرور « إشاراتهم ... » والله تعالى أعلم وهو الموفق للصواب .

وقوله تعالى : ﴿ في أي صورة ما شاء ركّبك ﴾ وفي الصحيحين عن أبي هريرة : ٥٨٧ [أن رجلاً قال يا رسول الله إن امرأتي ولدت غلاماً أسود قال « هل لك من إبل ؟ قال نعم ، قال : فما ألوانها ؟ قال حمر قال فهل فيها من أورق ، قال نعم قال : فأنّى أتاها ذلك ؟ قال : عسىٰ ان يكون نزعة عرق قال : وهذا عسى أن يكون نزعة عرق] . والمعنى أن الله سبحانه وتعالى قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة ولكن بقدرته ولطفه، وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام، حسن المنظر والهيئة.

وقوله تعالى: ﴿كلاّ بل تكذّبون بالدين﴾ أي إنّما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب . وقوله تعالى : ﴿ وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين . يعلمون ما تفعلون ﴾ يعني وان عليكم لملائكةً حفظةً كراماً فلا تقابلوهم بالقبائح فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم .

﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۞ (١٣) وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۞ (١٤) يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۞ (١٥) وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ۞ (١٦) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۞ (١٧) ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۞ (١٨) يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٌ لِّنَفۡسٍ شَيۡـًٔاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٍ لِّلَّهِ ۞ (١٩) ﴾

يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه ، وهم الذين أطاعوا الله عز وجل ولم يقابلوه بالمعاصي . وقد روى ابنُ عساكر بسنده الى ابن عمرَ عن النبي ﷺ قال : ٥٨٨ [إنما سمّاهم الله الأبرار لأنّهم برّوا الآباء والأبناء] ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ولهذا قال : ﴿ يصلونها يوم الدين ﴾ اي يوم الحساب والجزاء والقيامة ﴿ وما هم عنها بغائبين ﴾ أي لا يغيبون عن العذاب ولا يخفف عنهم ساعة واحدة ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة ولو يوماً واحداً . وقوله تعالى : ﴿ وما أدراك ما يومُ الدين ﴾ ثم فسره بقوله : ﴿ يوم لا تملِكُ نفسٌ لنفس شيئاً ﴾ أي لا يقدر أحد على نفع أحدٍ ولا خلاص له مما هو فيه إلا بإذن الله لمن يشاء ويرضى . ونذكر هاهنا حديث : ٥٨٩ [يا بني هاشم: أنقذوا أنفسَكم من النار لا أملك لكم من الله شيئاً] ولهذا قال : ﴿ والأمر يومئذ لله ﴾ قال قتادة: والأمر والله اليومَ لله، ولكنه لا ينازعه فيه يومئذٍ أحد.

آخر اختصار تفسير سورة الانفطار ولله الحمد والمنة، وبه العصمة وعليه الإتّكال .



نزلت بعد سورة العنكبوت وإنها آخر سورة نزلت بمكّة المكرّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ۞ (١) ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۞ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۞ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ (٥) يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۞ (٦) ﴾

﴿ ويل للمطففين ﴾ المراد بالتطفيف ههنا : البخس في المكيال والميزان إما بالازدياد إنِ اقتضَى من الناس ، وإما بالنقصان إنْ قضَاهم . ولهذا فسر تعالى المطففين الذين قصدهم بالويل وهو الخسار والهلاك بقوله تعالى : ﴿ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ﴾ أي يأخذون حقّهم بالوافي والزائد ﴿ وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾ أي يُنقصون . وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان . فقال تعالى: ﴿ وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم . ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ وقال تعالى : ﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ﴾ وقد أهلك الله قوم شعيب ودمَّرهم على ما كانوا يبخسون الناس في الميزان والمكيال ثم قال متوعّداً لهم : ﴿ ألا يظن أولئك أنّهم مبعوثون ليوم عظيم ﴾ أي أما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر في يوم عظيم الهول ، كثير الفزَع ، جليل الخطب ، ومن خسر فيه أدخل ناراً حامية. وقوله تعالى : ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ أي حفاةً عراةً غرلاً في موقف صعب ، حرج ضنك على المجرم ، ويغشاهم من أمر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس

عنه . روى الإمام مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال ٥٩٠ [يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيبُ أحدهم في رشحه إلى إنصاف أذنيه] رواه البخاري ومسلم .

وروى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لبشير الغفاري : ٥٩١ [كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلثمائــة سنة لرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر ؟ » قال بشير المستعان الله » قال « فإذا أويت إلى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب »]

وفي سنن أبي داود أنّ رسول الله ﷺ ٥٩٢ [كان يتعوّذ بالله من ضيق المقام يوم القيامـــة]

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ۞ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۞ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ ۞ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۞ (١٠) ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۞ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۞ (١٢) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ۞ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا ٱلْجَحِيمِ ۞ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۞ (١٧) ﴾



يقول تعالى حقاً ﴿ إن كتاب الفجّار لفي سجّين﴾ أي إن مصيرهم ومأواهم لفي سجّين. فعيل من السجن ﴿ وما أدراك ما سجين ﴾ أي هو أمر عظيم ، وسجن مقيم ، وعذاب أليم. وهو يجمع الضيق والسفول حيث مصير الفجّار الى جهنم. وهي أسفل سافلين. كما قال تعالى : ﴿ واذا ألقوا منها مكاناً ضيّقاً مقرّنين دعوا هنالك ثبورا﴾ وقوله تعالى : ﴿ كتاب مرقوم ﴾ ليس تفسيراً لقوله : ﴿ وما أدراك ما سجين ﴾ وانّما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سجين أي مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزاد فيه ولا ينقص منه أحد ﴿ ويل يومئذ للمكذّبين ﴾ أي اذا صاروا يوم القيامة إلى ما وعدهم الله من السجن والعذاب المهين والمراد الويل الهلاك والدمار ثم قال تعالى : مفسراً للمكذبين الفجار الكفرة ﴿ الذين يكذبون بيوم الدين ﴾ أيْ لا يصدقون بوقوعه ولا يعتقدون كونـــه ،

ويستبعدون أمره.قال الله تعالى: ﴿ وما يكذب به إلاّ كلّ معتدٍ أثيم ﴾ أي معتدٍ في أفعاله في تعاطي الحرام والمجاوزة في تناول المباح . والأثيم في أقواله إنْ حدث كذَب وإن وعد أخلف وإن خاصم فجر .

وقوله تعالى : ﴿ إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾ أي إذا سمع كلامَ الله تعالى من الرسول يكذب به ويعتقد أنه مجموع من كتب الأوائل . كما قال تعالى : ﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملَى عليه بكرةً وأصيلا ﴾ قال الله تعالى : ﴿ كلاّ بلْ رانَ على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ أي ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا ان هذا القرآن أساطير الأولين بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ ، وانما حجب قلوبهم عن الإيمان به بما عليها من الرين الذي لبس قلوبهم من كـــثرة الذنوب والخطايا . وقد روى ابن جرير والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ٥٩٣ [ان العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب منها صقل قلبه، وان زاد زادت فذلك قوله تعالى : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾] وقال الترمذي حسن صحيح .

وقوله تعالى : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون ﴾ أي لهم يوم القيامة منزل ونزلُ سجين ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم واستدل الشافعي من هذه الآية : على أن المؤمنين يرونه عز وجل يومئذ كما دل عليه منطوق قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ وكما دلت على ذلك الأحاديث المتواترة ﴿ ثم إنهم لصالوا الجحيم ﴾ أي ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن، من أهل النيران ﴿ ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون ﴾ أي يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ.

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۞ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ۞ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ ۞ (٢٠) يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۞ (٢١) إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۞ (٢٢) عَلَى ٱلْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۞ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۞ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ۞ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ ۞ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ۞ (٢٧) عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۞ (٢٨)

يقول تعالى : حقّاً ﴿ إنّ كتاب الأبرار لفي علّيين ﴾ أي مصيرهم إلى علّيين وهو بخلاف سجّين. والظاهر أن علّيين مأخوذة من العلو وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع ولهذا قال تعالى معظّماً شأنه ﴿ وما أدراك ما علّيّون ﴾ ثم قال مؤكداً لما كتب لهم ﴿ كتاب مرقوم يشهده المقرّبون ﴾ وهم الملائكة .

ثم قال تعالى : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم ﴾ أي يوم القيامة في نعيم، مقيم وجنات فيها فضل عميم . ﴿ على الأرائك ينظرون.﴾ أي هم على السرر تحت الحجال ينظرون الى الله عزّ وجلّ وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجّار ﴿كلا إنهم عن ربّهم يومئذٍ لمحجوبون﴾ وقوله تعالى : ﴿ تعرف في وجوههم نضرةُ النعيم ﴾ أي تعرف إذا نظرت إليهم صفته الترافة والحشمة والرياسة مما هم فيه من النعيم العظيم .

وقوله تعالى : ﴿ يسقون من رحيق مختوم ﴾ أي يسقَوْن من خمر الجنّة والرحيق من أسماء الخمر وعن ابن عباس : طيب الله لهم الخمر فكان آخر شيء وجعل فيها مسك ختم بمسك .

وعن أبي الدرداء ﴿ ختامه مسك ﴾ شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلاّ وجد طيبها .

وقوله تعالى : ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ أي وفي مثل هذا الحال، فليتفاخر المتفاخرون ، ليستبق إليه المستبقون. كقوله تعالى ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾ أي ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم أي من شراب يقال له تسنيم وهو أشرف شراب أهل الجنّة وأعلاه . ولهذا قال : ﴿ عيناً يشرب بها المقربون ﴾ أي يشربها المقربون صرفاً ، وتمزج لأصحاب اليمين مَزْجاً قاله ابن مسعود وابن عباس وغيرهما .

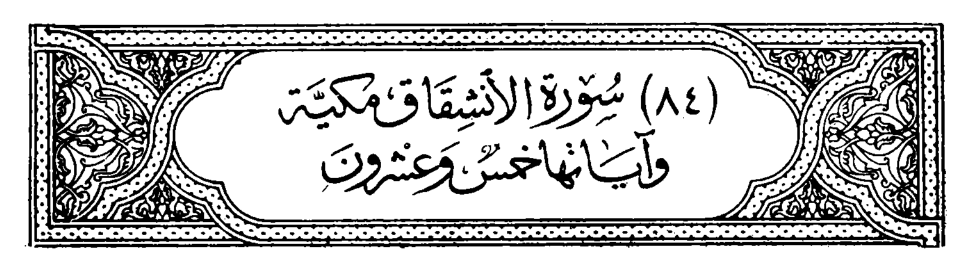
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ۝(٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ (٣٠) وَإِذَا ٱنقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا فَكِهِينَ ۝ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ۝ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ۝ (٣٣) فَالْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ ٱلْكُفَّارِ

يَضْحَكُونَ ❁ (٣٤) عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ❁ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ❁ (٣٦)

يخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين يستهزئون بهم ويحتقرونهم ﴿ وإذا مروا بهم يتغامزون ﴾ أي محتقرون لهم ﴿ واذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ﴾ أي إذا رجع المجرمون إلى منازلهم انقلبوا إليها فكهين أي مهما طلبوا وجدوا ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم ، بل اشتغلوا باحتقار المسلمين .﴿ واذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالّون ﴾أي لكونهم على غير دينهم . قال الله تعالى: ﴿ وما أرسلوا عليهم حافظين ﴾ أي وما بعث المجرمون حافظين على المؤمنين ولا كلفوا بذلك... فلما اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم كما قال تعالى: ﴿اخسأوا فيها ولا تكلّمون . إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الرّاحمين ، فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون . إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون ﴾ولهذا قال هنا: ﴿ فاليوم ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ الذين آمنوا من الكفار يضحكون ﴾ أي مقابلة ما ضحك بهم أولئك.﴿ على الأرائك ينظرون ﴾ أي إلى الله عز وجل في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون وليسوا بضالين بل هم من أولياء الله المقربين ينظرون إلى ربّهم في دار كرامته . وقوله تعالى: ﴿ هل ثوّب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾ أي هل جوزي الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من التنقيص أم لا ؟.. يعني قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله .

آخر اختصار تفسير سورة المطففين ولله الحمد والمنة والشكر والفضل .

وبه العصمة وعليه التكلان



نزلت بعد سورة الانفطار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ❁ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ❁ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ❁ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ❁ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ❁ (٥) يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ❁ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ❁ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ❁ (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ❁ (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ❁ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ❁ (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ❁ (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ❁ (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ❁ (١٤) بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ❁ (١٥)

يقول تعالى : ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿ وأذنت لربها وحقت ﴾ أي استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق. ﴿ وحُقَّت ﴾ أي وحق لها أن تطيع أمره لأنه العظيم. ﴿ وإذا الأرض مدّت ﴾ أي بسطت وفرشت ﴿ وألقت ما فيها وتخلّت ﴾ أي ألقت ما في بطنها من الأموات وتخلت منهم ﴿ وأذنت لربها وحُقَّت ﴾ كما تقدم وقوله ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً ﴾ أي إنك ساعٍ إلى ربك سعياً وعاملاً عملاً ﴿ فملاقيه ﴾ ثم إنك ستلقى ما عملت من خيرٍ أو شر .

ويشهد بذلك ما رواه أبو داود الطيالسي بسنده عن جابر قـال : قال رسول الله ﷺ : ٥٩٤ [قال جبريل : يا محمد عش ما شئت فإنك ميت وأحبب ما شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه] . وقوله تعالى : ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾ أي دون الحساب على دقائق أعماله وذلك كما روى الإمام أحمد بسنده عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ ٥٩٥ [«من نوقش الحساب عذب» فقلت : أفليس قال الله تعالى : ﴿ فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾ قال ليس ذاك بالحساب ولكن ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذّب] وهكذا رواه البخاريّ ومسلمٌ والترمذيّ والنسائيُّ .

وقوله تعالى : ﴿ وينقلب إلى أهله مسرورا ﴾ أي يَرجع الى أهله في الجنة فرحاً بما أعطاه الله عز وجل وقوله تعالى : ﴿ وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ﴾ أي بشماله من وراء ظهره ، ﴿ فسوف يدعو ثبوراً ﴾ أي خساراً وهلاكاً ﴿ ويصلى سعيرا . إنه كان في أهله مسرورا ﴾ أي فرحاً في الدنيا لا يفكر في العواقب ، ولا يخاف مما أمامه فأعقب ذلك الفرحَ اليسير الحزنُ الطويل ﴿ إنه ظن أن لن يحورَ ﴾ اي كان يعتقد أنه لا يرجع الى الله ولا يعيده بعد موته ، والحور الرجوع . قال الله تعالى : ﴿ بلى إن ربّه كان به بصيراً ﴾ يعني بلى سيعيده ويجازيه على أعماله ، إنه كان به عليما خبيراً .

فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۞ (١٦) وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۞ (١٧) وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۞ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ ۞ (١٩) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ (٢٠) وَإِذَا قُرِىءَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۞ (٢١) بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ۞ (٢٢) وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۞ (٢٣) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ (٢٤) إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۞ (٢٥)

سجدة

روي عن علي وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين قالوا : الشفق الحمرة وقال عبد الرزاق بسنده عن أبي هريرة قال : الشفق البياض فالشفق هو حمرة الأفق مـن غروب الشمس الى وقت العشاء الآخرة . وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر عن رسول

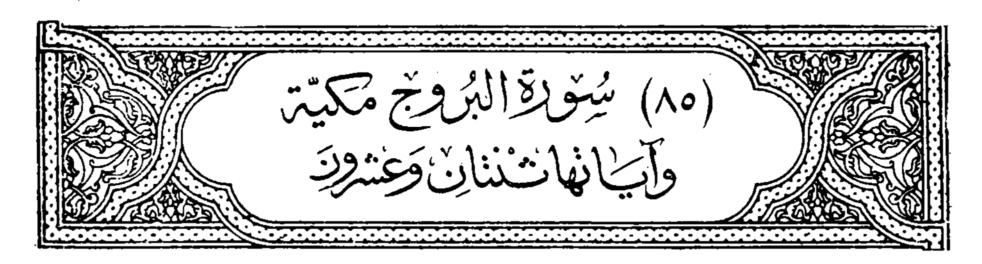
الله ﷺ انه قال: ٥٩٦ [وقت المغرب ما لم يغب الشفق] ﴿وما وسق﴾ أي وما ساق كل شيء إلى مأواه ﴿والقمر اذا اتسق﴾ إذا تكامل نوره وأبدر جعله مقابلاً لليل وما وسق وقوله تعالى: ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ روى البخاري عن ابن عباس: ٥٩٧ [حالاً بعد حال قال هذا نبيكم ﷺ] قال ابن جرير بعد ما حكى أقوال الناس في هذه الآية من القراء والمفسرين: والصواب من التأويل قول من قال لتركبن أنت يا محمد حالاً بعد حال وأمراً بعد أمر من الشدائد والمراد = وإن كان الخطاب موجهاً إلى رسول الله ﷺ = جميع الناس وأنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأحواله أهوالاً. وقوله تعالى: ﴿فما لهم لا يؤمنون. واذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون﴾ فماذا يمنعهم من الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر. وما لهم اذا قرئت عليهم آيات الله وكلامه وهو هذا القرآن لا يسجدون إعظاما وإكراماً واحتراماً. وقوله تعالى: ﴿بل الذين كفروا يكذبون﴾ أي من سجيتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق ﴿والله أعلم بما يوعون﴾ أي يكتمون في صدورهم ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ أي فأخبرهم يا محمد بأن الله عز وجل قد أعد لهم عذاباً أليماً.

وقوله تعالى: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يعني لكن الذين آمنوا أي بقلوبهم وعملوا الصالحات أي بجوارحهم ﴿لهم أجر﴾ أي في الدار الآخرة ﴿غير ممنون﴾ أي غير مقطوع كما قال تعالى: ﴿عطاء غير مجذوذ﴾.

إن الله عز وجل له المنة على أهل الجنّة في كل حال وآن ولحظة وانّما دخلوها بفضله ورحمته لا بأعمالهم فله عليهم المنّة دائماً سرمداً والحمد لله وحده أبداً ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النَفَس وآخر دعواهم أنِ الحمدُ لله رب العالمين.

آخر اختصار تفسير سورة الانشقاق ولله الحمد والمنة.

وبه التوفيق والعصمة



نزلت بعد سورة الشمس

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۞ (١) وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۞ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۞ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ ٱلْأُخْدُودِ ۞ (٤) ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۞ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۞ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۞ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۞ (٨) ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ (٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۞ (١٠) ﴾

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج والسماء والطارق . ويقسم الله تعالى بالسماء ، وبروجها هي النجوم العظام . واختار ابن جرير أنها منازل الشمس والقمر[1] . وقوله تعالى : ﴿ واليوم الموعود وشاهد ومشهود ﴾ فيُروَى عن ابي هريرة عن النبي ﷺ انه قال ٥٩٨ [اليوم الموعود : يوم القيامة

(١) قلت : لعلَّ ما فسره ابن كثير رحمه الله تعالى أقرب إلى الصواب والله تعالى أعلم . مما فسره ابن جرير لأن هناك منازل غير منازل الشمس والقمر لا يحصيها الا الله تعالى . فالمقصود بالبروج كل بروج السماء فقوله تعالى : « ذات البروج » يعني البروج جميعها ليظهر عظم المقسوم به .

وشاهد: يوم الجمعة، وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلاّ اعطاه إياه، ولا يستعيذ فيها من شر إلاّ أعاذه. ﴿ومشهود﴾ يوم عرفة]

وقوله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ أي لعن أصحاب الأخدود. وجمعه أخاديد وهي الحفر في الأرض. وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا الى ما عندهم من المؤمنين بالله عزّ وجل، فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم، فأبوا عليهم فحفروا لهم في الأرض أخدوداً، وأججوا فيه ناراً وأعدّوا لها وقودا يسعرونها به، ثم أرادوهم.. فلم يقبلوا منهم. فقذفوهم فيها. ولهذا قال تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود. النار ذات الوقود. إذ هم عليها قعود. وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾. أي مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين. قال الله تعالى: ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ أي وما كان لهم عندهم ذنب إلاّ إيمانهم بالله العزيز الحميد الذي لا يضام من لاذ بجنابه المنيع، الحميد في جميع أقواله وافعاله وشرعه وقدره. وان كان قد قدر على عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار به فهو العزيز الحميد وان خفي سبب ذلك على كثير من الناس. ثم قال تعالى: ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ من تمام الصفة انه المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ أي لا يغيب عنه شيء في جميع السموات والأرض ولا تخفى عليه خافية.

وقد اختلف أهل التفسير في أصل هذه القصة مَنْ هُمْ ...؟ قال أسباط عن السدي في قوله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ قال: كانت الأخدود ثلاثة: خد بالعراق، وخدٌ بالشام وخد باليمن رواه ابن ابي حاتم. وقد روى الإمام أحمد بسنده عن صهيب ان رسول الله ﷺ قال: ٥٩٩ [كان فيمن قبلكم ملك، وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: اني قد كبر سني وحضر أجلي، فادفع إليَّ غلاماً لأعلّمه السحر فدفع اليه غلاماً كان يعلمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملك راهب فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه، وكان إذا اتى الساحر ضربه وقال ما حبسك؟ وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا: ما حبسك؟ فشكا ذلك الى الراهب فقال: إذا اراد الساحر أن يضربك فقل حبسني أهلي. واذا أراد أهلك ان يضربوك فقل حبسني الساحر. قال فبينما هو ذات يومٍ ... إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس، فلا يستطيعون ان يجوزوا... فقال: اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر... قال فأخذ حجراً فقال: اللهم ان كان أمر الراهب أحبَّ إليك وأرضى من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة

حتّى يجوز الناس ، ورماها فقتلها ومضى الناس فأخبر الراهب بذلك فقال ـ اي بنيّ انت أفضل مني وإنك ستُبتلَى ، فإن ابتليت فلا تدلّ عليّ . فكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم ، وكان للملك جليس فعمي فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة فقال : اشفني ولك ما هاهنا أجمع . فقال : ما أنا أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل. فإن آمنت به دعوتُ الله فشفاك فآمن فدعا الله فشفاه .

ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك يا فلان من ردّ عليك بصرك ؟ فقال ربي فقال أنا ؟ قال لا ... ربي وربك الله ، قال ولك رب غيري ؟ قال : نعم ربي وربك الله . فلم يزل يعذّبه حتى دلّ على الغلام ، فبعث إليه فقال : إي بني : بلغ من سحرك أن تبرىء الأكمه والأبرص وهذه الأدواء ؟! قال : ما أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل . قال : أنا ؟ قال : لا قال: أو لك ربٌّ غيري؟ قال ربي وربك الله، فأخذه أيضا بالعذاب فلم يزل به حتى دلّ على الراهب ، فأتى بالرّاهب فقال إرجع عن دينك فأبى ، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض. وقال للأعمى: إرجع عن دينك فأبى ،فوضع المنشار في مفرق رأسه ،حتى وقع شقاه إلى الأرض وقال للغلام ارجع عن دينك فأبى ، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا وقال إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلاّ فدهدهوه ، فذهبوا به فلمّا علَوا به الجبل قال : اللهم اكفنيهم بما شئت...فرجفَ بهم الجبل فدُهدهوا أجمعون، وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك. فقال ما فعل أصحابك ؟ قال كفانيهم الله تعالى . فبعث به مع نفرٍ في قرقور فقال : إذا لججتم به البحر فإن رجع عن دينه وإلاّ فغرّقوه في البحر فلججوا به البحر فقال الغلام : اللّهم اكفنيهم بما شئت فغرقوا أجمعون .

وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالى ثم قال للملك : انت لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتني وإلاّ فإنك لا تستطيع قتلي ، قال وما هو ؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد ، ثم تصلبني على جذع وتأخذ سهماً من كنانتي ثم قل : باسم الله ربِّ الغلام فإنّك إذا فعلت ذلك تقتلني . ففعل ووضع السهم في كبد قوسه ثم رماه وقال : بسم الله رب الغلام فوقع السهم في صدغه . فوضع الغلام يدَه على موضع السهم ومات . فقال الناس آمنّا برب الغلام . فقيل للملك : أرأيت ما كنت تحذر ؟ فقد والله نزل بك ، قد آمن الناس كلّهم . فأمر بأفواه السكك فخدّت فيها الأخاديد وأضرمت فيها النيران ، وقال : من رجع عن دينه فدعوه وإلاّ فأقحموه فيها ، فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون ، فجاءت

امرأة بابن لها ترضعه فكأنها تقاعست أن تقع في النار فقال الصبي أصبري يا أماه فانك على الحق] .

وهكذا رواه مسلم في آخر الصحيح عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة **به** نحوه . ورواه النسائي بسنده مختصراً ، وقد جوّده الإمام ابو عيسى الترمذي.

ويقال ان الملك هو ذو نواس ، والبلاد هي نجران دخل أهلها النصرانية ، وذو نواس كان قد تهوّد مع من تهوّد من أهل اليمن. ولأنهم دخلوا النصرانية...حرقهم في الأخدود فقتل منهم في غداة واحدة عشرين ألفاً ولم ينجُ منهم سوى رجل واحد يقال له دوس ذو ثغلبان، ذهب فارساً وطردوا وراءهُ، فلم يقدروا عليه،فذهب إلى قيصر ملك الروم، فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة وأرسل معه جيشاً من نصارى الحبشة فاستنقذوا اليمن من اليهود . واستمر ملكهم فيهم سبعين سنة ثم استنقذه سيف بن ذي يزن من النصارى لما استجار بكسرى ملك الفرس ورجع الملك إلى حِمْيَر [1] .

وقوله تعالى : ﴿ ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ﴾ أي حرقوا ﴿ ثم لم يتوبوا ﴾ أي لم يقلعوا عما فعلوا ويندموا على ما أسلفوا . ﴿ فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾ وذلك أن الجزاء من جنس العمل ؛ قال الحسن البصري : انظروا إلى هذا الكرم والجود ، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة ـ سبحانك اللهم ما أحلمك وما أكرمك ـ.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۞ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۞ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۞ (١٣) وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۞ (١٤) ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۞ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ۞ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۞ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۞ (١٨) بَلِ

---

(١) قلت : كان هذا من سيف بن ذي يزن على أثر عودة ابرهة الحبشي من محاولة غزوه لبيت الله وتشتت جيشه ومقتلهم جميعاً بفعل طير الأبابيل وموت ابرهة متأثراً من رمي « أبابيل » . ثم تولى ابنه يكسوم من بعده ثم ابنه مسروق ، ثم خرج سيف بن ذي يزن الحميري إلى كسرى ، فاستعانه على الحبشة فأنفذ معه من جيوشه فقاتلوا معه فرد الله إليهم بلادهم ، وما كان في آبائهم من الملك ... وجاءته وفود العرب بالتهنئة . من كل فج .

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ❁ (١٩) وَٱللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ❁ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ❁ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ❁ (٢٢)

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين أن ﴿ لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ﴾ بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم . ولهذا قال ﴿ ذلك الفوز الكبير ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ [١] أي أن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذّبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم قوي ، فإنه تعالى ذو القوّة المتين الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر ، أو هو أقرب. ولهذا قال تعالى: ﴿ إنه هو يبدىء ويعيد ﴾ أي من قوته وقدرته التامّة يبدىء الخلق ويعيدُه كما بدأه بلا ممانع ولا مدافع ﴿ وهو الغفور الودود ﴾ أي يغفر الذنب لمن تاب إليه وخضع لديه ولو كان الذنب من أي شيء كان. والودود قال ابن عباس وغيره: الحبيب . وقوله ﴿ ذو العرش ﴾ ان صاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلائق . والمجيد فيه قراءتان ، الرفع على أنه صفةٌ للربِّ عزَّ وجل ، والجر على أنّه صفة للعرش وكلاهما معنى صحيح ﴿ فعّال لما يريد ﴾ أي مهما أراد فعله لا معقِّب لحكمه لا يسأل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله. — قيل لأبي بكر وهو في مرض الموت هل نظر إليك الطبيب؟ قال : نعم. قالوا: فما قال لك؟ قال: قال لي إني فعال لما أريد.

وقوله ﴿ هل أتاك حديث الجنود . فرعون وثمود ﴾ أي هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس ، وأنزل عليهم من النقمة التي لم يردّها عنهم أحد ؟ وهذا تقرير لقوله تعالى : ﴿ إنّ بطش ربّك لشديد ﴾ أي إذا أخذ الظالم أخذه أخذاً أليماً شديدا أخذ عزيز مقتدر [٢] وقوله تعالى : ﴿ بل الذين كفروا في تكذيب ﴾ أي همّ في شكٍ وريب وكفرٍ وعناد ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ أي هو قادر عليهم قاهر لا يفوتونه ، ولا يُعجزونه .

---

(١) قلت : ان بطش الله صفة من صفاته التي لا ينبغي ان تشابهها أية صفة من صفات المخلوقين . ولكن لا تزال أقوال أهل (وحدة الوجود) المدونة في كتبهم .. تنعق بالزندقة والكفر إذ يقول « قائلهم ؟؟ » بعد أن قرأ : (إن بطش ربك لشديد) : (وأن بطشي لأشد) والعياذ بالله من الكفر والردَّة وشرّ إلحاد هذه الطريقة الباغية التي ما وُجدتْ إلا مناوأةً للإسلام. ولكن الله سبحانه يردُّ دائماً كيدهم في نحورهم بإلهام من يشاء من عباده لنصرة دينه وإعلاء كلمته .

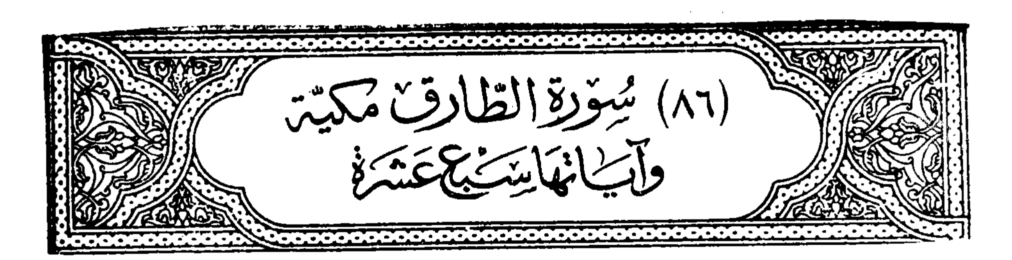
(٢) قلت : فما قول من يقول : وإن بطشي لأشدّ ... ؟ هل يستطيع أن يأخذ أخذ عزيز مقتدر ؟ وهل إذا بطش الله به بطشاً بسيطاً فمسخه مثلا جرذيّاً ... فهل يستطيع أن يردّ بطش الله عنه ؟ الجواب : لا . فكيف إذاً يستطيع أن يكون بطشُه أشدَّ من بطش الله ، في الوقت الذي لا يستطيع أن يردَّ بطش الله عن نفسه؟ نعوذ بالله من الكفر . هذا القول نستبعد صدوره عن أي مسلم .

﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ أي عظيم كريم ﴿ في لوحٍ محفوظ ﴾ أي هو في الملأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص ، والتحريف والتبديل [١] .

آخر اختصار تفسير سورة البروج ولله الحمد والمنّة

---

(١) قلت : ولكن الزنادقة أهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود خزاهم الله لا يعتقدون أن اللوح المحفوظ محفوظ ...!!!؟ ذلك لأنهم يزعمون أن باستطاعتهم أن يبدلوا فيه ما شاءوا ... وأن يثبتوا فيه ما أرادوا ... ويدعون : أن أحد مشايخهم محا بيده ما كان موجوداً من شقاء مريده ، وأثبته سعيداً ...!!!؟ ومن المؤلم المخزي أنه ما يزال في أفراد هذه الأمة ، من يصدق بترهاتهم وأباطيلهم وزندقاتهم ... فاذا كان الأمر كما زعموا ، من أن اللوح المحفوظ ، يمكن أن يمس وتمحى منه المقادير ... فلماذا سماه الله محفوظاً ...؟ على أننا نتحداهم –إن ظلوا على هذه العقيدة الخاسرة– أن يمحو من اللوح المحفوظ شقاوتهم هم ... قبل شقاوة مريديهم ، ويمحوا قدر خلودهم في الجحيم أبداً ... إن كانوا فاعلين ... اللهم عليك بالظالمين فانهم لا يعجزونك .



نزلت بعد سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلسَّمَاءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ ٱلْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾

روى النسائي عن جابر قال : صلى معاذ المغرب فقرأ البقرةَ والنساءَ فقال النبي ﷺ ٦٠٠ [أفتّانٌ أنت يا معاذ ! ما كان يكفيك أنْ تقرأَ بالسماء والطارق والشمس وضحاها ونحوها ؟] .

يقسم تبارك وتعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة ولهذا قال : ﴿ والسماء والطارق ﴾ ثم قال : ﴿ وما أدراك ما الطارق ﴾ ثم فسّره بقوله ﴿ النجم الثاقب ﴾ (١) قال قتادة وغيره : انما سمي النجم طارقاً لأنه انما يُرى بالليل ويختفي بالنهار ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح ٦٠١ [نهى أن يطرق الرجل أهله طروقاً أي يأتيهم فجأة بالليل] . وفي الحديث الآخر المشتمل على الدعاء ٦٠٢ [إلاّ طارقاً يطرق بخير يا

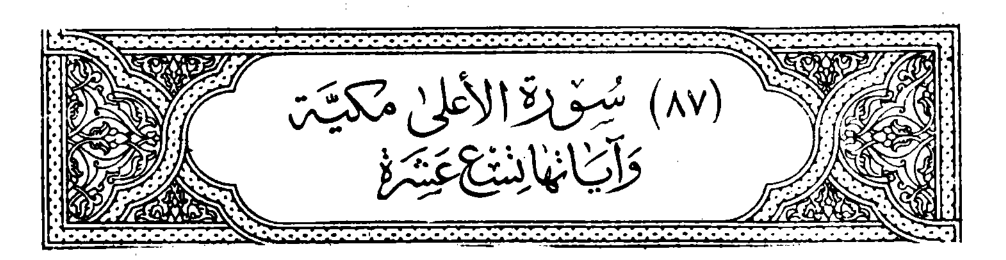
(١) قلت : زعم « بعضهم...؟؟! » أن الطارق والنجم الثاقب هو : محمد صلى الله عليه وسلم ! ! ! وهذا باطل... والرسول صلوات الله عليه وسلامه أجل من ذلك وهو أشرف من كل مخلوق في الأرض وفي السماء، والأشرف لا يشبه بما دونه شرفاً ! ! ! وما كان عليه الصلاة والسلام يوماً ما نجماً ثم تحوّل إلى بشر كما يزعمون ...؟! ! !

رحمن] وقوله ﴿ الثاقب ﴾ أي مضيء محرق للشياطين. وقوله تعالى : ﴿ إن كل نفس لما عليها حافظ ﴾ أي كل نفس عليها حافظ يحرسها من الآفات . كما قال تعالى: ﴿ له معقّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فلينظر الإنسان ممّ خُلق ﴾ تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد، والمعادُ أهون عليه. كما قال تعالى: ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ وقوله تعالى : ﴿ خلق من ماء دافق ﴾ يعني المنيّ يخرج دفقاً من الرجل ومن المرأة فيتولّد منهما الولد بإذن الله عزّ وجل . ولهذا قال : ﴿ يخرج من بين الصّلب والترائب ﴾ صلب الرجل وترائب المرأة وماؤها أصفر رقيق لا يكون الولد إلاّ منهما قال ابن عباد : هذه التّرائب ووضع يده على صدره . وروي عنه : بين ثديي المرأة . وقوله تعالى : ﴿ انّه على رجعه لقادر ﴾ أي على رجع الإنسان المخلوق من ماء دافق أي إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر لأن من قدِر على البداءة قدِر على الإعادة من باب أولىٰ . ولهذا قال ﴿ يوم تُبلىٰ السرائر ﴾ أي يوم القيامة. أي تظهر ويبقى السر علانية . وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال ٦٠٣ [يرفع لكل غادر لواء عند أسته يقال هذه غدرة فلان بن فلان] قوله تعالى : ﴿ فما له من قوة ولا ناصر ﴾ أي لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله ولا يستطيع من أحد ذلك .

﴿ وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۞ (١١) وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۞ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۞ (١٣) وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۞ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً ۞ (١٥) وَأَكِيدُ كَيْداً ۞ (١٦) فَمَهِّلِ ٱلْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً ۞ (١٧) ﴾

﴿ والسماء ذات الرجع ﴾ تمطر ثم تمطر فترجع رزق العباد كل عام ، ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم ﴿ والأرض ذات الصدع ﴾ هو انصداعها عن النبات وقوله تعالى : ﴿ إنّه لقولٌ فصل ﴾ حق وعدل ﴿ وما هو بالهزل ﴾ بل هو جد حق ﴿ إنهم يكيدون كيداً ﴾ أي ان الكافرين بكذبهم يُصدون عن سبيل الله ويمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن[1] ﴿ فمهّل الكافرين ﴾ أي أنظرهم ولا تستعجل لهم ﴿ أمهلهم رويدا ﴾ أي قليلاً وسترى ماذا أُحلُّ بهم من العذاب والنكال والهلاك كما قال تعالى: ﴿ نمتّعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾ آخر تفسير سورة والطارق ولله الحمد والمنة .

(١) (وأكيد كيداً) أي أمدّهم في طغيانهم استدراجاً من حيث لا يعلمون ، ثم آخذهم أخذ عزيز مقتدر



نزلت بعد سورة التكوير

روى الامام أحمد عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : ٦٠٤ [كان رسول الله ﷺ يحبُّ هذه السورة : ﴿ سبّح اسمَ ربّك الأعلى ﴾] تفرد به أحمد . وثبت في الصحيحيْن أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ : ٦٠٥ [هلا صليت بسبح اسمَ ربّك الأعلى ، والشمس وضحاها والليل إذا يغشى] وروى الامام أحمد عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ ٦٠٦ [قرأ في العيدين « بسبح اسم ربك الأعلى » وهل أتاك حديث الغاشية » . وان وافق يوم الجمعة قرأهما جميعاً] ولفظ مسلم وأهل السنن ٦٠٧ [كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة « بسبح اسم ربّك الأعلى ، وهل أتاك حديث الغاشية وربّما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما] وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبزى وعائشة أم المؤمنين ٦٠٨ [أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الوتر ... بسبح اسم ربك الأعلى و« قل يا أيها الكافرون » وقل هو الله أحد . « زادت عائشة : والمعوِّذتَيْنَ] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۞ (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۞ (٢) وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۞ (٣) وَٱلَّذِي أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۞ (٤) فَجَعَلَهُۥ غُثَاءً أَحْوَى ۞ (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ ۞ (٦) إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۞ (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ۞ (٨) فَذَكِّرْ إِنْ

نَفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۞ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۞ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۞ (١١) ٱلَّذِي يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۞ (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۞ (١٣)

روى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر الجهني ٦٠٩ [لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله ﷺ : اجعلوها في ركوعكم ، فلما نزلت : سبح اسم ربك الأعلى قال : اجعلوها في سجودكم] ورواه أبو داود وابن ماجه .

وعن ابن عباس ان رسول الله ﷺ ٦١٠ [إذا قرأ ﴿سبح اسمَ ربك الأعلى﴾ قال : سبحان ربي الأعلى] وعن عبد خير قال سمعت علياً قرأ : ﴿ سبح اسمَ ربّك الأعلى ﴾ فقال سبحان ربّي الأعلى . وقوله تعالى : ﴿ الذي خلق فسوّى ﴾ أي خلق الخليقة وسوى كلَّ مخلوق في أحسن الهيئات . وقوله تعالى : ﴿ والذي قدّر فهدى ﴾ هدى الإنسان للشقاوة والسعادة ، وهدى الأنعام لمراتعها. كقوله تعالى اخباراً عن موسى أنه قال لفرعون ﴿ ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدىٰ ﴾ كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : ٦١١ [ان الله قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء] .

وقوله تعالى : ﴿ والذي أخرج المرعىٰ ﴾ أي من جميع صنوف النباتات والزروع ﴿ فجعله غثاءً أحوىٰ ﴾ أي هشيماً متغيراً وقوله تعالى ﴿ سنقرئك فلا تنسىٰ ﴾ أي سنقرئك قراءةً لا تنساها ﴿ إلاّ ما شاء الله ﴾ فلا عليك أن تتركه وقوله تعالى : ﴿ إنّه يعلم الجهر وما يخفىٰ ﴾ أي يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه من ذلك شيء . وقوله تعالى : ﴿ ونيسرك لليسرى ﴾ أي نسهّل عليك أفعالَ الخير ،ونشرّع لك شرعاً مستقيماً لا حرج فيه ولا عسر . وقوله تعالى : ﴿ فذكّر إنّ نفعت الذكرى ﴾ أي ذكر حيث تنفع التذكرة ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا تضعه عند غير أهله ... كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : ما أنت بمحدّث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم . وقوله تعالى : ﴿ سيذكّر من يخشى ﴾ أي سيتعظ بالرسالة مَن قلبه يخشى الله . ﴿ ويتجنبّها الأشقى . الذي يصلى النار الكبرى . ثم لا يموت فيها ولا يحيىٰ ﴾ أي لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه . لأنه يعاقب فيها بأليم العذاب وأنواع النكال . وروى

الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : ٦١٢ [أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس – أو كما قال – تصيبهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فيميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحماً اذن في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة فيقال : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل] . ورواه مسلم .

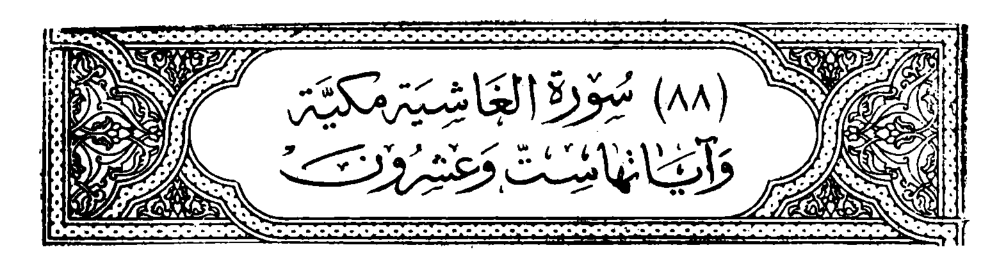
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ * (١٤) وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ * (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * (١٦) وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ * (١٧) إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ * (١٨) صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ * (١٩) ﴾

يقول تعالى : ﴿ قد أفلح من تزكى ﴾ وقد روى أبو بكر البزار بسنده عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ ﴿ قد أفلح من تزكى ﴾ قال : ٦١٣ [من شهد أن لا إلٓه إلاّ الله وخلع الأنداد وشهد أني رسول الله ﴿ وذكر اسم ربه فصلى ﴾ قال هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها] وقال قتادة : زكّى ماله وأرضى خالقه .

ثم قال تعالى : ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا ﴾ أي تقدمونها على أمر الآخرة وتبدونها على ما فيه نفعُكم وصلاحُكم في معاشكم ومعادُكم ﴿ والآخرة خير وأبقىٰ ﴾ أي ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى لأن الدنيا فانية والآخرة باقية ؛ فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى ... ؟ وروى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : ٦١٤ [من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرتَه أضرَ بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى] تفرد به أحمد . وقوله تعالى : ﴿ إن هذا لفي الصحف الأولىٰ . صحف إبراهيم وموسى ﴾ .

أي إن مضمون هذه السورة هي في صحف إبراهيم وموسى . وروى الحافظ أبو بكر البزار عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى ﴾ قال النبي ﷺ ٦١٥ [كان كل هذا – أو كان هذا – في صحف ابراهيم وموسى]

آخر اختصار تفسير سورة « الأعلى » ولله الحمد والمنة .



نزلت بعد سورة الذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلْغَاشِيَةِ ۞ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۞ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۞ (٣) تَصْلَىٰ نَاراً حَامِيَةً ۞ (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۞ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ ۞ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ۞ (٧) ﴾

﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ الغاشية من أسماء يوم القيامة لأنها تغشى الناس وتعمهم ﴿وجوهٌ يومئذ خاشعة﴾ أي ذليلة تخشع ولا ينفعها عملها، وقوله تعالى: ﴿عاملة ناصبة﴾ أي قد عملت عملاً كثيراً و نصبت فيه ، وصليت يوم القيامة ناراً حامية ﴿تصلىٰ ناراً حامية﴾ أي حارة شديدة الحر ﴿تسقىٰ من عين آنية﴾ أي انتهى حرها وغليانها . وقوله تعالى : ﴿ليس لهم طعام إلاّ من ضريع﴾ قال ابن عباس وغيره : هو الشبرق ، وقال البخاري : قال مجاهد : الضريع نبت يقال له الشبرق يسمّيه أهل الحجاز الضّريع إذا يبس وهو سمّ ، وهو من شرّ الطعام ، وأبشعه وأخبثه ؛ وقوله تعالى : ﴿لا يُسمن ولا يغني من جوع﴾ يعني لا يحصل به مقصود ، ولا يندفع به محذور .

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ۞ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۞ (٩) فِي

جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۞ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۞ (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۞ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۞ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۞ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۞ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۞ (١٦)

لما ذكر حال الأشقياء ثنّى بذكر السعداء. فقال: ﴿ وجوهٌ يومئذٍ ﴾ أي يوم القيامة ﴿ ناعمة ﴾ أي يُعرَف النعيم فيها، إنما حصل ذلك بسعيها ﴿ لسعيها راضية ﴾ قد رضيت عملَها. وقوله تعالى: ﴿ في جنةٍ عالية ﴾ أي رفيعة بهية في الغرفات آمنون. ﴿ لا تسمع فيها لاغية ﴾ أي لا تسمع في الجنة التي لاهم فيها كلمةً لغوٍ. كما قال تعالى: ﴿ لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً. إلاّ قيلاً سلاماً سلاماً ﴾ وقوله تعالى: ﴿ فيها عين جارية ﴾ وهذه نكرة في سياق الإثبات وليس المراد بها عيناً واحدة وانّما هذا جنس، يعني: فيها عيون جاريات. وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال ٦١٦ [انهار الجنة تفجر من تحت تلال أو من تحت جبال المسك] فيها سررٌ مرفوعة. أي عالية ناعمة كثيرة الفرش، مرتفعة السمك عليها الحور العين. قالوا فإذا أراد وليّ الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت. ﴿ وأكواب موضوعة ﴾ يعني أواني الشرب معدة مرصدة لمن أرادوها من أربابها. ﴿ ونمارق مصفوفة ﴾ أي وسائد مصفوفة ﴿ وزرابي مبثوثة ﴾ أي البسط مبثوثة ها هنا، وها هنا، لمن أراد الجلوس عليها.

وعن أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ: ٦١٧ [ألا هل من مشمرٍ للجنّة، فإن الجنّة لا خطر لها هي ورب الكعبة نورٌ يتلألأ، وريحانةٌ تهتز، وقصر مشيدٌ، ونهرٌ مطرد، وثمرةٌ نضيجة، وزوجةٌ حسناء جميلة، وحللٌ كثيرة، ومقام في أبد، في دار سليمة، وفاكهة، وخضرة، وحبرة، ونعمة، في محلة عالية بهية. قالوا نعم يا رسول الله... نحن المشمرون لها، قال: قولوا: إن شاء الله. قال القوم: إن شاء الله] ورواه ابنُ ماجه.

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۞ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۞ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۞ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۞ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۞ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۞ (٢٢) إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۞ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ

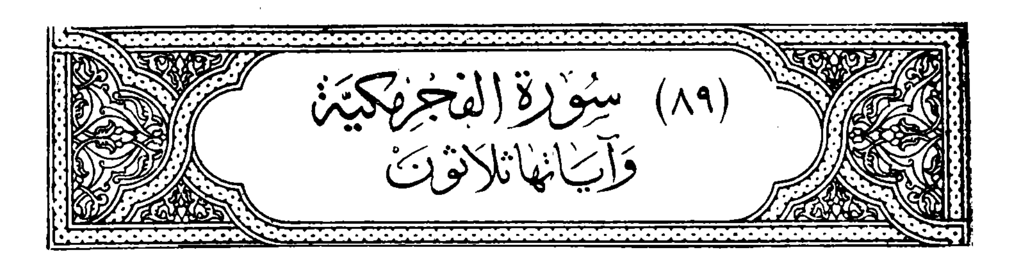
ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

يقول تعالى آمراً عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ فإنها خلق عجيب ، وتركيبها غريب وانها في غاية القوة والشدة وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل ، وتنقاد للقائد الضعيف ، وتؤكل ، وينتفع بوبرها ويشرب لبنها ، ونُبِّهوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل ﴿ وإلى السماء كيف رفعت ﴾ أي كيف رفعها الله عز وجل عن الأرض هذا الرفع العظيم ﴿ وإلى الجبال كيف نصبت ﴾ أي جعلت منصوبة ، فانها ثابتة راسية لئلاّ تميد الأرض بأهلها وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن ﴿ وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ أي كيف بسطت ومدت ومهدت فنبّه البدوي على الاستدلال بما يشاهده من البعير والسماء والجبل والأرض، على قدرة الخالق وانه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف، وانه الإله الذي يعبد وحده . وقوله تعالى : ﴿ فذكّر انما أنت مذكّر . لست عليهم بمسيطر ﴾ أي فذكر يا محمد الناس بما أرسلت به إليهم « فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب » ولهذا قال ﴿ لست عليهم بمصيطر ﴾ أي لست تخلق الإيمان في قلوبهم ، وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ ٦١٨ [أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاّ بحقها وحسابهم على الله عز وجل ثم قرأ : ﴿ فذكِّر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر ﴾] وهذا الحديث مخرج في الصحيحين بدون ذكر هذه الآية . وقوله تعالى : ﴿ إلاّ من تولّى وكفر ﴾ أي تولّى عن العمل بأركانه ، وكفر بالحق بجنانه ولسانه. وهذا كقوله تعالى: ﴿ فلا صدّق و لا صلّى ولكن كذّب وتولّى﴾ ولهذا قال﴿ فيعذبه اللهُ العذابَ الأكبر ﴾ وروى الإمام أحمد عن أبي أمامة الباهلي أنه مرّ على خالد بن يزيد بن معاوية فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ فقال : ٦١٩ [سمعت من رسول الله ﷺ يقول : كلكم يدخل الجنة إلاّ من شرد على الله شراد البعير على أهله] .

وقوله تعالى : ﴿ إن إلينا إيابهم ﴾ أي : مرجعهم ومنقلبهم ﴿ ثم إن علينا حسابهم ﴾ اي نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها إن خيراً فخير ، وإنْ شرا فشر .

عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ : ٦٢٠ [كان يقرأ بسبح اسم ربك الأعلى، والغاشية، في صلاة العيد والجمعة.] . وسأل الضحاكُ بن قيس النعمانَ بنَ بشير ٦٢١ [بم كان رسول الله يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة؟ قال: هل أتاك حديث الغاشية] .

آخر اختصار تفسير سورة الغاشية ولله الحمد والمنة والشكر والفضل



نزلت بعد سورة الليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْفَجْرِ ۝ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝ (٤) هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ۝ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝ (١٤) ﴾

﴿ والفجرِ ﴾ أما الفجر فمعروف وهو الصبحُ . والمراد به فجر يوم النَّحر خاصةً .
﴿ وليالٍ عشرٍ ﴾ هي عشرُ ذي الحجة وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس مرفوعاً :
٦٢٢ [ما من أيامٍ العملُ الصالح أحبُ إلى الله فيهن من هذه الأيام يعني عشر ذي الحجة قالوا ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال ولا الجهاد في سبيل الله إلاَّ رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء] وروى الامام أحمد عن جابر عن النبي ﷺ قال ٦٢٣ [ان العشرَ عشرُ الأضحى ، والوترَ يومُ عرفة ، والشفعَ يومُ النحر لكونه العاشر[1] .]

---

(١) قلت : وهناك أقوال أخرى في تفسير الشفع والوتر ، إنما اخترنا أقواها وأقربها مناسبة والله أعلم .

﴿ والليلِ إذا يسرِ ﴾ قال ابن عباس: إذا ذهب. وقيل إذا سار. وقال عكرمة: يعني ليلة جمعٍ ليلة المزدلفة . روى ابن أبي حاتم بسنده إلى عبد الله بن عمرو قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول في قوله ﴿ والليل إذا يسرِ ﴾ قال : إسرِ يا سار ولا تبيتن إلاّ بجمع . وقوله تعالى : ﴿ هل في ذلك قسم لذي حجر ﴾ أي لذي عقل وإنّما سمّى العقلُ حِجْراً لأنه يحجرُ على الإنسان من تعاطي ما لا يليق به،من الأفعال والأقوال . وهذا القسم هو بأوقات العبادة،وبنفس العبادة من حج وصلاة، وغير ذلك من أنواع القرب التي يتقرَّب بها إليه عبادُه المتقون المطيعون له. ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم. قال بعد : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد ﴾ . وهؤلاء عاد الأولى وهم ولد عاد بن إرم بنِ عُوص بن سام بن نوح عليه السلام ، وهم الذين بعث فيهم هود عليه السلام ، فكذّبوه وخالفوه . فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم وأهلك الآخرين بريح صرصرعاتيه وقد ذكر الله قصتهم في القرآن،ليعتبر بمصرعهم المؤمنون . وقوله :﴿ إرم ذات العماد ﴾ عطف بيان زيادة تعريف بهم . وقال قتادة والسدى: إن إرم بيت مملكة عاد وهذا قول جيد . وقوله تعالى ﴿ ذات العماد ﴾ أي كانوا طوالا وقيل ان العماد أبنية بنوها، أو أعمدة بيوتهم فعلى كل، سواء كان هذا أو هذا...فهم قبيلة وأمة من الأمم وهم المذكورون في القرآن في غير موضع المقرونون بثمود ، كما هاهنا والله تعالى أعلم ... لا أن المراد الإخبارُ عن مدينة أو إقليم ، وإنّما نبهت على ذلك لئلا يغترّ بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها (إرم ذات العماد) مبنية بلبن الذهب والفضة، قصورها ودورها، وبساتيها وان حصباءها لآلىءُ وجواهر ، وترابها بنادق المسك ، وأنهارها سارحة ، وثمارها ساقطة ودورها لا أنيس بها ، وسورها وأبوابها تصفر ليس بها داع ولا مجيب ، وانها تنتقل فتارة تكون بأرض الشام وتارة باليمن وتارة بالعراق وتارة بغير ذلك من البلاد . فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين ومن وضع زنادقتهم ، ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك .

وهناك حكايات أخرى عنها يطول شرحها لا يصح منها شيء ... فهذه الحكايات وأمثالها قريب مما يخبر به كثير من المشعوذين والمتحيّلين من وجود مطالب تحت الأرض فيها قناطير الذهب والفضة ، وألوان الجواهر واليواقيت واللآلىء، والإكسير الكبير لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها فيحتالون على أموال الأغنياء

والضعفة والسفهاء، فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاقير، ونحو ذلك من الهذيانات. والذي يجزم به أن في الأرض دفائن جاهلية وإسلامية وكنوزاً كثيرة من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله . فأما على الصفة التي زعموها فكذب وافتراء وبهت. ولم يصح ذلك شيء مما يقولون والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب .

وقوله تعالى : ﴿ وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ﴾ يعني يقطعون الصخر بالوادي قال ابن عباس ينحتونها ويخرقونها . وقال ابن اسحق : كانوا عرباً وكان منزلهم بوادي القرى . وقوله تعالى : ﴿ وفرعون ذي الأوتاد ﴾ وعن ابن عباس : الأوتاد الجنود الذين يشدّون له أمره . وقال ثابت البناني عن أبي رافع : قيل لفرعون ذي الأوتاد لأنه ضرب لامرأته المؤمنة ، أربعة أوتاد ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت .

وقوله تعالى : ﴿ الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ﴾ أي قوم عاد وثمود وقوم فرعون تمردوا وعتوا، وعاثوا في الأرض بالفساد والأذية للناس. ﴿ فصبَّ عليهم ربُّك سوطَ عذاب ﴾ أي أنزل عليهم رجزاً من السماء وأحل بهم عقوبة لا يردها عن القوم المجرمين . وقوله تعالى : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ قال ابن عباس: يسمع ويرى . يعني يرصد خلقه فيما يعملون ويجازي كلاً بسعيه، وسيحكم فيهم بعدله، ويقابل كلاً بما يستحق، وهو المنزّه عن الظلم .

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَانُ إِذَا مَا ٱبْتَلَاهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ ۞ (١٥) وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَانَنِ ۞ (١٦) كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۞ (١٧) وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۞ (١٨) وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۞ (١٩) وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۞ (٢٠) ﴾

يُنكرُ الله على بعض عباده ، اعتقادهم انه إذا وسع عليهم رزقهم كان إكراماً لهم . وإن ضيّق عليهم كان إهانةً لهم . فقال الله تعالى: ﴿ كلاَّ ﴾ أي ليس الأمر كما زعموا ... فإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيّق على من يحب وعلى من لا يحب ... وانما المدار على الطاعة لله في كلا الحالين، إذا كان غنياً بأن يشكر الله على ذلك ، بإكثار الطاعة له، كما وإن كان فقيراً بأن يصبر = بمواصلة الطاعة واجتناب المعصية. ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ . =

وقوله تعالى : ﴿ بل لا تكرمون اليتيم ﴾ فيه أمر بالإكرام له . وقد روى عبد الله بن المبارك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ٦٢٤ [خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحسَنُ إليه ، وشرّ بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساءُ إليه ــ ثم قال بأصبعيه ــ : أنا وكافل اليتيم في الجنّة هكذا] وروى أبو داود عن سهل بن سعيد أن رسول الله ﷺ قال: ٦٢٥ [« أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنّة » وقرن بين إصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام] ﴿ ولا تحاضّون على طعام المسكين ﴾ يعني لا يأمرون بالإحسان إلى الفقراء والمساكين ، ويحث بعضهم على بعض في ذلك ﴿ وتأكلون التراث ﴾ يعني الميراث ﴿ أكلاً لمّاً ﴾ أي حلالاً كان أو حراماً ﴿ وتُحبون المال حباً جماً ﴾ أي كثيراً فاحشاً .

﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝ (٢٢) وَجِـيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۝ (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۝ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ۝ (٢٦) يَا أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ (٢٧) ٱرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ (٢٨) فَٱدْخُلِي فِي عِبَادِي ۝ (٢٩) وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ۝ (٣٠) ﴾

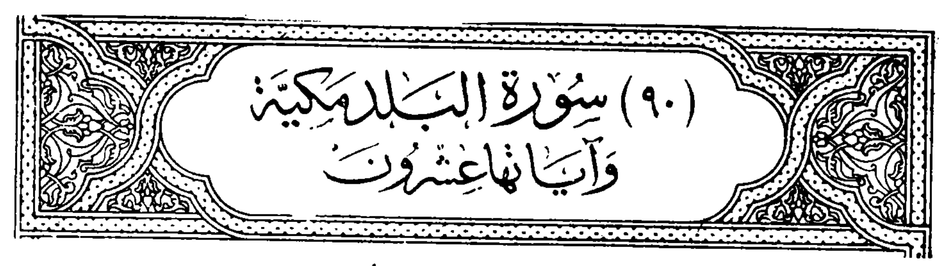
يخبر تعالى عن أهوال القيامة فقال : ﴿ كلاّ ﴾ أي حقاً ﴿ إذا دكّت الأرض دكّاً دكّاً ﴾ أي سوّيت الأرض والجبال وقامت الخلائق من قبورهم لربهم ﴿ وجاء ربك ﴾(١) يعني لفصل القضاء بين خلقه كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفاً . وقوله تعالى : ﴿ وجيء يومئذ بجهنم ﴾ روى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ ٦٢٦ [يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كلّ زمام سبعون ألف ملك يجرّونها] وقوله تعالى : ﴿ يومئذ يتذكّر الإنسان ﴾ أي عمله وما كان أسلفه في قديم دهره وحديثه ﴿ وأنّى له الذكرى ﴾ أي وكيف تنفعه الذكرى ﴿ يقول يا ليتني قدّمت لحياتي ﴾ يندم على ما أسلف من المعاصي إن كان عاصياً ويودّ لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعاً. كما روى أحمد عن محمد بن عمرة عن أصحاب رسول الله ﷺ قال :

(١) المجيء معلوم ، والكيف مجهول ، أي جاء مجيئاً حقيقياً لا يشبه مجيءَ المخلوقين .

٦٢٧ [لو أنّ عبداً خرَّ على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت في طاعة الله لحقره يوم القيامة ولودّ أنه رُدّ إلى الدنيا كيما يزداد من الاجر والثواب]. قال الله تعالى: ﴿ فيومئذ لا يعذّب عذابه أحد ﴾ أي ليس أحد أشدّ عذاباً من تعذيب الله لمن عصاه ﴿ ولا يوثِق وثاقَه أحد ﴾ أي ليس أحداً أشدّ قبضاً ووثقاً من الزبانية لمن كفروا بربهم عزّ وجلّ. وهذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين فأما النفس الزكيّة المطمئنة ، وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق، فيقال لها: ﴿ يا أيتها النفس المطمئنّة ارجعي إلى ربّك ﴾ أي ارجعي إلى جواره وثوابه في جنته ﴿ راضيةً ﴾ أي في نفسها ﴿ مرضية ﴾ أي قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها ﴿ فادخلي في عبادي ﴾ أي في جملتهم ﴿ وادخلي جنّتي ﴾ وهذا يقال عند الاحتضار وفي يوم القيامة . وكما أن الملائكة يبشّرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره فكذلك ههنا .

روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة رواحة بنت أبي عمرو الأوزاعي بسنده إلى أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال لرجل ٦٢٨ [قل: اللهم إني أسألك نفساً بك مطمئنة تؤمن بلقائك ، وترضى بقضائك وتقنع بعطائك »]

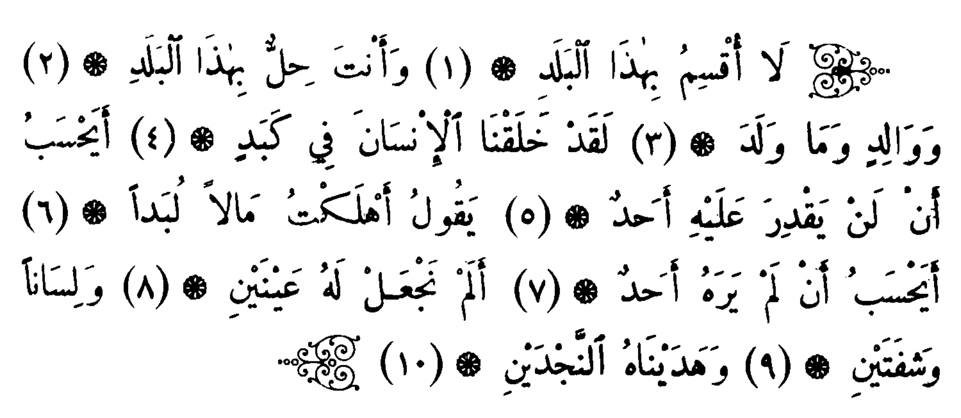
آخر اختصار تفسير سورة الفجر ولله الحمد والمنّة .



نزلت بعد سورة (ق)

بسم الله الرحمن الرحيم




لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

﴿ لا ﴾ ردٌّ على الكفار ﴿ أقسم بهذا البلد ﴾ أي أقسم بمكة ﴿ وأنت حل بهذا البلد ﴾ أي بكونك حلالاً به غير محرم ، يحلّ لك القتال فيه (١) فقد أحل الله مكّةً ساعة من نهار لنبيّه عليه الصلاة والسلام ، وقد ورد بذلك الحديث المتفق عليه : ٦٢٩ [إن هذا البلد حرّمه (٢) الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يُعضَدُ شجرُه (٣) ولا يُختلى خلاه (٤) وانما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فليبلغ الشاهد الغائب] وفي لفظ آخر ٦٣٠ [فإن أحد ترخّص بقتال رسول الله فقولوا: إن الله أذنَ لرسوله ، ولم يأذنْ لكم] ﴿ ووالدٍ

(١) قلت : أي اقسم بمكة الحرام التي أحللتها لك أي بحل لها وأنت فيها . (٢) حرمه : أي حرم القتال فيه .
(٣) لا يعضد شجره : أي لا يقطع . (٤) لا يختلى خلاه : أي لا يُنتزَعُ نباته الرطب .

وماولد ﴾ يعني بالوالد وما ولد. الوالد آدم وما ولد ولده. وهذا الذي ذهب اليه مجاهد وأصحابه، حسن قويّلأنه تعالى لما أقسم بأمالقرى، وهي المساكنأقسم بعدهبالساكن وهو آدم أبو البشر وولده . وقوله تعالى : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في كبد ﴾ أي في مكابدة الأمور ومشاقّها وقيل: ﴿ في كبد ﴾ أي منتصباً والكبد : الاستواء والاستقامة. أيخلقناه مستوياً مستقيماً . وقوله تعالى : ﴿ أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ﴾ أي لن يقدر على سؤاله عن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه؟ وقوله تعالى : ﴿ يقولُ أهلكت مالاً لبدا ﴾ أي مالاً كثيراً ﴿ أيحسب أن لم يرَه أحدٌ ﴾ أي أيحسب أن لم يرَه اللهعزّ وجلّ؟! وقوله تعالى : ﴿ ألم نجعل له عينين ﴾ أي يبصر بهما ﴿ ولساناً ﴾ ينطق به، فيعبّر عما في ضميره. ﴿ وشفتين ﴾ يستعين بهما على الكلام ، وأكل الطعام ، وجمالاً لوجهه وفمه ...؟ ٦٣٠ قال النبي ﷺ « يقول الله تعالى يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعماً عظامـــاً لا تحصي عددها ولا تطيق شكرها ، وإن ممـــا أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما وجعلت لهما غطاء ، فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك ، وإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما ، وجعلتلك لساناً وجعلت له غلافاً فانطق بما أمرتك وأحللت لك ، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك . وجعلت لك فرجاً وجعلت لك ستراً ، فأصب بفرجك ما أحللت لك ، فان عرض عليك مـــا حرمت عليك فأرخ عليك سترك ، ابن آدم إنك لا تحمل سخطي ولا تطيق انتقامي » .

﴿ وهديناه النجدين ﴾ أي الطريقين الخير والشر. ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ أنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا ﴾ .[1]

فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۞ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۞ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ ۞ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۞ (١٤) يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ ۞ (١٥) أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ۞ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَـــةِ ۞ (١٧) أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۞ (١٨) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ ٱلْمَشْأَمَةِ ۞ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ۞ (٢٠)

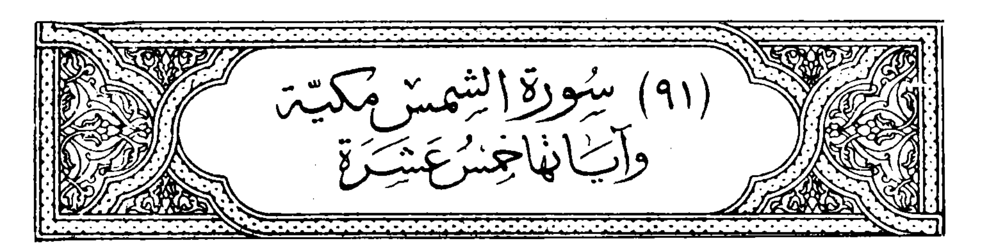
(١) الهداية هنا: هداية دلالة أي دله على الطريق، وهو الذي يختار الحق فيكون شاكراً ، أو يختار الباطل فيكون كافراً ... والعياذ بالله. وليست الهداية هداية إلزام لخير أو شر ، ... كيما يكون العبد مستحقاً للنعيم... بفضله ... أو العذاب ... بعدله .

﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ أي أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير ﴿العقبة﴾ قحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله ثم قال: ﴿وما أدراك ما العقبة﴾ ثم أخبر تعالى عن اقتحامها فقال: ﴿فك رقبة أو إطعام ﴾ أي أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير ثم بيّنها فقال تعالى ﴿ وما أدراك ما العقبة . فكّ رقبة ﴾ الرقبة: المملوك . وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ٦٣١ [« من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرْب – أي عضو – منها، إرْباً منه من النار حتى أنْ ليعتق باليد اليدَ وبالرجل الرجلَ وبالفرج الفرجَ » فقال علي بن الحسين : أُنت سمعت هذا من أبي هريرة فقال سعيد : نعم فقال علي بن الحسين لغلام أفره غلمانه [1] ادع مِطرَفاً ، فلمّا قام بين يديه قال : اذهب فأنت حرٌّ لوجه الله] رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن سعيد بن مرجانة به وعند مسلم أن هذا الغلام الذي اعتقه علي بن الحسين زين العابدين كان قد أعطي فيه عشرة آلاف درهم . وقوله تعالى : ﴿ أو إطعام في يوم ذي مسغبة ﴾ قال ابن عباس أي ذي مجاعة. ﴿ أو يتيماً ﴾ أي أطعم في مثل اليوم ﴿ ذا مقربة ﴾ أي ذا قرابة من المطعِم. كما جاء في الحديث الذي رواه أحمد عن سلمان بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: ٦٣٢ [الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة] وقوله تعالى : ﴿ أو مسكيناً ذا متربة ﴾ أي فقيراً مدقعاً لاصقاً بالتراب وهو الذي لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب ولا أحد له . وقوله تعالى : ﴿ ثم كان من الذين آمنوا ﴾ أي ثم هو أي المتصدّق مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة، مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند الله عزّ وجل. كما قال تعالى : ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾ أي كان من المؤمنين العاملين صالحاً ، المتواصين بالصبر على أذى الناس وعلى الرحمة بهم كما جاء في الحديث : ٦٣٣ [الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء] . وقوله تعالى : ﴿ أولئك أصحاب الميمنة ﴾ أي المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين . ثم قال ﴿ والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة ﴾ أي أصحاب الشمال ﴿ عليهم نارٌ مؤصدةٌ ﴾ أي مطبقة عليهم فلا محيدَ عنها ولا خروج منها، ولا فرَج إلى آخر الأبد. «فلا تستقرّ أقدامهم على قرار، ولا ينظرون إلى أديم السماء أبداً، ولا تلتقي جفون أعينهم على غمض نومٍ أبداً ، ولا يذوقون فيها باردَ شرابٍ أبداً » رواه ابن أبي حاتم عن أبي عمران الجوني .

آخر اختصار تفسير سورة البلد ، ولله الحمد والمنة .

---

(١) أفره غلمانه أي أحذقهم .



نزلت بعد سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝ (١) وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝ (٢) وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝ (٣) وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝ (٤) وَٱلسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝ (٥) وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝ (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝ (١٠)

تقدّم حديث جابر الذي في الصحيحين : [أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ « هلا صلّيت بسبّح اسم ربّك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى »] .

قال مجاهد ﴿ الشمس وضحاها ﴾ أقسم الله بالشمس ونهارها ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ تبعها ﴿ والنهار إذا جلّاها ﴾ أي إذا غشيها النهار [1] ﴿ والليل إذا يغشاها ﴾ يعني إذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق ﴿ والسماء وما بناها ﴾ (ما) بمعنى (من) ، يعني والسماء وبانيها ﴿ والأرض وما طحاها ﴾ يعني بسطها وهذا اشهر الأقوال وعليه الأكثر من المفسرين وأهل اللغة . قال الجوهري : طحوته مثل دحوته اي بسطته .

وقوله تعالى : ﴿ ونفس وما سوّاها ﴾ أي خلقها سويةً مستقيمةً على الفطرة القويمة

(١) قلت : أي أظهرها بجلاء .

كما قال تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ وفي صحيح مسلم : قال رسول الله ﷺ : ٦٣٤ [يقول الله عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم] وقوله تعالى : ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ أي فأرشدها إلى فجورها وتقواها ، وبيّن لها الخير والشر .

وقوله تعالى : ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ اي قد افلح من زكى نفسه بطاعة الله عز وجل ، ويحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه وقد خاب من دسى الله نفسه .

وروى ابن ابي حاتم عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في قول الله عزّ وجلّ ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ قال النبي ﷺ ٦٣٥ [أفلحت نفس زكاها الله عز وجل [1]] ٦٣٦ [ومن دعائه ﷺ إذا مر بهذه الآية ... ﴿ ونفس وما سوّاها فألهمها فجورَها وتقواها ﴾ . وقف ثم قال : « اللهم آت نفسي تقواها أنت وليّها ومولاها ، وخير من زكّاها »]

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۞ (١١) إِذِ ٱنبَعَثَ أَشْقَاهَا ۞ (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۞ (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۞ (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۞ (١٥) ﴾

يخبر تعالى عن ثمود انهم كذّبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي ، فأعقبهم بذلك تكذيباً في قلوبهم بما جاء به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين . ﴿ إذ انبعث أشقاها ﴾ أي أشقى القبيلة وهو « قدار بن سالف » عاقر الناقة وهو أحيمر ثمود وهو الذي قال الله تعالى : ﴿ فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ﴾ وكان هذا رئيساً مطاعاً في قومه . وروى ابن ابي حاتم عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ لعليّ : ٦٣٧ [ألا أحدثك بأشقى الناس ؟ قال : بلى ! قال : رجلان : أحيمر ثمود الذي عقر الناقة

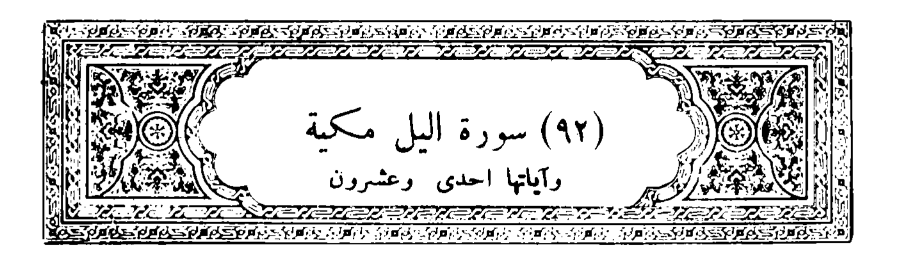
(١) ولا يزكّيها الله إلا إذا زكاها صاحبها بطاعة الله ولهذا قال « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » فيكون تزكية الله لها جزاء وفاقاً على طاعتها : كما قال تعالى : « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى » .

والذي يضربك يا علي على هذا يعني قرنه ــ حتى تبتلّ منه هذه) يعني لحيته

وقوله تعالى ﴿فقال لهم رسول الله﴾ يعني صالحاً عليه السلام ﴿ ناقة الله ﴾ اي احذروا ناقة الله أن تمسّوها بسوء ﴿ وسقياها ﴾ اي لا تعتدوا عليها في سقياها فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم . قال الله تعالى ﴿ فكذّبوهُ فعقروها ﴾ أي كذبوه فيما جاءهم به ثم عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم ﴿ فدمدم عليهم ربُّهم بذنبهم ﴾ أي غضب عليهم فدمّرهم ﴿ فسوّاها ﴾ أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء لأنهم تابعوا أحيمر ثمود في عقر الناقة صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم ولذا دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها ﴿ ولا يخاف عقباها ﴾ أي لا يخاف الله من أحدٍ تبعةً[1] والله أعلم .

آخر اختصار تفسير سورة والشمس وضحاها ، ولله الحمد والمنة .

(١) قلت : هذا بطش الله بثمود وقد تقدم بطشه تعالى بعاد ، وبفرعون وقومه وسواهم ... فأين الذي كان يقول : (وإن بطشي لأشد) ؟ ! ! إنّه اليوم عند ربه ... فإذا كان لم يتب من قوله قبل أن يموت .. فسوف يريه الله كيف يكون بطشه به في قعر جهنم ... حتى يعلم أنه الحق . فتأمّل يا أخي ، كيف تقود « وحدة الوجود » أصحابها إلى النار وتدفعهم فيها دفعاً ... أعاذنا الله منها ومنهم .



نزلت بعد سورة الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۞ (١) وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۞ (٢) وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۞ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۞ (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۞ (٥) وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۞ (٧) وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۞ (٨) وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۞ (١٠) وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۞ (١١) ﴾

تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ : [فهلاّ صليت : بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها والليل إذا يغشى ...]

أقسم تعالى بـ ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ أي إذا أغشي الخليقة بظلامه ﴿ والنهار إذا تجلّى ﴾ أي بإشراقه وضيائه ﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وخلقناكم أزواجاً ﴾ ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان المقسم عليه أيضاً متضاداً ، ولهذا قال تعالى :

﴿ إن سعيكم لشتّى ﴾ أي أعمالكم متخالفة ، فمن فاعل خيراً ومن فاعلٍ شراً . قال الله تعالى : ﴿ فأما من أعطىٰ واتقى ﴾ أي أعطى ما أمر باخراجه ، واتقى الله في أموره ﴿ وصدّق بالحسنى ﴾ اي بالمجازاة على ذلك ، قاله قتادة . كما روى ابن ابي حاتم عن أبي بن كعب قال : ٦٣٨ [سألت رسول الله عن الحسنى ، قال: الحسنى : الجنة] .

(١) أعني رسالة الله الخالدة التي نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم وهي القرآن العظيم ، أعظم كتابٍ وأخلد رسالة .

وقوله تعالى: ﴿ فسنيسره لليسرى ﴾ قال ابن عباس: يعني للخير وقال زيد بن أسلم يعني للجنّة وقال بعض السلف: من ثواب الحسنة، الحسنة بعدها ومن جزاء السيئة، السيئة بعدها. ولهذا قال تعالى ﴿ وأما من بخل ﴾ اي بما عنده ﴿ واستغنى ﴾ قال ابن عباس: أي بخل بماله واستغنى عن ربه عز وجل رواه ابن أبي حاتم ﴿ وكذب بالحسنى ﴾ أي بالجزاء في الدار الآخرة ﴿ فسنيسره للعسرى ﴾ أي لطريق الشر. كما قال تعالى ﴿ ونقلّب افئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرّة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾. والآيات في هذا المعنى كثيرة، دالة على أن الله عزّ وجل، يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان، وكل ذلك بقدر مقدر. والأحاديث الدالّة على هذا المعنى كثيرة. روى البخاريّ بسنده عن علي رضي الله عنه قال: ٦٣٩[كنّا مع رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة فقال: «ما منكم من أحد إلاّ وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل؟ فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له» ثم قرأ ﴿ فأما من أعطىٰ واتقىٰ وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرىٰ – إلى قوله – للعسرىٰ ﴾.] وهناك أحاديث أخرىٰ في نفس المآل من طرق مختلفة قال ابن جرير: وذكر أن هذه الآية، نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ثم روى السند إلى عامر بن عبد الله بن الزبير قال: كان ابو بكر رضي الله عنه يعتق على الإسلام بمكة فكان يعتق عجائز ونساء أسلمن. فقال له أبوه أي بنيّ أراك تعتق أناساً ضعفاء فلو أنك تعتق رجالاً جلداء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك فقال: إي أبت إنما أريد ما عند الله. قال فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية نزلت فيه.
وقوله تعالى: ﴿ وما يغني عنه ماله إذا تردّى ﴾ قال مجاهد إذا مات .. وقال زيد بن اسلم: إذا تردّى في النار.

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝ (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّىٰ ۝ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝ (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝ (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۝ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝ (٢١) ﴾

أي نبيّن الحلال والحرام ﴿ وان لنا للآخرة والأولى ﴾ أي الجميع ملكنا وبتصرفنا

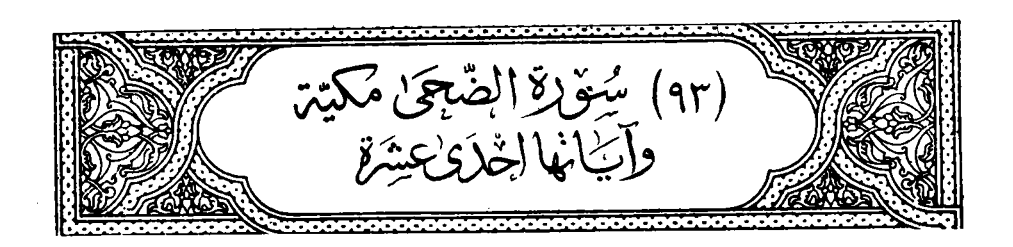
وأنا المتصرف فيهما . وقوله تعالى: ﴿ فأنذرتكم ناراً تلظّى ﴾ أي توهّج . وروى الإمام أحمد بسنده إلى سماك بن حرب قال : سمعت النعمان بن بشير يخطب ويقول : ٦٤٠ [سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول: « أنذرتكم النار » حتى لو ان رجلاً كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا ، قال حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه] .

وروى مسلم عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ ٦٤١ [ان أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً.] وقوله تعالى ﴿ لا يصلاها إلا الأشقى ﴾ إي لايدخلها دخولاً يحيط به من جميع جوانبه إلاّ الأشقى. ثم فسره ﴿ الذي كذب ﴾ أي بقلبه ﴿ وتولّى ﴾ أي عن العمل بجوارحه وأركانه . وروى الامام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :٦٤٢ [كلُّ أمتي تدخل الجنة يوم القيامة إلاّ من أبى. قالوا: ومن يأبىٰ يا رسول الله ؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبىٰ] ورواه البخاري .

وقوله تعالى : ﴿ وسيجنّبها الأتقى ﴾ أي وسيزحزح عن النار التقى النقي الأتقى ثم فسره بقوله ﴿ الذي يؤتي ماله يتزكّىٰ ﴾ أي يصرف ماله في طاعة ربه ليُزكي نفسُه وماله وما وهبه من دين ودنيا ﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى ﴾ أي ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفاً، فهو يعطي في مقابلة ذلك ، وانما دفعه ذلك ﴿ ابتغاء وجه ربّه الأعلى ﴾ أي طمعاً في أن يحصُل له رؤيته في روضات الجنة . قال الله تعالى ﴿ ولسوف يرضى ﴾ أي ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات .

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حتى أن بعضَهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك ، ولا شك انه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها ، فإن لفظها لفظ العموم. وهو قوله تعالى: ﴿ وسيجنبها الأتقىٰ الذي يؤتي ماله يتزكّى– وما لأحدٍ عنده من نعمةٍ تجزىٰ ﴾ ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الصفات وسائر الأوصاف الحميدة فإنه كان صدّيقاً تقيّاً كريماً جواداً بذّالاً لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسوله ﷺ. رضي الله عنه وأرضاه .

آخر اختصار تفسير سورة الليل ولله الحمد والمنة .



نزلت بعد سورة الفجر

روى الامام أحمد بسنده عن الأسود بن قيس قال سمعت جندباً يقول : ٦٤٣ [اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتت امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك. فانزل الله عز وجل ﴿ والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى ﴾) رواه البخاري ومسلم والترمذي .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۞ (١) وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۞ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۞ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۞ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۞ (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ ۞ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَىٰ ۞ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ۞ (٨) فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۞ (٩) وَأَمَّا ٱلسَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۞ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۞ (١١) ﴾

ذكر بعض السلف منهم ابن اسحق أن هذه السورة هي التي أوحاها جبريل إلى رسول الله ﷺ حين تبدي له في صورته التي خلقه الله عليها . ودنا اليه وتدلى منهبطاً عليه وهو بالأبطح : ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ قال : قال له هذه السورة : ﴿ والضحى والليل إذا سجى ﴾ وعن ابن عباس : ٦٤٤ [لما نزل على رسول الله ﷺ

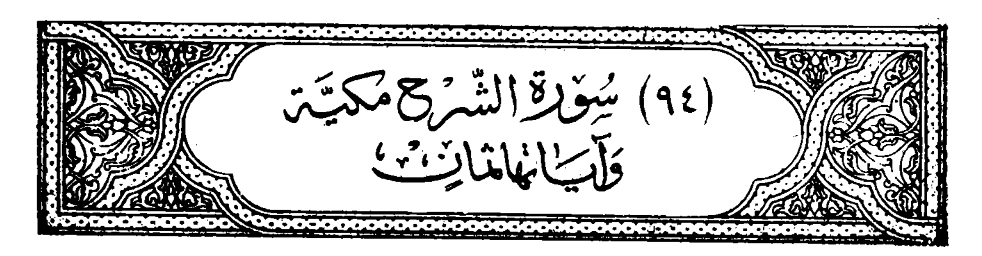
القرآن أبطأ عنه جبريل أياما فتغيـّر بذلك فقال المشركون : ودّعه ربه وقلاه. فأنزل الله: ﴿ ما ودَّعك ربّك وما قلَى ﴾] وهذا قسَم منه بالضحى وما جعل فيه من الضياء ﴿ والليل إذا سجىٰ ﴾ أي سكن فأظلم. كما قال تعالى : ﴿ فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمرَ حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ما ودّعك ربُّك ﴾ أي ما تركك ﴿ وما قلىٰ ﴾ أي ما أبغضك . ﴿ وللآخرة خير لك من الأولىٰ ﴾ أي وللدار الآخرة خير لك في هذه الدار ومعلوم من سيرته بالضرورة أنه كان عليه الصلاة والسلام أزهد الناس في الدنيا . وقد روى الإمام أحمد بسنده إلى عبد الله بن مسعود قال : ٦٤٥ [اضطجع رسول الله ﷺ على حصير فأثّر في جنبه ، فلمـــا استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت : يا رسول الله ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير فقال رسول الله ﷺ ما لي وللدنيا إنّما مثَلي ومثَل الدنيا كراكبٍ ظَلّ تحت شجرة ثم راح وتركها] ورواه ابن ماجه . والترمذيّ وقال حسن صحيح .

وقوله تعالى : ﴿ ولسوف يعطيك ربّك فترضى ﴾ اي في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيَـهُ في أمته من الشفاعة فيهم. وروى ابو عمرو الأوزاعي عن عبدالله بن عباس: ٦٤٦ [عُرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزاً كنزاً فسُرّ بذلك فأنزل الله سبحانه : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾] ثم قال تعالى يعدّد نعمه على عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه ﴿ ألم يجدك يتيماً فآوى ﴾ وذلك أن أباه توفي وهو حمْل في بطن أمه. ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب، وله من العمر ست سنين. ثم كان في كفالة جدّه عبد المطلب إلى أن تُوفّي ، وله من العمر ثمان سنين. فكفله عمه أبو طالب ، ثم لم يزل يحوطهُ وينصره ويرفع من قدره ويوقّره ويكفّ عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره ، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان ، وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره إلى أن تُوفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل ... فاجترأ عليه سفهاءُ قريش وجهالهم فاختار الله له الهجرة إلى بلد الأنصار ؛ فلما وصل اليهم آووه ونصروه وأحاطوه وقاتلوا بين يديه رضي الله عنهم أجمعين. وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به . وقوله تعالى : ﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾ كقوله : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾ الآية وقوله تعالى: ﴿ ووجدك عائلاً فأغنى ﴾ أي كنت فقيراً ذا عيال فأغناك الله عمّن سواه فجمع له بين مقامي ثواب الصبر والشكر وفي

الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : ٦٤٧ [ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس] وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ : ٦٤٨ [قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافاً ، وقنعه الله بما آتاه] .

ثم قال تعالى : ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر ﴾ أي كما كنت يتيماً فآواك الله فلا تقهر اليتيم أي لا تذله وتنهره، ولكن أحسن اليه وتلطف به ﴿ وأما السائل فلا تنهر ﴾ أي وكما كنت ضالاً فهداك الله فلا تنهر السائل في العلم المسترشد ﴿ واما بنعمة ربك فحدّث ﴾ أي وكما كنت عائلاً وفقيراً فأغناك الله فحدّث بنعمة الله عليك. كما جاء في الدعاء المأثور النبوي ٦٤٩ [واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتمها علينا .] وقال ابو داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال ٦٥٠ [لا يشكر الله من لا يشكر الناس] .

آخر اختصار تفسير سورة الضحى ولله الحمد والمنة



نزلت بعد سورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم



﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۞ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۞ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۞ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۞ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ۞ (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ۞ (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۞ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ۞ (٨)﴾

يقول تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ يعني إنَّا شرحنا لك صدرك أي نوّرناه وجعلناه فسيحاً رحيباً واسعاً. كقوله: ﴿فمن يرد الله أن يهديَه يشرحْ صدره للإسلام﴾ وكما شرح الله صدرك كذلك جعل شرعه فسيحاً واسعاً، سمحاً سهلاً، لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق. وقوله تعالى: ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ بمعنى ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ وقوله تعالى ﴿الذي انقض ظهرك﴾ اي الذي أثقلك حمله. وقوله تعالى: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ أي لا أُذكَرُ إلا ذُكِرتَ معي: (أشهد أن لا إلَه إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله.)

وقال حسان بن ثابت من قصيدة له:

أغرُّ عليه للنبـوة خاتـــم	مَن اللهِ مِنْ نورٍ يلوحُ ويشهدُ
وضَمَّ الإلهُ اسمَ النبيّ إلى اسمه	إذا قالَ في الخمسِ المؤذنُ أشهدُ
وشَقَّ لهُ مِن اسْمِهِ ليُجِلّهُ	فذُو العرشِ محمودٌ وهذا محمّدُ

وقوله تعالى : ﴿ فإن مع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا ﴾ أُخبر تعالى أنّ مع العسر يوجد اليسر، ثم أكّد هذا الخبر . وروى ابن أبي حاتم عن عائذ بن شريح قال: سمعت أنس بن مالك يقول ٦٥١ [كان النبي جالساً وحياله حجر ، فقال : « لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتّى يدخل عليه فيخرجه » فأنزل الله عز وجل ﴿ فإن مع العسر يسراً إنّ مع العسر يسرا ﴾]

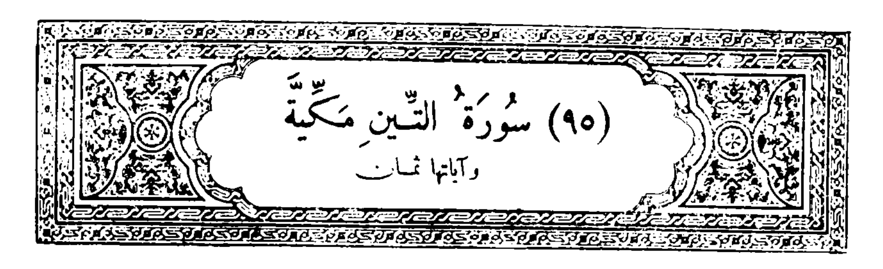
قال الشاعر :

ولرب نازلةٍ يضيقُ بها الفتَـي ذرْعاً وعنـد الله منها المخرجُ
كملتْ فلما استحكمت حلقاتها فُرجتْ وكان يظنُّها لا تفـرجُ

وقوله تعالى : ﴿ فإذا فرغتَ فانصب . وإلى ربّك فارغب ﴾ أي إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها،فانصب إلى العبادة،وقم إليها نشيطاً فارغَ البال وأخلصْ لربّك النيّة والرغبة. ومن هذا القبيل قوله ﷺ في الحديث المتّفق على صحته: ٦٥٢ [لا صلاةَ بحضرة طعام ولاوهو يدافعه الأخبثان] .

وقوله :٦٥٣ [اذا أقيمتِ الصلاة وحضر العَشاء فابدأوا بالعَشاء] .

آخر اختصار تفسير سورة الأنشراح ولله الحمد والمنة .



نزلت بعد سورة البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * (١) وَطُورِ سِينِينَ * (٢) وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ * (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ * (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ * (٨)

روى مالك وشعبة عن البراء بن عازب : ٦٥٤ [كان النبي ﷺ يقرأ في سفره في أحدى الركعتين بـ﴿ والتين والزيتون ﴾ فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه] أخرجه الجماعة ﴿ والتين والزيتون وطورسينين . وهذا البلد الأمين ﴾ التين والزيتون محلة التين والزيتون وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى عليه السلام . ﴿ وطورسينين ﴾ وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام ﴿ وهذا البلد الأمين ﴾ هو مكة البلد الذي من دخله كان آمناً وهو الذي أرسل فيه محمداً ﷺ .

وقالوا في آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة : « جاء الله من طور سيناء يعني الذي كلّم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام وأشرق من ساعير يعني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى عليه السلام ، واستعلن من جبال فاران يعني جبال مكة التي أرسل الله منها محمداً ﷺ » فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان ، ولهذا أقسم بالأشرف ثم الأشرف منه ثم الأشرف منهما .

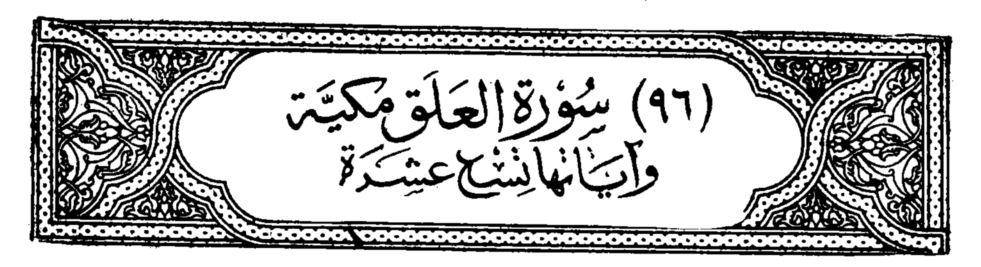
وقوله : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ هذا هو المقسم عليه وهو أنه تعالى

خلق الانسان في أحسن صورة ، وشكل منتصب القامة سوي الأعضاء حسنها ﴿ ثم رددناه أسفل سافلين﴾ أي إلى النار إن لم يطع الله ويتّبع الرسل. ولهذا قال: ﴿ إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ قال بعضهم ﴿ أسفل سافلينَ ﴾ أي أرذل العمرِ ولو كان هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك لأن الهرم قد يصيب بعضهم إنّما المراد ما ذكرناه أي إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل . كقوله تعالى: ﴿ والعصر إنّ الإنسان لفي خسر إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات.﴾ وقوله تعالى : ﴿ فلهم أجرٌ غير ممنون ﴾ أي غير مقطوع كما تقدم .

ثم قال : ﴿ فما يكذّبك ﴾أي يا ابن آدم ﴿ بعد بالدّين ﴾ اي بالجزاء في المعاد . ولقد علمت البداءة ، وعرفت أن من قدر على البداءة فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى ، فأيّ شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا ...؟ والخطاب هنا للإنسان المكذّب .. وقوله تعالى : ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ أي أما هو احكم الحاكمين الذي لا يجور ولا يظلم أحداً، ومن عدله أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدنيا ممن ظلمه .

وفي الحديث عن أبي هريرة مرفوعاً: ٦٥٥ [فإذا قرأ احدكم ﴿ والتين والزيتون ﴾ فأتى على آخرها ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ فليقل : بلى وإنا على ذلك من الشاهدين]

آخر اختصار تفسير سورة ﴿ والتين والزيتون ﴾ ولله الحمد والمنة .



وهي أول سورة نزلت من القرآن في غار حراء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۞ (٥) ﴾

إن أول ما نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات ، وهن أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الانسان من علقة. وإن من كرمه تعالى أن علّم الإنسان ما لم يعلم، فشرّفه وكرّمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البريّة آدم على الملائكة . والعلم تارة يكون في الأذهان ، وتارة يكون باللسان ، وتارة يكون في الكتابة بالبنان ذهني ولفظي ورسمي. والرسمي يستلزمها من غير عكس فلهذا قال: ﴿ اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم ﴾.» وفي الأثر: ٦٥٦ [قيّدوا العلمَ بالكتابة] وفيه :٦٥٧ [من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم] .

وحديث ابتداء الوحي: روى الأمام أحمد عن عائشة قالت ٦٥٨ [أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي: الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا وجاءت كفلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتي حراء ، فيتحنّث- وهو التعبّد - فيه الليالي ذوات العدد

ويتزوّد لذلك. ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها، حتى فجأه الوحي وهو في غار حراء. فجاءه الملك فيه، فقال: اقرأ... قال رسول الله ﷺ: فقلت: ما أنا بقارىء – قال: – فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: إقرأ... فقلت: ما أنا بقارىء. فغطني الثانية حتى بلغ من الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: ﴿ اقرأ بسم ربك الذي خلق – حتى بلغ – ما لم يعلم ﴾ قال: فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال « زمّلوني زمّلوني » فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال: « يا خديجة مالي ؟ » وأخبرها الخبر وقال: وقد خشيتُ على نفسي فقالت له: كلاّ أبشر.. فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرّحم وتصدق الحديث، وتحمل الكَلّ، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة حتى أتت ورقةَ بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى بن قصي. وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرأً قد تنصّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربيّ، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت خديجة: إي ابنَ عم: اسمع من ابن أخيك. فقال ورقة: ابن أخي ما ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى فقال ورقة: هذا الناموس الذي أُنزل على موسى، ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حيّاً حين يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: « أو مخرجيَّ هم ؟ » فقال ورقة: نعم. لم يأت رجل قط بما جئت به إلاّ عودي. وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزّراً.

ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردّى من رؤوس شواهق الجبال، فكلّما أوفى بذروة جبل لكي يلقيَ نفسه منه تبدّى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً. فيسكن بذلك جأشه وتقرّ نفسه فيرجع. فإذا طالت عليه فترة الوحي، غدا لمثل ذلك. فإذا أوفى بذروة الجبل تبدّى له جبريل فقال له مثل ذلك]. وهذا الحديث مخرج في الصحيحَين من حديث الزهري.

﴿ كَلَّا إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ (٦) أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝ (٨) أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝ (١٠) أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝ (١١) أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝ (١٢) أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝ (١٤) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝ (١٥) نَاصِيَةٍ

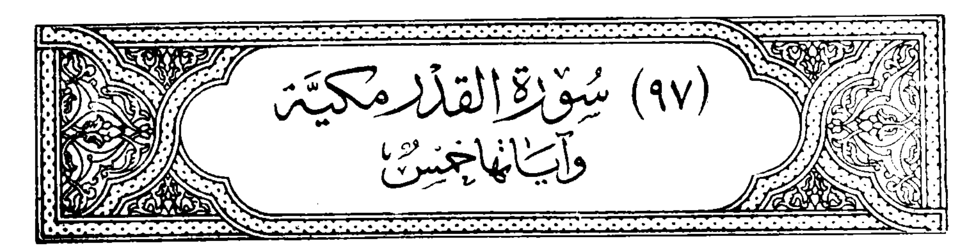


كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۞ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۞ (١٧) سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۞ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِبْ ۞ (١٩)

يخبر تعالى عن الإنسان انه ذو طغيان ، إذا رأى نفسه قد كثر ماله ثم تهدده فقال : ﴿ إنّ الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى. إنّ إلى ربّك الرجعى ﴾ أي إلى الله المصير والمرجع ، وسيحاسبك على مالك من أين جمعته ، وفيم صرفته . وقد روي حديث مرفوع : ٦٥٩ منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب دنيا .] ثم قال : ﴿ أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلّى ﴾ نزلت في أبي جهل لعنه الله توعد النبي ﷺ على الصلاة عند البيت . ثم قال : ﴿ أرأيت إن كان على الهدى ﴾ يعظ أبا جهل بالحسنى أولاً أي فما ظنّك يا أبا جهل إن كان هذا الذي تنهاه ، على الطريق المستقيمة في فعله . ﴿ أو أمر بالتقوى ﴾ بقوله . وأنت تزجره وتتوعّده على صلاته . ولهذا قال: ﴿ ألم يعلم بأن الله يرى ﴾ أي أما علم ان الله يراه ويسمع كلامه ، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء؟ ثم قال مهدداً: ﴿ كلاّ لئن لم ينته ﴾ أي ان لم يرجع عن عناده ﴿ لنسفعاً بالناصية ﴾ لنسمنّها سواداً يوم القيامة ثم قال : ﴿ ناصية كاذبة خاطئة ﴾ كاذبة في مقالها خاطئة في أفعالها ﴿ فليدع ناديه ﴾ أي قومه يستنصر بهم ﴿ سندع الزبانية ﴾ وهم ملائكة العذاب حتى يعلم من يغلب أحزبنا أو حزبه .

روى البخاري عن ابن عباس قال: ٦٦٠ [قال أبو جهل : لئن رأيتُ محمداً يصلي عند الكعبة لأطأنّ على عنقه . فبلغ النبي ﷺ فقال : « لئن فعل لأخذته الملائكة »] وقوله تعالى : ﴿ كلاّ لا تطعه ﴾ يعني يا محمد لا تطعه فيما ينهاك عنه ، وصلّ حيث شئت والله حافظك وناصرك وعاصمك من الناس ﴿ واسجد واقترب ﴾ كما ثبت في الصحيح ـ صحيح مسلم ـ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ٦٦١ [أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء] وتقدم أيضاً أن رسول الله ﷺ وسلم كان يسجد في ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ و ﴿ اقرأ بسم ربك الذي خلق ﴾

آخر اختصار تفسير سورة العلق ولله الحمد والمنة .



نزلت بعد سورة عبس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ (٢) لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ (٣) تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝ (٥) ﴾

﴿ إنّا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ أي إنا أنزلنا القرآن في ليلةٍ مباركةٍ هي ليلة القدر وهي في شهر رمضان المبارك [1] وقد نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا. ثم نزل شيئاً فشيئاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ ﴿ وما أدراك ما ليلة القدر ﴾ هذا تعظيم لشأن هذه الليلة التي اختصها الله بإنزال القرآن العظيم فيها لا سيما وهي: ﴿ خير من ألف شهر ﴾ أي ان عملاً فيها خير من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر. وذلك كقوله ﷺ: ٦٦٢ [رباط ليلةٍ في سبيل الله خير من الف ليلة مما سواه من المنازل] رواه أحمد. وروى أبو هريرة قال: لما جاء رمضان قال رسول الله ﷺ ٦٦٣ [قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغلُّ الشياطين؛ فيه ليلةٌ خير من ألف شهر. من حُرِمَ خيرُها فقد حُرِم] ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها الف شهر. ثبت

(١) قلت: وذلك خلافاً لما يقولون انها في نصف شعبان وليس من دليل صحيح معهم. راجع تعليقنا بأول سورة الدخان.

في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ٦٦٤ [من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه] .

وقوله تعالى : ﴿ تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ﴾ أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها والملائكة يتنزّلون مع تنزّل البركة والرحمة. كما يتنزّلون عند قراءة القرآن ، ويحيطون بحلق الذكر[1] ، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم الصادق تعظيماً له . وأما الرّوح فالمراد به جبريل عليه السلام وقوله ﴿ سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾ أي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءً أو يعمل فيها أذى وتقضى فيها الأمور وتقدّر فيها الآجال والأرزاق. كما قال تعالى : ﴿ فيها يُفرّق كلُّ أمرٍ حكيم ﴾ [2] وقيل أن الملائكة تنزل وتمرُّ بالمصلين ليلة القدر وتسلم عليهم حتى مطلعِ الفجر .

في أي ليلةٍ هي ...؟

١ – وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : ٦٦٥ [ليلة القدر في العشر البواقي– من رمضان من قامهن ابتغاء حسبتهن فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهي ليلة وتر : تسع ، سبع ، خامسة ، أو ثالثة .]

٢ – وروى مسلم في صحيحه عن أبيّ بنِ كعب عن رسولِ الله ﷺ : ٦٦٦ [إنّها ليلةُ سبعٍ وعشرين] .

٣ – وعن معاوية وابنِ عمر وابنِ عباس وغيرِهم عن رسولِ الله ﷺ : ٦٦٧ [انها ليلة سبع وعشرين] .[3]

٤ – وقد حكى بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن من قوله ﴿ هي ﴾ لأنها الكلمة السابعة والعشرون من السورة والله أعلم .

أمارتها :

قال رسول الله ﷺ ٦٦٨ [إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بَلْجَةٌ كأن فيها قمراً ساطعاً ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر ولا يحل لكوكب يرمي به حتى يصبح .] وإنّ أمارتها : ٦٦٩ [أن الشمس صبيحتها تخرج مستويةً ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ولا يحلّ للشيطان ان يخرج معها يومئذٍ] وهذا إسناد حسن .

آخر اختصار تفسير سورة القدر ولله الحمد والمنة .

---

(١) قلت : يعني حِلَق العلم ، وقراءة القرآن ، لا حلق الرقص كما تفعل الطرق الصوفية اليوم (٢ و ٣) فما قول من لا يزالون يقولون أنها في (١٥) شعبان اعتقد انهم سيرجعون عن قولهم هذا بعد اطلاعهم على قول الله وأقوال رسوله (ص).



نزلت بعد سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ * (١) رَسُولٌ مِنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً * (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ * (٣) وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ * (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ * (٥) ﴾

روى الامام أحمد بسنده إلى عمار بن أبي عمار قال: سمعت أبا حبّة البدري وهو وهو مالك بن عمرو بن ثابت الأنصاري قال : ٦٧٠ [لما نزلت : ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ... ﴾ قال جبريل : يا رسول الله إن ربك يأمرك ان تقرئها (أبيّاً) فقال النبي ﷺ لأبيّ : إن جبريل أمرني أنْ أُقرئك هذه السورة . قال أبيٌّ وقد ذُكرتُ ثمَّ يا رسول الله ؟ قال : نعم قال : فبكى أبي]

حديث آخر :

وروى الإمام أحمد بسنده إلى أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ لأبي بنِ كعب ٦٧١ [إن الله أمرني أن أقرأ عليك : ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ... ﴾

قال : وسمّاني لك ؟ قال : نعم . فبكى .] ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث شعبة به .

وروى الحافظ أبو موسى المديني ، وابن الأثير ، من طريق الزهري عن اسماعيل بن أبي كلثم عن مطر المزني - أو المدني - عن النبي ﷺ : ٦٧٢ [إن الله يسمع قراءة : ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ ويقول : أبشر عبدي ، فوعزتي لا أنساك على حال من أحوال الدنيا والآخرة ولأمكننّ لك في الجنّة حتّى ترضَى] . .

أمّا أهل الكتاب: فهم اليهود والنصارى. والمشركون : عبدة الأوثان والنيران من العرب والعجم . قال مجاهد : لم يكونوا ﴿ منفكّين ﴾ يعني منتهين حتّى يتبيّن لهم الحق ﴿ حتّى تأتيهم البينة ﴾ أي هذا القرآن ثم فسر البينة بقوله ﴿ رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة ﴾ يعني محمداً ﷺ وما يتلوه من القرآن العظيم . وقوله تعالى : ﴿ فيها كتب قيّمة ﴾ أي عادلة مستقيمة ليس فيها خطأ لأنها من عند الله عز وجلّ .

وقوله تعالى : ﴿ وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلاّ من بعد ما جاءتهم البيّنة ﴾ يعني بذلك أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا ، بعدما أقام الحجج والبينات تفرقوا واختلفوا في الذي أراده الله من كتبهم. وقوله تعالى: ﴿ وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ كقوله: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنّه لا إلَه إلاّ أنا فاعبدون ﴾ ولهذا قال : ﴿ حنفاء ﴾ أي متحنفين من الشرك إلى التوحيد وقد تقدم « الحنيف » في سورة الأنعام [1] بما أغنى عن إعادته ههنا ﴿ ويقيموا الصلاة ﴾ وهي أشرف عبادات البدن ﴿ ويؤتوا الزكاة ﴾ وهي الإحسان إلى الفقراء ﴿ وذلك دين القيّمة ﴾ أي الملة القائمة العادلة وقد استدل كثير من الأئمة كالزهري والشافعي بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة في الإيمان

۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ❁ (٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ❁ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ

(١) راجع سورة الأنعام آية /٧٩/ ج /٢/ من هذا المختصر .

جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۞ (٨)

يخبر تعالى عن كفَرةِ أهلِ الكتاب ، والمشركين أنهم خالدون في جهنم ﴿ أولئك هم شرّ البريَّة ﴾ أي شرّ الخليقة . ثم أخبر سبحانه عن حال الذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصالحات بأبدانهم ، بأنّهم خير البريَّة وقد استدل أبو هريرة بهذه الآية ومعه طائفة من العلماء على تفضيل المؤمنين من البريّة على الملائكة لقوله : ﴿ أولئك هم خير البريّة ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ جزاؤهم عند ربهم ﴾ أي يوم القيامة ﴿ جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ﴾ أي بلا انفصال ولا انقطاع ولا فراغ ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ ومقام رضاه عنهم ، أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم ﴿ ورَضُوا عنه ﴾ فيما منحهم من الفضل العميم .

وقوله تعالى : ﴿ ذلك لمن خشي ربَّه ﴾ أي هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتّقاه ، وعبده كأنّه يراه .

روى الامام أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ٦٧٣ [ألا أخبركم بخير البريَّة ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال : رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما كانت هيعة استوى عليه . ألا أخبركم بخير البريَّة ؟ قالوا بلى يا رسول الله : قال : رجل في ثلة من غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة . ألا أُخبركم بشر البرية ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال : الذي يُسأل بالله ولا يعطي به] .

آخر اختصار تفسير سورة البيّنة ولله الحمد والمنة .



نزلت بعد سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞ (١) وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۞ (٢) وَقَالَ ٱلْإِنسَانُ مَا لَهَا ۞ (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞ (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۞ (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۞ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۞ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۞ (٨) ﴾

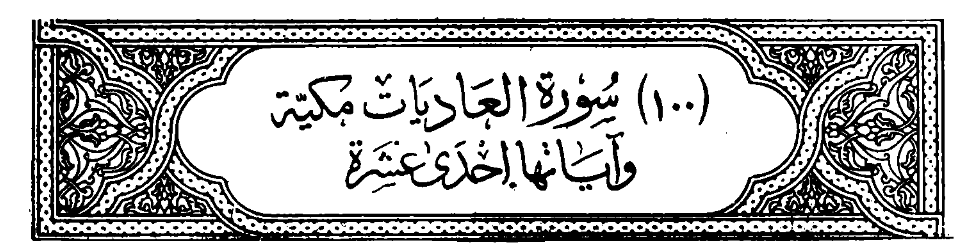
قال ابنُ عباس ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ أي تحركت من أسفلها ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ يعني ألقت ما فيها من الموتىٰ ، قاله غير واحد من السلف وهذه كقوله تعالى : ﴿ وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت ﴾ وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : ٦٧٤ [تلقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضّة ، فيجيء القاتل فيقول . في هذا قتلت. ويجيء القاطع فيقول في هذا قُطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعتْ يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه

شيئاً] . وقوله عزّ وجل : ﴿ وقال الإنسان ما لها ﴾ أي استنكر أمرها فبعدما كانت ثابتةً صارت مضطربة ثم ألقت ما في جوفها من الأموات الأولين والآخرين وقوله تعالى : ﴿ يومئذٍ تحدّث أخبارها ﴾ أي تحدث بما عمل العاملون على ظهرها فقد روى الإمام أحمد بسنده إلى أبي هريرة قال ٦٧٥ [قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ قال : أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم. قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبدٍ وأمَةٍ بما عَمِل على ظهرها أن تقول : عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذه أخبارها] ورواه الترمذيّ وقال حديث حسن صحيح غريب .

وقوله تعالى : ﴿ بأن ربكَ أوحىَ لها ﴾ بمعنى أوحى إليها أي أمرها أن تنشقّ عنهم فانشقّت ، وأن تقول فقالت : ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ﴾ أي فِرقاً وأنواعاً وأصنافاً بين شقيّ وسعيد ﴿ ليرُوا أعمالَهم ﴾ أي ليعملوا ويجازوا بما عملوا خيراً أو شراً ولهذا قال : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يرَه ومن يعمل مثقال ذرّةٍ شراً يره ﴾ . روى الإمام أحمد بسنده عن الحسن ٦٧٦ [عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه ﴿ فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره ﴾ قال : حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها] .

وفي صحيح البخاري عن عدي مرفوعاً : ٦٧٧ [اتقوا النار ولو بشقّ تمرة ، ولو بكلمة طيّبة] وله أيضاً في الصحيح ٦٧٨ [لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تُفرغ من دَلْوِكَ في إناءِ المستسقي ، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط] . وفي الصحيح أيضاً ٦٧٩ يامعشر نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة] يعني ظلفها . وفي الحديث الآخر ٦٨٠ [ردّوا السائل ولو بظلف محرقٍ] وروى الإمام أحمد عن عائشة ان النبي ﷺ كان يقول ٦٨١ [يا عائشة اياك ومحقراتِ الذنوب فإن لها من الله طالباً] وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود : ان رسول الله ﷺ قال : ٦٨٢ [إياكم ومحقراتِ الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنَه ...]

آخر اختصار تفسير سورة « إذا زلزلت» ولله الحمد والمنة .



نزلت بعد سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلْعَادِيَاتِ ضَبْحاً ۞ (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً ۞ (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً ۞ (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً ۞ (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً ۞ (٥) إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۞ (٦) وَإِنَّهُ عَلَى ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۞ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۞ (٨) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۞ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۞ (١٠) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ۞ (١١)

يقسم تعالى: بالخيل إذا أجريت في سبيله فعدت وضبحت وهو الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو ﴿فالموريات قدحاً﴾ يعني اصطكاك نعالها بالصخر فتقدح منه النار. ﴿فالمغيرات صبحاً﴾ يعني الإغارة وقت الصباح ٦٨٣ [كان رسول الله ﷺ يغير صباحاً ويستمع الأذان فإن سمع أذاناً وإلا أغار]. وقوله تعالى: ﴿فأثرن به نقعاً﴾ يعني غباراً في مكان معترك الخيول ﴿فوسطن به جمعاً﴾ أي توسطن ذلك المكان كلهن وعن علي ابن أبي طالب أنها الإبل. وعن ابن عباس هي الخيل فبلغ علياً قول ابن عباس فقال: ما كانت لنا خيل يوم بدر. وما كان معنا إلاّ فرسان: فرس للزبير وفرس للمقداد؛ فكيف تكون العاديات ضبحاً؟ إنما العاديات ضبحاً من عرفة الى المزدلفة، فإذا أووا إلى

المزدلفة أوروا النيران . قال ابن عباس : فنزعت عن قولي ، ورجعت إلى الذي قال علي رضي الله عنه . قال ابن جرير والصواب أنهـا الخيل حين تقدح بحوافرها[1] ﴿ إن الإنسان لربه لكنود ﴾ أي انه لنعم ربه لكفور جحود . والكنود الكفور . وقال الحسن هو الذي يعد المصائب وينسى نعم الله عليه . ﴿ وإنه على ذلك لشهيد ﴾ أي إن الإنسان على كونه كنوداً لشهيد أي بلسان حاله . وقوله تعالى : ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾ أي انه لحب المال لشديد أو حريص بخيل من محبة المال وكلاهما صحيح .

ثم قال تعالى مزهّدا في الدنيا ومرغّباً في الآخرة : ﴿ أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور ﴾ أي أخرج ما فيها من الأموات ﴿ وحصّل ما في الصدور ﴾ قال ابن عباس وغيره يعني أبرز وأظهر ما كانوا يُسِرُّون في نفوسهم ﴿ إن ربهم بهم يومئذ لخبير ﴾ أي لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون ويجازيهم عليه أوفر الجزاء ولا يظلم مثقال ذرّة .

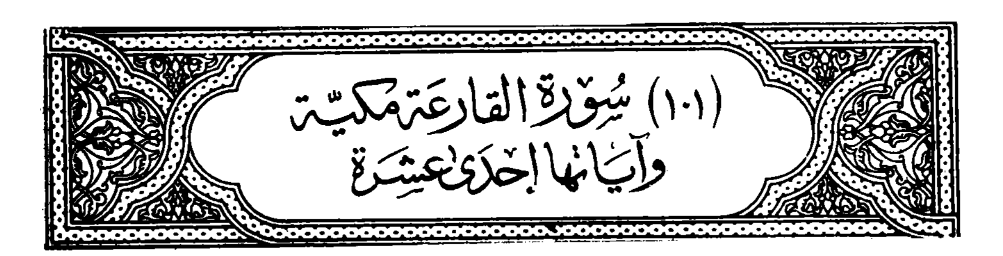
آخر اختصار تفسير سورة العاديات ولله الحمد والمنّة .

---

(١) قلت : ونحن مع ابن عباس رضي الله عنه ، أنها الخيل ، - حتى ولو رجع عن قوله إلى قول علي رضي الله عنه من أنها الإبل ... - لأننا إذا قلنا انها الإبل تصبح من عرفة إلى مزدلفة ، فهذا وصف مخالف للوصف الوارد في الآية ١ـ لأن الإبل لا تقدح النار من خفافها... ٢ـ لأن الدفع من عرفة إلى مزدلفة إنّما هو عند الغروب بينما الآية تقول : « فالموريات قدحاً * فالمغيرات صبحاً » .

٣ - أما تفسير « فالموريات قدحاً » : (بأن الناس إذا أووا إلى المزدلفة أوروا النيران) فالآية تقول (فالموريات قدحاً) بالتأنيث ولو كان المراد الناس لقال : فالمورين قدحاً .

٤ - قوله تعالى (فالمغيرات صبحاً) يدل على شدة العدو لان الإغارة تتطلب الغاية القصوى في العدو والجري على الأعداء . بينما الدفع من عرفة إلى مزدلفه ، ومن مزدلفة إلى منى ، لا يكون إغارة... بل على العكس فان النبي صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين بالسكينة في مشيهم ، والسكينة عكس الإغارة . وهكذا يتضح أن المراد من العاديات الخيل لا الإبل والله تعالى أعلم وهو الموفق للصواب .



نزلت بعد سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

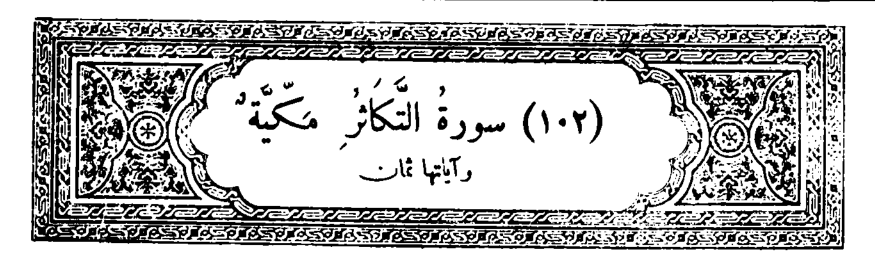
﴿ الْقَارِعَةُ ۞ (١) مَا الْقَارِعَةُ ۞ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۞ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۞ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۞ (٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۞ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۞ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۞ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۞ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ ۞ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ ۞ (١١) ﴾

القارعة من أسماء يوم القيامة كالحاقة والطامة والصاخّة والغاشية وغير ذلك. ثم قال تعالى معظّماً أمرها ﴿ ما القارعة وما أدراك ما القارعة ﴾ ثم فسّر ذلك بقوله : ﴿ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ﴾ في انتشارهم وتفرقهم من حيرتهم مما هم فيه كقوله : ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ أي كالصوف المنفوش الذي شرع في التمزق . ثم أخبر تعالى : عما يؤول إليه عمل العاملين من الكرامة والإهانة بحسب عملهم. فقال : ﴿ فأما من ثقلت موازينه ﴾ أي رجحت حسناته على سيآته ﴿ فهو في عيشة راضية ﴾ يعني في الجنة ﴿ وأما من خفّت موازينه ﴾ أي رجحت سيآته على حسناته ﴿ فأمّهُ هاوية ﴾ فهو ساقط هاوٍ بأم رأسه في جهنم . وقيل معناه : فأمّه

فأمّه التي يرجع اليها في المعاد كأنها الهاوية، أو هي الهاوية، وهي اسم من أسماء النار. قال ابن جرير وإنما قيل للهاوية أمّه لأنه لا مأوى له غيرها . ولهذا قال تعالى مفسّراً للهاوية ﴿ وما أدراك ما هية نار حامية ﴾ أي حارة شديدة الحر قوية اللهب والسعير . روى ابو مصعب بسنده إلى أبي هريرة أن النبي ﷺ قال ٦٨٤ [نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزء من نار جهنم قالوا يا رسول الله إن كانت لكافية فقال إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءً] ورواه البخاري ومسلم وفي بعض ألفاظه : ٦٨٥ [انها فضلت عليها بتسعة وستين جزءً كلهن مثل حرها] .

وثبت في الصحيحَين أن رسول الله ﷺ قال ٦٨٦ [اشتكت النار فقالت يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفَسَيْن نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها وأشدّ ما تجدون في الصيف من حرها] .

آخر اختصار تفسير سورة القارعة ولله الحمد والمنة .



نزلت بعد سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلْهَاكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ في الأولاد والأموال ، وشغلتكم الدنيا عن الآخرة. ﴿ حتى زرتم المقابر ﴾ أي حتى جاءكم الموت. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ٦٨٧[يقول العبد مالي مالي وإنما لهمن ماله: ما أكل فأفنى ، ولبس فأبلى ، أو تصدق فأمضى ، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس .] وفي الصحيحين عن أنس أن النبي ﷺ قال ٦٨٨ [يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والأمل]. وروى ابن عساكر في ترجمة الأحنف بن قيس (أنه رأى في يد رجل درهماً فقال لمن هذا الدرهم ؟ فقال الرجل: لي فقال: إنما هو لك اذا انفقته في أجر أو ابتغاء شكر . ثم أنشد متمثلاقول الشاعر

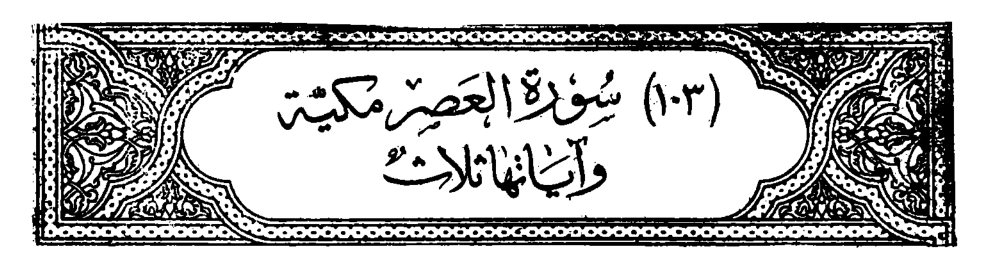
أنت للمال إذا أمسكته * فإذا انفقته فالمال لك

وقوله ﴿كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون ﴾ قال الحسن هذا وعيد بعد

وعيد ﴿كلاّ لو تعلمون علم اليقين﴾ أي لو علمتم حق العلم لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة حتى صِرتم إلى المقابر. ثم قال: ﴿لترونّ الجحيم ثم لترونّها عين اليقين﴾ هذا تفسير الوعيد المتقدم وهو قوله: ﴿كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون﴾ توعّدهم بهذا الحال. وهو رؤية أهل النار التي إذا زفرت زفرة واحدة خرّ كل ملك مقرب ونبيّ مرسل على ركبتيه من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال. وقوله تعالى: ﴿ثمّ لتسألنّ يومئذ عن النعيم﴾ أي ثم لتسألن يومئذٍ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك.

روى ابن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: [بينما أبو بكر وعمر جالسان إذ جاءهما النبيّ ﷺ فقال: ٦٨٩ «ما أجلسكما ههنا؟» قالا والذي بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلاّ الجوع. قال: «والذي بعثني بالحق ما أخرجني غيره.» فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار فاستقبلتهم المرأة فقال لها النبي ﷺ: اين فلان فقالت ذهب يستعذب لنا ماء. فجاء صاحبهم يحمل قربته فقال: مرحباً ما زار العباد شيء أفضل من نبي زارني اليوم. فعلّق قربته بكرب نخلة وانطلق فجاءهم بعِذق؛ فقال النبيُ ﷺ: «ألا كنت اجتنيتَ؟» فقال: أحببتُ أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم، ثم أخذ الشفرة فقال له النبي ﷺ: «إياك والحلوب» فذبح لهم يومئذ فأكلوا؛ فقال لهما النبي ﷺ: «لتُسألُنّ عن هذا يوم القيامة. أخرجكم من بيوتكم الجوع فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا .. فهذا من النعيم»] ورواه مسلمٌ وأبو يعلى وابن ماجه وقد رواه أهل السنن الأربعة. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ثم لتسألن يومئذٍ عن النعيم﴾ قال: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم. وهو قوله تعالى: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ وثبت في صحيح البخاريّ وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: ٦٩٠ [نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ] ومعنى هذا انهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين، لا يقومون بواجبهما. ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه، فهو مغبون.

آخر اختصار تفسير سورة التكاثر ولله الحمد والمنّة.



نزلت بعد سورة الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

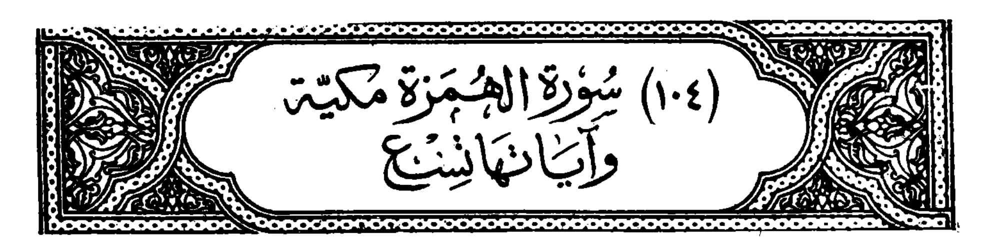
﴿ وَٱلْعَصْرِ ۞ (١) إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ (٢) إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۞ (٣) ﴾

﴿ والعصر ﴾ الزمان وقال زيد بن أسلم : صلاة العصر والمشهور الأول . فأقسم تعالى بذلك على ان الإنسان لفي خسارة وهلاك ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ فاستثنى من جنس الإنسان من الخسران الذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصالحات بجوارحهم ﴿ وتواصَوْا بالحقّ وتواصَوا بالصبر ﴾ أي على المصائب والأقدار وأذى من يؤذيه ممن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر .

وذكر عمرو بن العاص أنه وفد على مسيلمة الكذاب قبل أن يسلم عمرو فقال له مسيلمة ، ماذا نزل على صاحبكم في هذه المدة ؟ فقال : لقد نزل عليه سورة وجيزة بليغة. فقال : وما هي؟ فقال: ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصَوا بالحق وتواصَوا بالصبر ﴾ ففكر مسيلمة هنيهةً ثم قال : وقد أنزل عليّ مثلها . فقال له عمرو : وما هو ؟ فقال يا وبْر يا وَبْر وإنما أنت اذنان وصدر ، وسائرك حفر نقر ، ثم قال : كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو : والله إنك لتعلم أني أعلم أنك تكذب .

وقال الشافعي رحمه الله تعالى : لو تدبّر الناس هذه السورة لوسعتهم .

آخر اختصار تفسير سورة والعصر ولله الحمد والمنة .



(١٠٤) سُورَةُ الهُمَزَةِ مَكيَّة وآياتها تسع

نزلت بعد سورة القيامة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ۞ (١) ٱلَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۞ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) ۞ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ۞ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۞ (٥) نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۞ (٦) ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْئِدَةِ ۞ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۞ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۞ (٩)

﴿ ويل لكلّ همزة لمزة ﴾ الهمّاز بالقول، واللمّاز بالفعل. يعني يزدري الناس وينتقص بهم، وقد تقدم ذلك في قوله تعالى ﴿ همّازٍ مشّاءٍ بنميم ﴾ [١] قال ابن عباس همزة لمزة طعان معياب . قال قتادة : الهُمَزة واللمزَة لسانه وعينه ، ويأكل لحوم الناس ويطعن عليهم . وقال مجاهد الهمزة باليد والعين واللمزة باللسان [٢] وقوله تعالى: ﴿ الذي جمع مالاً وعدّده ﴾ أي جمعه بعضه على بعض وأحصى عدده. وقوله تعالى: ﴿ يحسب أنّ ماله أخلده ﴾ أي يظن أنّ جمعه المال يخلّده في هذا الدار ﴿كلاّ ﴾ أي ليس الأمر كما زعم. ثم قال ﴿ لينبذنّ في الحطمة ﴾ أي ليلقينّ في النار لأنها تحطم من فيها . ولهذا قال : ﴿ وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطّلع على الأفئدة ﴾ أي تحرقهم إلى

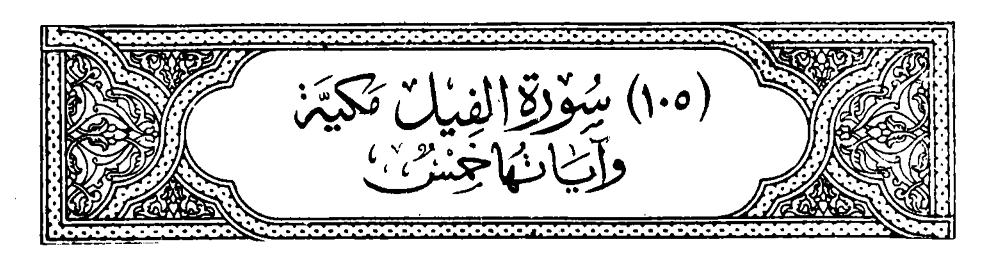
(١) راجع سورة القلم رقم /٦٨/ الآية رقم ١١ من هذا المجلد .

(٢) الهمزة المغتاب ، واللمزة العياب .

الأفئدة وهم أحياء . وقوله تعالى : ﴿إنها عليهم مؤصَدة﴾ أي مطبقةٌ كما تقدم تفسيره في سورة البلد [1] وقوله تعالى : ﴿في عمَدٍ ممدَّدة﴾ أي مؤصدة بعمد من نار ممدّدة .

آخر اختصار تفسير سورة الهمزة ولله الحمد والمنة .

(١) راجع سورة البلد عند قوله تعالى : « عليهم نار مؤصدة » .



نزلت بعد سورة (الكافرون)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ ٱلْفِيلِ * (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ * (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ * (٥) ﴾

﴿ ألم ترَ كيف فعل ربُّك بأصحاب الفيل ﴾ أصحاب الفيل هم الذين قدموا مع أبرهة الحبشي من اليمن لهدم الكعبة. فتولىّ تعالى وحده، الدّفاع عن بيته المحرم. وهذه من النعم التي امتّن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود . فأبادهم الله ، وأرغم آنافهم ، وخيب سعيهم ، وأضلّ عملهم ، وردّهم بشرِ خيبة . وكانوا قوماً نصارى وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأصنام ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال وأن الله لم ينصر قريشاً على الحبشة لخيريتهم عليهم ولكن صيانةً للبيت العتيق الذي شرفه الله وعظمه ووقره ببعثة خاتم الأنبياء محمد ﷺ .

موجز القصة : بنىٰ أبرهة الحبشيُ كنيسةً في صنعاءَ شاهقةً مزخرفةَ الأرجاء ، وقد عزم أن يصرف حج العرب إليها بدلاً من الكعبة ! ونادى بذلك في مملكته ؛ فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك...وغضبت قريش غضباً شديداً، حتى قصدها بعضهم وتوصّل

إلى دخول الكنيسة ليلاً «فأحدثَ فيها ...» وكرّ راجعاً فأخبر أبرهةُ بذلك ؛ فأقسم انه ليسيرنَّ إلى بيت مكة وليخربنّه حجراً حجراً . وذكر مقاتل بن سليمان أن فتيةً من قريش دخلوها وأجّجوا فيها ناراً وكان يوماً شديد الريح فاحترقت وسقطت إلى الأرض . فسار ابرهة في جيش كثيف عرمرم ، واستصحب فيلاً عظيماً كبير الجثة يقال له محمود ورأى العرب انه حقٌّ عليهم المحاجبة دون البيت فخرج « ذو نفر » في قومهِ وهو أحد أشراف اليمن وملوكِهم ولكن هزمَه أبرهة وأسره ، وكذلك اعترض أبرهة نفيل بن حبيب الخثعمي هو وقومه مدة شهرين فهزمهم ابرهةُ أيضاً وأسر نفيلاً وهم بقتله ثم عفا عنه واستصحبه ليدله في بلاد الحجاز ولما مر بالطائف صانعه أهلها وأرسلوا معه « أبا رغال » دليلاً فلمّا انتهى أبرهةُ بجيشه إلى (المغمّس) وهو قريب من مكة نزل به وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الإبل وغيرها فأخذوه وكان فيه مئتا بعير (لعبد المطلب) ، وأرسل أبرهة (حناطة الحميري) وأمره أن يأتيه بأشرفِ قريش ، ويخبرهم أنه لم يأت لحربهم ، إلاّ أن يصدّوه عن البيت. فعاد حناطة ومعه عبد المطلب فأجلَّه أبرهة ونزل عن السرير ، وجلس معه على البساط ، وسأله –بواسطة ترجمانه– عن حاجته فقال حاجتي ان يردَّ علي الملكُ مئتَيْ بعير أصابها لي . فقال أبرهة : أعجبتُ بمرآكَ وزهدني فيك كلامُك ! أتكلّمني في مئتي بعير أصبتُها لكَ ، وتتركُ بيتاً هو دينك ودين آبائك ، قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه ! !؟ فقال عبد المطلب : إني أنا ربّ الإبل وإن للبيت ربّاً سيمنعه» قال : ما كان ليمتنع منّي . قال أنتَ وذاك. ثم ردَّ أبرهةُ الإبل إلى عبدِ المطلب ﴿ ألم يجعل كيدهم في تضليل ﴾ ثم رجع إلى قريش فأمرهم بالتحصن في رؤوس جبال مكة تخوفاً عليهم من معرة الجيش ثم قام ومعه نفر من قريش يدعون الله فأخذ عبد المطلب بحلقه باب الكعبة وقال :

لا همَّ ان المرء يمنع رحله فامنع رحالَك ، لا يغلبنَّ صليبُهم ومحالُهم أبداً محالَك[1] .

ولما هيأ أبرهةُ فيلَه ووجَّهوه نحو مكة أقبل (نفيل بن حبيب) حتى قام إلى جنبه ثم أخذ بأذنه وقال : (أبركْ محمود... وارجع راشداً من حيث أتيت ، فإنك في بلد الله الحرام.) ثم أرسلَ أذنه فبرك الفيل. وخرج (نفيل) يشتد حتى أصعدَ في الجبل والتحق بقريش . أما أصحابُ الفِيل فضربوا الفيل ليقومَ ، فأبى ... وجعلوا لا يصرفونه إلى جهة من سائر الجهات إلاّ ذهب إليها واذا وجهوه إلى الحرم ربض .

﴿ وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصفٍ مأكول ﴾

---

(١) المحال : الكيد والمكر .

روى ابنُ أبي حاتم بسنده عن عبيد بن عمير قال : ولما أراد الله ان يُهلكَ أصحابَ الفيل بعث عليهم طيراً أُنشئت من البحر أمثال الخطاطيف كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار : حجرين في رجليه ، وحجراً في منقاره قال فجاءت حتى صفّت على رؤوسهم ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها فما يقع حجر على رأس رجل إلاّ خرج من دبره ولا يقع على شيء من جسده إلاّ خرج من الجانب الآخر . هذا وان عبدَ المطلب وجماعة من قريش ومعهم (نفيل الخثعمي) ومطعم بن عدي ، وعمر بن عائذ المخزومي ومسعود بن عمرو الثقفي على حِراء ينظرون ما الحبشة يصنعونه وما أُنزل الله بأصحابِ الفيل من النقمة وجعل نفيل يقول :

أين المفرّ والإلــه الطالبْ والأشرمُ المغلوبُ ، ليس الغالبْ

وذكر مقاتل بن سليمان : أن قريشاً أُصابوا مالاً جزيلاً من أسلابهم وما كان معهم وأن عبد المطلب أصاب يومئذٍ من الذهب ما ملأ حفرةً .

قال عطاء بن يسار : ليس كلهم أصابه العذاب في الساعة الراهنة ، بل منهم من هلك سريعاً ومنهم من جعل يتساقط لحمه عضواً عضواً وهم هاربون . فلما بعث الله محمداً ﷺ كان فيما يعدّ به على قريش من نعمته عليهم وفضله ما ردّ عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدّتهم فقال :

﴿ ألم ترَ كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل . وارسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارةٍ من سجيل فجعلهم كعصفٍ مأكول ﴾ .

الأبابيل : الجماعات الكثيرة تأتي من هنا وههنا . قال ابن هشام لم تتكلم العرب بواحدة ولكن قال النسائي سمعت بعض النحويين يقول : واحد الأبابيل إبيل . أمــا السجيل قال ابن هشام أخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب الشديد الصلب . قال وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمةً واحدة وانما هو : (سنج) و (جل) يعني بالسنج (الحجر) والجل (الطين) فهي كما قال ابن عباس : حجارة من سجّيل قال طين في حجارة . والعصف : ورق الزرع وورق البقل إذا أكلته البهائم فراثته ... والمعنى : ان الله سبحانه وتعالى أهلكهم ودمرهم وردّهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيراً ، وأهلك عامتهم ولم يرجع منهم مخبر إلا وهو جريح كما جرى لملكهم أبرهة . وكان أبرهة ممن تساقط عضواً عضواً وأنملةً أنملةً وإنه انصدعَ قلبهُ حين وصل إلى بلده صنعاء. وما مات والله إلاّ واخبرهم بما جرى لهم ثم مات ، فملك بعده ابنه

(يكسوم) ثم من بعده ابنه الثاني (مسروق) ثم طردهم جميعاً الملك سيف بن ذي يزن الحميري بمعونة كسرى .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة٦٩١ «إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فليبلغ الشاهدُ الغائبَ »

آخر اختصار تفسير سورة الفيل ولله الحمد والمنة .



نزلت بعد سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝ (٤) ﴾

﴿ لإيلاف قريش ﴾ أي لإيلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين ، وقيل ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، في التجارة وغير ذلك. ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم . وأما في إقامتهم في البلد، فكما قال الله تعالى: ﴿ أولم يروْا أنّا جعلنا حرَماً آمنا ويتخطف الناس من حولهم ﴾ .

ثم أرشدَهم إلى شكرِ هذه النعمة العظيمة.فقال : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت ﴾ فليوحّدوه بالعبادة. كما قال تعالى: ﴿ قل إنما أمرت أن أعبدَ ربَّ هذه البلدة الذي حرّمها وله كلّ شيء وأمرت أن أكونَ من المسلمين ﴾ وقوله تعالى: ﴿ الذي أطعمهم من جوع ﴾ أي هو رب البيت ﴿ وآمنَهم من خوْف ﴾ أي تَفضل عليهم بالأمن والرخص . فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا نِداً ولا وثناً. ولهذا من استجاب لهذا الأمر، جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه . كما قال تعالى : ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنةً مطمئنة يأتيها رزقُها رغَداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون ﴾

آخر اختصار تفسير سورة لإيلاف قريش ولله الحمد والمنة .



نزلت بعد سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَرَأَيْتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۞ (١) فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۞ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۞ (٣) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۞ (٤) ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۞ (٥) ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۞ (٦) وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۞ (٧) ﴾

يقول تعالى : ارأيتَ يا محمد الذي يكذب بيوم المعاد والجزاء والثواب ﴿ فذلك الذي يدعُّ اليتيم ﴾ أي الذي يقهره ويظلمه حقه ﴿ ولا يحض على طعام المسكين ﴾ أي الذي لا شيءَ له يقوم بأوده . ثم قال تعالى: ﴿ فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ فعن سعد بن أبي وقاص قال ٦٩٢[سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال «هم الذين يؤخرون الصلاةَ عن وقتها »][1] ﴿ الذين هم يراءون ﴾ فقد روى الإمام أحمد بسنده عن عبدالله بن عمرو يقول قال رسول الله ﷺ ٦٩٣ [من سمّع الناس بعمله سمّع الله به سامع خلقه وحقره وصغره] ومما يتعلق بقوله تعالى : ﴿ الذين هم يُراءون ﴾ ان من عمل عملاً لله فاطّلع عليه الناس فأعجبه ذلك ان هذا لا يعدرياءً والدليل على ذلك ما رواه الحافظ ابو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ٦٩٤ [كنت أصلي فدخل علي رجل فأعجبني ذلك فذكرته لرسول الله ﷺ فقال : « ثبت لك أجران أجر السر وأجر العلانية »] ﴿ ويمنعون الماعون ﴾ أي لا أحسنوا عبادة ربهم ولا أحسنوا

(١) لنا رسالة في موضوع الصلاة الفائتة « نصوص الشريعة الثابتة في حكم قضاء الصلوات الفائتة » .

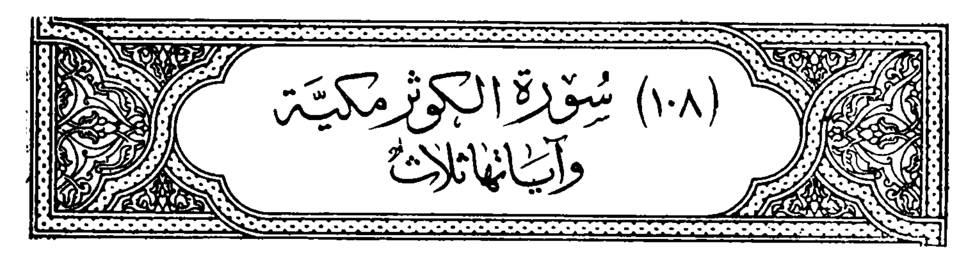
إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به،مع بقاء عينه ورجوعه إليهم.فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى. وقيل ان الماعون الزكاة روى ذلك عن علي وابن عمر . قال الحسن البصري : إن صلى راءى وإن فاتته لم يأس عليها ويمنع زكاة ماله وفي لفظ صدقة ماله . وسئل ابن مسعود عن الماعون فقال : هو ما يتعاطاه الناس بينهم من الفأس والقِدْر والدلو وأشباه ذلك وعن ابن عباس أنه متاعُ البيت ، وترك المعاونة بمال أو منفعة ولهذا قال محمد بن كعب ﴿ ويمنعون الماعون ﴾ قال المعروف ولهذا جاء في الحديث ٦٩٥ [كل معروف صدقة] وروى ابن مانع بسنده إلى عامر بن ربيعة عن علي بن فلان النميري، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ٦٩٦ [المسلم أخو المسلم إذا لقيه جاء بالسلام ويرد عليه ماهو خير منه لا يمنع الماعون قلتُ : يا رسول الله ما الماعون ؟ قال : الحجر والحديد وأشباه ذلك .] والله أعلم .

آخر اختصار تفسير سورة الماعون ولله الحمد والمنة .

على ذكر الصلاة الفائتة :

(ليس من دليل على جواز تأخير الصلاة عمداً عن وقتها ، حتى يكون :ـ لمؤخرها عمداًـ دليل على استدراكها وقضائها. وليس للقائلين بجواز قضائها من دليل يتشبثون به... إلاَّ قوله ﷺ : [من نام عن صلاة أو نسيها فليصلّها إذا ذكرها لا كفارة لها إلاَّ ذلك]

وهذا الحديث كما هو واضح حجّة عليهم لا لهم . لأنهم يقيسون العامد على المعذور . وهذا قياس مع الفارق ، كما هو واضح . لأن الشارع الحكيم اعتبر النائم عن الصلاة أو الناسي لها معذوراً، فأمره بصلاتها«أداءً» فور استيقاظه أو تذكره... فهو والحالةهذه معذور إذ ليس بمقدوره أن يستيقظ أو يتذكر، إلاَّ أن يشاءُ الله له ذلك. فأين حال هذا... من حال العامد اليقظ المتذكر؟ والرسول ﷺ يقول : [من ترك صلاةً واحدةً ـ أي عامداً ـ برئت منه ذمّة الله ورسوله] أو كما قال... ويحتجون أيضاً بقضاء الرسول والصحابة الصلوات يوم غزوة الخندق... مع أنهم يعلمون أن هذا منسوخ بصلاة الخوف ، ولا حجة لهم به . وقد وضحنا هذه القضايا توضيحاً تاماً في رسالتنا « نصوص الشريعة الثابتة في حكم قضاء الصلوات الفائتة » وهي تحت الطبع . وإن الذين أفتوا بجواز قضاء الصلاة الفائتة ، فتحواـ ولو بدون قصدـ باباً بل أبواباً لتركها نهائياً. إذ أنَّ الذي يعتقد بإمكانية استدراكها بالقضاء ... قد يترك الوقت والوقتين والثلاثة... ثم اليوم واليومين والأسبوع والأسبوعين... إلى أن يتركها نهائياً. والعياذ بالله تعالى . بينما إذا علم أنَّ من فوّت صلاةً واحدةً يستحيل عليه استدراكها ، ولو صلّى الدهر... ! حرص كل الحرص على أن لا تفوته صلاة قط . ومن هنا يظهر الفارق جلياً بين نتائج كلٍّ من القولَين : بالقضاء ... أو عدمه . والله أعلم وهو الموفق للصواب . « نسيب »



(١٠٨) سورة الكوثر مكية وآياتها ثلاث

وكثير من القراء قال أنها مدنية ! نزلت بعد سورة العاديات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾

روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك قال :٦٩٧ [بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذا أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً ، قلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال لقد نزلت علي آنفاً سورة ، فقرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر . إن شانئك هو الأبتر ﴾ ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم في السماء فيختلج [1] العبد منهم فأقول : رب إنه من أمتي ، فيقول إنك لا تدري ما أحدث بعدك] وقد استدل به كثير من القراء على ان هذه السورة مدنية [2] وكثير من الفقهاء على أن البسملة من السورة وانها منزلة معها [3] وعن انس مرفوعاً : ٦٩٨ [دخلت الجنة فإذا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ] .

(١) يعني تجذبه الملائكة وترده عن الحوض .

(٢) لقول أنس بن مالك ، بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا في المسجد.. الحديث... فأنس أنصاري وقوله في المسجد ، يدل على أنه مسجده صلى الله عليه وسلم بالمدينة . أي نزلت سورة الكوثر بالمدينة ، اذاً فهي مدنية لا مكية .

(٣) لعل قراءته عليه الصلاة والسلام البسملة في أول الكوثر للاستفتاح لا أنها من أصل السورة .

وروى البخاري بسنده إلى أنس بن مالك قال : لما عُرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال [أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوّف فقلت ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر][1]. وأما قوله: ﴿ إنّا أعطيناك الكوثر ﴾ فقد تقدم أنه نهر في الجنة كما في حديث أنس المتقدم بروايته . وقوله تعالى : ﴿ فصل لربّك وانحر ﴾ أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ومن ذلك النهر الذي تقدم وصفه ... فأخلص لربّك وانحر أي أخلص لربّك صلاتك المكتوبة والنافلة ، ونحرك أي نسكك يعني ذبحك فانحر على اسمه تعالى وحده لا شريك له : كما قال تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين ... ﴾ ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول: ٦٩٩[من صلّى صلاتنا ونسُك نسكُنا فقد أصابَ النسُكَ ، ومن نسَك قبلَ الصّلاةِ فلا نُسْكَ له فقام أبو بردة بن نيار فقال : يــا رسول الله إني نسكت شاتي قبل الصلاة وعرفت أن اليوم يوم يشتهى فيه اللحم فقال شاتك شاة لحم قال: فإن عندي عناقاً[2]. هي أحب إليّ من شاتين أفتجزىء عني؟ قال: تجزئك ولا تجزىء أحداً بعدك] .

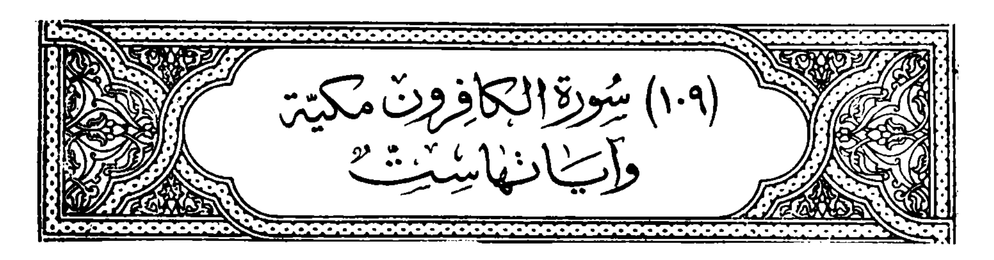
وقوله تعالى: ﴿ إنّ شانئك هو الأبتر ﴾ أي مبغضك يا محمد، ومبغض ما جئت به من الهدى والحق ، والبرهان الساطع ، والنور المبين ، هو الأبتر الأقل الأذل، المنقطع ذكره. وقال السدي : كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا : بتر فلما مات أبناء رسول الله ﷺ. قالوا: بتر محمد فأنزل الله: ﴿ إن شانئك هو الأبتر ﴾ حاشا وكلاً ... بل قد أبقى الله ذكره على رؤوس الأشهاد ، وأوجب شرعه على رقاب العباد ، مستمراً على دوام الآباد ، إلى يوم المحشر والمعاد ، صلوات الله عليه وسلامه إلى يوم التناد .

آخر اختصار تفسير سورة العصر ولله الحمد والمنة .

---

(١) وتمام الحديث : (... فضربت بيدي إلى ما يجرى فيه الماء فإذا مسك اذفر قلت ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله عز وجل) .

(٢) العناق : الأنثى من اولاد الماعز قبل استكمالها السنة ج أعنق وعنوق .



نزلت بعد سورة الماعون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ ۞ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ (٢) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ ۞ (٤) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۞ (٦)

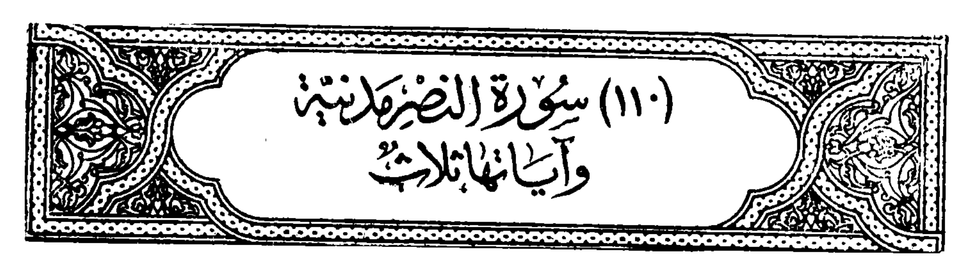
ثبت في صحيح مسلم عن جابر ٧٠٠[أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة وبقل هو الله أحد في ركعتي الطواف] وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ٧٠١[ان رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي الفجر] وفي مسند أحمد عن ابن عمر ٧٠٢[ان رسول الله ﷺ قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعاً وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد] .

وروى أبو القاسم الطبراني بسنده إلى جبلة بن حارثة وهو أخو زيد بن حارثة أن النبي ﷺ قال : ٧٠٣[إذا أويت إلى فراشك فاقرأ: قل يا أيها الكافرون حتى تمر بآخرها فإنها براءةٌ من الشرك] ومن بعض حديث عن ابن عباس مرفوعاً : ... ٧٠٤[قل يا ايها الكافرون تعدل ربع القرآن] .

هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون ، وهي آمرة بالاخلاص لله فقوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ يشمل كل كافر على وجه الأرض ، ولكن

المواجَهين بهذا الخطاب هم كفار قريش . وقيل أنهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنةً ، ويعبدون معبوده سنةً فأنزل الله تعالى هذه السورة وأمر رسوله ﷺ فيها ، أن يتبرّأ من دينهم بالكليّة فقال : ﴿ لا أعبد ما تعبدون ﴾ يعني الأصنام والأنداد ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ وهو الله وحده لا شريك له . فما ها هنا بمعنى من ؛ ثم قال ﴿ ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ أي ولا أعبد عبادتكم أي لا أسلكها ولا أقتدي بها ، وإنّما أعبد الله على الوجه الذي يحبّه ويرضاه ، ولهذا قال : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ أي لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم . كما قال : ﴿ إن يتّبعون إلاّ الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربّهم الهدَى ﴾ نتبرأ من جميع ما هم فيه ، ولهذا كان معنى : (لا إلّه إلاّ الله محمّد رسول الله) أي لا معبود إلاّ الله ، ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول ﷺ . والمشركون يعبدون غير الله ، عبادة لم يأذن بها الله . ولهذا قال لهم الرسول ﷺ : ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ كما قال تعالى ﴿ وإن كذّبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريءٌ مما تعملون ﴾ وقال تعالى : ﴿ لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ وقد استدلّ الشافعي رحمه الله وغيره بهذه الآية الكريمة ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ على أنّ الكفرَ ملةٌ واحدة ، فورث اليهود من النصارى وبالعكس إذا كان بينهما نسب أو سبب يتوارث به ، لأن الأديان ما عدا الإسلام ، كلها كالشيء الواحد في البطلان . وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم توريث النصارى من اليهود وبالعكس ، لحديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ ٧٠٥[لا يتوارث أهل ملتين شتّى] .

آخر اختصار تفسير سورة (الكافرون) ولله الحمد والمنة .



نزلت بمِنىً في حَجة الوداع بعد سورة التوبة . فتعد مدنيةً ، وهي آخر سورة نزلت من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۞ (١) وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجاً ۞ (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ۞ (٣) ﴾

روى البخاريّ عن ابن عباس قال (كان عمر يدخلني مع اشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال : لمَ يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن قد علمتم ... فدعاني ذات يوم فأدخلني معهم . فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريـَهم... فقال : ما تقولون في قول الله عزّ وجلّ ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ ... ؟ فقال بعضهم : أمرنا ان نحمد الله ونستَغفره إذا نصرنا وفتح علينا ؛ وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً . فقال لي : أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت لا... فقال: ما تقول ؟ فقلت هو أجَلُ رسول الله ﷺ أعلمَه لهُ. قال: ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ فذلك علامةُ أجلكَ ، ﴿ فسبح بحمد ربّك واستغفره إنّه كان توّابا ﴾ فقال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها إلاّ ما تقول) تفرّد به البخاري .

روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال:٧٠٦ [لما نزلت: ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ قال رسول الله ﷺ : « نعيتْ إليّ نفسي » فإنه مقبوض في تلك السنة] .

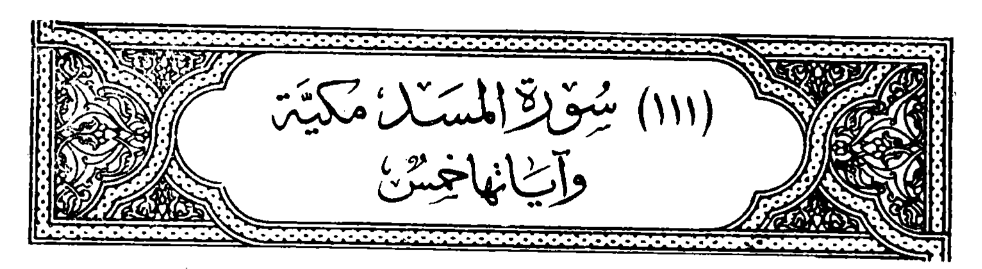
ورويَ أيضاً عن عائشة قالت ٧٠٧ كان رسول الله ﷺ يكثر في آخر أمره من قوله :

«سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه» وقال: «إن ربي كان أخبرني أني سأرى علامةً في أمَّتي وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده واستغفره إنّه كان توّاباً ، فقد رأيتها : ﴿ إذا جاء نصر الله ... ﴾ »] ورواه مسلم .

فبعد أن نزلت هذه السورة ، كان رسول الله ﷺ أشدّ ما يكون اجتهاداً في أمر الآخرة. وقال رسول الله ﷺ ٧٠٨ [«جاء الفتح وجاء نصر الله وجاء أهل اليمن فقال رجل: يا رسول الله وما أهل اليمن ... ؟ قال قوم رقيقة قلوبُهم ، لينة طباعُهم ، الإيمان يمان والفقه يمان] . فالمعنى الذي فسّره بعض أهل بدر من جلساء عمر، كما تقدم من حديث البخاري، من أنه تعالى أمرنا إذا فتح علينا المدائن والحصون، ان نحمده ونشكره ونسبّحه، هو معنى مليح صحيح. وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثماني ركعات فقال قائلون : هي صلاة الضحى؛ وأُجيبوا : بأنه لم يكن يواظب عليها في الحضر فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافراً ، لم ينوِ الإقامة بمكّة ؟ ولهذا أقام فيها إلى آخر شهر رمضان، قريباً من تسعة عشر يوماً يقصر الصلاة ويفطر، هو وجميع الجيش. وكانوا نحواً من عشرة آلاف، قال هؤلاء وإنما كانت صلاة الفتح. قالوا : فيستحَبُّ لأمير الجيش إذا فتح بلداً، أن يصلّيَ فيه أوّل ما يدخله ثماني ركعات. وهكذا فعل سعد بن أبي وقّاص يوم فتحَ «المدائن» . ثم قال بعضهم يصليها كلها بتسليمةٍ واحدةٍ . والصحيحُ أنه يسلّم من كل ركعتين، كما ورد في سنن أبي داود: ٧٠٩ [أن رسول الله ﷺ كان يسلم يوم الفتح من كلّ ركعتين] . (١)

وأمّا ما فسّره ابن عباس وعمرُ رضي الله عنهما كما جاء في حديث البخاري نفسه من ان هذه السورة نعي فيها إلى رسول الله ﷺ روحه الكريمة ، فمعناه : أعلم انك اذا فتحت مكة وهي قريتك التي أخرجتْك ، ودخل الناسُ في دين الله أفواجاً، فقد فرغ شغلنا بكَ في الدنيا ، فتهيأ للقدوم علينا ، فالآخرة خيرٌ لك من الدنيا ، ولسوف يعطيك ربك فترضى. ولهذا قال : ﴿ فسبّح بحمد ربّك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ . والمراد بالفتح ها هنا « فتح مكة » قولاً واحداً فإن أحياء العرب كانت تتلوَّمُ –أي تتريث– بإسلامها فتحَ مكة . يقولون إن ظهَرَ على قومه فهو نبيٌّ وعن جار الجابر بن عبدالله قال [٧١٠ **قدمت من سفر فجاءني جابر بن عبد الله فسلم علي ، فجعلت أحدثه عن افتراق الناس وما أحدثوا ، فجعل جابر يبكي ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس دخلوا في دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجــــا » آخر تفسير سورة النصر ولله الحمد والمنة**

(١) ونرجوا الله تعالى أن نصليها غداً في كل بلد نحرره من فلسطين، بل ومن العالم أجمع. كما نوصي الأجيال بعدنا بهذه الأمانة ... إلى أن تكون كلمة الله هي العليا على الأرض .



نزلت بعد سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۞ (٢) سَيَصْلَىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ۞ (٣) وَٱمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۞ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ۞ (٥) ﴾

روى البخاريّ عن ابن عباس ٧١١ [أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى: يا صباحاه...فاجتمعت إليه قريش: فقال: أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أكنتم تصدقوني؟ قالوا: نعم قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. قال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تباً لك. فأنزل الله: ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾] أي خسرت وخابت، وضل عمله وسعيه. وأبو لهب هو أحد أعمام رسول الله ﷺ واسمه عبد العُزّى بن عبد المطلب وكنيته أبو عتيبة وإنما سمي أبا لهب لإشراق وجهه. وكان كثير الأذيَّة لرسول الله ﷺ والبغضة له، والازدراء به، والتنقص له ولدينه. وعندما كان النبي يدعو: (يا أيها الناس قولوا لا إله إلاّ الله تُفلحوا. والناس مجتمعون عليه كان أبو لهب يلحق به ويقف وراءه ويقول: إنه صابىء كاذب ويتبعه حيث ذهب) ﴿ وتبَّ ﴾ أي وقد تبَّ يعني تحققت خسارتُه وهلاكه. وكان أبو لهب يقول: إنْ كان ما يقوله ابنُ أخي حقاً فإني افتدي نفسيَ يومَ القيامة من العذاب بمالي وولدي. فأنزل الله: ﴿ ما أغنى عنه ماله ﴾ ﴿ ومــا كسب ﴾ يعني ولده. وقوله تعالى: ﴿ سيصلى ناراً ذات لهب ﴾ أي ذات شرر ولهب

وإحراق شديد . ﴿ وامرأته حمّالة الحطب ﴾ وكانت من سادات نساء قريش، وهي أم جميل . واسمها : أروَى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان ، وكانت عوناً لزوجها على كفره وعناده . ولهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم . ولهذا قال تعالى : ﴿ حمّالة الحطب في جيدها حبل من مسد ﴾ وعن سعيد بن المسيب إنه كان لها قلادة فاخرة فقالت لأنفقنّها في عداوة محمّد! يعني فأعقبها الله منها حبلاً من مسد في النار وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى : ﴿ في جيدها حبل من مسد ﴾ أي في عنقها حبل من نار ترفع به إلى شفيرها ثم ترمى إلى أسفلها ثم كذلك دائماً . قال العلماء : وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليلٌ واضح على النبوّة فإنّه منذ نزل قوله تعالى : ﴿ سيصلى ناراً ذات لهب وَامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مَسَد ﴾ فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان لا باطناً ولا ظاهراً ولا مسرّاً ولا معلناً ، فكان هذا من أقوى أدلّة النبوّة [1] .

آخر اختصار تفسير سورة اللهب فلله الحمد والمنة .

---

(١) قلت : ولكن رغم كل هذا ... ما يزال في هذه الأمة ، « جماعة ... ؟ » يشفقون على أبي لهب فيتأذون من قراءة سورة « تبت يدا أبي لهب » وكثيراً ما ينهون عن قراءتها زاعمين ان في ذلك إيذاءً لرسول الله ! ! ؟ لأنه عمّه. مع أن رسول الله عليه الصلاة والسلام متبرىء منه، لأنه مشرك . وكيف ينزل الله على حبيبه ونبيّه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، سورة تؤذيه ! ! ! ؟ إن هذه السورة إخبار بما أعدَّ الله لعدوه وعدوّ رسوله أبي لهب من العذاب في قرار جهنم ، إنتقاماً منه لما كان يقوم به من الكفر بالرسالة ، والتكذيب والإمعان في العداوة والإيذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم . إذاً فإن هذه السورة ما هي إلاّ تأييد من الله لرسوله، وغيرةٌ عليه وحِميّة له، فكيف يتأذى بها الرسول صلى الله عليه وسلم؟ والحقيقة... أن أولئك (الجماعة ...) هم الذين يتأذّون من تلاوة السورة ... وممّا يؤسف له... انهم زوّروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مناماً زعموا فيه : أن بعض من كان يكثر من قراءة « تبت يدا أبي لهب .. » في الصلاة ، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه يقول له معاتباً : سبحان الله ... ! ! ! ! أما تحفظ من القرآن سوى « تبت يدا أبي لهب » ثم أمره أن يقلع عن قراءتها ! ! ! وهذا منام كذب مزوّر عليه صلى الله عليه وسلم من قبلهم كعادتهم دائماً ... وقانا الله شرورهم وزورهم وزندقاتهم الكافرة الفاجرة . وإننا إرضاء لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم – إغاظة لمحبّي أبي لهب نردّد هذه السورة : (تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى ناراً ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد) . وإننا نوالي من والى رسول الله ونعادي من عاداه .

(١١٢) سورة الإخلاص مكية وآياتها أربع

نزلت بعد سورة الناس

سبب نزولها : روى الإمام أحمد عن أُبيّ بن كعب أن المشركين قالوا للنبي ﷺ : ٧١٢ [يا محمد : أنسب لنا ربّك ، فأنزل الله تعالى: ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ وروى الطبراني عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ٧١٣ [لكل شيء نسبة ونسبة الله : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ﴾ والصمد ليس بأجوف] .

فضلها ٧١٤ [كان رجل من الأنصار يؤمُّهم في مسجد قباء ، فكان كلّما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به ... افتتح : بـ ﴿ قل هو الله أحد﴾ حتّى يفرغ منها ثم كان يقرأ سورة أخرى معها ،وكان يصنع ذلك في كل ركعة : فكلمه أصحابه فقالوا : إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتّى تقرأ بالأخرى ، فإما أن تقرأ بها ، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى ، فقال : ما أنا بتاركها ، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت وإن كرهتم تركتكم ،وكانوا يرون انه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر فقال « يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة » قال إني أحبها ، قال « حبك إياها أدخلك الجنة »]

وروى البخاري عن أبي سعيد ٧١٥ [إن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿ قل هو الله أحد﴾ يردِّدها فلما أصبح جاء إلى النبيّ ﷺ فذكر ذلك له ، وكأن الرجل يتقالُّها فقال النبيّ ﷺ : « والذي نفسي بيده إنّها لتعدل ثلُث القرآن »] .

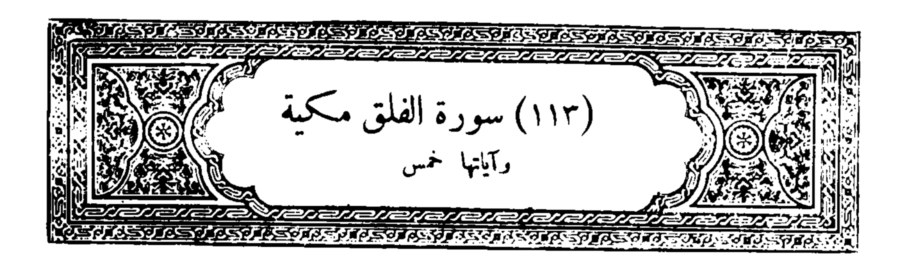
وروى البخاري عن عائشة عن النبي ﷺ ٧١٦ [كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة ، جمع كفّيْه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿ قل أعوذ بربّ الناس ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات] وهكذا رواه أهل السنة من حديث عقيل به .

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۞ (١) اللهُ ٱلصَّمَدُ ۞ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ۞ (٤)

﴿ قل هو الله أحد ﴾ يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير له ولا نديد ولا شبيه ولا عديل . ولا يطلق هذا اللفظ إلاّ على الله عزَّ وجل، لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله. وقوله تعالى ﴿ الله الصمد ﴾ قال ابن عباس : يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم وقالوا هو السيد . والذي لا جوف له . ولا يأكل ولا يشرب ، وهو الباقي بعد خلقه وكل هذه صحيحة وهي صفات ربّنا عز وجل . وقوله تعالى : ﴿ لم يلِد ولم يولَد ﴾ أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة . قال مجاهد : ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ أي ليس له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه، تعالى وتقدس وتنزه. ﴿ بديع السموات والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كلّ شيء ﴾ وقال تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمٰن ولداً ۞ لقد جئتم شيئاً إدّاً ۞ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّا ۞ أنْ دعوا للرحمٰن ولدا ۞ وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ۞ إنْ كل من في السموات والأرض إلاّ آتي الرحمٰنَ عبدا ۞ لقد احصاهم وعدّهم عدّاً ۞ وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾ وفي صحيح البخاري : ٧١٧[لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم] .

آخر اختصار تفسير سورة الاخلاص ولله الحمد والمنة .



نزلت بعد سورة الفيل

روى الإمام أحمد بسنده عن زر بن حبيش قال : قلت لأبيٍّ بن كعب ان ابن مسعود لا يكتب المعوِّذتين في مصحفه فقال : ٧١٨[أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرني أن جبريل عليه السلام قال له : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ فقلتها قال : ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ فقلتها . فنحن نقول ما قال النبي ﷺ] ورواه البخاري والنسائي .

ولعلَّ ابن مسعود لم يسمعها من النبي ﷺ ولم يتواتر عنده ، ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك،إلى قول الجماعة.فإن الصحابة رضي الله عنهم أثبتوها في المصاحف الأئمة، ونفذوها إلى سائر الآفاق . وقد روى مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ ٧١٩[ألم ترَ آياتٍ أنزلت هذه الليلة لم يرَ مثلهن قط : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾) . وعن أبي سعيد: ٧٢٠ [أنَّ رسول الله ﷺ كان يتعوَّذ من أعين الجنّ وأعين الإنس .] قال الترمذيّ حسنٌ صحيح .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۞ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۞ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۞ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۞ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۞ (٥)

قيل في الفلق تفاسير شتّى والأصح: الصبح. وهو اختيار البخاري في صحيحه رحمه الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿ من شر ما خلق ﴾ أي من شر جميع المخلوقات . ﴿ ومن شر غاسق إذا وقب ﴾ قال مجاهد: غاسق الليل إذا وقب غروب الشمس. حكاه البخاري عنه وكذا قاله ابن عباس وغيره . وقال آخرون هو القمر وعمدة اصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد عن الحارث بن أبي سلمة قال: قالت عائشة رضي الله عنها: ٧٢١ [أخذ رسول الله بيدي فأراني القمر حين طلع وقال : تعوّذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب] ورواه الترمذي والنسائي. قال أصحاب القول الأول: وهو آية الليل اذا ولج. هذا لا ينافي قولنا لأن القمر آية الليل، ولا يوجد له سلطان إلا فيه. وكذلك النجوم لا تضيىء إلاّ بالليل، فهو يرجع إلى ما قلناه والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ ومن شرّ النفاثات في العقد ﴾ يعني: السواحر إذا رَقَيْنَ ونفثْنَ في العُقَد .

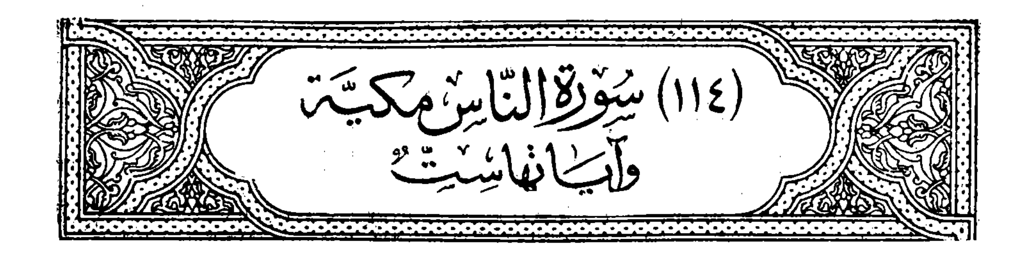
وروى البخاري في كتاب الطب في صحيحه عن عائشة قالت: ٧٢٢ [كان رسول الله ﷺ سحر حتى كان يرَى أنه يأتي نساءه ولا يأتيهن ، قال سفيان [٢] وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا فقال : يا عائشة أعلمتِ ان الله قد افتاني فيما استفتيته فيه . أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي . فقال الذي عند رأسي للآخر : ما بال الرجل ؟ قال : مطبوب قال : ومن طبّه؟ قال: لبيدُ بن أعصم رجل من بني زريق حليفُ اليهود كان منافقاً. قال: وفيم؟ قال: في مشط ومشاطة. قال : وأين ؟ قال : في جف طلعة ذكرٍ تحت راعوفة في بئر ذروان. قالت: فأتى البئر حتى استخرجه. فقال: «هذه البئر التي أريتها... وكأن ماءها نقاعةُ الحناءِ، وكأن نخلَها رؤوس الشياطين» قال: فاستخرج. فقلت: أفلا تنشّرت؟[٣] فقال: «أما الله فقد شفاني. وأكره أن أثير على أحدٍ من الناس شراً»] ورواه مسلم وأحمد . والجف : قشر الطلع . والراعوفة حجرٌ في أسفل البئر ناتىء يقوم عليه الماتح ..

وقال المفسر الثعلبي في تفسيره قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما : كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فدبّت إليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبيّ ﷺ وعدةً من أسنان مشطه فأعطاها اليهود فسحروه فيها .

(١) تفسير اعوذ بالله : راجع تفسير الاستعاذة والبسملة في المجلد الأول ص/٩-١٢/ .
(٢) أي ابن عيينة .
(٣) النشرة عمل ضد السحر .

وروى الإمام أحمد بسنده إلى زيد بن أرقم قال ٧٢٣ [سحرَ النبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود فاشتكى لذلك أياماً قال : فجاء جبريل فقال إن رجلاً من اليهود سحرك وعقد لك عقداً في بئر كذا وكذا فأرسلْ إليها من يجيء بها . فبعث رسول الله ﷺ فاستخرجها فجاء بها فحللها ، قال : فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال ، فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات.] وروى ابن جرير : ٧٢٤ [ان جبريل جاء إلى النبيّ ﷺ فقال : اشتكيت يا محمد ؟ فقال : نعم . فقال : باسم الله أرقيك، من كل داء يؤذيك، ومن شر كل حاسد وعين، الله يشفيك] ولعلَّ هذا كان من شكواه يوم سحر. ثم عافاه الله تعالى وشفاه وردَّ كيــدَ السحرة الحساد من اليهود في رؤوسهم ، وجعل تدميرَهم في تدبيرهم وفضَحَهم . ولكن مع هذا لم يعاتِب رسول الله ﷺ من سحره يوماً من الدَّهر ، بل كفى الله وشفى وعافى .

آخر اختصار تفسير سورة الفلق ولله الحمد والمنة .



نزلت بعد سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ (١) مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ (٢) إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ (٣) مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ (٤) ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ (٥) مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝ (٦) ﴾

هذه ثلاث صفات من صفات الرب عزّ وجل: الربوبية، والملك، والألوهية، فهو رب كل شيء ومليكُه وإلهه . فجميع الأشياء مخلوقةٌ له مملوكة عبيد له. فأمر المستعيذ أن يتعوّذ بالمتصف بهذه الصفات من شرّ الوسواس الخنّاس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان فإنه ما من أحد من بني آدم، إلاّ وله قرين يزيّن له الفواحش، ولا يألوه جهداً في الخبال[1] ، والمعصوم من عصمه الله. وقد ثبت في الصحيح أنه :٧٢٥ [ما منكم من أحد إلاّ قد وُكل به قرينه. قالوا: وأنتَ يا رسول الله؟ قال نعم. إلاّ أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلاّ بخير] وثبت في الصحيحَين عن أنسٍ قوله ﷺ :٧٢٦[إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدّم ...] وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي تميمة يحدث عن رديف رسول الله ﷺ قال : ٧٢٧ [عثر بالنبيّ ﷺ حمارُه فقلت: تعسَ الشيطانُ. فقال النبي ﷺ : لا تقل تعس الشيطان فإنك إذا قلتَ تعس الشيطان تعاظمَ. وقال: بقوّتي صرعتُه. وإذا قلت: بِسم الله، تصاغرَ حتى يصير مثلَ الذباب.] تفرد به أحمد وإسناده جيد قوي . وفيه دلالة على أن القلب متى ذَكَر الله

(١) الخبال : الفساد .

تصاغر الشيطان وغُلِب، وإن لم يذكر الله تعاظم وغَلَبَ: وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله : ﴿ الوسواس الخناس ﴾ قال الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنَس . وقال المعتمر بن سليمان عن أبيه : ذكر أن الشيطان الوسواس، ينفث في قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح، فإذا ذكر الله خنس. وقوله تعالى: ﴿ الذي يوسوس في صدور الناس ﴾ يعني بالناس : الناس والجن تغليباً. وقال ابن جرير: وقد استعمل فيهم رجال من الجن فلا بدع من إطلاق الناس عليهم . وقوله تعالى : ﴿ من الجنة والناس ﴾ وهذا يقوّي إطلاقَ الناس على الجِنّة والناس. وقيل: قوله ﴿ من الجنةِ والناس ﴾ تفسير للذي يوسوس في صدور الناس من شياطين الإنس والجن. كما قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبيٍ عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ .

وكما قال الإمام أحمد عن أبي ذر قال: ٧٢٨[اتيت رسولَ الله ﷺ وهو في المسجد فقال: يا أبا ذر هل صلّيتَ ؟ قلت : لا. قال: قم فصلِّ. قال: فقمت فصليت ثم جلست. فقال يا أبا ذر: تعوَّذ بالله من شرِ شياطين الأنس والجن قال : فقلت يا رسول الله: وللانس شياطين...؟! قال: نعم ..] الحديث . وروى الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس قال:

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: ٧٢٩[يا رسول الله اني لأحدّث نفسي بالشيء لأن أخرَّ من السماء أحبّ إليَّ من أن أتكلم به قال : الله أكبر الله أكبر الحمد لله الذي ردَّ كيده إلى الوسوسة] ورواه أبو داود والنسائي .

آخر اختصار تفسير سورة الناس ولله الحمد والمنّة

* * *

وهكذا فقد تمَّ بتوفيق الله هذا الكتاب : « تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير » فالحمد لله الذي تمّ بنعمه الصالحات الباقيات وصلى الله على من نَزَلت عليه من ربّه هذه الآيات البيّنات فبلغها للناس فكانت هُدًى للعالمين وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً . وكان الفراغُ منه في ٢٤ رمضان سنة ١٣٩٠ الموافق ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لك اللهم لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك

حمداً لك اللهم وشكراً على ما أنعمتَ وأفضلتَ ... أكرمتَني بخير الأعمال وأجلّها، وشرفتَني بما سهّلتَ لي من تقريب كتابك إلى عبادك، ولا سهلَ إلا ما جعلتَه سهلاً، وإنّك تجعلُ الحزْنَ إن شئتَ سهلاً. اللهم فما أصبتُ فيه، فمنكَ الوهب والتيسير. وما أخطأت فيه، فمنيّ الذنبُ والتقصير. اللهمّ فاغفر لي حَوبي، وتجاوز عن ذنبي، وعاملني بفضلك والرحمة، وأنقذني بلطفك من النقمة. اللهم لا تجازني بما أستحق ... فإنك بالعفو أجدر وبالصفح أحق. وإنّك يا ربي عفوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عنّي، وإنك يا ربيّ لأولىَ بيَ منّي.

اللهم اجعل عملي هذا لوجهك الكريم، وتقبَّلْه منّي وزحزحني به عن النار، وأدخلني دارَ النعيم، واجعله في صحائفي وأثقِل به موازيني، وادّخره لي عندك يومَ القيامة يومَ لا ينفع مالٌ ولا بنونَ إلاّ من أتى اللهَ بقلبٍ سليم.

اللهم اجعل أفضلَ صلواتِك، وأكملَ تحيّاتِك، وأنمى بركاتِك، وأتم تسليماتِك، على عبدِك ورسولِك محمّدٍ أفضلِ خلقِك، وخيرِ عبادِك، وصفوةِ أنبيائِك وأوليائِك، وأكرمِهم عليك. وأعظمِهم لديْك.

اللهمّ إنّي أشهدُ أن طاعتَه من طاعتِك، ومعصيتَه من معصيتِك. ومحبّتَه من محبّتِك، وهُداه من هُداك، ورِضاه من رِضاك.

اللّهمّ إني أشْهدُك بأني لا أطيعُ أحداً من خلقك سواه، ولا أتّبع أحداً من عبادِك إلاّ على هُداه.

اللهم فثبتني على سنّتِه، وأحيني على شرعتِه، وأمتني على ملّتِه، واحشرني على محجّتِه.

اللهم إني أشهدُ أنه ﷺ بلّغَ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصحَ الأمة. اللهم فاجزه عنّا وعن الإسلام والمسلمينَ خيرَ الجزاء. وآتِه الوسيلةَ والفضيلةَ وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدتَه.

اللهمّ اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين يومَ يقوم الحساب. اللهم اغفر وارحم المفسّر الأول عبدك إسماعيل بن كثير واجزه عنّا بما هو أهله، وأدخلنا وإيّاه والمسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهمّ وألهم ملوك المسلمين ورؤساءهم وحكامهم أن يحكموا بكتابك وسنة نبيك، واجمعهم في دولة إسلاميّة واحدة، رشيدة راشدة، بفضلِكَ ومنكَ وكرمِكَ. وصلِّ اللهمّ على محمد، وعلى آلِه وصحبه وسلِّمْ تسليماً كثيراً. والحمدُ لجلالك في البدءِ والختامِ، يا ذا الجلال والإكرام.

عبدك وابن عبدك وأمتك

« نسيب »

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ..﴾

نزلت هذه الآية الكريمة في شأن الأوس والخزرج ... لما أثار بعض اليهود ذكريات حروبهم بينهم ، فثارت نفوسُهم وطلبوا أسلحتَهم ، وكادوا أن يقتتلوا ... لولا أن بلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فأتاهم ، وجعل يسكّنهم ويقول : (أبدعوى الجاهلية ... !! وأنا بين ظهرانَيكم ... ؟) ويقول : (دعوها ... إنها منتنة) فندموا وألقوا السلاح .

وكنتُ علّقتُ على اختصار تفسير هذه الآية الكريمة في ذيل الصفحة رقم / ٢٩٩ / من المجلد الأول من هذا المختصر ... بقولي : (فهل تتاسّى الدول العربيةُ بهم ، فيتناسون فرقتهم ، ويصدُقون في حرب اليهود ، حتى يُزيحوهم عن فلسطين ... ؟ فتعودَ لأهلها العرب والمسلمين ... هذا ما ندعوا الله أن يكون) .

وقد كان ذلك والحمد لله بدايةً ... ونرجوا الله تعالى أن يبقي الصف متحداً حتى النهاية ... فيطهّر العرب والمسلمون فلسطينَهم من أرجاس اليهود الذين غضب الله عليهم .

إنها والحمد لله بدايةٌ طيّبة...فقد اتحد العرب جميعاً اتحاداً وثيقاً، وتضامنوا تضامناً متيناً ، وصدَقوا الحملة على اليهود في ١٠ رمضان ١٣٩٣ وكان شعارهم (الله أكبر) فزلزَلوا اليهودَ وأخرجوهم من أمنع حصونهم في (سيناء) و(الجولان). حتى لاذوا بالفرار و(الله اكبر) تقرعُ أسماعَهم ... أنّى توجّهوا ... فانهلعت نفوسُهم ، وانخلعت قلوبُهم ... وجنودُ الله في أثرَهم كأنهم القضاءُ المحتوم ، يتعقّبونهم في كل مكان ... ومن كل مكان... حتى انجلتِ الجولةُ الأولى عن نصرٍ مؤزّر محجّل ... تبشّر بجولات قادمة ... وانتصارات محقّقة بإذن الله .

أيها العرب : أرأيتم لما عدتم لبعض أوامر الله بالاتحاد ، واعتصمتم بحبله ، كيف نصركم الله على أعدائكم ، وألّف حولكم قلوب الشعوب والدول الإسلامية وغير الإسلامية في أفريقيا وآسيا والعالم أجمع ... ؟ فقطع أكثرهم علاقاتهم بالدولة اليهودية . وأيّدوكم ... ؟! فكيف بكم إذا تضامنتم جميعاً وعدتم صادقين إلى أحكام كتاب الله

وسنة رسوله ﷺ ... ؟ ستكونون والله إن فعلتم ... أعظم قوةٍ ضـــاربة على وجه الأرض ، وتكونُ كلمةُ الله هي العليا وكلمةُ الذين كفروا السفلى ، وتعودُ راية (**لا إله إلاّ الله محمد رسول الله**) مرفرفةً على الدنيا رمزاً للأمن والســلام والخير والحق والهدى ... فهيّا يا أيها العرب والمسلمون إلى ذلك الهدف الأسمى ، والغاية المنشودة .
﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾

خادم الدعوة السلفية للصراط المستقيم
محمد نسيب الرفاعي

أهم ما جاء في الصفحة من مواضيع الآيات المفسرة	الصفحة

٣٧ – سورة الصافّات مكيّة نزلت بعد سورة الأنعام

٣٨ ـ سورة ص مكيّة نزلت بعد سورة القمر

٣٩ ـ سورة الزُّمَر مكية نزلت بعد سورة سبأ

٤٠ ــ سورة المؤمن مكية نزلت بعد سورة الزُّمر

٤١ ــ سورة فصّلتْ مكيّة نزلت بعد سورة غافر « المؤمن »

٤٢ – سورة الشورى مكيّة نزلت بعد سورة فصّلت

٤٣ سورة الزخرف مكية نزلت بعد سورة الشورى

أهم ما جاء في الصفحة من مواضيع الآيات المفسرة	الصفحة

٥٠ سورة (ق) مكية نزلت بعد سورة المرسلات

٥١ سورة الذاريات مكية نزلت بعد سورة الأحقاف

٥٤ سورة القمر مكيّة نزلت بعد سورة الطارق

٥٥ سورة الرحمن مدنية نزلت بعد سورة الرعد

٥٦ سورة الواقعة مكيّة نزلت بعد سورة طه

٥٨ سورة المجادِلة مدنيّة نزلت بعد سورة (المنافقون)

٥٩ سورة الحشر مدنيّة نزلت بعد سورة البيّنة

أهم ما جاء في الصفحة من مواضيع الآيات المفسّرة	الصفحة

٦٠ سورة الممتحنة مدنيّة نزلت بعد سورة الأحزاب

٦١ سورة الصف مدنية ، نزلت بعد سورة التغابن

٦٢ سورة الجمعة مدنية نزلتْ بعد سورة الصفّ

٨١ سورة التكوير مكية نزلت بعد سورة المسد

٨٢ سورة الانفطار مكية نزلت بعد سورة النازعات

٨٣ المطفّفين مكية نزلت بعد العنكبوت آخر سورة نزلت بمكة

٨٤ سورة الانشقاق مكية نزلت بعد سورة الانفطار

٨٥ سورة البروج مكية نزلت بعد سورة الشمس

٩٩ سورة الزلزلة مدنيّة نزلت بعد سورة النساء

١٠٠ سورة العاديات مكية نزلت بعد سورة والعصر

١٠١ سورة القارعة مكية نزلت بعد سورة قريش

١٠٢ سورة التكاثر مكيّة نزلت بعد سورة الكوثر

١٠٣ سورة العصر مكيّة نزلت بعد سورة الإنشراح

١٠٤ سورة الهمزة مكيّة نزلت بعد سورة القيامة

١٠٥ سورة الفيل مكيّة نزلت بعد سورة (الكافرون)

١٠٦ سورة قريش مكيّة نزلت بعد سورة التين

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

فهرس أحاديث المجلد الرابع

الصفحة	درجة الحديث	مطلع الحديث النبوي الشريف	رقمه

٣٨ – سورة ص

الصفحة	درجة الحديث	مطلع الحديث النبوي الشريف	رقمه
٢٥	صح	... قال ﷺ يا عم أفلا أدعوهم إلى ما هو خير لهم »	١٦
٢٦	صح	... دعا رسول الله ﷺ عمه إلى قوله : لا إله إلا الله .	١٧
٢٧	صح فق	أحبُّ الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود وأحب الصيام إلى	١٨
٢٩	صح	... فسجدها داود عليه الصلاة والسلام فسجدها رسول	١٩
٢٩	صح	المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمن . . .	٢٠
٣١	صح فق	... فصلّى العصر بعدما غربت الشمس ، ثم صلّى بعدها	٢١
٣٣	صح فق	إنَّ عفريتا من الجن تفلّت عليّ البارحة – ليقطع عليّ	٢٢
٣٣	صح م	أعوذ بالله منك – ثم قال – ألعنك بلعنة الله	٢٣
٣٣		قال الله عز وجل لداود عليه السلام ابن لي بيتاً في الأرض	٢٤
٣٥	صح بخ	بينما أيوب يغتسل عريانا خرَّ عليه جرادٌ من ذهب . .	٢٥

٣٩ – سورة الزمر

الصفحة	درجة الحديث	مطلع الحديث النبوي الشريف	رقمه
٤٤	صح م	يا عبادي لو أن أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم . .	٢٦
٤٥		دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو في الموت فقال له	٢٧
٤٧	صح	إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة أهل الغرف كما تراءون	٢٨
٤٧		قلنا يا رسول إنّا إذا رأيناك رقّت قلوبنا وكنّا من أهل	٢٩
٥١		... يا رسول الله أتكرَّر علينا الخصومة قال ﷺ نعم . .	٣٠
٥١	صح	رأى رسول الله شاتين تنتطحان فقال : أتدري فيما	٣١
٥٣	صح	أفلح من هدي إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به	٣٢
٥٣	صح	احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك	٣٣
٥٣		من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى	٣٤
٥٦	صح م	بأي شيء كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته من الليل	٣٥
٥٦	صح	من قال : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب	٣٦
٥٨	صح فق	ان أناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنوا ..	٣٧
٥٨	صح	... يا رسول الله إنَّ لي غدرات وفجرات فهل يغفر لي	٣٨
٥٩	صح م	... لولا أنكم تذنبون لخلق الله عز وجل قوماً يذنبون .	٣٩

٤٠ ـ سورة المؤمن أو غافر

الصفحة	درجة الحديث	مطلع الحديث النبوي الشريف	رقمه
١٨٠	صح	... يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد .	١٤٢
		٤٧ – سورة محمد ﷺ	
١٨١	صح	... يهديكم الله ويصلح بالكم	١٤٣
١٨٢	صح	قتل النبي ﷺ النضر بن الحارث وعقبة ... من أسارى	١٤٤
١٨٢	صح	... ما عندك يا ثمامة ؟ فقال : إن تقتل تقتل ذادم . . .	١٤٥
١٨٣	صح	لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقاتل	١٤٦
١٨٣	صح	... الآن جاء القتال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على	١٤٧
١٨٣	صح	يعطى الشهيد ست خصال : عند أول قطرة من دمه	١٤٨
١٨٣	صح م	يغفر للشهيد كلّ شيء إلا الدَّيْن	١٤٩
١٨٣		يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته	١٥٠
١٨٣	صح بخ	إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة	١٥١
١٨٤		من بلّغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع إبلاغها	١٥٢
١٨٤	صح	تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة .	١٥٣
١٨٥	صح	المؤمن يأكل في معيٍ واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء	١٥٤
١٨٦	صح حسن	في الجنة بحر اللبن وبحر الماء وبحر العسل وبحر الخمر . .	١٥٥
١٨٦	صح	إذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فإن أوسط الجنة .	١٥٦
١٨٧	صح بخ	وبعثت أنا والساعة كهاتين	١٥٧
١٨٧	صح	... اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري .	١٥٨
١٨٧	صح	... كان يقول في آخر الصلاة : اللهم اغفر لي ما قدمت	١٥٩
١٨٧	صح	يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإني أستغفر الله وأتوب إليه	١٦٠
١٨٧		عليكم بلا إله إلاّ الله والاستغفار فأكثروا منهما فإن إبليس	١٦١
١٨٨	صح بخ	خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت	١٦٢
١٨٩	صح بخ	... قال رسول الله ﷺ اقرأوا إن شئتم فهل عسيتم إن	١٦٣
١٨٩	صح	ما من ذنب أحرى أن يعجل الله تعالى عقوبته في الدنيا	١٦٤
١٨٩	صح بخ	... إنّ الرحم معلَّقة بالعرش ، وليس الواصل بالمكافيء	١٦٥
١٩٠		إن منكم منافقين فمن سمَّيتُ فليقم ثم قال : قم يا فلان	١٦٦
١٩٠		كنّا معشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أنّه ليس شيء	١٦٧

٤٨ – سورة الفتح

٥٠ ـ سورة (قٓ)

٥٤ — سورة القمر

الصفحة	درجة الحديث	مطلع الحديث النبوي الشريف	رقمه
٢٧٤	.	(ذوقوا مسَّ سقر) نزلت في أناس من أمتي يكونون في	٢٩٣
٢٧٤	.	لكلّ أمةٍ مجوس ومجوس أمّتي الذين يقولون : لا قدر	٢٩٤
٢٧٥	صح	استعن بالله ولا تعجزْ فإنْ أصابَك أمرٌ فقل قدر الله . . .	٢٩٥
٢٧٥	صح م	إنّ الله كتبَ مقادير الخلق قبل أن يخلقَ السموات والأرض	٢٩٦
٢٧٥	صح	... إنَّ أولَ ما خلق الله القلم ثم قال له أكتب	٢٩٧
٢٧٥	صح	يا عائشة إيّاكِ ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً . .	٢٩٨

٥٥ ـ سورة الرحمن

الصفحة	درجة الحديث	مطلع الحديث النبوي الشريف	رقمه
٢٧٠	غريب	... لا بشيء من نِعَمك ربنا نكذّب فلك الحمد . . .	٢٩٩
٢٧٦	صح	ما بالي أسمع الجن أحسنَ جواباً لربّها منكم قالوا : وما	٣٠٠
٢٧٨	صح م	خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجانّ من مارج من نار	٣٠١
٢٧٩	.	يا حيّ يا قيّوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال	٣٠٢
٢٨٠	.	... من شأنه أن يغفر ذنباً ، ويفرج كرباً ويرفع قوماً	٣٠٣
٢٨٢	صح فق	جنتان من فضة آنيتهما وماضيهما وجنتان من ذهب . .	٣٠٤
٢٨٢	.	(ولمن خاف مقام ربه جنتان) قلت وإنْ زنى وإن سرق	٣٠٥
٢٨٢		... يسير الراكب في ظلِّ الفنَن منها مئة سنة	٣٠٦
٢٨٤	صح فق	إن أوّل زمرة تدخل الجنّة على صورةِ القمر ليلة البدر .	٣٠٧
٢٨٤	.	... (يقول هل جزاء من انعمتُ عليه بالتوحيد إلاّ الجنة	٣٠٨
٢٨٥	صح فق	إنّ في الجنّة خيمة من لؤلؤة مجوّفة عرضها ستون ميلاً .	٣٠٩
٢٨٦		فلم أرَ عبقرّياً يفري فريَه	٣١٠
٦		ألظُّوا بذي الجلال والإكرام	٣١١
٢٨٦	صح م	... اللهمَّ أنتَ السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال	٣١٢

٥٦ ـ سورة الواقعة

الصفحة	درجة الحديث	مطلع الحديث النبوي الشريف	رقمه
٢٨٧		من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقةٌ أبداً . . .	٣١٣
٢٨٧		... كانت صلاته أخفَّ من صلاتكم وكان يقرأ في	٣١٤
٢٨٩	صح	خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم . .	٣١٥
٢٨٩	صح	إنّ في هذه الأمّة سبعين ألفاً يدخلون الجنّة بغير حساب .	٣١٦

٦٠ ـ سورة الممتحنة

الصفحة	درجة الحديث	مطلع الحديث النبوي الشريف	رقمه
		٦٦ ــ سورة التحريم	
٣٩٠	صح	إنّ رسول الله ﷺ كانت له أَمَةٌ يطأها ، فلم تزل به	٤٦٥
٣٩٠	صح	قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان ؟ ... قال عائشة	٤٦٦
٣٩٠	صح	لا تخبري أحداً وإن أمّ إبراهيم عليّ حرام	٤٦٧
٣٩٠	صح فق	...فكفّر عن يمينه فصيّر الحرام يميناً	٤٦٨
٣٩٠	صح بخ	كان النبيُّ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش	٤٦٩
٣٩١	صح م	لما اعتزل النبي ﷺ نساءه ... فقلت أطلقتَهن ؟ قال لا	٤٧٠
٣٩٣	صح	مُروا الصبيّ بالصلاة إذا بلغَ سبعَ سنين فإذا بلغ عشر	٤٧١
٣٩٣	صح	التوبة النصوح... هو الندم على الذنب حين يفرط منك	٤٧٢
٣٩٤	صح	من أحسن في الإسلام لم يؤآخذ بما عمل في الجاهلية و .	٤٧٣
٣٩٤		... اللهم لا تخزني يوم القيامة	٤٧٤
٣٩٤	ضعيف	وكيف تعرف أمّتك يوم القيامة قال : غرٌّ محجّلون من	٤٧٥
٣٩٧	صح	...أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة و.	٤٧٦
٣٩٧	صح فق	كمل من الرجال، كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية و . .	٤٧٧
		٦٧ ــ سورة الملك	
٣٩٨		إن سورةً في القرآن ثلاثون آية شفعت لصاحبها حتى غفر له	٤٧٨
٣٩٨		سورة في القرآن خاصمت في صاحبها حتى أدخلته الجنّة (تبارك...)	٤٧٩
٣٩٩		إنّ رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ (الــم التنزيل، و.	٤٨٠
٤٠٠		لا يدخل أحد النار إلاّ وهو يعلم أنّ النار أولى به	٤٨١
٤٠١	صح فق	سبعة يظلّهم الله تعالى فيّ ظلّ عرشه	٤٨٢
٤٠١	صح	لو إنكم تتوكّلون على الله حق توكّله لرزقكم كما يرزق	٤٨٣
٤٠٣		يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم	٤٨٤
		٦٨ ــ سورة القلم	
٤٠٦	صح	أول ما خلق الله القلم	٤٨٥
٤٠٦	صح	سئلت عائشة عن خُلُق رسول الله ﷺ قالت : كان خلُقه	٤٨٦
٤٠٦	صح	... أما تقرأ القرآن (وإنك لعلى خلق عظيم)	٤٨٧

٦٩ ـ سورة الحاقه

٧٤ ـ سورة المدثر

٧٥ ـ سورة القيامة

والحمد لله رب العالمين